



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبِلَاقَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُتَجَلِّدِ الْعَلِيمِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ

الجزء السابع عشر

من مشوراته

الكتاب الإسلامي

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١١	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ١٧
١١	مشخصات كتاب
١٢	اشاره
١٤	تممه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده
١٤	تممه المختار الاول من كتبه عليه السلام و رسائله
١٤	تممه المعنى
١٦	الترجمه
١٩	و من كتاب له عليه السلام اليهم بعد فتح البصره
١٩	اشاره
١٩	اللغه
٢٠	الاعراب
٢٠	المعنى
٢٠	اشاره
٢١	سند الكتاب و نقله بتمامه و نسخ اخرى منه
٢٥	رووا عن الواقدى أنه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفه بعد فتح البصره
٢٧	كتابان آخران له عليه السلام
٢٩	كتاب هاشم بن عتبه الى أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفه
٣٠	كتاب على عليه السلام الى أبى موسى الاشعري
٣٢	خطبه الحسن بن على عليهما السلام فى الكوفه يستنفر الناس الى أبيه عليه السلام
٣٧	ظهور معجزه من أمير المؤمنين عليه السلام باخباره بالغيب
٣٩	عده خطب خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام فى ذى قار و تحقيق أنيق
٤٨	دخول الناكثين البصره و الحرب بينهم و بين عثمان بن حنيف
٥١	تنازع طلحه و الزبير لامامتهما الناس فى الصلاه

- ٥٢ تعجب أبي الاسود الدؤلي من طلحه و الزبير لما دخلا بيت مال البصره
- ٥٤ كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الى طلحه و الزبير و عائشه
- ٥٦ من كلامه (عليه السلام) لما نفر من ذى قار متوجها الى البصره
- ٦٢ خطبه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى البصره لما بلغه لغط القوم و اجتماعهم على حربته
- ٦٣ «خطبه اخرى له عليه السلام فى ذلك المقام يحرض أصحابه على الجهاد»
- ٧٨ «خطبه أمير المؤمنين عليه السلام فى اثناء حرب الجمل»
- ٨١ «قتل الزبير بن العوام»
- ٨٣ «قتل طلحه»
- ٩٠ «بحث كلامى»
- ٩٤ «كلامه عليه السلام حين قتل طلحه و تفرق الناس»
- ٩٥ «كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند تطوفه على القتلى و تكليمه إياهم»
- ٩٨ «خطبه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى البصره بعد ما كتب الى المدينه و الكوفه بالفتح»
- ٩٩ «عدل على عليه السلام و زهده»
- ١٠٠ «خطبته عليه السلام بعد قسمه المال، و خطبه اخرى»
- ١٠٧ «سيره على عليه السلام فى اهل البصره»
- ١٠٧ «تجهيز على عليه السلام عائشه من البصره الى المدينه»
- ١٠٩ «تأميره عليه السلام ابن العباس على البصره و وصيته له و خطبته الناس»
- ١١١ «شاره اجماليه الى ما عند الائمه من سلاح رسول الله صلى الله عليه و آله و غيرها»
- ١١٤ الترجمه
- ١١٥ و من كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه
- ١١٥ اشاره
- ١١٦ «وهم و رجم»
- ١٢١ «سند الكتاب»
- ١٢٣ «للغه»
- ١٣٤ الاعراب
- ١٣٨ ما الذى اوجب سخط الامير عليه السلام

- المعنى - ١٤٠
- اشاره - ١٤٠
- «اشاره» - ١٥٦
- «لقضاء و القاضى فى الاسلام» - ١٥٨
- «ذكر شريح و نسبه و خبره» - ١٦٨
- الترجمه - ١٨١
- و من كتاب له عليه السلام الى بعض امراء جيشه - ١٨٢
- اشاره - ١٨٢
- اللغه - ١٨٣
- الاعراب - ١٨٣
- المعنى - ١٨٤
- الترجمه - ١٨٦
- و من كتاب له عليه السلام الى الاشعث بن قيس و هو - ١٨٧
- اشاره - ١٨٧
- اللغه - ١٨٧
- الاعراب - ١٨٨
- المعنى - ١٨٩
- اشاره - ١٨٩
- خطبته عليه السلام فى الجمع بالكوفه و الاشاره - ١٩٣
- صوره كتابه بتمامه الى الاشعث بن قيس - ١٩٥
- الترجمه - ٢٠٢
- و من كتاب له عليه السلام الى معاويه و هو الكتاب السادس - ٢٠٣
- اشاره - ٢٠٣
- اللغه - ٢٠٣
- الاعراب - ٢٠٤
- المعنى - ٢٠٥

- ٢٠٥ اشاره
- ٢٠٥ «كتاب على عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي»
- ٢٠٩ صورته كتابه عليه السلام الكامله الى معاويه
- ٢١٩ الترجمة
- ٢٢١ و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا و هو الكتاب السابع
- ٢٢١ اشاره
- ٢٢٢ اللغة
- ٢٢٥ الاعراب
- ٢٢٥ اسناد هذا الكتاب و مداركه و نقل صورته الكامله
- ٢٣٢ كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام الى معاويه
- ٢٣٩ نسخه كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام الى معاويه
- ٢٤١ المعنى
- ٢٤١ اشاره
- ٢٤٢ بحث روائى مناسب للمقام
- ٢٤٧ الترجمة
- ٢٥٠ و من كتاب له عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي
- ٢٥٠ اشاره
- ٢٥٠ اللغة
- ٢٥١ الاعراب
- ٢٥٢ «سند الكتاب»
- ٢٥٣ المعنى
- ٢٥٣ اشاره
- ٢٥٦ جرير بن عبد الله البجلي من هو؟
- ٢٥٩ بحث حكمى عقلى فى ابطال رؤيته تعالى
- ٢٥٩ اشاره
- ٢٨٢ الحديث الاول

٢٩٠	الحديث الثاني
٣٠٣	تقديم مطالب يليق أن يشار إليها
٣٠٣	الاول
٣١١	ههنا يخلق بنا أن نبحت عن مسائل
٣١١	منها أن أنبياء الانس كيف بعثوا إلى الجنّ و هما ليسا من جنس واحد
٣١١	و منها أن شياطين الإنس و الجنّ كيف يضلّون غيرهم من الجنّ و الانس عن
٣١١	و منها لم بعث بعض الأنبياء من الانس إليهم أيضا
٣١٣	و منها أن الجنّ إذا كانوا مكلفين فلا بدّ لهم في كلّ زمان من نبيّ
٣١٣	المطلب الثاني
٣١٤	المطلب الثالث
٣١٥	المطلب الرابع
٣١٥	المطلب الخامس
٣١٥	الحديث الثالث
٣٢٠	«الحديث الرابع»
٣٢٤	الحديث الخامس
٣٣٣	تنبيه
٣٣٤	نكته
٣٤٣	الترجمه
٣٤٣	و من كتاب له عليه السلام الى معاويه و هو الكتاب التاسع
٣٤٣	اشاره
٣٤٥	«سند الكتاب و نقله على صورته الكامله
٣٤٥	اشاره
٣٤٤	«كتاب معاويه الى أمير المؤمنين على عليه السلام»
٣٤٧	«جواب أمير المؤمنين عليه السلام الى معاويه»
٣٥٠	اللغه
٣٥٢	الاعراب

- المعنى - ٣٥٤ -----
- اشاره - ٣٥٤ -----
- تنبيه - ٣٤٣ -----
- «سلام أبي طالب رضوان الله عليه» - ٣٧٢ -----
- «سبب اسلام حمزه رضوان الله عليه» - ٣٨٧ -----
- «مقتل عبيده بن الحارث رضوان الله عليه» - ٣٩٣ -----
- «هند و تمثيلها بحمزه» - ٣٩٤ -----
- «حزن الرسول (صلى الله عليه و آله) على حمزه و توعده بالمشركين بالمثل» - ٣٩٨ -----
- «ما نزل في النهي عن المثلثه و البحث عنها و رد بعض» - ٣٩٨ -----
- «صلاه الرسول (صلى الله عليه و آله) على حمزه رضوان الله عليه» - ٤٠٢ -----
- «حث الرسول (صلى الله عليه و آله) على طلب العلم حتى في دفن القتلى» - ٤٠٧ -----
- «تخوف الناس من لقاء هرقل و تشجيع ابن رواحه الناس على القتال» - ٤١٠ -----
- «تنبؤ الرسول (صلى الله عليه و آله) بما حدث للمسلمين مع الروم» - ٤١٢ -----
- «كلام معاويه بن يزيد بن معاويه بن أبي سفيان في جده و أبيه» - ٤١٥ -----
- «احتجاج العباس عم رسول الله (صلى الله عليه و آله) على أبي بكر و عمر في أمر البيعه» - ٤١٨ -----
- درباره مركز - ٤٢١ -----

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۷

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پديد آور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

يادداشت: عربي.

يادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

يادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰. مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲/خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

لمولفه حيب الله الهاشمى الخوائى

بتصححه و تهذيبه ابراهيم الميانجى.

ص: ٢

تمه باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده

تمه المختار الاول من كتبه عليه السلام و رسائله

تمه المعنى

قوله عليه السّلام: (و اعلموا أنّ دار الهجره قد قلعت بأهلها و قلعوا بها) أى أنّ مدينه الرّسول صلّى الله عليه و آله فارقت أهلها و خلت منهم و كذا أهلها فارقوها على ما بيّنا فى تفسير لغات الكتاب. و أمّا مراده عليه السّلام منه فقال بعضهم: إنّ عليه السّلام يخبرهم من قوله و اعلموا - إلى - على القطب، عن سبب حركته و خروجه من المدينه أنّ المدينه قامت فيها رحى الفتنة و اضطربت أحوال ساكنيها و امورهم و جاشت جيش المرجل من الهرج و المرج، و انقلبت أحوال البلد و تبدّلت بحيث ليس المقام فيها للنّاس سيّما للمؤمنين و الخواص بميسور، و لذا خرج منها و جعل الكوفه مهاجره و مقرّ خلافته.

أقول: لا يخفى على أنّ هذا التفسير لا يناسب المقام و لا يوافق قوله عليه السّلام فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوّكم، فإنّه عليه السّلام كتب إليهم الكتاب ليستنفرهم إلى الجهاد كما صرّح به فى ذيل الكتاب و نفر من المدينه نحو البصره لجهاد الناكثين، لا أنّه يخبرهم عن صرف سبب خروجه منها، و هذا ظاهر لا كلام فيه.

و يقرب من هذا التفسير ما قيل: إنّ عليه السّلام كنى بقلعها بأهلها و قلعهما بها عن اضطراب امورهم بها و عدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنة.

أقول: الظاهر أنّ عليه السّلام لمّا أخبر أهل الكوفه عن أمر عثمان و عن سيرته معه و عمّا جرى عليه من طلحه و الزبير و عائشه و عن بيعه النّاس أعلمهم أنّ منهم من نكثوا البيعه و أثاروا الفتنة و نشطوا أقواما على الحرب و هيجوا بين النّاس الشّرّ و العداوه و الشحناء حتّى أقاموا الحرب، فنهضوا أهل المدينه مجاهدين فى سبيل الله أعداء الله لإطفاء هذه النّائره و إزاله الفتنة نهضه خلت المدينه من أهلها و فارقتها ساكنوها، سيّما أنّهم كانوا من أفعال عثمان و شيعته متألّمين، فلما رأوا أنّ آل عثمان تمسّكوا بدم عثمان تفتينا لم يلبثوا فى المدينه خوفا من أن تشيع الفتنة و يفسد المبطلون، فبادروا إلى جهاد عدوّهم فقلعوا بالمدينه مسرعين.

فهو عليه السّلام أراد إعلام أهل الكوفه بنهوض أهل المدينه على ذلك الحدّ ليرغبوا فى الجهاد و ينصروا دين الله و ينهضوا لقتال أصحاب الجمل معهم و يهتمّوا همّتهم فى إماتة الباطل و إزاحه أهله، و لذا أمرهم عليه السّلام بالسّرعه إليه و المبادره بالجهاد.

قوله عليه السّلام: (و جاشت جيش المرجل) أى غلت كغليان الماء فى القدر. و المراد إخبار أهل الكوفه باضطراب أهل المدينه و ولعهم بالجهاد لما علموا بمسير الناكثين و أتباعهم إلى البصره لإثاره الفتنة. و هذا أيضا تحريض أهل الكوفه على النهضه و الجهاد.

قوله عليه السّلام: (و قامت الفتنة على القطب) أى الفتنة التى أثارها النّياكثون و أتباعهم قامت على القطب، شبه الفتنة بالرحى بقرينه القطب، أى أنّ رحى الفتنة دائره و المراد أنّ الفتنة قائمه و نارها مشتعله فاسرعوا إلى إطفائها، ففيها أيضا تحريض أهل الكوفه على الجهاد.

و قد قدّر بعض الشّارحين الجمله بقوله: قامت الفتنة على القطب حيث فسّرها بأنّ رحى الفتنة فى المدينه دائره، و لا يخفى أنّ ذلك التقدير غير مناسب للمقام لأنّ فتنة الحرب حين إرساله عليه السّلام الكتاب إلى أهل الكوفه كانت فى البصره بين أصحاب الجمل و عامله عليه السّلام عثمان بن حنيف قائمه كما سيتضح فى شرح الكتاب الثانى إن شاء الله تعالى.

و هو عليه السّلام كان ساعتئذ فى ذى قار كما دريت ممّا حقّقنا آنفا، و بالجمله أنّه عليه السّلام أعلم أهل الكوفه بأنّ الفتنة قائمه على القطب و لا حاجه إلى ذلك التقدير فكأنّما اغترّ ذلك البعض من الجمل المتقدّمه.

ثمّ يمكن أن يقال: إنّّه عليه السّلام أراد بالقطب نفسه، فإنّه عليه السّلام قطب الاسلام و المسلمين يقال: فلان قطب بنى فلان أى سيّدهم الذى يدور عليه أمرهم، و كذا يقال لصاحب الجيش: قطب رحى الحرب تشبيها بالنقطه التى يدور عليها الفلك و يسمونها قطب الفلك، فيكون المعنى أنّ تلك الفتنة أقبلت إليه و قامت و هجمت عليها فتكون كلمه على، على هذا الوجه للضرر و على الوجه الأوّل للإستعلاء

و يمكن أن يكون على الوجهين للإستعلاء، فإذا كانت الفتنة قائمه على القطب بهذا المعنى فللرعيه أن تعاونوه بإطفائها و نجاته منها لأنهم في الحقيقه ينجون أنفسهم منها و ينصرون دين الله، و يطلبون بذلك رفعتهم و منزلتهم، و نعم ما قال الشاعر:

لك العزّ إن مولاك عزّ و إن يهن فأنت لدى بحبوحه الهون كاهن!

و يمكن أن يجعل كلمه الأمير في قوله الاتي قرينه على إرادته هذا المعنى من القطب.

و بعد ما بادر ذهننا إلى هذا المعنى فرأينا أنّ المولى فتح الله القاساني فسّير القطب في شرحه الفارسي على النهج بهذا الوجه، فالحمد لله على الوفاق.

قوله عليه السّلام (فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوّكم إن شاء الله تعالى) أي إذا سمعتم ما قلنا من عمل التّاكثين و ما فعل أهل المدينة لإزهاق الباطل و نصره الدّين، فأسرعوا إلى أميركم يعني بالأمر نفسه عليه السّلام، و بادروا جهاد عدوّكم يعني بالعدوّ أصحاب الجمل.

الترجمه

باب دوم از بابهای سه گانه نهج البلاغه: در نامه ها و رساله های برگزیدهٔ امیر المؤمنین علی علیه السّلام که بدشمنانش و امیران شهرهایش نوشته است، و در این باب نیز فرمانهای برگزیده ای که بعمّال خویش فرستاد، و وصیّتها و اندرزها که بدو دمان و یارانش فرمود، نگاشته آمد.

این یکی از نامه های آن قطب اسلام و مسلمین است که هنگامی از مدینه بسوی بصره، برای خاموش کردن آتش فتنهٔ أصحاب جمل رهسپار شد، در جایی بنام ذی قار رسید، آنرا بمردم کوفه نوشت و از ایشان یاری خواست و فرزندش امام حسن مجتبی و عمّار بن یاسر و قیس را بسوی کوفه گسیل داشت که نامه را بکوفیان رسانند و ایشان را بمدد و نصرت خوانند. و این نخستین کتاب این باب است:

این نامه ایست از بندهٔ خدا علی امیر المؤمنین بمردم کوفه که پیشانی یاری

کنندگان دین و کوهان عربند (کنایه از این که آنان در شرف نسبت بآنصار دین چون پیشانی نسبت به پیکرند و برفعت در میان عرب همچون کوهان نسبت با شتر) شما را از امر عثمان خبر دهم چنانکه شنیدن آن همچون دیدن آن باشد:

همانا که مردم عثمان را بأفعال او عیب کردند و بر او طعن و إنکار نمودند من مردی از مهاجرین بودم که بسیار از او درخواست می کردم که مردم را خوشنود سازد، و همواره او را نصیحت می کردم و براه رستگاری دلالت می نمودم، و از سرزنش او خود داری می نمودم، و هیچ او را سرزنش نمی کردم (چه معنی «أقلّ عتابه» در اینجا بمعنی نفی عتاب است نه این که کمتر او را سرزنش می کردم چنانکه مترجمین باشتباه رفته اند، و در شرح بیان کرده ایم که مردان خدا برفق و مدارا نهی از منکر میکنند و از درشتی سر باز زنند، و ممکن است که معنی جمله چنین باشد که من همواره عثمان را نصیحت و دلالت می کردم و سرزنش او را بر خویشتن تحمیل می کردم و بتوییح او از إرشاد و هدایتش دریغ نداشتم، چه عثمان از اندرزه‌های أمير المؤمنين علیه السلام می رنجید و می گفت که ابو الحسن نمی خواهد دودمان مرا در نعمت آسایش ببیند، و این بنا بر وجهی است که «أقلّ» را بمعنی بر می دارم و حمل میکنم، بگیریم، چنانکه در بحث لغوی این کتاب تحقیق کرده ایم که «أقلّ» هم برای نفی و هم برای حمل استعمال می شود).

و سست ترین رفتنشان در کشتن او رفتن بشتاب و اضطراب بود، و نرم ترین راندنشان راندن سخت (یعنی آن دو در کشتن عثمان شتاب بسیار می کردند و مردم را بر آن بر می انگیزختند هنگامی که عثمان در حصر بود و آب را برویش بستند از طلحه سبب خواست، طلحه در جواب گفت: چون تو دین خدا را تبدیل کردی و تغییر دادی، و آن گاه که تشنگی بر او چیره شد و ندا در داد که ای مردم ما را آب دهید و از آنچه خدا بر شما روزی کرد ما را بخورائید، زبیر بعثمان خطاب کرد و گفت: ای نعل و الله هرگز آب نخواهی چشید، و طلحه اول کسی بود که تیر بخانه عثمان رها کرد، و گفتار طلحه و زبیر در قتل عثمان و تحریض و ترغیب

آن دو مردم را بر آن بسیار است).

و از عائشه در باره او خشمی ناگهانی بود (سبب خشم وی بر عثمان این بود که می گفت عثمان اموال مسلمانان را طعمه خویش و خویشاوندانش گردانید و دودمان و پیروانش را بدان برگزید و دین خدا را تغییر داد و از سنت رسول اعراض کرد، گاهی عثمان بر منبر بود که عائشه نعلین و پیراهن پیغمبر را در میان مجلس بمردم نموده و گفت: این نعلین و پیراهن رسول خدا هنوز کهنه نشده که فرعون این امت عثمان دین خدا را تبدیل کرده است. و می گفت: بکشید نعل را که او فاجر است، و نیز می گفت: بکشید نعل را خدا نعل را بکشد. و نعل مردی یهود بود دراز ریش که عائشه عثمان را بدان تشبیه می کرده است، و عائشه اول کسی بود که بر عثمان طعن کرده است و کارهای او را عیب گرفته و مردم را بر کشتن او برانگیخت).

پس برایش گروهی مقدر شد که او را کشتند و مردم با من بیعت کردند بی آنکه بیعت با مرا ناخوش و ناپسند داشته باشند و کاره باشند، و بی آنکه اجبار شده باشند بلکه بمیل و رغبت و اختیار بیعت کردند. بدانید که مدینه از اهلش خالی شد و مردم از آن برکنده شدند (یا این که مدینه با اهلش برکنده شد و اهل آن با مدینه، که در دلالت مقصود آکداست، و خلاصه این که مردم مدینه از آنجا بیرون آمدند بقصد یاری دین خدا و جهاد فی سبیل الله در رکاب امیر المؤمنین علیه السلام برای خاموش کردن آتش فتنه اصحاب جمل، این گفتار حضرت برای ترغیب و تهییج اهل کوفه است که در جهاد و نصرت دین تأسی با اهل مدینه کنند).

و مدینه چون دیگ بجوش آمده است (مراد این است که وقتی مردم دیدند گروهی بیهانه خون عثمان بیعت را شکستند و نقض عهد کردند و قصد تفتین دارند بخصوص که از افعال عثمان سخت رنج دیدند و دل آزرده بودند برای دفع آنان چنان نهضت و قیام کردند که از اضطراب و هیجان گویا چون دیگ بجوش آمدند)

فتنه بر قطب ایستاده است (کنایه از این که آسیای فتنه دور می زند یعنی آتش فتنه مشتعل است یا این که مراد امیر المؤمنین علیه السلام از قطب خود آن حضرت باشد چه آن بزرگوار قطب اسلام و مسلمین و مدار ایمان و أهل آن است، یعنی فتنه اصحاب جمل بر آن بزرگوار روی آورده است و بر آن قطب عالم امکان دور می زند) پس بشتابید بسوی امیر خود و پیشی گیرید بجهاد دشمن خود اگر خدا خواهد.

و من کتاب له علیه السلام الیهم بعد فتح البصره

اشاره

و هو الكتاب الثانی من باب المختار

من کتب امیر المؤمنین علیه السلام

و جزاکم الله من أهل مصر عن أهل بیت نبیکم أحسن ما یجزی العاملین بطاعته، و الشاکرین لنعمة، فقد سمعتم و أتعتم و دعیتم فأجبتکم.

اللغة

(جزاکم) الجزاء یائی و هو ما فیہ الکفایه من المقابله إن خیرا فخیر و إن شرا فشر، قال الله تعالی: «و جزأهم بما صبروا جنة و حریراً» و قال تعالی:

«و جزاء سئئه سئئه مثلها» یقال: جزاه کذا و بکذا و علی کذا یجزیه جزاء من باب ضرب.

(أهل) قال الخلیل: أهل الرجل أخص الناس به، أهل البلد و البیت سکانه، و أهل کل نبی امته، و أهل الأمر ولاته، و أهل الاسلام من یدین به.

و قوله علیه السلام: (أهل بیت نبیکم) إشاره إلى قوله تعالی: «إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت»، فالمراد من قوله: أهل بیت نبیکم، هو أهل البیت فی الایه.

(من أهل مصر) تميز لضمير المفعول أعنى «كم» فى «جزاكم» لأنه يجوز جرّ التمييز بمن إذا لم يكن تميزاً لعدد و ما كان فاعلاً فى المعنى و التمييز المحول عن المفعول كقولهم رطل من زيت و نعم من رجل، قال أبو بكر بن الأسود:

تخيّره فلم تعدل سواه فنعم المرء من رجل تهامى

و قال آخر:

يا سيّدا ما أنت من سيّد موطأ الأكتاف رحب الذراع

و استثنى ابن مالك الأولين فى الأولين فى الألفيّة و قال:

و اجرر بمن إن شئت غير ذى العدد و الفاعل المعنى كطب نفسا تفد

(عن أهل بيت نبيكم) تتعلّق بقوله جزاكم.

(أحسن ما يجزى) مفعول مطلق نوعى فتاب أحسن عن المصدر المحذوف فى الانتصاب على المفعول المطلق و يدلّ عليه و هو صفه له أى جزاكم الله الجزاء أحسن ما يجزى العاملين بطاعته كقولهم: سرت أحسن السير، أى سرت السير أحسن السير.

و الظاهر أنّ كلمه ما مصدرية أى أحسن جزاء العاملين بطاعته، و يجوز أن تكون من الموصولات و حذف العائد إليها و التقدير: أحسن الذى يجزى به العاملين بطاعته.

(بطاعته) متعلّق للعاملين، و نعمته للشاكرين يقال عمل بطاعته و شكر لنعمته.

المعنى

أشاره

ضمير (إليهم) فى قول الرضى رضوان الله عليه يرجع إلى أهل الكوفة فى الكتاب السابق، فقوله صريح بأنّه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة هذا الكتاب بعد فتح البصره و العجب من الفاضل الشّارح البحرانى حيث قال فى شرحه على النهج: يشبه أن يكون الخطاب لأهل الكوفة مع أنّه نقل فى عنوانه قول الرضى و من كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصره.

ثم إن هذا الكتاب لجزء الكتاب الذي كتب عليه السيِّلام إليهم بعد فتح البصره و لم يذكره الرضى رضى الله عنه بتمامه إمَّا لعدم عثوره عليه، أو لاختياره منه هذا القدر لبلاغته، وهذا ليس بعزيز في النهج كما بينا في المباحث السالفه أن خطبه واحده قطعت و جرئت في أربع مواضع من النهج و ذكر في كل موضع جزء منها، أو أتى ببعض ما في الخطب و الكتب و ترك بعضهما الاخر و ستقف على أكثر ما قدّمنا في المباحث الاثنيه أيضا.

ثم نقل هذا الكتاب و الذي قبله في المجلد الثامن من البحار ص ٤٠٩ الطبع الكمباني، و دونك الكتاب بالسند و التمام.

سند الكتاب و نقله بتمامه و نسخ اخرى منه

إن ما يهّمنا في ذلك الشرح تحصيل سند ما في النهج و نقله من الجوامع و المجاميع التي ألّفت قبل الرضى رضوان الله عليه كالجامع الكافي لثقه الاسلام الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، و البيان و التبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، و الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ، و الكتاب المعروف بالتاريخ يعقوبى لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب المتوفى حدود سنة ٢٩٢ هـ، و فى الكنى و الألقاب للمحدّث القمى رحمه الله أنه توفى سنة ٢٤٦ هـ، و تاريخ الامم و الملوك المعروف بالتاريخ الطبرى لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى الاملى المتوفى سنة ٣١٠ هـ، و كتاب صفين للشيخ أبي الفضل نصر بن مزاحم المنقرى التميمى الكوفى من جمله الرواه المتقدمين بل الواقعه فى درجه التابعين كان من معاصرى محمّد بن على بن الحسين عليهم السيِّلام باقر العلوم و كأنه كان من رجاله عليه السيِّلام و أدرك على بن موسى الرضا عليهما السيِّلام كما فى الخرائج للزاوندى، و كتب الشيخ الأجلّ المفيد قدس سرّه المتوفى سنة ٤١٣ هـ، لا سيّما ما نقل فى كتبه باسناده عن المورّخ المشهور محمّد بن عمر بن واقد الواقدى المدنى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، و كتاب الإمامه و السّياسه المعروف بتاريخ الخلفاء

من مؤلفات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ، و مروج الذهب و معادن الجواهر فى التاريخ لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ، و كتب أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المشتهر بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ و غيرها من الكتب المشهورة للعلماء الأقدمين الذين كانوا قبل الرضى جامع النهج ببضع سنين إلى فوق مئتين و هو توفى سنة ٤٠٦ من هجره خاتم النبیین.

و إنما حدانا على ذلك طعن بعض المخالفين من السابقين و اللاحقين بل بعض المعاصرين على النهج بأنه ليس من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بل مما وضعه الرضى أو من جمعه و نسبه إليه عليه السلام.

و قد نقل القاضى نور الله رحمه الله فى مجالس المؤمنين عند ترجمه الشريف المرتضى علم الهدى أخ الرضى من تاريخ الياضى أنه قال: و قد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغه المجموع من كلام على بن أبى طالب عليه السلام، هل هو جمعه أو أخوه الرضى و قد قيل: إنه ليس من كلام على بن أبى طالب و إنما أحدهما هو الذى وضعه و نسبه إليه، انتهى ما أردنا من نقل القاضى كلام الياضى.

أقول: الظاهر أنّ الياضى أخذ هذا الطعن من القاضى ابن خلکان فى وفيات الأعيان و نقله بألفاظه فى تاريخه و القائل واحد، و قد قاله القاضى عند ترجمه علم الهدى و هو مات سنة ٦٨١ هـ و الياضى سنة ٧٦٨ هـ، إلاّ أنّ ابن خلکان قال بعد قوله فى اختلاف الناس أنه ليس من كلامه عليه السلام و إنما الذى جمعه و نسبه إليه هو الذى وضعه. و الفرق بينهما أنّ القائل بالوضع على عبارته الياضى هو علم الهدى أو أخوه الرضى، و أمّا على ما فى الوفيات فيمكن أن يكون غيرهما.

ثمّ إنّ تلك الشبهه الواهيه إنّما صدرت من معاند جاهل هتاك لم يتفحص فى الكتب و لم يكن عارفا بأنحاء الكلام، و إلاّ فكيف يجترى العالم المتتبع الباحث عن فنون الكلام أن ينحل الكلام الذى هو فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق إلى من نسبه منشاته و أشعاره و سائر كلماته إلى ما فى النهج كنسبه السهء إلى

الشَّمْس. على أنّ الألسن قد كلّت عن أن يتفوّه باتيان خطبه من خطبه لفظاً أو معنى، و الخطباء الذين تشار إليهم بالبنان و تشنى عليهم الخناصر عياله عليه السّلام و كلّ أخذوا منه، و قد قدّمنا بعض ما أشرنا إليه في شرح المختار ٢٣٧.

و قد افترى بعض المخالفين على الرّضى بأنّ الخطبه الشّقشقيّه التي تدلّ على إثبات إمامه أمير المؤمنين عليه السّلام و خلافته بعد رسول الله بلا- فصل من مجعولا-ته نسبها إليه، و أقول: إنّها من الخطب التي أعجزت العقلاء عن فهم معناها، و أعيت الخطباء البلغاء عن أن يأتوا بمثلها فأتى للرّضى و لغير الرّضى هذا التّفنّس و هذا الاسلوب و ما جرى بين مصدّق بن شبيب و شيخه ابن الخشاب مشهور معروف قد نقله الشّارحان المعتزلي و البحراني الأول في آخر شرحه عليها، و الآخر في أوّله و نقلها ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلي أيضا (ص ٣٩٣ طبع طهران ١٣٢٩ هـ) و هي رويت على طرق كثيره روتها الخاصّه و العامّه أتى بها المجلسيّ قدّس سرّه في المجلّد الثّامن من البحار (ص ١٦٠ من الطّبع الكمباني) فلا حاجة إلى نقلها.

و أمّا ما في الوفيات و تاريخ اليافعي من أنّ النّاس قد اختلفوا في النّهج هل المرتضى جمعه أو الرّضى فيدفعه ما قاله جامع النّهج في مقدّمته عليه: فأتى كنت في عنفوان السنّ و غضاضه الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمّه عليهم السّلام «إلخ»، و لا كلام في أنّ خصائص الأئمّه من كتب الرّضى رحمه الله، على أنّ جلّ المؤرّخين و المحدّثين من الشّيعة بل كلّهم و كذلك من العامّه قالوا: إنّّه ممّا جمعه الرّضى، و ارتياب من لا خبره له في ذلك لا يعبأ به.

على أنّ كثيرا من المؤلّفين حتّى من كبار الصّحابه و التّابعين اعتنوا بجمع خطبه عليه السّلام و كتبه و سائر كلماته، و قد ذكر عدّه منها الاستاذ الشعراني في مقاله المفيده القيمه على شرحنا هذا في أوّل المجلّد الأول من تكمله المنهاج، و على شرح المولى صالح القزويني على نهج البلاغه بالفارسيّه، و كذا عدّد عدّه كثيره منها على بن عبد العظيم التبريزي الخياباني في ص ٣٤٩ من كتابه الموسوم بوقايح الأيام في أحوال شهر الصّيّام طبع إيران.

وقد التمس منى غير واحد من أصدقائي الاهتمام كل الاهتمام بذكر مدارك ما فى النهج من الكتب الأقدمين الذين جمع الرضى كلماته عليه السلام منها و أوصانى بذلك مكثراً، و أرجو من الله أن اجيب التماسهم بقدر الوسع بل الطاقه فأنى لم آل جهدا إلى الان فى ما لا بد منه فى تفسير كلماته عليه السلام و ما يحتاج إليها من أراد أن يغوص فى بحار معانيها لاقتناء دررها من السند و اللغه و الاعراب و نقد المعانى و ضد الحقائق فى كل باب، و نقل الايات و الأخبار المناسبه فى كل مقام بعون الله الفياض الوهاب.

و أما سند الكتاب المعنون و نقله بتمامه و نسخ اخرى منه:

فقال الشيخ الأجلّ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد المتوفى ٤١٣ هـ فى كتاب الجمل (ص ٢٠١ طبع النجف) فى روايه عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت، عن عامر الأسدى قال: إنّ علياً عليه السلام كتب بعد فتح البصره مع عمر بن سلمه الأرحبى إلى أهل الكوفه: من عبد الله على بن أبى طالب إلى قرضه بن كعب و من قبله من المسلمين، سلام عليكم، فأنى أحمد الله إليكم الهدى لا إله إلا هو، أما بعد فأنا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفترقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم و قتل طلحه و الزبير و قد تقدّمت إليهما بالندى، و أشهدت عليهما صلحاء الامه و مكنتهما فى البيعه فما أطاعا المرشدين و لا أجابا الناصحين، و لاذ أهل البغى بعائشه فقتل حولها جم لا يحصى عدد هم إلا الله، ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا، فما كانت ناقه الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير فى معصيتها لرّبها و نبيها من الحرب و اغترار من اغتر بها و ما صنعتها من التفرقه بين المؤمنين و سفك دماء المسلمين لا بينه و لا معذره و لا حججه لها، فلما هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبر، و لا يجهز على جريح، و لا يهتك ستر، و لا يدخل دار إلا باذن أهلها، و قد آمنت الناس و استشهد منّا رجال صالحون، ضاعف الله لهم الحسنات و رفع درجاتهم، و أثابهم ثواب الصّابرين، و جزاهم من أهل مصر عن أهل بيت

نبيهم أحسن ما يجزى العاملين بطاعته و الشاكرين لنعتمه، فقد سمعتم و أطعتم و دعيتم فأجبتهم فنعمة الاخوان و الأعوان على الحق أنتم، و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته، كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست و ثلاثين. انتهى.

بيان: عبد الله بن أبي رافع كان كاتبه عليه السلام.

ثم إن كتابه عليه السلام إليهم بعد فتح البصره روى بوجه آخر أيضا رواها علم الهدى الشريف المرتضى في الشافى (ص ٢٨٧، الطبع الناصرى ١٣٠٢) و الشيخ الطوسى فى تلخيصه، و الشيخ المفيد فى الجمل (ص ١٩٨) و فى الارشاد (ص ١٢٣ طبع طهران ١٣٧٧هـ)

رووا عن الواقدي أنه عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة بعد فتح البصره

:

بسم الله الرحمن الرحيم من على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له و ما لهم من دونه من وال، و إني اخبركم عنا و عمن سرنا إليه من جموع أهل البصره و من سار إليه من قريش و غيرهم مع طلحه و الزبير بعد نكثهما صفقه أيمانهما، فنهضت من المدينة حين انتهى إلى خبرهم و ما صنعوه بعاملى عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت ابني الحسن و عمّارا و قيسا، فاستنفرتهم لحق الله و حق رسوله و حقنا فأجابني أخوانكم سرعا حتى قدموا على فسرت بهم و بالمسارعه إلى طاعه الله حتى نزلت ظهر البصره فأعذرت بالدعاء و أقمت الحجّه و أقلت العثره و الزلّه من أهل الرّده من قريش و غيرهم، و استبتهم عن نكثهم بيعتى و عهد الله لى عليهم فأبوا إلا قتالى و قتال من معى و التّمادى فى الغى، فناهضتهم بالجهد و قتل من قتل منهم و ولّى من ولّى إلى مصرهم، فسألوني ما دعوتهم إليه من كفّ القتال فقبلت منهم و أعمدت السيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحقّ و السنّه بينهم و استعملت عليهم عبد الله بن العباس على البصره، و أنا سائر إلى الكوفه إن شاء الله تعالى، و قد

بعثت إليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألوه يخبركم عنّا و عنهم و ردهم الحق علينا و ردهم الله و هم كارهون، و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته، و كتب عبد الله بن أبي رافع في جمادى الاولى سنة ست و ثلاثين.

ففي الارشاد: ثم كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة - إلى أن قال: من جموع أهل البصره و من تأشّب إليهم من قريش (مكان و من سار إليه من قريش - كما في الجمل) - ثم نقل إلى قوله عليه السلام: و لى من لى إلى مصرهم، مع اختلاف يسير في بعض العبارات، و بعده: و قتل طلحه و الزبير على نكثهما و شقاقهما و كانت المرأة عليهم أشأم من ناقه الحجر فخذلوا و أدبروا و تقطعت بهم الأسباب، فلما رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم و غمدت - إلى آخره مع اختلاف قليل في بعض الألفاظ و الجمل.

و نقل الكتاب أبو جعفر الطبري في التاريخ (٥٤٥ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) بالاجمال و الاختصار قال: ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة: كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد و طلحه قالاً: و كتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها و هو يومئذ بمكّه:

من عبد الله أمير المؤمنين أمّا بعد فإنّا التقينا في النصف من جمادى الاخره بالخربيه فناء من أفنيه البصره فأعطاهم الله عزّ و جلّ سنه المسلمين و قتل منّا و منهم قتلى كثيره و اصيب ممّن اصيب منّا ثمامه بن المثنى و هند بن عمرو و علباء بن الهيثم و سيحان و زيد ابنا صوحان و محدوج، و كتب عبد الله بن أبي رافع و كان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفه بالبشاره في جمادى الاخره.

أقول: الظاهر أنّ الكتاب واحد و إنما روى بطرق مختلفه بعضه نقل في طريق و بعضه الاخر في طريق آخر، و روايته كذلك لا تدلّ على تعدّد الكتاب إليهم بعد الفتح و ما وجدنا في كتب الاثار بعد الفحص و التتبع ما يدلّ على تعدّده.

ثمّ إنّ محاسن هذا الكتاب كثيره بل كلّه حسن، و اختيار بعضه و ترك الباقي

كما فعله السيد الرضى ليس بصواب و القول بعدم عثوره على الكتاب بتمامه لا يخلو من دغدغه.

كتابان آخران له عليه السلام

هذان الكتابان غير المذكورين فى النهج و إنما نقلهما المفيد قدس سره فى الجمل (ص ١٩٧) عن الواقدى أحدهما كتبه إلى أهل المدينة بعد فتح البصره و ثانيهما إلى أم هانى بنت أبى طالب بعد الفتح أيضا.

أما الأول فاستدعى كاتبه عبد الله بن أبى رافع و قال: اكتب إلى أهل المدينة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على بن أبى طالب: سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو فإن الله بمنه و فضله و حسن بلائه عندى و عندكم حكم عدل، و قد قال سبحانه فى كتابه و قوله الحق: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» و إني مخبركم عتيا و عمن سرنا إليه من جموع أهل البصره و من سار إليهم من قريش و غيرهم مع طلحه و الزبير و نكثهما على ما قد علمتم من بيعتى و هما طائعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت ممن سارع إلى بيعتى و إلى الحق حتى نزلت ذاقار فنفر معى من نفر من أهل الكوفه و قدم طلحه و الزبير البصره و صنعا بعاملى عثمان بن حنيف ما صنعا، فقدمت إليهم الرسل و أعذرت كل الاعذار، ثم نزلت ظهر البصره فأعذرت بالدعاء و قدمت الحجّه و أقلت العثره و الزله و استتبتهما و من معهما من نكثهم بيعتى و نقضهما عهدى فأبوا إلا قتالى و قتال من معى و التمدى فى الغنى، فلم أجد بدا فى مناصفتهم لى فناصرتهم بالجهاد، فقتل الله من قتل منهم ناكثا، و لى من و لى منهم، و أعمدت السيوف عنهم و أخذت بالعفو فيهم و أجريت الحقّ و السنّه فى حكمهم و اخترت لهم عاملا- استعملته عليهم و هو عبد الله بن عباس، و إني سائر إلى الكوفه إن شاء الله تعالى، و كتب عبد الله بن أبى رافع فى جمادى الاولى سنه ستّ و ثلاثين من الهجره.

و قال علم الهدى فى الشافى: و روى الواقدى أيضا كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

إلى أهل المدينة يتضمّن مثل معانى كتابه إلى أهل الكوفة و قريبا من ألفاظه.

أقول: و لعلّ الوجه فى عدم ذكر الرضى كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة فى النهج كان ذلك أعنى أنّ كتابه إلى أهل المدينة كان قريبا من كتابه إلى أهل الكوفة فى ألفاظه و معانيه.

أمّا الكتاب الثّانى: فكتب عليه السلام إلى أمّ هانى بنت أبى طالب:

سلام عليك أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد فإنّنا التقينا مع البغاه و الظلمه فى البصره فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله و قوّته، و أعطاهم سنه الظالمين فقتل كلّ من طلحه و الزبير و عبد الرحمن بن عتاب و جمع لا يحصى و قتل منّا بنو مخدوع و ابنا صوحان و غلباء و هند و ثمامه فيمن يعدّ من المسلمين رحمهم الله - و السلام.

و لقد حان أن نرجع إلى تميم واقعه الجمل و فاء بالعهد الذى عهدناه فى الكتاب المتقدّم، و ليعلم أولا أنّ غرضنا كلّه أن نأتى بالكتب و الخطب و الأشعار و الحكم التى صدرت منه عليه السّلام على الترتيب الواقع فى بدء واقعه الجمل إلى آخرها حتّى نذكر سند ما فى النهج على ما وجدنا طائفه منه فى سالف الأيام، و اخرى حين شرح الكتاب بالتشبع و الفحص على قدر الوسع و الطّاقه، و كذا نذكر فى ذكر نحو هذه الوقائع ما لم يأت به فى النهج من كلماته عليه السّلام كما فعلنا فى نقل واقعه صفين على اسلوب بديع بين فيه كثير ما فى النهج، و ذكر طائفه من كلماته عليه السّلام لم تذكر فيه مع فوائد غزيره جليله قدّ مناها فى ذكر واقعه صفين، فنقول:

لما أتى أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام الخبر و هو بالمدينة بأمر عائشه و طلحه و الزبير أنّهم قد توجهوا نحو العراق. خرج يبادر و هو يرجو أن يدركهم و يردّهم فلما انتهى إلى الرّبذه أتاه عنهم أنّهم قد أمعنوا، فأقام بالرّبذه أيّاما و أتاه عن القوم أنّهم يريدون البصره فسرى بذلك عنه، و قال: إنّ أهل الكوفه أشدّ إلىّ حباّ و فيهم رءوس العرب و أعلامهم، ثمّ دعا هاشم بن عتبه المرقال و كتب معه كتابا إلى أبى موسى الأشعري، و كان بالكوفه من قبل عثمان أن يوصل الكتاب إليه

ليستنفر النَّاس منها إلى الجهاد معه.

روى أبو مخنف، قال: حدّثني الصعقب، قال: سمعت عبد الله بن جنادة يحدث أنّ عليًا عليه السّلام لمّا نزل الرّبذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري و هو الأمير يومئذ على الكوفة لينفّر إليه النَّاس، و كتب إليه معه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (هو أبو موسى الأشعري) أمّا بعد فأنّي قد بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في الاسلام هذا الحدث العظيم، فأشخص بالنّاس إليّ معه حين يقدم عليك فأنّي لم اولك المصر الّذى أنت فيه و لم أقركّ عليه إلّا لتكون من أعوانى على الحقّ و أنصارى على هذا الأمر، و السّلام.

نقل هذا الكتاب أيضا في جمل المفيد (ص ١١٥ طبع النجف)، و تاريخ أبي جعفر الطبرى (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ)، إلّا أنّ المفيد ذهب إلى أنّه عليه السّلام أرسل هاشم بالكتاب إلى أبي موسى من ذى قار، فإنّه رحمه الله قال: لمّا بلغ الرّبذة وجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلا، ثمّ توجه نحو البصره حتّى نزل بذي قار فأقام بها، ثمّ أرسل ذلك الكتاب مع هاشم، إلخ.

و لكن على روايه أبي مخنف و ابن إسحاق و الطبرى و غيرهم ما نقلناه و ربّناه.

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري، فدعا أبو موسى السائب بن مالك الأشعري فأقرأه الكتاب، و قال له: ما ترى؟ فقال له أبو السائب: أتبع ما كتب به إليك، فأبى ذلك و حبس الكتاب و بعث إلى هاشم يتوعّده و يخوّفه.

كتاب هاشم بن عتبة الى أمير المؤمنين عليه السّلام من الكوفه

فقال السائب: فأتيت هاشم بن عتبة فأخبرته برأى أبي موسى فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام: لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة: أمّا بعد

يا أمير المؤمنين وإني قدمت بكتابك على امرء مشاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغلّ و الشنان فتهدّدني بالسجن و خوّفي بالقتل، و قد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفه أخي طيّ و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فاسأله عمّا بدا لك و اكتب إليّ برأيك، و السلام.

فلما قدم المحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السّلام سلّم عليه ثمّ قال: الحمد لله الذي أدّى الحقّ إلى أهله و وضعه موضعه، فكره ذلك قوم قدو الله كرهوا نبوّه محمّد صلّى الله عليه و آله ثمّ بارزوه و جاهدوه، فردّ الله عليهم كيدهم في نحورهم، و جعل دائره السوء عليهم، و الله يا أمير المؤمنين لنجاهدّهم معك في كلّ موطن حفظا لرسول الله صلّى الله عليه و آله في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده، فرحّب به عليّ عليه السّلام و قال له خيرا، ثمّ أجلسه إلى جانبه و قرأ كتاب هاشم و سأله عن الناس و عن أبي موسى الأشعريّ، فقال: و الله يا أمير المؤمنين ما أثق به و لا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك. فقال عليّ عليه السّلام: و الله ما كان عندي بمؤتمن و لا ناصح، و لقد أردت عزله فأتاني الأشر فسالني أن اقّره و ذكر أنّ أهل الكوفه به راضون فأقرّرتّه.

كتاب عليّ عليه السّلام إلى أبي موسى الأشعريّ

ثمّ دعا عليه السّلام عبد الله بن عباس و محمّد بن أبي بكر و بعثهما إلى أبي موسى و كتب معهما:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عبد الله بن قيس: أمّا بعد يا ابن الحائك يا عاضّ إير أبيه، فو الله إنني كنت لأرى أنّ بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا و لا جعل لك فيه نصيبا سيمنعك من ردّ أمرى و الانتزاع عليّ، و قد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبي بكر فخلّهما و المصّر و أهله و اعترل عملنا مذؤما مدجورا، فان فعلت، و إلّا فأنّي قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء إنّ الله لا يهدى كيد الخائنين، فاذا ظهرا عليك قطعاك إربا إربا، و السلام على من شكر النعمه و وفى بالبيعه و عمل برجاء العاقبه.

أقول: هذا الكتاب غير المذكور في النهج و إنما ذكر فيه كتاب آخر منه عليه السّلام إليه و هو الكتاب ٦٣ منه و هو قوله عليه السلام: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس، أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك، إلخ.

قال أبو مخنف: فلما أبطأ ابن عباس و ابن أبي بكر عن عليّ عليه السّلام و لم يدر ما صنعا رحل عن الرّبذه إلى ذي قار فنزلها، فلما نزل ذا قار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السّلام و عمّار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عباده و معهم كتاب إلى الكوفة، فأقبلوا حتّى كانوا بالقادسيه، فتلقا هم الناس، فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب عليّ عليه السلام و هو:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين: أما بعد فأنّي خرجت مخرجي هذا إما ظالما، و إما مظلوما، و إما باغيا، و إما مبغيا عليّ، فأنشد الله رجلا بلغ كتابي هذا إلا نفر إليّ، فان كنت مظلوما أعانني، و إن كنت ظالما استعتبنني، و السلام.

أقول: أتى بهذا الكتاب الشريف الرضى في النهج مع اختلاف يسير و هو الكتاب ٥٧ منه قوله: و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصره، أما بعد فأنّي خرجت من حيّ هذا، إلخ.

و كذا نقل هذا الكتاب أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥١٢ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) و بين النسخ اختلاف في الجملة و نذكرها في شرح الكتاب بعون الله الملك الوهاب.

فلما دخل الحسن بن عليّ عليهما السّلام و عمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن عليه السّلام، فاستنفر الناس و خطب خطبه رواها أبو مخنف على صورتين فاحدهما ما قال: حدّثني جابر بن يزيد قال: حدّثني تميم بن حذيم الناجي قال: قدم علينا الحسن بن عليّ عليهما السّلام و عمّار بن ياسر يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام و معهما كتابه، فلما فرغا من قراءه كتابه قام الحسن عليه السّلام و هو فتى حدث و الله إنني لأرثي له من حدائنه سنّه و صعوبه مقامه، فرماه الناس بأبصارهم و هم يقولون اللهم:

سدد منطق ابن بنت نبينا، فوضع يده على عمود يتساند إليه و كان عليلا من شكوى به فقال:

خطبه الحسن بن علي عليهما السلام في الكوفة يستنفر الناس الى أبيه عليه السلام

الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، سواء منكم من أسرّ القول و من جهر به و من هو مستخف بالليل و سارب بالنهار، أحمدته على حسن البلاء، و تظاهر النعماء، و على ما أحببنا و كرهنا من شدّه و رخاء، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، امتنّ علينا بنبوّته، و اختصّه برسالته، و أنزل عليه وحيه، و اصطفاه على جميع خلقه، و أرسله إلى الإنس و الجنّ حين عبادت الأوثان، و اطيع الشيطان، و جحد الرّحمن، فصلى الله عليه و على آله، و جزاه أفضل ما جرى المسلمين، أمّا بعد فاتى لا أقول لكم إلا ما تعرفون أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره، و أعزّ نصره، بعثنى إليكم يدعوكم إلى الصواب، و إلى العمل بالكتاب، و الجهاد في سبيل الله، و إن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله، و لقد علمتم أنّ عليّا صلى مع رسول الله صلى الله عليه و آله وحده و أنّه يوم صدق به لفي عاشره من سنّه، ثمّ شهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله جميع مشاهده و كان من اجتهاده في مرضاه الله و طاعه رسوله و آثاره الحسنه في الاسلام ما قد بلغكم و لم يزل رسول الله صلى الله عليه و آله راضيا عنه حتّى غمضه بيده، و غسله وحده و الملائكة أعوانه و الفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرته، و أوصاه بقضاء دينه و عاداته و غير ذلك من اموره، كلّ ذلك من منّ الله عليه، ثمّ و الله ما دعا إلى نفسه، و لقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم العطاش و رودها، فبايعوه طائعين، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا- حدث أحدثه، و لا- خلاف أتاه، حسدا له و بغيا عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله و طاعته، و الجدّ و الصبر و الاستعانه بالله، و الخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عليه السلام عصمنا الله و إيتاكم بما عصم به أولياءه و أهل طاعته، و

ألهمنا

وإيّاكم تقواه، و أعاننا و إيّاكم على جهاد أعدائه، و أستغفر الله العظيم لى و لكم ثم مضى إلى الرهبة فهياً منزلاً- لأبيه أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال جابر: فقلت لثميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: و لما سقط عني من قوله أكثر و لقد حفظت بعض ما سمعت.

و أقياً صورتها الاخرى فروى عن موسى بن عبد الرّحمن بن أبى ليلى، عن أبيه أنّه لما دخل الحسن عليه السّلام و عمّار الكوفه اجتمع إليهما الناس فقام الحسن عليه السّلام فاستنفر الناس، فحمد الله و صلّى على رسوله ثمّ قال:

أيّها الناس إنّنا جئنا ندعوكم إلى الله و إلى كتابه و سنّه رسوله و إلى أفقه من تفقه من المسلمين، و أعدل من تعدّلون، و أفضل من تفضّلون، و أوفى من تبايعون، من لم يعيه القرآن، و لم تجهله السنّه، و لم تقعد به السابقه، إلى من قرّبه الله تعالى و رسوله قرابتين: قرابه الدّين، و قرابه الرّحم، إلى من سبق الناس إلى كلّ ماثره، إلى من كفى الله به رسوله و الناس متخاذلون، فقرب منهم و هم متباعدون، و صلّى معه و هم مشركون، و قاتل معه و هم منهزمون، و بارز معه و هم محجمون، و صدّقه و هم يكذبون، إلى من لم تردّ له رايه، و لا تكافا له سابقه، و هو يسألكم النصر، و يدعوكم إلى الحقّ، و يأمركم بالمسير إليه لتوازيه و تنصروه على قوم نكثوا بيعته و قتلوا أهل الصّلاح من أصحابه، و مثّلوا بعّماله، و انتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه، رحمكم الله، فمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و احضروا بما يحضر به الصّالحون.

و نقل ابن قتيبه الدّينورى فى الإمامه و السياسه خطبته عليه السّلام بوجه آخر قال:

(ص ٦٧ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) ثمّ قام الحسن بن عليّ عليهما السّلام فقال:

أيّها الناس إنّّه قد كان من مسير أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب ما قد بلغكم، و قد أتيناكم مستنفرين، لأنّكم جبهه الأنصار، و رءوس العرب، و قد كان من نقض طلحه و الزّبير بعد بيعتهما و خروجهما بعائشه ما بلغكم، و تعلمون أنّ و هن النساء و ضعف رأيهنّ إلى التلاشى، و من أجل ذلك جعل الله الرّجال قوامين على النساء

و أيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفايه.

و نقل الخطبه فى (جمل المفيد ص ١١٧ طبع نجف) أيضا و نسخته قريبه من نسخه الامامه و السياسه.

و أقول: الظاهر أنّ تلك النسخ كلّها كانت خطبه واحده منه عليه السلام و هى كما قال تميم بن حذيم الناجى حفظ بعضها فريق، و حفظ طائفه منها فريق آخر فنقلوا ما حفظوا، أو اختار بعضهم بعضها اختصارا و ترك الاخر الاخر كذلك.

و لما فرغ الحسن بن عليّ عليهما السلام من خطبته قام بعده عمّار فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال:

يا أيّها الناس أخو نبيكم و ابن عمّه يستنفركم لنصر دين الله، و قد بلاكم الله بحقّ دينكم و حرمة امّكم، فحقّ دينكم أوجب، و حرمة أعظم، أيها الناس عليكم بامام لا يؤدّب، و فقيه لا يعلم، و صاحب بأس لا ينكل، و ذى سابقه فى الاسلام ليست لأحد، و إنّكم لو قد حضرتموه بين لكم أمركم إن شاء الله.

أقول: لقد مضى وجه قول عمّار فيه عليه السلام عليكم بامام لا يؤدّب فى شرح الخطبه ٢٣٦ ص ٢ ج ١٦ من تكمله المنهاج.

ثمّ إنّ المفيد قدّس سرّه نقل خطبه عمّار بن ياسر فى الجمل (ص ١١٧ طبع النجف) تغاير الاولى، و نقلها ابن قتيبه فى الامامه و السياسه على وجه تغايرهما، و لا بعد أن تكون خطبته أيضا قطعت و فرّقت، و ذكرت فى كتاب طائفه منها و فى آخر اخرى منها.

ثمّ قام بعدهما قيس بن سعد فقال:

أيّها الناس إنّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى لكان عليّ أحقّ الناس به لمكانه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و كان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف بالحجّه على طلحه و الزبير و قد بايعاه طوعا ثمّ خلعا حسدا و بغيا، و قد جاءكم عليّ فى المهاجرين و الأنصار، ثمّ أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليا و أبناء الرسول محمداً

و قلنا لهم أهلا و سهلا و مرحبا نمداً يدينا من هدى و تودداً

فما للزبير الناقض العهد حرمه و لا لأخيه طلحة فيه من يد

أتاكم سليل المصطفى و وصيته و أنتم بحمد الله عارضه الندى

فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى و ضمّ العوالى و الصفيح المهند

يسود من أدناه فغير مدلع و إن كان ما نفضيه غير مسود

فان يك ما نهوى فذاك نريده و إن تخط ما نهوى فغير تعمداً

تذكره: قد ذكرنا فى المجلد ١٦ من تكمله المنهاج من ص ١٩ إلى ص ٢٣ طائفه من أشعار الصحابه و التابعين فى مدح أمير المؤمنين و تعريفه بأنه وصى رسول الله صلى الله عليه و آله و منها بيتان من قيس بن سعد هذا و قد قدمنا هنالك أنّ هذه الكلمه الصادره من هؤلاء العظام مع قربهم بزمان رسول الله صلى الله عليه و آله بل إدراك كثير منهم إياه مما يعنى بها و يبجلها من يطلب الحقّ و يبحث عنه، فراجع.

فلما فرغ القوم من كلامهم و سمع أبو موسى خطبتهم قام فصعد المنبر و قال:

الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد فجمعنا - إلى آخر ما نقلنا كلامه لأهل الكوفه و تشبيته إياهم عن نصره أمير المؤمنين على عليه السلام فى شرح الخطبه ٢٣٦ فى ص ٦ من المجلد السادس عشر من تكمله المنهاج، و كذا احتجاج عمّار بن ياسر رحمه الله عليهما عليه من كلامه فلا حاجه إلى الإعادة - فراجع.

ثمّ قام زيد بن صوحان، و بعده عبد الله بن عبد خير، و بعده عبد خير، ثمّ رجل آخر و خاصموا أبا موسى و احتجوا عليه و بخوه بفعاله و لاموه بمقاله و نهوه عن تشبيته الناس عن نصره أمير المؤمنين على عليه السلام، نقل كلام كل واحد منهم المفيد رحمه الله فى الجمل، ثمّ قال: و بلغ أمير المؤمنين ما كان من أمر أبى موسى و تخذيله الناس عن نصرته، فقام إليه مالك الأشر «ره» فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد بعثت إلى الكوفه رجلا - قيل من العنت الاين فلم أره حكم شيئا و هؤلاء اخلف من بعثت أن يستنيب لك الناس على ما تحب، و لست أدرى ما يكون، فان رأيت جعلت فداك

أن تبغثنى فى إثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لى طاعه، و إن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفنى أحد منهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: الحق بهم على اسم الله، فأقبل الأشر حَتَّى دخل الكوفة و قد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم، فأخذ لا يمرّ بقبيله فيها جماعه فى مجلس أو مسجد إلاّ دعاهم و قال لهم: أتبعونى إلى القصر، فانتهى إلى القصر فى جماعه من الناس فاقتحم و أبو موسى قائم فى المسجد الأعظم يخطب الناس و يثبطهم عن نصره علىّ عليه السّلام و الحسن عليه السّلام و عمّار و قيس يقولون له: اعتزل عملنا لا امّ لك، و تنحّ عن منبرنا.

فبيناهم فى الكلام و المشاجره إذ دخل غلمان أبى موسى ينادون يا أبأ موسى هذا الأشر اخرج من فى المسجد، و دخل عليه أصحاب الأشر فقالوا له: اخرج من المسجد يا ويلك أخرج الله روحك إنك و الله لمن المنافقين، فخرج أبو موسى و أنفذ إلى الأشر أن أجلي هذه العشيّه، قال: قد أجليتك و تبيت فى القصر هذه الليله و اعتزل ناحيه عنه، و دخل الناس ينتهبون متاع أبى موسى فأتبعهم الأشر بمن أخرجهم من القصر و قال لهم: إنى أجليته، فكفّ الناس عنه.

قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ: و أتت الأخبار عليّ عليه السّلام باختلاف الناس بالكوفه، فقال للأشر: أنت شفعت فى أبى موسى أن اقزّه على الكوفه، فاذهب فاصلح ما أفسدت، فقام الأشر فشخص نحو الكوفه، فأقبل حَتَّى دخلها و الناس فى المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيله إلاّ دعاهم، و قال: اتبعونى إلى القصر حَتَّى وصل القصر فاقتحمه و أبو موسى يومئذ يخطب الناس على المنبر و يثبطهم و عمار يخاطبه و الحسن عليه السّلام يقول: اعتزل عملنا و تنحّ عن منبرنا لا امّ لك.

ثمّ سعد الحسن بن علىّ عليهما السّلام ثانيا و بعده عمّار بن ياسر (ره) و خطبنا خطبه ثمّ سعد المنبر الأشر رضوان الله عليه و خطب خطبه، ثمّ قام حجر بن عدى الكندى رحمه الله تعالى و خطب خطبه، نقل خطبهم الشيخ الأجلّ المفيد (ره) فى الجمل استنفر كلّ واحد منهم الناس إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و الجهاد فى سبيل الله،

فأجابهم الناس بالسمع و الطاعة.

قال المفيد فى الجمل نقلا عن الواقدى: و كان أمير المؤمنين عليه السّلام كتب مع ابن عبّاس كتابا إلى أبى موسى و غلّظه فقال ابن عباس: قلت فى نفسى أقدم على رجل و هو أمير بمثل هذا الكتاب أن لا ينظر فى كتابى و نظرت أن أشقّ كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام، و كتبت من عندى كتابا عنه لأبى موسى: أمّا بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت و انقطاعك إلينا و إنّما نرغب إليك لما نعرف من حسن رأيك فىنا، فاذا أتاك كتابى فبايع لنا الناس و السلام. فدفعه إليه، فلما قرأه أبو موسى قال لى: أنا الأمير بل و أنت قلت الأمير فدعا الناس إلى بيعه علىّ عليه السّلام فلما بايع قمت و صعدت المنبر فرام، انزالى منه فقلت: أنت تنزلنى عن المنبر و أخذت بقائم سيفى فقلت: اثبت مكانك و الله لأنزلت إليك هذبتك به، فلم يبرح فبايعت الناس لعلىّ عليه السّلام و خلعت أبا موسى فى الحال و استعملت مكانه قرضه بن عبد الله الأنصارى، و لم أبرح من الكوفه حتّى سيرت لعلىّ عليه السّلام فى البرّ و البحر من أهلها سبعة آلاف رجل، و لحفته بذى قار قال: و قد سار معه من جبال طىّ و غيرها ألفا رجل.

ظهور معجزه من أمير المؤمنين عليه السلام باخباره بالغيب

قد تظافرت الأخبار و تناصرت الاثار من الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أخبر الناس فى ذى قار بأنّ رجلا من قبل الكوفه يأتونه لنصرته و يبائعونه على الموت، و إنّما اختلفت تلك الروايات فى العدد: الذى أخبر عليه السّلام به.

فى الارشاد للمفيد قدّس سرّه (ص ١٤٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ): قال عليه السّلام بذى قار و هو جالس لأخذ البيعه: يأتىكم من قبل الكوفه ألف رجل لا يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا يبائعوننى على الموت، قال ابن عبّاس: فجزعت لذلك و خفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه فيفسد الأمر علينا و لم أزل مهموما دأبى إحصاء القوم حتّى ورد أوائلهم ف جعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائه و تسعه

و تسعون رجلا، ثم انقطع مجيء القوم فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون ما ذا حمله على ما قال، فبينما أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصا قد أقبل حتى إذا دنى و إذا هو رجل عليه قباء صوف معه سيفه و ترسه و أدواته، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: امدد يدك ابايعك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: على م تبايعني؟ قال:

على السمع و الطاعة و القتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك، فقال عليه السلام:

ما اسمك؟ قال: اويس، قال: أنت اويس القرني؟ قال: نعم، قال: الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه و آله أنني أدرك رجلا من أمته يقال له: اويس القرني يكون من حزب الله و رسوله يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعه و مضر قال ابن عباس: فسرى و الله عنى.

و قال في الجمل: روى نصر بن عمرو بن سعد عن الأحلج، عن زيد بن علي قال: لما أبطأ على علي عليه السلام خبر أهل البصره و نحن في فلاة قال عبد الله بن عباس:

فأخبرت عليا بذلك فقال لي: اسكت يا ابن عباس، فوالله لتأتينا في هذين اليومين من الكوفه سته آلاف و ستمائه رجل و ليغلبن أهل البصره و ليقتلن طلحه و الزبير فوالله إننى أستشرف الأخبار و أستقبلها حتى إذا أتى راكب فاستقبلته و استخبرته فأخبرني بالعدّه التي سمعتها من علي عليه السلام لم تنقص رجلا واحدا.

و قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥١٣ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ):

حدّثني عمر قال: حدّثنا أبو الحسن قال: حدّثنا أبو مخنف، عن جابر، عن الشعبي عن أبي الطفيل قال: قال علي عليه السلام يأتيكم من الكوفه اثنا عشر ألف رجل و رجل فقعدت على نجفه ذى قار فأحصيتهم، فما زادوا رجلا و لا نقصوا رجلا.

ثم قال: حدّثني عمر قال: حدّثنا أبو الحسن، عن بشير بن عاصم، عن ابن أبي ليلى، عن أبيه قال: خرج إلى علي عليه السلام اثنا عشر ألف رجل و هم أسباع على قريش و كنانه و أسد إلخ.

و روى أبو مخنف كما في شرح الفاضل الشارح المعتزلى (ص ١٠٢ ج ١ طبع طهران ١٣٠٤ هـ الخطبه ٣٣) عن الكلبي، عن أبي صالح، عن زيد بن علي بن عباس

قال: لَمَّا نزلنا مع علي عليه السَّلام ذا قار قلت: يا أمير المؤمنين ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ؟ فقال: والله ليأتيني منهم ستّة آلاف و خمسه و ستون رجلا لا يزيدون و لا ينقصون، قال ابن عباس: فدخلى و الله من ذلك شكّ شديد في قوله و قلت في نفسي: و الله إن قدموا لأعدّتهم.

قال أبو مخنف: فحدّث ابن إسحاق عن عمّه عبد الرّحمن بن يسار قال:

نفر إلى علي عليه السَّلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر و البرّ ستّة آلاف و خمسمائه و ستون رجلا أقام علي عليه السَّلام بذي قار خمسه عشر يوما حتّى سمع صهيل الخيل و شحيج البغال حوله، فلَمَّا سار بهم منقله قال ابن عباس: و الله لأعدّتهم فان كانوا كما قال و إلّا- أتممتهم من غير هم فانّ الناس قد كانوا سمعوا قوله، فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا، فقلت: الله أكبر صدق الله و رسوله، ثمّ سرنا.

و قال المسعودي في مروج الذهب: أتاه عليه السَّلام من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف و قيل ستّة آلاف و خمسمائه و ستون رجلا، و قال: قتل من أصحاب علي عليه السَّلام في وقعه الجمل خمسه آلاف.

و الأخبار الواردة في العده التي خرجوا مع علي عليه السَّلام من المدينة و في أنّه عليه السَّلام سار من ذي قار قاصدا البصره في اثني عشر ألف، و في عدد القتلى من أصحابه عليه السَّلام و غيرها لا يناسب العدد الذي ذكره المفيد في الإرشاد، و لم نر مع كثره فحصنا في الآثار من يوافقه في نقل ذلك المقدار.

عده خطب بها أمير المؤمنين عليه السَّلام في ذي قار و تحقيق أنيق

في سند عده خطب مذكوره في النهج و بيان أصلها و لم شعثها

(١) قال المفيد في الإرشاد (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و لَمَّا نزل بذي قار أخذ البيعه علي من حضره ثمّ تكلم فأكثر من الحمد لله و الثناء عليه الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه و آله ثمّ قال:

قد جرت امور صبرنا عليها و فى أعيننا القذى تسليما لأمر الله تعالى فيما امتحننا به، و رجاء الثواب على ذلك، و كان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون و تسفك دماؤهم، نحن أهل بيت النبوة و عتره الرسول و أحق الخلق بسلطان الرسالة و معدن الكرامه التى ابتداء الله بها هذه الامه، و هذا طلحه و الزبير ليسا من أهل النبوة و لا من ذريه الرسول حين رأيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر، فلم يصبرا حولاً- واحداً ولا- شهراً كاملاً- حتى و ثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقى و يفرقا جماعه المسلمين عني، ثم دعا عليهما.

(٢) قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص ٥٠١ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ):

كتب إلى السرى عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي قال: لَمَّا التقوا بذي قار تلقاهم على فى اناس فيهم ابن عباس فرحب بهم و قال:

يا أهل الكوفه أنتم وليتم شوكة العجم و ملوكهم و فضضتم جمعهم حتى صارت إليكم مواريتهم، فأغنيتم حوزتكم و أعنتم الناس على عدوهم، و قد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصره، فان يرجعوا فذاك ما نريد، و إن يلجوا داريناهم بالرّفق، و بايناهم حتى يبدؤنا بظلم، و لن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، و لا قوه إلا بالله.

أقول: هذه الخطبه و التى قبلها ما ذكرتا فى النهج و يمكن أن يكون جميعها خطبه واحده فتفرقت باختلاف الروايات.

(٣) و قال الواقدي كما فى جمل المفيد: لما صار أهل الكوفه إلى ذى قار و لقوا علينا عليه السلام بها رحبوا به و قالوا: الحمد لله الذى خصنا بمودتنا و أكرمنا بنصرتك، فجزاهم خيرا، ثم قام عليه السلام و خطبهم فحمد الله و أثنى عليه و ذكر النبى صلى الله عليه و آله فصلّى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفه إنكم من أكرم المسلمين و أعدلهم سنّه، و أفضلهم فى الاسلام سهما، و أجودهم فى العرب مركبا و نصابا، حربكم بيوتات العرب و فرسانهم و مواليهم، أنتم أشدّ العرب ودا للنبى صلى الله عليه و آله، و إنما اخترتكم ثقّه بعد الله لما

بذلتم لى أنفسكم عند نقض طلحه و الزبير بيعتى و عهدى، و خلافهما طاعتى و إقبالهما بعائشه لمخالفتى و مبارزتى، و إخراجهما لها من بيتها حتى أقدمها البصره، و قد بلغنى أن أهل البصره فرقتان: فرقه الخير و الفضل و الدين قد اعتزلوا و كرهوا ما فعل طلحه و الزبير، ثم سكت عليه السلام فأجابه أهل الكوفه: نحن أنصارك و أعوانك على عدوك و لو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا فى ذلك الخير و رجوانه فردّ عليهم خيرا.

أقول: هذه الخطبه ليست بمذكوره فى النهج و قد رواها المفيد قدّس سرّه فى الارشاد أيضا (ص ١١٩ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و بين النسختين اختلاف فى الجملة و كأنّ ما فى الارشاد أحكم و أقوم.

قال رحمه الله: و قد روى عبد الحميد بن عمران العجلي، عن سلمه بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفه أمير المؤمنين عليه السلام بنى قار رحبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذى خصّنا بجوارك و أكرمنا بنصرتك، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال:

يا أهل الكوفه إنكم من أكرم المسلمين، و أقصدهم تقويما، و أعدلهم سنّه و أفضلهم سهما فى الاسلام، و أجودهم فى العرب مركبا و نصابا، أنتم أشدّ العرب ودا للنبى صلّى الله عليه و آله و أهل بيته، و إنما جئتكم ثقه بعد الله بكم للذى بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحه و الزبير و خلفهما طاعتى، و إقبالهما بعائشه للفتنه و إخراجهما إياها من بيتها حتى أقدمها البصره فاستغروا طغامها و غوغاها، مع أنه قد بلغنى أن أهل الفضل منهم و خيارهم فى الدين قد اعتزلوا و كرهوا ما صنع طلحه و الزبير ثم سكت عليه السلام، فقال أهل الكوفه: نحن أنصارك و أعوانك على عدوك، و لو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا فى ذلك الخير و رجوانه، فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام و أثنى عليهم ثم قال:

لقد علمتم معاشر المسلمين أن طلحه و الزبير بايعانى طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذنانى فى العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصره فقتلا المسلمين و فعلا

المنكر، اللهم إنهما قطعاني و ظلماني و نكثا بيعتي و ألثبا الناس عليّ، فاحلل ما عقدا، و لا تحكم ما أبرما، و أرهما المساءه فيما عملا.

(٤) قال المفيد ره فى الجمل (ص ١٢٨ طبع النجف) نقلا عن الواقدى أيضا:

لما أراد عليه السلام المسير من ذى قار تكلم فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

إن الله عزّ و جلّ بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله للناس كافّه و رحمه للعالمين. فصدع بما امر به، و بلغ رسالات ربّه، فلما ألمّ به الصدع، و رتق به الفتق، و آمن به السيل و حقن به الدماء، و ألف بين ذوى الأحقاد و العداوه الواغره فى الصدور، و الضغائن الكامنه فى القلوب فقبضه الله عزّ و جلّ إليه حميدا، و قد أدّى رساله، و نصح للامه، فلما مضى صلّى الله عليه و آله لسيله دفعنا عن حقنا من دفعنا، و ولوا من ولوا سوانا ثمّ وليها عثمان بن عفّان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره ما كان أتيتومنى فقلتم: بايعنا، فقلت لكم: لا أفعل، فقلتم: بلى لا بدّ من ذلك، فقبضتم يدي فبسطتموها، و تداككتم عليّ تداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتّى لقد خفت أنّكم قاتلى أو بعضكم قاتل بعض، فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل، و قد علم الله سبحانه أنّى كنت كارها للحكومه بين امه محمّد، و لقد سمعته يقول: ما من وال يلى شيئا من أمر ائمتى إلاّ أتى الله يوم القيامه مغلوله يدها إلى عنقه على رءوس الخلائق، ثمّ ينشر كتابه: فان كان عادلا نجا، و إن كان جائرا هوى.

ثمّ اجتمع عليّ ملا-كم و بايعنى طلحه و الزبير و أنا أعرف الغدر فى وجههما و النكث فى عينيهما ثمّ استأذنانى فى العمره فأعلمتهما أن ليس العمره يريدان، فسارا إلى مكّه و استخفا عائشه و خدعاها. و شخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصره هتكوا بها المسلمين و فعلوا المنكر، و يا عجبا لاستقامتهما لأبى بكر و عمر و بغيهما عليّ و هما يعلمان أنّى لست دون أحدهما، و لو شئت أن أقول لقلت، و لقد كان معاويه كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه، فكتماه عنى و خرجا يوهمان الطغام أنّهما يطلبان بدم عثمان، و الله ما أنكرا عليّ منكرا، و لا جعلنا بينى و بينهما نصفاء، و أنّ دم

عثمان لمعصوب بهما و مطلوب فيهما، يا خيبه الداعي إلى ما دعى، و بما ذا اجيب و الله إنهما لفي ضلاله صماء، و جهاله عمياء، و إن الشيطان قد دير لهما حربه و استجلب منهما خيله و رجله، ليعيد الجور إلى أوطانه و يردّ الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه و قال: اللهم إن طلحه و الزبير قطعاني و ظلماني و نكثا بيعتي فاحلل ما عقدا، و انكث ما أبرما، و لا تغفر لهما أبدا، و أرهما المساءه فيما عملا و أملا.

و قد نقل هذه الخطبه المفيد رحمه الله في الارشاد أيضا، و الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج و بين النسخ اختلاف في الجملة و ما في الارشاد أمتن و أتقن.

قال رحمه الله (١١٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ): و من كلامه عليه السلام عند نكث طلحه و الزبير بيعته و توجههما إلى مكه للاجتماع مع عائشه في التأليب عليه و التأليف على خلافه ما حفظه العلماء عنه عليه السلام أنه بعد أن حمد الله و أثنى عليه قال:

أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه و آله للناس كافه، و جعله رحمه للعالمين، فصدع بما امر به، و بلغ رسالات ربه، فلم به الصدع، و رتق به الفتق، و آمن به السبيل و حقن به الدماء، و ألّف به بين ذوى الاحن و العداوه و الوغر في الصدور، و الضغائن الراسخه في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميدا لم يقصّر في الغايه التي إليها أدى الرساله، و لا بلغ شيئا كان في التقصير عنه القصد، و كان من بعده ما كان من التنازع في الامر، فتولّى أبو بكر و بعده عمر، ثم تولّى عثمان، فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلت: بايعنا، فقلت: لا - أفعّل، فقلت: بلى، فقلت: لا و قبضت يدي فبسطتموها، و نازعتكم فجدبتموه، و تدا ككتم على تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلى، و أن بعضكم قاتل بعضا لدى فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، و بايعنى في أولكم طلحه و الزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذنانى في العمره، و الله يعلم أنّهما أرادا الغدره، فجددت عليهما العهد في الطاعه، و أن لا يبغيا الامه الغوائل، فعاهدانى ثم لم يفيا لى. و نكثا

بيعتى و نقضا عهدى، فعجبا لهما من انقيادهما لأبى بكر و عمر، و خلافهما لى، و لست بدون أحد الرّجلين، و لو شئت أن أقول
لقلت اللهم احكم عليهما بما صنعا فى حقّى و صغرا من أمرى و ظفّرني بهما.

أقول: الخطبه ٢٢٧ من النهج كأنّها جزء هذه الخطبه حيث قال عليه السلام:

و بسطتم يدي فكففتها، و مددتموها فقبضتها، ثمّ تداككتم علىّ تداككّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها. إلخ. و انما تغايرها
فى قليل من العبارات. نعم الخطبه ٥٤ منه و هى قوله عليه السلام: فتداكّوا علىّ تداكّكّ الابل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها و
خلعت مثنائها - إلخ. يشبه أن تكون جزء خطبه اخرى و إن كانت تشابهها فى بعض العبارات و الجمل، كما أنّ ذيل كلامه عليه
السلام و هو الكلام ١٣٥ من باب الخطب أوله: ما أنكروا علىّ منكرا - إلخ تشابه كثيرا من فقرات هذه الخطبه و لا- يبعد أن
تكونا جزئين من هذه الخطبه.

و ليعلم أنا قد قدّمنا فى شرح الخطبه ٢٢٩ و هى قوله عليه السلام: (فصدع بما امر و بلّغ رساله ربه فلم الله به الصدع و رتق به
الفتق - إلخ) أنها لجزء خطبه و حكمنا بذلك بالحدس و الفراسه لما قلنا هنالك (ص ١٩ ج ١٥ تكمله المنهاج) أنا و إن فحصنا
و تتبعنا فى مظانّها لم نظفر بها و بحمد الله تعالى أصاب حدسنا حيث أصبناها فى جمل المفيد و إرشاده و احتجاج الطبرسى، و
لا- يخفى أنها لجزء من هذه الخطبه المنقوله عن الواقدى فى جمل المفيد و الارشاد و قد قال الرضى رحمه الله ثمّه: إنّ عليه
السلام خطبها بذي قار و هو متوجّه إلى البصره ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل و لم يتعرّض أحد من الشراح لذلك مع أنّ من
أهمّ ما يجب عليهم فى شرح كلامه عليه السلام تحقيق أمثال هذه الأمور، فتحصّل مما ذكرنا أنّ الخطبه ٢٢٧ من النهج و الخطبه
٢٢٩ منه جميعا بعض هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام فى ذى قار، و أنّ الخطبه ٥٤ و ١٣٥ أيضا يمكن أن تكونا
جزئين منها.

ثمّ اعلم أنّ ذيل الخطبه المذكوره نقله الطبرى فى التاريخ (ص ٤٩٥ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) عنه عليه السلام قاله لعثمان بن
حنيف فى الرّبذه، و قد أتاه عثمان من

البصره لَمَا صنع الناكثون به ما صنعوا كما سنذكره بالاختصار.

قال الطبري: حدّثني عمر قال: حدّثنا أبو الحسن عن أبي محمد عن عبد الله ابن عمير عن محمّد ابن الحنفية قال: قدم عثمان بن حنيف على عليّ عليه السلام بالزبده وقد تنفوا شعر رأسه و لحيته و حاجبيه فقال: يا أمير المؤمنين بعثني ذا الحيه و جئتك أمرد قال، أصبت أجرا و خيرا إنّ الناس وليهم قبلي رجلا ن فعملا بالكتاب، ثمّ وليهم ثالث فقالوا و فعلوا، ثمّ بايعوني و بايعني طلحه و الزبير ثمّ نكنا بيعتي و ألبا الناس عليّ، و من العجب انقيادهما لأبي بكر و عمرو خلافهما عليّ، و الله إنهما ليعلمان أني لست بدون رجل ممن قد مضى، اللهمّ فاحلل ما عقدا، و لا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما و أرهما المساءه فيما عملا.

(٥) الخطبه التي نقلناها في ذيل شرح الخطبه ٢٢٩ من النهج عن الكافي (ص ١٩ ج ١٥ تكمله المنهاج) و هي لم تذكر بتمامها في النهج كما قلنا ثمّ و هي الخطبه ١٤٥ من النهج أولها: فبعث محمّدا صلّى الله عليه و آله بالحقّ ليخرج عباده من عباده الأوثان إلى عبادته «إلخ» و إن كان بين نسخه النهج و بين نسخه الكافي اختلاف في الجملة في بعض الكلمات و الجمل، و لكنهما خطبه واحده بلا ارتياب كما يعلم بأدنى تأمل و نظر متى قوبلت النسختان.

و كذا الخطبه ٢٣٧ من النهج يذكر عليه السلام فيها آل محمّد صلّى الله عليه و آله بقوله: هم عيش العلم و موت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم «إلخ» هي ذيل الخطبه ١٤٥ من النهج أعني ذيل تلك الخطبه المنقوله عن الكافي بلا كلام.

فتحصّل أنّ الخطبه ١٤٥ من النهج و الخطبه ٢٣٧ منه واحده و الخطبه بتمامها و سندها هو الذي نقلناها عن الكافي و رواها غير الكليني بسند آخر أيضا خطب بها عليه السلام في ذي قار كما قدّمنا.

ثمّ إنّ الرّضيّ رضوان الله عليه لم يتعرّض في كلا-الموضعين من النهج لبيان الخطبه بأنّه عليه السلام أين خطبها أولا، و جعل الخطبه في موضع ثمّ ذيلها في موضع آخر ثانيا.

(٦) الخطبه ٣٣ التي ذكرها الرضی فی النهج قال رحمه الله: و من خطبه له عند خروجه لقتال أهل البصره، قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار و هو يخصف نعله «إلخ».

و هذه الخطبه نقلها المفيد رحمه الله في الارشاد (ص ١١٨ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و قال: إنه عليه السلام خطب القوم بها في الزبده لا- في ذي قار كما في النهج، على أن بين النسختين اختلاف في الجملة، أما ما في النهج فلا حازه الى تسويده، و أما ما في الارشاد فقال:

و لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصره نزل الزبده فلقية بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه و هو في خبائه، قال ابن عباس رضی الله عنه: فأتيته فوجدته بخصف نعلا فقلت له: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع فلم يكلمني حتى فرغ من نعله ثم ضمها إلى صاحبته و قال لي: قومهما، فقلت:

ليس لهما قيمه، قال: على ذاك قلت: كسر درهم قال: الله لهما أحب إلي من أمركم هذا إلا أن اقيم حقا أو أذفع باطلا، قلت: إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي ان أتكلم فان كان حسنا كان منك و إن كان غير ذلك كان مني؟ قال: لا أنا أتكلم ثم وضع يده على صدرى و كان شثن الكفين فألمني، ثم قام فأخذت بثوبه و قلت: نشدتك الله و الرحم قال: لا تنشدني ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أميا بعد، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و آله و ليس في العرب أحد يقرأ كتابا و لا يدعى نبوه، فساق الناس إلى منجاتهم، أم و الله ما زلت في ساقها ما غيرت و لا- بدلت، و لا- خنت حتى تولت بحذافيرها، ما لى و لقريش، أم و الله لقد قاتلتهم كافرين و لا قاتلتهم مفتونين، و أن مسيرى هذا عن عهد إلى فيه، أم و الله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته، ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا و أنشد:

ذنب لعمرى شربك المحض خالصا و أكلك بالزبد المقشره التمر

و نحن و هبناك العلاء و لم تكن عليا و حطنا حولك الجرد و السمرا

انتهى ما فى الإرشاد.

ثم إنَّ الخطبه ١٠٢ من النهج لقريبه منها، أولها: فإنَّ الله سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا اه، و قال الرضى رضى الله عنه: و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الروايه.

أقول: و أراد ما تقدّم مختارها هو الخطبه ٣٣ التى نقلناها عنه و عن المفيد فتحصّل أنّ الخطبه ٣٣ و الخطبه ١٠٢ من النهج واحده و إنّما الاختلاف فى الروايه و هى التى أتى بها المفيد فى الارشاد، و الحمد لله على إنعامه و إفضاله.

و بالجمله لمّا فرغ عليه السلام من الخطبه قام الأشتر رضى الله عنه فقال: خفّض عليك يا أمير المؤمنين، فوالله ما أمر طلحه و الزبير علينا بمحيل، لقد دخلا فى هذا الأمر اختيارا ثم فارقانا على غير جور عملناه، و لا حدث فى الإسلام أحدثناه ثم أقبلنا يثيران الفتنة علينا تائهيّن جائرين ليس معهما حجّه ترى، و لا أثر يعرف لقد لبسا العار، و توجّها نحو الديار، فان زعما أنّ عثمان قتل مظلوما فليستفد آل عثمان منهما، فأشهد أنهما قتلاه، و اشهد الله يا أمير المؤمنين لئن لم يدخلا فيما خرجا منه و لم يرجعا إلى طاعتك و ما كانا عليه لنتحققهما بابن عفان.

و قام أبو الهيثم بن التيهان و كذا عدّى بن حاتم و قالا قريبا ممّا قال الأشتر، نقل قولهما المفيد فى الجمل.

و قام أبو زينب الأزدى فقال: و الله إن كنتما على الحق انك لأهدانا سيلا و أعظمتنا فى الخير نصيبا، و إن كنتما على الضلاله - العياذ بالله أن نكون عليه - لأنك أعظمتنا وزرا و أثقلنا ظهرا، و قد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم، و قطعنا منهم الولايه و أظهرنا منهم البراءه، و ظاهرناهم بالعداوه، و نريد بذلك ما يعلمه الله عزّ و جلّ، و أنا ننشدك الله الذى علمك ما لم نكن نعلم، ألسنا على الحقّ و عدوّنا على الضلال؟ فقال عليه السلام: أشهد لئن خرجت لدينك ناصرا صحيح النيه قد قطعت منهم الولايه، و أظهرت منهم البراءه كما قلت إنك لفى رضوان الله، فابشر يا أبا زينب فانك و الله

على الحقّ فلا تشك، فإنك إنما تقا تل الأحزاب فأنشأ أبو زنب يقول:

سبروا إلى الأحزاب أعداء التبي فإن خير الناس أتباع على

هذا أوان طاب سلّ المشرفى وقودنا الخيل و هزّ السمهر

و فى جمل المفيد: لما استقرّ أمر أهل الكوفه على النهوض لأمير المؤمنين عليه السلام و خفّ بعضهم لذلك، بادر ابن عباس و من معه من الرسل فىمن اتبعهم من أهل الكوفه إلى ذى قار للالتحاق بأمير المؤمنين عليه السلام و إخباره بما عليه القوم من الجدّ و الاجتهاد فى طاعته، و أنهم لاحقون به غير متأخرين عنه، و إنما تقدّمهم ليستعدّ للسفر و للحرب، و قد كان استخلف فرضه بن كعب الأنصارى على الكوفه، و يحثّ الناس على اللّحاق به.

فورد على أمير المؤمنين عليه السلام كتابا قد كتب اليه من البصره ما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله و ما استحلّوه من الدماء و نهب الأموال و قتل من قتلوه من شيعته و أنصاره و ما أثاروه من الفتنة فيها فوجده ابن عباس و قد أحزنه ذلك و غمّه و أزعجه و ألقفه، فأخبروه بطاعه أهل الكوفه، و وعده منهم بالنصره، فسّر عند ذلك و أقام ينتظر أهل الكوفه و المدد الذى ينتصر بهم على عدوّه.

دخول الناكثين البصره و الحرب بينهم و بين عثمان بن حنيف

عامل أمير المؤمنين عليه السلام

قال الدينورى فى الإمامه و السياسه: لما نزل طلحه و الزبير و عائشه البصره اصطفّ لها الناس فى الطريق - إلى أن قال: أتاهم رجل من أشراف البصره بكتاب كان كتبه طلحه فى التاليب على قتل عثمان، فقال لطلحه: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردّك على ما كنت عليه؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان و أنت اليوم تدعوننا إلى الطلب بدمه، و قد زعمتما أنّ عليا دعا كما إلى أن تكون البيعه لكما قبله إذ كنتما أسنّ منه، فأبيتما إلا أن تقدّماه لقربته و سابقته، فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما؟.

قال طلحه: دعانا إلى البيعه بعد أن اغتصبها و بايعه الناس، فعلمنا حين عرض

علينا أنه غير فاعل، و لو فعل أبى ذلك المهاجرون و الأنصار، و خفنا أن نردّ بيعته فنقتل، فبايعناه كارهين.

قال: فما بدا لكما فى عثمان؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه و خذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجا إلا الطلب بدمه. قال: ما تأمر اننى به؟ قال: بايعنا على قتال على و نقض بيعته. قال: أرأيتما إن أتانا بعد كما من يدعونا إلى ما تدعوان إليه ما نصنع؟ قال: لا تبايعه، قال: ما أنصفتما، أ تأمراننى أن اقاتل عليا و أنقض بيعته و هى فى أعناقكما و تنهيانى عن بيعه من لا بيعه له عليكما؟ أما إننا قد بايعنا عليا فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا.

و نذكر ما صنع القوم بعثمان بن حنيف و غيره من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عن تاريخ أبى جعفر الطبرى و جمل المفيد و مروج الذهب للمسعودى و غيرها من كتب نقله السير و الآثار على الاختصار بما اتفق عليه حاملوا الأخبار.

قال المفيد فى الجمل: روى الواقدى و أبو مخنف عن أصحابهما و المدائنى و ابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد التى اختصرنا القول باسقاطها، و اعتمدنا فيها على ثبوتها فى مصنفات القوم و كتبهم فقالوا: إن عائشه و طلحه و الزبير لما ساروا من مكه إلى البصره أعدوا السير مع من أتبعهم من بنى اميه و عمال عثمان و غيرهم من قريش، حتى صاروا إلى البصره، فنزلوا حفر أبى موسى.

فبلغ عثمان بن حنيف و هو عامل البصره يومئذ و خليفه أمير المؤمنين عليه السلام و كان عنده حكيم بن جبله، فقال له حكيم: ما الذى بلغك؟ فقال: خبرت أن القوم قد نزلوا حفر أبى موسى، فقال له حكيم: ائذن لى أن أسير إليهم فانى رجل فى طاعه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: توقّف عن ذلك حتى ارسلهم.

فأرسل إلى عمران بن حصين و أبى الأسود الدؤلى فذكر لهما قدوم القوم و سألهما المسير إليهم و خطابهم على ما قصدوا به و كفّهم عن الفتنة فخرجا حتى دخلا على عائشه فقالا لها: يا أم المؤمنين ما حملك على المسير؟ فقالت: غضبت لكما من سوط عثمان و عصاه و لا أغضب أن يقتل، فقالا لها: و ما أنت من سوط عثمان

و عصاه إنّما أنت حبيس رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و إنا نذكرك الله أن يهراق الدّماء في سبيلك، فقالت: و هل من أحد يقاتلني؟ فقال لها أبو الأسود الدؤليّ: نعم و الله قتالا أهونه شديد.

ثمّ خرجا من عندها فدخلا على الزبير و بعده على طلحه و جعلا يعدّ دان لهما مناقب أمير المؤمنين عليه السلام و فضائله، فقالا لهما: ننشد كما الله أن يهراق الدّماء في سبيلكما، فأبيا النصّح و الاعراض عن الفتنة فایسا منهما فخرجا من عندهما حتّى، صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر فأذن عثمان للناس بالحرب.

و لما بلغ عائشه رأى ابن حنيف فى القتال ركبت الجمل و أحاطتها القوم و سارت حتّى وقفت بالمربد و اجتمع اليها الناس حتى امتلأ المربد بهم، فتكلّمت و كانت جهوريّه يعلو صوتها كثره كأنّه صوت امرأه جليله فحمدت الله عزّ و جلّ و أثنت عليه و قالت:

أمّا بعد فإنّ عثمان بن عفان قد كان غير و بدّل فلم يزل يغسّله بالتوبه حتى صار كالذهب المصفّى، فعدوا عليه و قتلوه فى داره و قتل ناس معه فى داره ظلما و عدوانا، ثمّ آثروا عليّا فبايعوه من غير ملاء من الناس و لا شورى و لا اختيار فابتزّ و الله أمرهم و كان المبايعون له يقولون: خذها إليك و احذرنا أبا حسن إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من السيف إنّ الأمر لا يصحّ حتّى يرد الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سفك دم عثمان.

فقال بعض النّاس: صدقت، و قال بعضهم: كذبت، و اضطربوا بالفعال و تركتهم و سارت حتّى أتت الدباغين، و قد تحيز الناس بعضهم مع طلحه و الزبير و عائشه، و بعضهم متمسّك ببيعه أمير المؤمنين عليه السلام و الرضا به فسارت من موضعها و من معها و اتّبعها على رأيها و معها طلحه و الزبير و مروان ابن الحكم و عبد الله بن الزبير حتّى أتوا دار الاماره، فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها، فأبى عليهم ذلك، و اجتمع إليه أنصاره و زمرة من أهل البصره فاقتتلوا قتالا شديدا حتّى زالت الشمس، و اصيب يومئذ من عبد القيس خاصّه خمسمائه شيخ

مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف و شيعه أمير المؤمنين عليه السلام سوى من اصيب من سائر الناس، و بلغ الحرب بينهم التراحف إلى مقبره بنى مازن ثم خرجوا على مسناه البصره حتى انتهوا إلى الربوقه و هى سلعه دار الرزق، فاقتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى و الجرحى من الفريقين.

ثم إنهم تداعوا إلى الصلح و دخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الاماره و المسجد و بيت المال، و طلحه و الزبير و عائشه ما شاءوا من البصره و لا يحاجوا حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فان أحبوا فعند ذلك الدخول فى طاعته، و إن أحبوا أن يقاتلوا، و كتبوا بذلك كتابا بينهم و أوثقوا فيه العهود و أكدوها و أشهدوا الناس على ذلك و وضع السلاح و أمن عثمان بن حنيف على نفسه و تفرق الناس عنه، و نقل الكتاب فى تاريخ الطبرى بتمامه ثم طلب طلحه و الزبير أصحابهما فى ليله مظلمه بارده ذات رياح و ندى حتى أتوا دار الاماره و عثمان بن حنيف غافل عنهم، و على باب الدار السبابجه يحرسون بيوت الأموال، و كانوا قوما من الرط من أربع جوانبهم و وضعوا فيهم السيف فقتلوا أربعين رجلا منهم صبرا، يتولى منهم ذلك الزبير خاصه.

ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا و عمدوا إلى لحيته و كان شيخا كثر اللحيه فنتفوها حتى لم يبق منها شىء و لا شعره واحده و قال طلحه: عدبوا الفاسق و انتفوا شعر حاجبيه و أشفار عينيه و أوثقوه بالحديد.

و فى الإمامه و السياسه للدينورى: أن طلحه و الزبير و مروان بن الحكم أتوه نصف الليل فى جماعه معهم فى ليله مظلمه سواد مطيره، و عثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلا من الحرس، فخرج عثمان فشد عليه مروان فأسره و قتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته و رأسه و حاجبيه، فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال: إن فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الاخره.

تنازع طلحه و الزبير لامامتهما الناس فى الصلاه

فلما أصبحوا اجتمع الناس اليهم و أذن مؤذن المسجد لصلاه الغداه، فرام

طلحه أن يتقدّم للصلاه بهم، فدفعه الزبير و أراد أن يصلّي بهم، فمنعه طلحه، فما زالا يتدافعان حتّى كادت الشمس أن تطلع، فنادى أهل البصره: الله الله يا أصحاب رسول الله صلّي الله عليه و آله في الصلاه نخاف فوتها، ثم اتفقوا على أن يصلّي بالناس عبد الله ابن الزبير يوما و محمّد بن طلحه يوما.

ثم بلغ حكيم بن جبله العبدى رحمه الله ما صنع القوم بعثمان بن حنيف و شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فنادى فى قومه يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالّين الظالمين الذين سفكوا الدّم الحرام، و فعلوا بالعبد الصالح و استحلّوا ما حرّم الله عزّ و جلّ، فأجابه سبعمائه رجل من عبد قيس، و أقبل عليهم طلحه و الزبير و من معهما و اقتتلوا قتالا شديدا حتّى كثرت بينهم الجرحى و القتلى.

ثم إنّ القوم غلبوا على بيت المال فما نعيم الخزان و الموكّلون به، فقتل القوم سبعين رجلا منهم، و ضربوا رقاب خمسين من السبعين صبورا من بعد الأسر و ممّن قتلوه حكيم بن جبله العبدى رحمه الله و كان من سادات عبد القيس و زهاد ربيعه و نسّاكها و من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: و هؤلاء أول من قتلوا ظلما فى الاسلام.

تعجب أبى الاسود الدؤلّى من طلحه و الزبير لما دخلا بيت مال البصره

و من أمير المؤمنين عليه السلام لما دخله

لما دخل طلحه و الزبير بيت المال تأملا إلى ما فيه من الذهب و الفضة قالوا: هذه الغنائم التى و عدنا الله بها و أخبرنا أنّه يعجلها لنا، قال أبو الاسود الدؤلّى: و قد سمعت هذا منهما و رأيت عليّا عليه السلام بعد ذلك و قد دخل بيت مال البصره فلما رأى ما فيه قال: صفراء بيضاء غرّى غيرى المال يعسوب الظلمه، و أنا يعسوب المؤمنين، فلا و الله ما التفت إلى ما فيه و لا أفكر فيما رآه منه، و ما وجدته عنده إلا كالتراب هوأنا فتعجّبت من القوم و منه عليه السلام.

أقول: سيأتى كلامه عليه السلام فى باب المختار من حكمه: أنا يعسوب المؤمنين و المال يعسوب الفجار (الحكمه ٣١٦).

ثمّ الظاهر من مراد المسعودى بقوله: و هؤلاء أوّل من قتلوا ظلما فى الاسلام أنّهم أوّل من قتلهم المسلمون ظلما، و إلا فقد قدّ منافى تكمله المنهاج (ص ٢٧٥ ج ١، ١٥ من المنهاج) أنّ ياسرا أبا عمار رحمه الله و سمّيه امّه هما أوّل قتيلىن فى الاسلام قتلها الكفّار.

ثمّ ليّأ أخذ القوم عثمان بن حنيف قال طلحه و الزبير لعائشه: ما تأمرين فى عثمان؟ فقالت: اقتلوه قتله الله، و كانت عندها امرأه من أهل البصره فقالت لها:

يا امّاه أين يذهب بك؟ أ تأمرين بقتل عثمان بن حنيف و أخوه سهل خليفه على المدينه و له مكانه من الأوس و الخزرج ما قد علمت، و الله لئن فعلت ذلك ليكونن له صوله بالمدينه يقتل فيها ذرارى قريش، فاب إلى عائشه رأيها و قالت: لا تقتلوه و لكن احبسوه و ضيقوا عليه حتّى أرى رأيى.

فحبس أيّاما ثمّ بدا لهم فى حبسه و خافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينه و يوقع بهم، فتركوا حبسه فخرج حتّى جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو بذى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام و قد نكل به القوم بكى. و قال: يا عثمان بعثك شيخا ملتحيا فرددت أمرد إلىّ، اللهمّ إنك تعلم أنّهم اجترءوا عليك و استحلّوا حرما تكم، اللهمّ اقتلهم بمن قتلوا من شيعتى و عجل لهم النقمه بما صنعوا بخليفتى.

أقول: هذا ما نقلنا على ما ذكره المفيد فى الجمل عن الواقدى و أبى مخنف و المدائنى و غيرهما، و أمّا على ما قاله أبو جعفر الطبرى فى التاريخ كما قدّمناه آنفا باسناده عن محمّد ابن الحنفية أنّ عثمان بن حنيف قدم على على عليه السلام بالزّبده و قد نتفوا شعر رأسه و لحيته و حاجبيه، فقال: يا أمير المؤمنين بعثنى ذا الحيه و جئتكم أمرد، قال عليه السلام: أصبت أجرا و خيرا - إلخ.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: اللهمّ إنك تعلم أنّهم اجترءوا اه. ليس بمذكور فى النهج و لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام قبيح ما ارتكب القوم من قتل من قتلوا من المسلمين صبّرا و ما صنعوا بصاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله عثمان بن حنيف و تعبّتهم

للقتال، عبى عليه السلام الناس للقتال و سار من ذى قار و قدم صعصعه بن صوحان بكتاب إلى طلحه و الزبير و عائشه يعظّم عليهم حرمه الإسلام و يخوّفهم فيما صنعوه و قبيح ما ارتكبوه.

قال صعصعه رحمه الله: فقدمت عليهم فبدأت بطلحه و أعطيته الكتاب و أدّيت الرسالة فقال: الان حين غضب ابن أبى طالب الحرب ترفق لنا، ثمّ جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحه، ثمّ جئت إلى عائشه فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ، فقالت: نعم، قد خرجت للطلب بدم عثمان و الله لأفعلنّ و أفعلنّ.

فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيته قبل أن يدخل البصره فقال عليه السلام: ما وراءك يا صعصعه؟ قلت: يا أمير المؤمنين رأيت قوما ما يريدون إلاّ قتالك، فقال عليه السلام: الله المستعان.

كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الى طلحه و الزبير و عائشه

أقول: ما نقلناه ههنا ذكره المفيد فى الجمل و لم ينقل الكتاب الذى كتبه إلى طلحه و الزبير و عائشه و أدّاه صعصعه اليهم و الظاهر أنّ هذا الكتاب هو الذى نقله الدينورى فى الإمامه و السياسه (ص ٧٠ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) فإنّ الدينورى و إن لم يتعرّض بأنّ الكتاب الذى كتبه اليهم كان صعصعه حامله، و لكن يلوح للمتتبع فى الأخبار أنّ الكتاب هو ما فى الامامه و السياسه، قال الدينورى:

لَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَبَهُ الْقَوْمُ عَبَى النَّاسَ لِلْقِتَالِ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ أَمْرًا بَعْدَ فَقْدِ عِلْمَتِنَا أَنِّي لَمْ أَرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَ لَمْ أَبَايَعَهُمْ حَتَّى أَبَايَعُونِي وَ إِنَّكُمْ لَمَّمَنْ أَرَادَ وَ بَايَعَ، وَ إِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تَبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ خَاصٍّ، فَان كُنْتُمْ بَايَعْتُمَانِي كَارِهِينَ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيَكُمَا السَّبِيلَ بَاطْهَارَ كَمَا الطَّاعَةَ وَ إِسْرَارَ كَمَا المَعْصِيَةَ، وَ إِنْ كُنْتُمْ بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، إِنَّكَ يَا زُبَيْرَ لِفَارَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ حَوَارِيهِ، وَ إِنَّكَ يَا طَلْحَةَ لَشَيْخِ المِهَاجِرِينَ وَ إِنَّ دَفَاعَكُمَا هَذَا الأَمْرَ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيَكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ [بعد] إِقْرَارَ كَمَا بِهِ وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ فَبَيْنِي وَ بَيْنَكُمَا فِيهِ بَعْضٌ مِنْ تَخَلْفِ عَنِّي وَ عَنكُمَا مِنْ

أهل المدينة، و زعمت ما أنى آويت قتله عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا إلى قتله أبيهم، و ما أنتما و عثمان إن كان قتل ظالما أو مظلوما و قد بايعت ماى و أنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكمما، و إخراجكمما أمكما.

و كتب إلى عائشه:

أما بعد فانك خرجت غاضبه لله و لرسوله تطليبين أمرا كان عنك موضوعا، ما بال النساء و الحرب و الاصلاح بين الناس، تطليبين بدم عثمان و لعمرى لمن عرّضك للبلاء و حملك على المعصيه أعظم إليك ذنبا من قتله عثمان، و ما غضبت حتى أغضبت و ما هجت حتى هيجت، فاتقى الله و ارجعنى إلى بيتك.

فأجابه طلحه و الزبير: إنك سرت مسيرا له ما بعده و لست راجعا و فى نفسك منه حاجه، فامض لأمرك، أما أنت فلست راضيا دون دخولنا فى طاعتك، و لسنا بداخلين فيها أبدا، فاقض ما أنت قاض.

و كتبت عائشه: جلّ الأمر عن العتاب، و السلام.

أقول: هذان الكتابان منه عليه السلام إلى طلحه و الزبير، و عائشه غير مذكورين فى النهج.

ثم دعا عليه السلام عبد الله بن عباس فقال له: انطلق إليهم فنادهم و ذكرهم العهد الذى لى فى رقابهم، فجاءهم ابن عباس فبدأ بطلحه فوق بينهما كلام كثير فأبى طلحه إلا- إثاره الفتنة، قال ابن عباس: فخرجت إلى على عليه السلام و قد دخل البيوت بالبصره، فقال:

ما وراءك؟ فأخبرته الخبر فقال عليه السلام: اللهم افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين.

أقول: كذا نقله المفيد فى الجمل و الظاهر أنه عليه السلام بعث ابن عباس إلى الزبير و أمره أن لا يلقى طلحه و ذلك لما مرّ فى باب الخطب (الكلام ٣١ منه) قوله عليه السلام لابن عتيّاس لما أنفذه إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل: لا تلقين طلحه فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب و يقول هو الدلول، و لكن ألق الزبير فانه ألين عريكه فقل له يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز

و أنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدا.

و لما نقله المفيد في الجمل أيضا و يوافق ما في النهج من أنّ ابن عباس قال:

و قد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير (ص ١٥٣ طبع النجف) كما سنذكره، فعلى هذا مع فرض صحه الاولى و عدم سهو الراوى باتيان طلحه مكان الزبير يمكن أن يقال: إنه عليه السلام بعثه إليهم غير مرّه.

قال ابن عباس: قد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير و إن قدرت أن اكلمه و ابنه ليس بحاضر، فجئت مرّه أو مرّتين كلّ ذلك أجده عنده ثمّ جئت مرّه اخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه و أمر الزبير مولاه شرحسا أن يجلس على الباب و يحبس عنّا التّياس، فجعلت اكلمه فقال: عصيتم أن خولفتم و الله لتعلمنّ عاقبه ابن عمّيك، فعلمت أنّ الرجل مغضب، فجعلت الاينه فيلين مرّه و يشتدّ اخرى، فلما سمع شرحسا ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير و كان عند طلحه فدعاه، فأقبل سريعا حتّى دخل علينا، ثمّ جرى بينه و بين ابن الزبير كلام كثير فأبى ابن الزبير إلّا القتال و الجدل.

أقول: إنّ عبد الله بن الزبير كان أشدّ عداوه من أبيه بأمر المؤمنين عليه السلام و قال عليه السلام: ما زال الزبير رجلا منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشوم عبد الله نقله الشارح المعتزلى في شرحه على النهج (ص ٤٧٤ ج ٢ طبع طهران ١٣٠٢ هـ) و ذكر هذا الكلام ابن عبد البرّ في الاستيعاب عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير إلّا أنّه لم يذكر لفظه المشوم.

و بالجمله أنه عليه السلام أكثر إليهم الرسل فعادوا منهم اليه عليه السلام باصرارهم على خلافه و استحلال دمه و دم شيعته، فلما رأى عليه السلام أنّهم لا يتعظون بوعظ و لا ينتهون عن الفساد و عبّوا للقتال كتب الكتائب و ربّ العساكر فنفر من ذى قار متوجّها الى البصره.

من كلامه (عليه السلام) لما نفر من ذى قار متوجّها الى البصره

في الارشاد للمفيد قدّس سرّه: و من كلامه عليه السلام و قد نفر من ذى قار متوجّها

الى البصره بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاه على رسول الله صلى الله عليه و آله.

أما بعد فإن الله تعالى فرض الجهاد و عظمه و جعله نصره له، و الله ما صلحت دنيا قط و لا دين إلا به، و إن الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و شبّه في ذلك و خدع، و قد بانّت الامور و تمخّصت، و الله ما أنكروا على منكرا و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا، و أنهم ليطلبون حقا تركوه، و دما سفكوه، و لئن كنت شركتهم فيه إنّ لهم لنصيبيهم منه، و ان كانوا ولّوه دوني فما تبعته إلا قبلهم، و إنّ أعظم حجتهم لعلی أنفسهم، و إنّى لعلی بصيرتى ما لبست على، و إنّها للفتنه الباغيه فيه اللحم «الحم خ» و اللّحمه «الحمه خ» قد طالت جلبتها، و أمكنت درّتها، يرضعون ما فطمت، و يحيون بيعه تركت، ليعود الضلال إلى نصابه، ما أعتذر مما فعلت، و لا أتبرأ مما صنعت، فيا خيبه للدّاعى و من دعى لو قيل له إلى من دعوتك، و إلى من أجت و من إمامك و ما سنته إذا لزاح الباطل عن مقامه، و لصمت لسانه فيما نطق، و أيم الله لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه، لا يصدرون عنه، و لا يلقون بعده رياء أبدا، و إنّى لراض بحجّه الله عليهم، و عذره فيهم، إذ أنا داعيهم فمعدّر إليهم، فان تابوا و أقبلوا فلتوبه مبدوله، و الحقّ مقبول، و ليس على الله كفران، و إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف و كفى به شافيا من باطل، و ناصر المؤمن.

أقول: كلامه هذا مذکور في النهج أيضا إلا أنه قطعت في ثلاثه مواضع منه، و ذكر في كل موضع قطعه منه بل كرّر بعض جملة فيها.

الموضع الأوّل هو الخطبه العاشره منه قال الرضى: و من خطبه له عليه السلام:

ألا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله اه.

الموضع الثانى هو الخطبه الثانيه و العشرون منه قوله: و من خطبه له عليه السلام:

ألا و إنّ الشيطان قد ذمّر حزبه و استجلب حبله ليعود الجور إلى أوطانه، و يرجع الباطل إلى نصابه اه.

الموضع الثالث هو الخطبه الخامسه و الثلاثون و المائه منه قوله: و من كلامه عليه السلام في معنى طلحه و الزبير: و الله ما أنكروا على منكرا و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا

إلى قوله عليه السلام: و أيم الله لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه برى، و لا يعبون بعده فى حسى. و أمّا بعده إلى آخرها و قد مرّ بيانه قبيل هذا.

و اعلم أنّ ثقه الاسلام الكلىنى قدّس سرّه روى فى الكافى خطبه منه عليه السّلام خطبها يوم الجمل، و نقلها الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص ٢٧ ج ٩ من كتاب الجهاد) تشترك فيها الخطبه الثانيه و العشرون المذكوره و الخطبه الواحده و العشرون و المائه.

أولّها: و أىّ امرىء منكم أحسّ من نفسه رباطه جاش - إلخ. فالظاهر أيضا أنّهما خطبه واحده تشتمت فى الجوامع فما وجدها الرضىّ فيها أتى بها فى النهج فدونك ما فى الكافى على ما فى الوافى:

علّى عن أبيه، عن السّراد رفعه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب يوم الجمل فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيّها الناس إننى أتيت هؤلاء القوم و دعوتهم و احتججت عليهم فدعونى إلى أن أصبر للجلاد، و أبرز للطعان، فلاّمهم الهبل قد كنت و ما اهدّد بالحرب، و لا ارهب بالضّرب، أنصف القاده من رامها، فلغيرى فليبرقوا و ليرعدوا، فأنا أبو الحسن العدىّ فللت حدّهم، و فرقت جماعتهم، و بذلك القلب ألقى عدوى، و أنا على ما وعدنى ربّى من النصر و التأييد و الظفر، و إننى لعلّى يقين من ربّى و غير شبهه من أمرى. أيّها الناس إن الموت لا- يفوته المقيم، و لا- يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، و من لم يمت يقتل، و إنّ أفضل الموت القتل، و العدىّ نفسى بيده لألف ضربه بالسّيف أهون علىّ من ميتة على فراش. و اعجبا لطلحه ألّب الناس على ابن عفان حتّى إذا قتل أعطانى صفقه بيمينه طائعا، ثمّ نكث بيعتى، اللهمّ خذه و لا تمهله و أنّ الزبير نكث بيعتى و قطع رحمى و ظاهر علىّ عدوىّ فاكفنيه اليوم بما شئت.

انتهى ما فى الكافى.

و نقل بعض هذه الخطبه المفيد رحمه الله فى الإرشاد (ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و رواه فى كتاب الجمل (النصره فى حرب البصره) مسندا عن الواقدى ص، ١٧٤

و بما حَقَّقنا علمت أنَّ خطبه واحده تفرقت في عدَّة مواضع من النهج و كم لها من نظير، و ديدن الرضى رحمه الله في النهج كان اختيار محاسن كلامه عليه السَّلام فقط لا ذكر طرق الروايات و اختلافها كما نصَّ بذلك في خطبته في صدر الكتاب حيث قال:

و ربَّما جاء في أثناء هذا الإختيار اللفظ المرَدَّد و المعنى المكرر، و العذر في ذلك أنَّ روايات كلامه عليه السَّلام تختلف اختلافا شديدا فربَّما اتَّفَق الكلام المختار في روايه فنقل على وجهه ثمَّ وجد بعد ذلك في روايه اخرى موضوعا غير وضعه الأوَّل إمَّا بزياده مختار أو بلفظ أحسن عباره فتقتضى الحال أن يعاد استظهارا للاختيار و غيره على عقائل الكلام، و ربَّما بعد العهد أيضا بما اختير أوَّلا فاعيد بعضه سهوا و نسيانا لا قصدا و اعتمادا. إلى آخر ما قال.

ثمَّ انتهى عليه السَّلام إلى البصره و راسل القوم و ناشدهم الله فأبوا إلا قتاله، و قال المسعودي في مروج الذهب: ذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفه الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشه عن معن بن عيسى عن المنذر بن جارود قال:

لما قدم على عليه السَّلام البصره دخل مما يلي الطفَّ، فأتى الزاويه فخرجت أنظر إليه فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوه و ثياب بيض متقلِّد سيفا معه رايه، و إذا تيجان القوم الأغلِب عليها البياض و الصفره مدججين في الحديد و السلاح فقلت: من هذا؟ ف قيل: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلَّى الله عليه و آله، و هؤلاء الأنصار و غيرهم.

ثمَّ تلاهم فارس آخر عليه عمامه صفراء و ثياب بيض متقلِّد سيفا متنكب قوسا معه رايه على فرس أشقر في نحو ألف فارس فقلت: من هذا؟ ف قيل: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثمَّ مرَّ بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامه صفراء من تحتها قلنسوه

بيضاء و عليه قباء أبيض و عمامه سوداء قد سد لها بين يديه و من خلفه شديد الأدمه عليه سكينه و وقار رافع صوته بقراءه القرآن متقلد سيفاً متنكب قوساً معه رايه بيضاء في ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخه و كهول و شباب كان قد أوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثر في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدّه من الصحابه المهاجرين و الأنصار و أبنائهم.

ثم مرّ بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض و قلنسوه بيضاء و عمامه صفراء متنكب قوساً متقلد سيفاً تخطّ رجلاه في الأرض في ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصّيفره و البياض معه رايه صفراء قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عباده في الأنصار و أبنائهم و غيرهم من قحطان.

ثم مرّ بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض و عمامه سوداء قد سد لها بين يديها بلواء قلت: من هذا؟ قيل: هو عبد الله بن العباس في عدّه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله.

ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قلت: من هذا؟ قيل:

قثم بن العباس أو سعيد بن العاص.

ثم أقبلت المواكب و الرّايات بقدم بعضها بعضاً و اشتبكت الرماح.

ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح و الجديد مختلفوا الرايات في أوّله رايه كبيره يقدمهم رجل كانما كسر و جبر «قال ابن عائشه: و هذه صفه رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر و جبر» كأنما على رؤوسهم الطير و عن ميسرتهم شابّ حسن الوجه قلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هذان الحسن و الحسين عن يمينه و شماله، و هذا محمّد ابن الحنفية بين يديه معه الرايه العظمى، و هذا الهذلي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، و هؤلاء ولد عقيل و غيرهم من فتیان بنى هاشم و هؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين و الأنصار فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزاويه، فصلّى عليه السّلام أربع ركعات

و عَفَّرَ خَدَيْهِ عَلَى التُّرْبَةِ وَ قَدْ خَالَطَ ذَلِكَ دَمُوعَهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَ مَا أَظْلَمَتْ، وَ الْأَرْضِينَ وَ مَا أَقْلَمَتْ، وَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ هَذِهِ الْبَصْرَةُ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، اللَّهُمَّ أَنْزِلْنَا فِيهَا خَيْرَ مَنْزِلٍ وَ أَنْتَ خَيْرَ الْمَنْزِلِينَ، اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ قَدْ خَلَعُوا طَاعَتِي وَ بَغَوْا عَلَيَّ وَ نَكَثُوا بِيَعْتَى اللَّهُمَّ احْقِنْ دَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ.

أقول: كلامه هذا ليس بمذكور في النهج و لعلَّ السرَّ فيه أنه لم يكن منه عليه السَّلام حقيقة بل هو من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فَقَالَ اقْتَبَسَا مِنْهُ وَ تَأَسَّيَا بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ (ص ٣٢٩ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ وَ ١٩٥٥ م) فِي ذِكْرِ مَسِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلَى خَيْبَرَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتَّهَمُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مَعْتَبِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَ أَنَا فِيهِمْ: قَفُوا، ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَ مَا أَظْلَمْنَ، وَ رَبَّ الْأَرْضِينَ وَ مَا أَقْلَمْنَ، وَ رَبَّ الشَّيَاطِينِ وَ مَا أَضْلَمْنَ، وَ رَبَّ الرِّيَّاحِ وَ مَا أَذْرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَ خَيْرِ أَهْلِهَا وَ خَيْرِ مَا فِيهَا، وَ نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَ شَرِّ أَهْلِهَا وَ شَرِّ مَا فِيهَا. أَقْدَمُوا بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ: وَ كَانَ يَقُولُهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا.

وَ لَمَّا تَقَرَّرَ أَمْرُ الْكُتَائِبِ فِي الْفَرِيقَيْنِ فَخَرَجَ كُلُّ فَرِيقٍ بِقَوْمِهِ وَ قَامَ خُطْبَاؤُهُمْ بِالْتَحْرِيزِ عَلَى الْقِتَالِ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي مَعْسَكِهِمْ وَ حَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ وَ مِنْ جَمَلِهِ مَا قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الرَّعْثَ وَ الْوَعْثَ قَتَلَ عِثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ جَاءَ كُمْ بِنَشْرِ أُمُورِكُمْ بِالْبَصْرَةِ أَنْ تَرْضُونَ أَنْ يَتُورِدَكُمُ أَهْلَ الْكُوفَةِ فِي بِلَادِكُمْ اغْضَبُوا فَقَدْ غَضِبْتُمْ وَ قَاتَلُوا فَقَدْ قُوتَلْتُمْ إِنَّ عَلِيًّا لَا يَرَى أَنَّ مَعَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَ اللَّهُ لَئِنْ أَظْفَرَ بِكُمْ لِيَهْلِكَنَّ دِينُكُمْ وَ دُنْيَاكُمْ.

وَ أَكْثَرَ مِنْ نَحْوِ هَذَا الْقَوْلِ وَ شَبَّهَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَوْلَدِهِ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلامُ: قُمْ يَا بَنِيَّ فَاخْطُبْ، فَقَامَ خُطْبِيًّا فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ:

أيها الناس قد بلغتنا مقاله ابن الزبير و قد كان و الله يتجنى على عثمان الذنوب، و قد ضيق عليه البلاد حتى قتل، و أن طلحه راكز رايته على بيت ماله و هو حي، و أما قوله: إن عليا ابتز الناس أمرهم فإن أعظم الناس حجه لأبيه زعم أنه بايعه بيده و لم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعه و ادعى الوليجه، فليأت على ما ادعاه بيرهان و أنى له ذلك، و أما تعجبه من تورده أهل الكوفه على أهل البصره فما عجبه من أهل حقّ تورده و اعلى أهل الباطل، و لعمرى و الله ليعلمن أهل البصره و ميعاد ما بيننا و بينهم، اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقضى الله بالحقّ و هو خير الفاصلين.

فلما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه قام رجل يقال له: عمر بن محمود و أنشد شعرا يمدح الحسن عليه السلام.

فلما بلغ طلحه و الزبير خطبه الحسن عليه السلام و مدح المادح له قام طلحه خطيبا في أصحابه و حرّض الناس على إثارة الفتنة و ألّب و أجلب على أمير المؤمنين عليه السلام الناس.

فقام إليه رجل يقال له: جبران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم البصره و هو غلام و اعترض على طلحه و احتج عليه بنكث البيعه فهّم القوم به فخرج منهم إشفاقا على دمه، ثم كثر اللغظ و التنازع.

و لما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغظ القوم و اجتماعهم على حربه قام في الناس خطيبا.

خطبه أمير المؤمنين (عليه السلام) في البصره لما بلغه لغظ القوم و اجتماعهم على حربه

فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله ثم قال:

أيها الناس إن طلحه و الزبير قدما البصره و قد اجتمع أهلها على طاعه الله و بيعتى، فدعواهم إلى معصيه الله تعالى و خلافي، فمن أطاعهما منهم فتوه و من عصاهما قتلوه، و قد كان من قتلها حكيم بن جبله ما بلغكم، و قتلهم السباحه و فعلهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم، و قد كشفوا الابن القناع و أذنوا بالحرب، و قام طلحه بالشتيم و القدح في أديانكم، و قد أرعد و صاحبه و أبرقا، و هذان

أمران معهما الفشل، و لسنا نريد منكم أن تلقونهم بظنون ما فى نفوسكم عليهم، و لا ترون ما فى أنفسكم لنا، و لسنا نرعد حتى نوقع، و لا نسيل حتى نمطر، و قد خرجوا من هدى إلى ضلال، و دعوناكم الى الرضا، و دعونا إلى السخط فحل لنا و لكم ردّهم إلى الحقّ و القتال، و حلّ لهم بقصاصهم القتل، و قد و الله مشوا إليكم ضرارا، و أذاقوكم أمس من الجمر، فاذا لقيتم القوم غدا فاعذروا فى الدعاء و احسنوا فى التقيّه، و استعينوا بالله و اصبروا إنّ الله مع الصابرين.

أقول: نقلها المفيد قدّس سرّه فى الجمل (ص ١٦١ طبع النجف) و هى بتمامها ليست بمذكوره فى النهج و أتى ببعضها فيه و هو: و من كلام له عليه السّلام: و قد أرعّدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل. و لسنا نرعد حتى نوقع، و لا نسيل حتى نمطر. و هو الكلام التاسع من باب الخطب من النهج.

قال المفيد رحمه الله فى الجمل نقلا عن الواقدى: ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أنظرهم و أنذرهم ثلاثه أيام ليكفّوا و يرعوا، فلما علم إصرارهم على الخلاف قام فى أصحابه و قال:

«خطبه اخرى له عليه السلام فى ذلك المقام يحرض أصحابه على الجهاد»

عباد الله انهذوا إلى هؤلاء القوم منشرحه صدوركم، فانهم نكثوا بيعتى و قتلوا شيعتى، و نكلوا بعاملى، و أخرجوه من البصره بعد أن ألموه بالضرب المبرح و العقوبه الشديده، و هو شيخ من وجوه الأنصار و الفضلاء، و لم يرعوا له حرمه و قتلوا السبايجه رجالا صالحين، و قتلوا حكيم بن جبله ظلما و عدوانا لغضبه لله تعالى ثمّ تتبعوا شيعتى بعد أن ضربوهم و أخذوهم فى كلّ عاييه و تحت كلّ راييه يضربون أعناقهم صبيرا، ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون، فانهدوا إليهم عباد الله و كونوا اسودا عليهم فانهم شرار، و مساعدهم على الباطل شرار، فالقوهم صابرين محتسين موطنين أنفسكم أنكم منازلون و مقاتلون، قد و طنتم أنفسكم على الضرب و الطعن و منازله الأقران، فأى امرء أحسّ من نفسه رباطه جاش عند الفرع و شجاعه عند اللقاء و رأى من أخيه فشلا أو وهنا فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه

فلو شاء الله لجعله مثله.

أقول: بعض هذه الخطبه المذكور في النهج الكلام ١٢١ من باب الخطب أوله: و أئى امرىء منكم أحس من نفسه - إلخ، و نقلها المفيد رحمه الله في الإرشاد (ص ١١٥ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) أيضا و بين النسخ اختلاف يسير فى بعض من الكلمات و الجمل.

و فى جمل المفيد: ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداه الخميس لعشر مضين من جمادى الاولى، و على ميمنته الأشر، و على ميسرته عمّار بن ياسر، و أعطى الرايه محمّد بن الحنفية ابنه، و سار حتّى وقف موقفا ثم نادى فى الناس لا تعجلوا حتى أعذر إلى القوم.

أقول: مضى كلامه عليه السلام لابنه محمّد ابن الحنفية لما أعطاه الرايه يوم الجمل تزول الجبال و لا تزل، عضّ على ناجذك أعر الله جمجمتك، تدفى الأرض قدمك إرم ببصرك أقصى القوم، و غضّ بصرك، و اعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه الكلام الحادى عشر من باب الخطب من النهج.

و قد مضى فى ص ٢٤١ من المجلد الأول من تكمله المنهاج أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفع يوم الجمل رايته إلى ابنه محمّد ابن الحنفية و قد استوت الصفوف و قال له: احمل، فتوقف قليلا، فقال له: احمل، فقال: يا أمير المؤمنين، أما ترى السهام كأنها شايب المطر، فدفع فى صدره فقال: ادركك عرق من امّك - إلخ، نقله المسعودى فى مروج الذهب.

فدعا عليه السلام: عبد الله بن عباس فأعطاه المصحف و قال: امض بهذا المصحف إلى طلحه و الزبير و عائشه و ادعهم إلى ما فيه و قل لطلحه و الزبير: ألم تبايعانى مختارين؟ فما الذى دعاكما إلى نكث بيعتى و هذا كتاب الله بينى و بينكما.

فذهب إليهم ابن عباس فبدأ بالزبير ثم انصرف عنه إلى طلحه، ثم انصرف عنه إلى عائشه، و جرى بينه و بينهم كلام كثير فأبوا إلا طغيانا و بغيا و القتال و سفك الدماء و إثارة الفتنة و إناره الحرب، فرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره الخبر

و قال له عليه السّلام: ما تنتظر؟ و الله لا يعطيك القوم إلاّ السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك، فقال عليه السّلام: نستظهر بالله عليهم، قال ابن عباس: فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ نشابهم كأنه جرد منتشر فقلت: ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم، فقال عليه السّلام: حتّى أعذر اليهم ثانيه.

فأخذ عليه السّلام مصحفا كما نقله الطبرى مسندا في التاريخ و المفيد في الجمل عن الواقدي، فطاف به في أصحابه و قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه و هو مقتول و أنا ضامن له على الله الجنّة؟ فقام فتى من أهل الكوفة حدث السنّ من عبد القيس يقال له: مسلم بن عبد الله عليه قباء أبيض محشو فقال: أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم و قد احتسبت نفسي عند الله، فأعرض عليه السّلام عنه إشفافا.

و نادى ثانيه: من يأخذ هذا المصحف و يعرضه على القوم و ليعلم أنّه مقتول و له الجنّة؟ فقال الفتى أنا أعرضه.

و نادى ثالثه: من يأخذ المصحف و يدعوهم إلى ما فيه؟ فقال الفتى: أنا فدفع المصحف اليه و قال: امض اليهم و اعرضه عليهم و ادعهم إلى ما فيه.

فأقبل الفتى حتى وقف بازاء الصفوف و نشر المصحف و قال: هذا كتاب الله و أمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه، فقالت عائشه: اشجروه بالزّمام فقبّحه الله، فتبادروا إليه بالزّمام فطعنوه من كلّ جانب فقطعوا يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى، فأخذه بصدرة و الدّماء تسيل على قبائه، فقتل رضوان الله عليه، و كانت أمّه حاضره فصاحت و طرحت نفسها عليه و جرّته من موضعه و لحقها جماعه من عسكر أمير المؤمنين عليه السّلام أعانوها على حمله حتّى طرحته بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام و هي تبكى و تقول:

لاهمّ إنّ مسلما دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فخضّبوا من دمه قناهم و أمّه قائمه تراهم

تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السّلام ما قدم عليه القوم من العناد و استحلّوه من سفك

الدّم الحرام رفع يديه إلى السماء و قال:

اللّهُمّ الحرام رفع يديه إلى اسماء و قال:

اللّهُمّ اليك شخصت الأبصار و بسطت الأيدي و أقضت القلوب و تقربت إليك بالأعمال، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين.

أقول: قوله عليه السّلام هذا نقلناه من جمل المفيد و نقله نصر بن مزاحم المنقرى فى صفين (ص ٢٥٦ طبع الطهران ١٣٠١ هـ) مع زياده و أتى به الرّضىّ رحمه الله فى النهج و هو الخامس عشر من باب الكتب و الرسائل، و قد مضى فى ص ٣٢٦ من المجلّد الأول من تكمله المنهاج كلامنا فيه و سيأتى طائفه اخرى فى شرحه إنشاء الله تعالى.

قال الطبرىّ بعد نقل شهاده الفتى: فقال علىّ عليه السّلام: الان حلّ قتالهم.

و فى الامامه و السياسه للدينورى فلما توافقوا للقتال أمر علىّ عليه السّلام مناديا ينادى من أصحابه لا يرمين أحد سهما و لا حجرا و لا يطعن برمح حتّى أعذر إلى القوم فأخذ عليهم الحجج البالغه.

فكلّم عليه السّلام طلحه و الزبير قبل القتال فقال لهما: استحلّفا عائشه بحقّ الله و بحقّ رسوله علىّ أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلا من قريش أولى منى بالله و رسوله، و إسلامى قبل كافه الناس أجمعين، و كفايتى رسول الله صلّى الله عليه و آله كقّار العرب بسيفى و رمحى، و علىّ براءتى من دم عثمان، و علىّ أتى لم أستكره أحدا على بيعه، و علىّ أتى لم أكن أحسن قولاً فى عثمان منكما؟ فأجابه طلحه جوابا غليظا، ورقّ له الزبير.

ثمّ رجع علىّ عليه السّلام إلى أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين بم كلّمت الرّجلين؟ فقال علىّ عليه السّلام إنّ شأنهما لمختلف أمّا الزبير فقاده اللّجاج و لن يقااتلكم، و أمّا طلحه فسألته عن الحقّ فأجابنى بالباطل، و لقيته باليقين و لقينى بالشكّ، فو الله ما نفعه حقّى و لا ضرّنى باطله، و هو مقتول غدا فى الرّعيّل الأوّل.

أقول: ما نقله الدينورى من كلامه عليه السّلام ليس بمدكور فى النهج.

و فى احتجاج الطبرىّ عن الأصبع بن نباته قال: كنت واقفا مع أمير المؤمنين

عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كبر القوم و كبرنا، و هَلَل القوم و هَلَلنا، و صَلَّى القوم و صَلَّىنا، فعلى ما نقاتلهم؟ فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: على ما أنزل الله في كتابه، فقال: يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلمنيه، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: ما أنزل الله في سورة البقره؟ فقال: يا أمير المؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقره أعلمه فعلمنيه، فقال عليه السَّلام: هذه الايه «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم فوق بعض درجات و آتينا عيسى بن مريم البينات و أيدناه بروح القدس و لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر و لو شاء الله ما اقتتلوا و لكن الله يفعل ما يريد» فنحن الذين آمننا، و هم الذين كفروا، فقال الرجل: كفر القوم و رب الكعبه، ثم حمل و قاتل حتى قتل رحمه الله. انتهى.

و فى تاريخ الطبرى (ص ٧ ج ٤ طبع مصر ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م) قال أبو مخنف:

و حدَّثنى إسماعيل بن يزيد، عن أبى صادق، عن الحضرمي قال: سمعت عليا عليه السَّلام يحرض الناس فى ثلاثه مواطن: يحرض الناس يوم الجمل، و يوم صفين، و يوم النهروان. يقول: عباد الله اتقوا الله - إلى آخر ما نقلناه فى ص ٢٣٨ من المجلد الأول من تكمله المنهاج. و نقله المفيد رحمه الله فى الإرشاد ايضا (ص ١٠٧ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) إلا أنه ذكر فى عنوانه يوم صفين فقط و لكنّه لا يفيد الإختصاص به و بين النسختين اختلاف يسير، و الظاهر أنّ الرضى رضوان الله عليه لم يعثر عليه و إلا لذكره فى النهج لأنّ الكلام بليغ جدّا و كان اهتمام الرضى اختيار البليغ من كلامه عليه السَّلام و دونك قوله هذا على ما فى الارشاد: قال:

و من كلامه عليه السَّلام فى تحضيضه على القتال يوم صفين بعد حمد الله و الثناء عليه عباد الله اتقوا الله و غضوا الأبصار، و اخفضوا الأصوات، و أقلوا الكلام، و وطئوا أنفسكم على المنازله، و المجادله، و المبارزه، و المبالطه، و المبالده، و المعانقه و المكادمه، و اثبتوا و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، و أطيعوا الله و رسوله و لا

تنازعوا فتفشلوا و تذهب ربحكم و اصبروا إنّ الله مع الصابرين، اللهمّ الهمهم الصبر و أنزل عليهم النصر، و أعظم لهم الأجر.

و قد تظافرت الأخبار أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أمر جنده أن لا يبدأوا القوم الناكثين بقتال، و لا يرموهم بسهم، و لا يضربوهم و لا- يطعنوهم برمح، حتّى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من الميمنه بأخ له مقتول، و جاء قوم من الميسره برجل قد رمى بسهم فقتل، فقال عليّ عليه السّلام: اللهمّ اشهد.

و فى جمل المفيد: ثمّ دعا عليه السّلام ابنه محمّد بن الحنفية فأعطاه الرايه و هى رايه رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال: يا بنى هذه رايه لا تردّ قط و لا تردّ أبدا، قال محمّد: فأخذتها و الريح تهبّ عليها فلمّا تمكّنت من حملها صارت الريح على طلحه و الزبير و أصحاب الجمل، فأردت أن أمشى بها فقال امير المؤمنين عليه السّلام: قف يا بنى حتّى آمرك.

ثمّ نادى أيّها النّاس لا تقتلوا مدبرا، و لا تجهّزوا على جريح، و لا تكشفوا عوره، و لا تهيجوا امرأه، و لا تمثّلوا بقتيل.

فبينما هو يوصى أصحابه إذ ظلّنا نبل القوم فقتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام، فلمّا رآه قتيلا قال: اللهمّ اشهد، ثمّ رمى ابن عبد الله بن بديل فقتل، فحمل أبوه عبد الله و معه عبد الله بن العباس حتّى وضعاه بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال عبد الله بن بديل: حتّى متى يا أمير المؤمنين ندلى نحورنا للقوم يقتلوننا رجلا- رجلا قد و الله أعذرت إن كنت تريد الاعتذار.

أقول: قال اليعقوبى فى تاريخه: ثمّ رمى رجل آخر فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال عليّ عليه السّلام اللهمّ اشهد و الله العالم.

و فى مروج الذهب للمسعودى: ثمّ قام عمّار بن ياسر بين الصفيين فقال:

أيّها النّاس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عتقاء تلك الخدور، و أبرزتم عقيلته للسيوف، و عائشه على الجمل المسمى عسكريا فى هودج من دفوف الخشب. قد ألبسوه المسوح و جلود البقر، و جعلوا دونه اللّبود قد غشى على ذلك بالدروع، فدنا

عَمَّار من موضعها، فنأدى: إلى ما ذا تدعيني؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال: قتل الله في هذا اليوم الباغى و الطالب بغير الحق، ثم قال: أيها الناس إنكم لتعلمون أننا الممالي في قتل عثمان، ثم أنشأ يقول و قد رشقوه بالنبل:

فمنك البكاء و منك العويل و منك الزياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قاتله عندنا من أمر

و تواتر عليه الرمي و اتصل فحرّك فرسه و زال عن موضعه فقال: ما ذا تنتظر يا أمير المؤمنين و ليس لك عند القوم إلا الحرب فقال علي عليه السلام: أيها الناس إذا هزمتوهم فلا تجهّزوا على جريح، و لا تقتلوا أسيرا، و لا تتبعوا موليا، و لا تطلبوا مدبرا، و لا تكشفوا عوره، و لا تمثّلوا بقتيل، و لا تهتكوا سترا، و لا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمه، و ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

أقول: و قد مضى في ص ٢٢٢ من المجلّد الأول من تكمله المنهاج عن نصر في كتاب صفين باسناده عن عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أنّ عليا عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدءوكم - إلى آخره و سيأتى شرحه و نقل أقواله الاخر في الكتاب الخامس عشر إنشاء الله تعالى.

ثمّ قد ذكرنا في شرح الكتاب الأوّل البيتين المذكورين و قائلهما فراجع.

و قال المفيد في الجمل: روى عبد الله بن رباح مولى الأنصارى عن عبد الله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال: خرج عمّار بن ياسر يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أيّ شيء تقاتلوننا؟ فقلنا: على أنّ عثمان قتل مؤمنا، فقال عمّار:

نحن نقاتلكم على أنّه قتل كافرا، قال: و سمعت عمّارا يقول: و الله لو ضربتمونا حتى نبلغ شعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّكم على الباطل، قال: و سمعته و الله يقول: ما نزل تأويل هذه الايه إلا اليوم «يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ»

«مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (المائدة: ٥٩).

و في احتجاج الطبرسي: روى الواقدي أنّ عمّار بن ياسر لما دخل على عايشة - بعد أن ظفر على عليه السّلام و أصحابه على أصحاب الجمل - فقال لها: كيف رأيت ضرب بنيك على الحقّ؟ فقالت: استبصرت من أجل أنك غلبت، فقال عمّار: أنا أشدّ استبصارا من ذلك، و الله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعيقات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ و أنّكم على الباطل، فقالت عائشة: هكذا يخيّل اليك اتق الله يا عمّار أذهبت دينك لابن أبي طالب.

أقول: قد قال عمّار في صفين أيضا: إنّي لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتّى يرتاب المبطلون، و الله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعيقات هجر لكنّنا على الحقّ و كانوا على الباطل. و قد مرّ بيانه في ص ٢٨٥ من المجلّد الأوّل من تكمله المنهاج و اختلاف النسخ فيه فراجع.

روى الواقديّ قال: حدّثني عبد الله بن الفضيل عن أبيه عن محمّد ابن الحنفية قال: لما نزلنا البصره و عسكرنا بها و صففنا صفوفنا دفع أبي عليّ عليه السّلام إلّي باللّواء و قال: لا- تحدّثن شيئا ثمّ نام فنالنا نبل القوم فأفرعته ففرع و هو يمسح عينيه من النوم و أصحاب الجمل يصيحون: يا لثارات عثمان، فبرز عليه السّلام و ليس عليه إلا قميص واحد، ثمّ قال: تقدّم باللّواء، فتقدّمت و قلت: يا أبة في مثل هذا اليوم بقميص واحد، قال: أحرز امرء أجله و الله قاتلت مع النبيّ صلّى الله عليه و آله و أنا حاسر أكثر ممّا قاتلت و أنا دارع، ثمّ دنا كل من طلحه و الزبير فكلمهما و رجع و هو يقول: ياأبي القوم إلاّ القتال، فقاتلوهم فقد بغوا، و دعا بدرعه البتراء و لم يلبسها بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله إلاّ يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهيا.

قال: و جاء أمير المؤمنين عليه السّلام و في يده شسع نعل فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشّسع يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أربط بها ما قد توهى من هذا الدّرع من خلفي، فقال له ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال عليه السّلام:

لم؟ قال: أخاف عليك، قال عليه السّلام: لا تخف أنّ أوتى من ورائي و الله يا ابن عباس

ما وليت في زحف قطّ ثمّ قال له: البس يا ابن عباس، فلبس درعا سعد يائّم تقدّم إلى الميمنه وقال: احملوا، ثمّ إلى الميسره و قال: احملوا، و جعل يدفع في ظهري و يقول: تقدّم يا بنى فجعلت أتقدّم حتى انهزموا من كلّ وجه.

و روى الواقديّ عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ أهل البصره قال: لما صفّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام صفوفه أطال الوقوف و الناس ينتظرون أمره، فاشتدّ عليهم ذلك، فصاحوا حتّى متى، فصفق بإحدى يديه على الاخرى ثمّ قال: عباد الله لا تعجلوا فإنى كنت أرى رسول الله صلّى الله عليه و آله يستحبّ أن يحمل إذ اهبت الريح قال: فأمهّل حتّى زالت الشّمس و صلّى ركعتين ثمّ قال: ادعوا ابني محمّدا، فدعى له محمّد ابن الحنفية فجاء و هو يومئذ ابن تسع عشر سنه، فوقف بين يديه و دعا بالرايه فنصبت فحمد الله و أثنى عليه و قال: أما هذه الرايه لم تردّ قطّ و لا تردّ أبدا و إني واضعها اليوم في أهلها، و دفعها إلى ولده محمّد و قال: تقدّم يا بنى فلما رآه القوم قد أقبل و الرايه بين يديه فتضعضوا فما هو إلّا أنّ الناس التقوا و نظروا إلى غره أمير المؤمنين عليه السّلام و وجدوا مسّ السلاح حتى انهزموا.

و روى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام لابنه محمّد:

خذ الرايه و امض، و عليّ عليه السّلام خلفه فناداه يا أبا القاسم! فقال: لبيك يا أبة، فقال:

يا بنى لا يستنفرنك ما ترى قد حملت الرايه و أنا أصغر منك فما استنفرنى عدوى و ذلك أننى لم ابارز أحدا إلّا حدّثنى نفسى بقتله، فحدّث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم و لا يخذلك ضعف النفس من اليقين فإنّ ذلك أشدّ الخذلان، قال: قلت يا أبة أرجو أن أكون كما تحبّ إن شاء الله، قال: فالزم رايتك فإن اختلفت الصفوف قف في مكانك و بين أصحابك فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنّهم سيرونك.

قال: و الله إننى لفي وسط أصحابي فصاروا كلّهم خلفى و ما بينى و بين القوم أحد يردهم عنى و أنا اريد أن أتقدّم فى وجوه القوم فما شعرت إلّا بأبى خلفى قد جرّد بسيفه و هو يقول: لا تقدّم حتّى أكون أمامك، فتقدّم بين يدي يهرول و معه طائفه من أصحابه، فضرب الذين فى وجهه حتّى نهضوهم و لحقتهم بالرايه فوقفوا

وقفه و اختلط الناس و ركدت السيوف ساعه فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا و شمالا و يسوقهم أمامه فأردت أن أجول فكرهت خلافه و وصيته لى - لا تفارق الرايه - حتى انتهى إلى الجمل و حوله أربعه آلاف مقاتل من بنى ضبّه و الأزد و تميم و غيرهم و صاح: اقطعوا البطان.

فأسرع محمّد بن أبي بكر فقطعه و أطلع الهودج، فقالت عائشه: من أنت؟ قال: أبغض أهلک إليك، قالت: ابن الخثعميه؟ قال: نعم و لم تكن دون أمهاتك قالت: لعمري بل هى شريفه دع عنك هذا الحمد لله الذى سلمك قال: قد كان ذلك ما تكرهين، قالت: يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت، قال: كنت تحبين الظفر و إني قتلت، قالت: قد كنت احبّ ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرايتى منك فاكفف و لا تعقب الامور و خذ الظاهر و لا تكن لومه و لا عدله فإنّ أباك لم يكن لومه و لا عدله.

قال: و جاء علىّ عليه السّلام ففرع الهودج برمحه و قال: يا شقيراء بهذا و صّاك رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ قالت: يا ابن أبي طالب قد ملكت فاسمح، و فى تاريخ الطبرى:

فاسجح.

ثم أمر عليه السّلام ابنه محمّدا أن يتولّى أمرها و يحملها إلى دار ابن خلف حتى ينظر عليه السّلام فى أمرها، فحملها إلى الموضع و أنّ لسانها لا يفتر من السّب له و لعلىّ عليه السلام و الترحّم على أصحاب الجمل.

و روى عن ابن الزبير قال: خرجت عائشه يوم البصره و هى على جملها عسكر قد اتّخذت عليه خدرا و دقّته بالدّقوق خشيه أن يخلص إليها النبل، و سار إليهم علىّ بن أبي طالب عليه السّلام حتى التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا و أخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلا من قريش كلّهم قتل، و خرج مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير و رأيتهما جريحين، فلما قتلت تلك العصابه من قريش أخذ رجال كثير من بنى ضبّه بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم، و لم يأخذ بخطامه أحد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى، و تقدّم محمّد بن أبي بكر فقطع بطان الجمل و احتمل الخدر

ص: ٦١

و معه أصحاب له و فيه عائشه حتّى أنزلوها بعض دور البصره، و ولّى الزبير منهزماً فأدركه ابن جرموز فقتله، و لما رأى مروان توجّه الأمر على أصحاب الجمل نظر إلى طلحه و هو يريد الهرب فقال، و الله لا- يفوتنى ثارى من عثمان، فرماه بسهم فقطع أكحله فسقط بدمه و حمل من موضعه و هو يقول: إنّنا لله هذا و الله سهم لم يأتنى من بعد ما أراه إلا من معسكرنا، و الله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعى ثم لم يلبث أن هلك.

روى الطبريّ فى التاريخ باسناده عن أبى البخترى الطائى قال: أطافت ضبّه و الأزد بعائشه يوم الجمل، و إذا رجال من الأزد يأخذون بعرج الجمل فيفتّونه و يشمّونه و يقولون: بعرج جمل امنا ريحه ريح المسك، و رجل من أصحاب على عليه السّلام يقاتل و يقول:

جرّدت سيفى فى رجال الأزد أضرب فى كهولهم و المرد

كلّ طويل الساعدين نهد

و ماج الناس بعضهم فى بعض، فصرخ صارخ: اعقروا الجمل، فضربه بجير بن دلجه الضبى فقيل له: لم عقرته؟ فقال: رأيت قومى يقتلون فخفت أن يفنوا و رجوت إن عقرته أن يبقى لهم بقيه.

و روى باسناده عن الصعب بن عطيه عن أبيه قال: لما أمسى الناس و تقدّم على عليه السّلام و احيط بالجمل و من حوله و عقره بجير بن دلجه و قال: إنكم آمنون فكفّ بعض الناس عن بعض، و قال فى ذلك حين أمسى و انخس عنهم القتال:

إليك أشكو عجرى و بجرى و معشرا غشّوا على بصرى

قتلت منهم مضرا بمضرى شفيت نفسى و قتلت معشرى

أقول: قد ذكر البيتان فى الديوان المنسوب إليه عليه السّلام أيضا و فيه «أعشوا» مكان «غشّوا»، و «إنى قتلت مضرى بمصرى» مكان المصراع الثالث: «و جذعت أنفى» مكان «شفيت نفسى». و لكنّ الصريح من كلام أبى العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ فى الكامل ص ١٢٦ ج ١ طبع مصر أنه عليه السّلام

لم يقل كلامه على هيئة الشعر حيث قال:

حدّثني التّوزيّ قال: حدّثني محمّد بن عباد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه قال: لمّا انقضى يوم الجمل خرج عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه في ليله ذلك اليوم و معه قنبر و فى يده مشعله من نار يتصفّح القتلى حتّى وقف على رجل، قال التّوزيّ: فقلت: أهو طلحه؟ قال: نعم، فلمّا وقف عليه قال: اعزز عليّ أبا محمّد أن أراك معفراً تحت تخوم السماء و فى بطون الأودية، شفيت نفسى و قتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى و بجرى. انتهى قوله.

أقول: الظاهر أنّ غيره أخذ كلامه هذا و أدرجه فى الشعر، و قد نقلنا فى المجلّد الأوّل من تكمله المنهاج (من ص ٣٠٦ - إلى ٣١٤) أبياتا عديده من ذلك الديوان أنها مما قالها غيره عليه السّلام كما بيّناها بالشواهد و الماخذ، و قد عثرنا على عدّه اخرى منها بعد ذلك فخذها:

ما فى ذلك الديوان من ثلاثه عشر بيتا قالها فى صفين:

لنا الرايه السوداء يخفق ظلّها إذا قيل قدّمها حصين تقدما

إلى آخرها، فأتى بتمامها نصر بن مزاحم المنقرى فى كتاب صفّين (ص ١٤٥ الطبع الناصرى) و أسندها باسناده عن الحصين بن المنذر إليه عليه السّلام، و قال الفاضل الشارح المعتزلى ابن ابى الحديد فى شرحه على النهج: هكذا روى نصر بن مزاحم، و سائر الرواه رووا له عليه السّلام الأبيات الستة الاولى و رووا باقى الأبيات من قوله

«و قد

صبرت عك و لحم»

إلخ - للحصين بن المنذر صاحب الرايه.

و اعلم أنّ البيت الثامن منه على ما فى الديوان هو البيت الرابع فى كتاب صفّين. على أنّ بين نسختى صفّين و الديوان اختلافا يسيرا فى بعض عبارات الأبيات و ما فى ذلك الديوان:

قد كنت ميتا فصرت حيّا و عن قليل تصير ميتا

عزّ بدار الفناء بيت فأين دار البقاء بيتا

ص: ٦٣

ففى مادّه خضر من سفينه البحار نقل عن المناقب لابن شهر آشوب أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام رأى الخضر فى المنام فسأله نصيحه قال: فأراني كفه فإذا فيها مكتوب بالخضره:

قد كنت ميتا فصرت حيًا و عن قليل تعود ميتا

فابن لدار البقاء بيتا ودع لدار الفناء بيتا

و ما فى السيره الهشاميه (ص ٢٢٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) فنقل عن ابن إسحاق أنه لما قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام عمرو بن عبدود فى غزوه الخندق قال عليه السّلام فى ذلك:

نصر الحجاره من سفاهه رأيه و نصرت ربّ محمّد بصوابي

فصدت حين تركته متجدّلا كالجدع بين دكادك و روابي

و عفتت عن أثوابه لو إننى كنت المقطر بزنى أثوابي

لا تحسبنّ الله خاذل دينه و نبيّه يا معشر الأحراب

ثمّ قال ابن هشام: و أكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعليّ بن أبى طالب عليه السّلام و ما فى الدّيوان المنسوب اليه

لكلّ اجتماع من خليلين فرقهو كلّ الذى دون الفراق قليل

و إنّ افتقادی فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

فقال أبو العباس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد فى (ص ٢٦٨ ج ٢ من كتابه الكامل طبع مصر): و يروى أنّ عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه تمثّل عند قبر فاطمه عليها السّلام، ثمّ ذكر البيتين و المصراع الثانى من الأوّل فيه:

«و إنّ الذى دون

الفراق قليل»

و الأوّل من الثانى:

«و إنّ افتقادی واحدا بعد واحد»

و فى البيان و التبيين للجاحظ (ص ١٨١ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠) بتحقيق و شرح عبد السلام محمّد هارون): و قال الاخر:

ذكرت أبا أروى فبتّ كأننى بردّ امور ماضيات وكيل

لكلّ اجتماع من خليلين فرقه و كلّ الذى قبل الفراق قليل

ص: ٦٤

و أنّ افتقادی واحدا بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

و هو كما ترى لم يسمّ قائل الأبيات.

و قال عبد السلام محمّد هارون فى الهامش: ذكر ابن الأبارى أنّ هذه الأبيات لعليّ بن أبى طالب كرم الله وجهه حين دفن فاطمه رضى الله عنها. و قال ابن الأعرابى:

إنها لشقران السلامانى. و فى الكامل ٧٢٤ ليسك أن الشعر تمثّل به عليّ بن أبى طالب عند قبر فاطمه. و قد روى البحتريّ فى حماسه ٢٣٣ البيتين الأخيرين.

انتهى كلامه.

و ما فى ذلك الديوان:

الناس من جهه التمثال أكفاء أبوهم آدم و الأمّ حواء

إلى آخر الأبيات فأسندها عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغه (ص ٢١٤ طبع مصر ١٣١٩ هـ) إلى محمد بن الزبيح الموصلى، و قيل: إنّها منسوبة إلى عليّ القيروانى كما فى ذيل ص ٣٠٧ من كتاب «اخلاق محتشمى» المنسوب إلى المحقق الطوسى قدس سرّه (طبع ايران، الطبع الأول) و ذكرناه فى المجلّد الأوّل من تكمله المنهاج ص ٣٠٦ و لنعد إلى ما كنا بصدده:

و رأى ذلك اليوم من الجمل العذى ركبته عائشه كلّ العجب، و ذلك كما فى إثبات الوصيّه للمسعودى و احتجاج الطبرى و تاريخ الطبرى و غيرها أنّه كلّما ابتز منه قائمه من قوائمه ثبت على الاخرى حتّى نادى أمير المؤمنين عليه السلام: اقتلوا الجمل فإنّه شيطان، و تولّى محمّد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر عقره بعد طول دمائه.

و قال المفيد فى الجمل: روى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبى هند قال:

أخبرنا أصحابنا ممّن حضر القتال يوم البصره أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قاتل يومئذ أشدّ القتال و سمعوه و هو يقول: تبارك الذى أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع.

و قال فيه: روى الواقديّ قال: حدّثنى عبد الله بن عمر بن عليّ بن أبى طالب قال: سمع أبى أصوات الناس يوم الجمل و قد ارتفعت فقال لابنه محمّد: ما يقولون؟ قال: يقولون: يا ثارات عثمان، قال: فشدّ عليهم و أصحابه يهشون فى وجهه

يقولون: ارتفعت الشمس و هو يقول: الصبر أبلغ حجه، ثم قام خطيبا يتو كأعلى قوس عربيه فحمد الله و أثنى عليه و ذكر النبي فصلّى عليه و قال:

«خطبه أمير المؤمنين عليه السلام في أثناء حرب الجمل»

أمّا بعد فإنّ الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب و لا يعجزه، فأقدموا و لا تتكلموا، و هذه الأصوات التي تسمعوها من عدوّكم فشل و اختلاف، إنا كنّا نؤمر في الحرب بالصّمت، فعصّوا على الناجذ، و اصبروا لوقع السيوف، فوالذي نفسي بيده لألف ضربه بالسيف أهون عليّ من موته على فراشي، فقاتلوهم صابروا محتسبين فإنّ الكتاب معكم و السنّه معكم، و من كانا معه فهو القويّ، اصدقوهم بالضرب فأبى امرء أحسّ من نفسه شجاعه و إقداما و صبورا عند اللّقاء فلا يبطرئه، و لا يرى أنّ له فضلا على من هو دونه، و إن رأى من أخيه فشلا و ضعفا فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه، فإنّ الله لو شاء لجعله مثله.

أقول: أتى الرضيّ رضوان الله عليه ببعض هذه الخطبه في النهج، قوله:

و من كلام له عليه السّلام قاله للأصحاب في ساعه الحرب: و أبى امرء منكم أحسّ من نفسه إلخ (الكلام ١٢٢ من باب الخطب من النهج)، و نقله المفيد في الإرشاد ص ١١٤ طبع طهران ١٣٧٧ هـ و بين النسخ اختلاف في الجملة.

ثمّ لما حمل أمير المؤمنين عليه السّلام الناكثين و حمل أعوانه معه فما كان القوم إلّا كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف، و لمّا رأّت عائشه هزيمه القوم نادى يا بنى الكرهه الكرهه اصبروا فإنى ضامنه لكم الجنّه، فحفّوا بها من كلّ جانب، و استقدموا حتّى دنوا من عسكر أمير المؤمنين عليه السّلام، و لفتّ عائشه نفسها ببرده كانت معها و قلبت يمينها على منكبها الأيمن إلى الأيسر و الأيسر إلى الأيمن كما كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يفعل عند الاستسقاء، ثمّ قالت: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام و قالت: شأهت الوجوه كما فعل رسول الله صلّى الله عليه و آله بأهل بدر، و لمّا فعلت عائشه من السبّ المبرح و حصب أصحاب أمير المؤمنين قال عليه السّلام: و ما رميت إذ رميت و لكنّ الشيطان رمى و ليعودن و بالكك عليك

قال المفيد في الجمل: روى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال:

سمعت معاذ بن عبد الله التميمي و كان قد حضر الجمل يقول: لما التقينا و اصططفنا نادی منادی علي بن أبي طالب عليه السلام: يا معشر قريش اتقوا الله على أنفسكم فإنني أعلم أنكم قد خرجتم و ظننتم أن الأمر لا يبلغ إلى هذا، فالله الله في أنفسكم فإن السيف ليس له بقيا، فان أحببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء القوم، و إن أحببتم فإلى فانكم آمنون بأمان الله، قال: فاستحيينا أشد الحياء و أبصرنا ما نحن فيه و لكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشه حتى قتل من قتل منا، فوالله لقد رأيت أصحاب علي عليه السلام و قد وصلوا إلى الجمل و صاح منهم صائح: اعقروه، فعقروه و نادى علي عليه السلام: من طرح السلاح فهو آمن، و من دخل بيته فهو آمن، فوالله ما رأيت أكرم عفوا منه.

و في الامامه و السياسه للدينوري. قال حيه بين جهين: نظرت إلى علي عليه السلام و هو يخفق نعاسا فقلت له: تا الله ما رأيت كالיום قط، إن بإزائنا لمائه ألف سيف و قد هزمت ميمنتك و ميسرتك و أنت تخفق نعاسا؟ فانتبه و رفع يديه و قال: اللهم إنك تعلم ما كتبت في عثمان سوادا في بياض و أن الزبير و طلحه ألبا و أجلبا علي الناس، اللهم أولانا بدم عثمان فخذ اليوم.

و في مروج الذهب: قد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنه علي عليه السلام و ميسرته فكشفوها فأتاه بعض ولد عقيل و علي عليه السلام يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له: يا عم قد بلغت ميمنتك و ميسرتك حيث ترى و أنك تخفق نعاسا؟ قال:

اسكت يا ابن أخي فإن لعمرك يوما لا يعدوه، و الله لا يبالي عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية و كان صاحب رأيته: احمل على القوم فأبأ محمد عليه و كان بإزائه قوم من الزمّاه ينتظر نفاذ سهامهم، فأتاه علي عليه السلام فقال:

هلا حملت؟ فقال: لا أجد متقدما إلا على سهم أو سنان و إنني لمنتظر نفاذ سهامهم و أحمل، فقال:

احمل بين الأسننه فإنّ للموت عليك جنّه، فحمل محمد فسكن بين الرماح و النشاب فوقف فأناه علىّ فضربه بقائم سيفه و قال: أدركك عرق امّك، و أخذ الرايه و حمل و حمل الناس معه فما كان القوم إلاّ كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف و طافت بنو امّيه بالجمل و قطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبّه، و رمى الهودج بالنشاب و النبل و عرقب الجمل و وقع الهودج و الناس مفترقون يقتتلون.

و لما سقط الجمل و وقع الهودج جاء محمّد بن أبى بكر فأدخل يده فقالت: من أنت؟ قال: أقرب الناس قرابه و أبغضهم إليك أنا محمد أخوك يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء؟ قالت: ما أصابنى إلاّ سهم لم يضرّنى.

فجاء علىّ عليه السّلام حتّى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب و قال: يا حميراء رسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك أن تقرّى فى بيتك، و الله ما أنصفك العذّين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم و أبرزوك، و أمر أخاها محمّدا فأنزّلها فى دار صفّيه بنت الحارث بن أبى طلحه العبدى و هى امّ طلحه الطلحات، و وقع الهودج و الناس مفترقون يقتتلون، و التقى الأشتر بن مالك بن الحارث النخعىّ و عبد الله بن الزبير فاعتزكا و سقطا إلى الأرض عن فرسيهما و الناس حولهم يجولون و ابن الزبير ينادى:

اقتلونى و مالكا، و اقتلوا مالكا معى، فلا يسمعهما أحد لشده الجلاذ و وقع الحديد، و لا يراهما راء لظلمه النقع و ترادف العجاج، و جاء ذو الشهادتين خزيمة ابن ثابت إلى علىّ فقال، يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد و اردد إليه الرايه فدعا به وردّ عليه الرايه و قال:

اطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير فى حرب إذا لم توقد

بالمشرفىّ و القنا المشردّ

ثمّ استسقى فاتى بعسل و ماء فحسا منه حسوه و قال: هذا الطائفىّ و هو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر: ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال: إنه و الله يا بنىّ ما ملأ بصدر عمّك شيء قطّ من أمر الدنيا، ثمّ دخل عليه السّلام البصره و كانت الواقعه فى الموضع المعروف بالخرابه يوم الخميس لعشر خلون من جمادى

وقال الدينوري: فسق علي في عسكر القوم يطعن و يقتل ثم خرج و هو يقول الماء الماء، فأتاه رجل بأداوه فيها غسل فقال له: يا أمير المؤمنين أمّا الماء فإنه لا يصلح لك في هذا المقام و لكن أذوقك هذا العسل فقال: هات، فحسا منه حسوه ثم قال: إنّ عسلك لطائفى، قال الرجل: لعجبا منك و الله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره في هذا اليوم و قد بلغت القلوب الحناجر، فقال له علي عليه السلام: إنه و الله يا ابن أخى ما ملأ صدر عمك شىء قطّ و لا هابه شىء، ثم أعطى الرايه لابنه محمّد و قال: هكذا فاصنع فاقتل الناس ذلك اليوم قتالا شديدا و كانوا كذلك يروحون و يغدون على القتال سبعة أيام و إنّ عليا خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم.

«قتل الزبير بن العوام»

كان الزبير ممن ولى يوم الجمل مدبرا و عدّه الطبرى في التاريخ ممن انهزم يوم الجمل فاخفى و مضى في البلاد قال: كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن محمّد و طلحه قالا: و مضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلا نحو المدينة فقتله ابن جرموز، و ممن ولى مدبرا مروان بن الحكم و أوى إلى أهل بيت من عتزه و عدّ نفرا كثيرا منهم في تاريخه.

و قد تظافت الأخبار عن الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام خرج بنفسه حاسرا على بغله رسول الله صلى الله عليه و آله الشهباء بين الصفين، فنادى يا زبير اخرج إلى فخرج شائكا في سلاحه فدنا إليه حتى اختلفت أعناق دابتيهما فقال له علي:

ويحك يا زبير ما الذى أخرجك؟ قال: دم عثمان، قال: قتل الله أولانا بدم عثمان أما تذكر يوما لقيت رسول الله صلى الله عليه و آله في بنى بياضه و هو راكب حماره فضحكك إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و ضحكت أنت معه فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه فقال لك: ليس به زهوه، أتجبه يا زبير؟ فقلت: إني و الله لاجبه فقال لك: إنك

و الله ستقاتله و أنت له ظالم.

فقال الزبير: أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت، فقال عليه السلام: يا زبير ارجع فقال: و كيف أرجع الان و قد التقت حلقتا البطان، هذا و الله العار الّذى لا- يغسل فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار و النار، فانصرف الزبير و دخل على عائشه فقال: يا امّاه ما شهدت موطننا قطّ في الشرك و لا في الإسلام إلا ولى فيه رأى و بصيره غير هذا الموطن، فأنه لا رأى لى فيه و لا بصيره، و على نقل الدينورى فى الامامه و السياسه قال: و إنى لعلى باطل، قالت له عائشه: يا أبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب، فقال: أما و الله إنّ سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتيه أنجاد.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: و لما رجع الزبير عن الحرب قال ابنه عبد الله: أين تدعنا؟ فقال: يا بنى أذكرنى أبو حسن بأمر كنت قد أنسيته قال: بل خفت سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد يحملها فتيه أنجاد فقال: لا و الله و لكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبا لجبن تعيرنى لا أبا لك؟ ثم أمال سناناه و شدّ فى الميمنه فقال على عليه السلام: افرجوا له فقدما جوه ثم رجع فشدّ فى الميسره، ثم رجع فشدّ فى القلب، ثم عاد إلى ابنه فقال: أ يفعل هذا جبان.

و قال الدينورى: إنّ الزبير قال لابنه عبد الله حينئذ: عليك بحربك. أمّا أنا فراجع إلى بيتى، فقال له ابنه عبد الله: الان حين التقت حلقتا البطان و اجتمعت الفئتان، و الله لا نغسل رءوسنا منها، فقال الزبير لابنه: لا تعد هذا منى جينا، فو الله ما فارقت أحدا فى جاهليه و لا إسلام، قال: فما يردك؟ قال: يردنى ما إن علمته كسرك.

ثم انصرف الزبير راجعا إلى المدينه حتى أتى وادى السباع و الأحنف بن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم، فأتاه آت فقال له: هذا الزبير مارّ، فقال:

ما أصنع بالزبير؟ و قد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا و هو مارّ إلى منزله سالما.

فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز التميمى فقال للزبير:

يا أبا عبد الله أحيت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف؟ أ تائب أنت أم عاجز؟ فسكت عنه، ثم عاوده فقال له: يا أبا عبد الله حدّثني عن خصال خمس أسألك عنها، فقال:

هات. قال: خذلك عثمان، وبيعتك عليا، وإخراجك أمّ المؤمنين، و صلّاتك خلف ابنك، و رجوعك عن الحرب.

فقال الزبير: نعم اخبرك أمّا خذلي عثمان فأمر قدّر الله فيه الخطيئة و أخر التوبه، و أمّا بيعتي عليّا فو الله ما وجدت من ذلك بدّا حيث بايعه المهاجرون و الأنصار و خشيت القتل، و أمّا إخراجنا أمنا عائشه فأردنا أمرا و أراد الله غيره، و أمّا صلّاتي خلف ابني فإنما قدّمته عائشه أمّ المؤمنين و لم يكن لي دون صاحبي أمر و أمّا رجوعي عن هذا الحرب فظنّ بي ما شئت غير الجبن.

فقال ابن جرموز: و الهفا على ابن صفية أضرم نارا ثم أراد أن يلحق بأهله قتلني الله إن لم أقتله و سار معه ابن جرموز و قد كفر على الدرع، فلما انتهى إلى وادي السباع استغفله فطعنه.

و قال المسعودي في مروج الذهب: و قد نزل الزبير إلى الصلاة فقال لابن جرموز: أتؤمني أو أوّمك؟ فأّمه الزبير فقتله عمرو في الصلاة، و أتى عمرو عليا بسيف الزبير و خاتمه و رأسه و قيل: إنه لم يأت برأسه فقال عليّ عليه السّلام: سيف طال ما جلي به الكرب عن وجه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لكن الحين و مصارع السوء، و قاتل ابن صفية في النار، ففي ذلك يقول ابن جرموز:

أتيت عليا برأس الزبير و كنت ارجى به الزلفه

فبشر بالنار قبل العيان و بئس بشاره ذى التحفه

فقلت إنّ قتل الزبير لو لا رضاك من الكلفه

فان ترض ذلك فمناك الرضا و إلّا فدونك لي حلفه

و ربّ المحلّين و المحرمين و ربّ الجماعه و الألفه

لسيّان عندي قتل الزبير و شرطه عنز بذي الجحفه

«قتل طلحه»

في الكافي: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في خطبته يوم الجمل: وا عجبنا لطلحه

ألب الناس على ابن عفان حتى إذا قتل أعطاني صفقته بيمينه طائعا، ثم نكث بيعتي اللهم خذه ولا تمهله، و أن الزبير نكث بيعتي و قطع رحمى و ظاهر على عدوى فاكفنيه اليوم بما شئت.

و قال الدينورى فى الامامه و السياسه: إن القوم اقتتلوا حول الجمل حتى حال بينهم الليل و كانوا كذلك يروحون و يغدون على القتال سبعة أيام و أن عليا خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم، فلما رأى طلحه ذلك رفع يديه إلى السماء و قال: إن كنا قد داهنا فى أمر عثمان و ظلمناه فخذله اليوم منا حتى ترضى، فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربه أتى منها على نفسه فخرّ.

قال الطبرى فى التاريخ (ص ٥٣٤ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن اسماعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر قال: قال طلحه يومئذ - اى يوم حرب الجمل - اللهم أعط عثمان منى حتى يرضى، فجاء سهم غرب و هو واقف فخل ركبته بالسرج و ثبت حتى امتلاء موزجه دما، فلما ثقل قال لمولاه:

اردفنى و ابغنى مكانا لا اعرف فيه، فلم أر كاليوم شيئا أضيع دما، فركب مولاه و أمسكه و جعل يقول: قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصره خربه و أنزله فى فيئها، فمات فى تلك الخربه و دفن فى بنى سعد. انتهى.

و قال المفيد فى الجمل: روى اسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: حدثنى أبى على زين العابدين عليه السلام قال: قال لى مروان بن الحكم: لَمَّا رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت و الله لأدركن ثارى و لأفرن منه الان، فرميت طلحه فأصبت نساءه، فجعل الدم ينزف، فرميته ثانيه فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجره فبقى تحتها ينزف منه الدم حتى مات.

و فى مروج الذهب للمسعودى بعد ما رجع الزبير عن الحرب نادى على عليه السلام طلحه حين رجع الزبير: يا أبا محمد ما الذى أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان.

قال على عليه السلام: قتل الله اولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

اللَّهُمَّ وال من والاه و عاد من عاداه؟ و أنت أول من بايعنى ثم نكثت، و قد قال الله عزّ و جلّ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» فقال: أستغفر الله ثم رجع، فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير و يرجع طلحه ما ابالى رميت ههنا أم ههنا فرماه فى أكحله فقتله، فمرّ به على عليه السلام بعد الوقعه فى موضعه فى قنطره قره فوقف عليه فقال: إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ راجعون و الله لكنت كارها لهذا أنت و الله كما قال القائل:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

كأنّ الثريا علقت فى يمينه و فى خده الشعرى و فى الآخر البدر

و ذكر أنّ طلحه لما ولى سمع و هو يقول:

ندمت ندامه و ضلّ حلمى و لهفى ثم لهف أبى و أمى

ندمت ندامه الكسعى لما طلبت رضا بنى حزم بزعمى

و هو يمسح عن جبينه الغبار و هو يقول: و كان أمر الله قدرا مقدورا، و قيل:

إنه سمع و يقول هذا الشعر و قد جرحه فى جبهته عبد الملك و رماه مروان فى أكحله و قد وقع صريعا وجود بنفسه.

و نقل الطبرسى فى الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أنّ قتل طلحه كان قبل قتل الزبير فانه قال: روى نصر بن مزاحم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام حين وقع القتال و قتل طلحه تقدّم على بغله رسول الله صلّى الله عليه و آله الشهباء بين الصفيين فدعا الزبير فدنا إليه - إلخ.

قال: و روى أيضا أنّ مروان بن الحكم يوم الجمل كان يرمى بسهامه فى العسكرين معا و يقول: أصبت أيّا منهما فهو فتح لقله دينه و تهمته للجميع بيان: الكسع بالضم فالفتح حى من اليمن و منه قولهم ندامه الكسعى.

قال الميدانى فى مجمع الأمثال فى بيان مثلهم: أندم من الكسعى ما هذا لفظه: قال حمزه: هو رجل من كسعه و اسمه محارب بن قيس، و قال غيره:

هو من بنى كسع ثم من بنى محارب و اسمه غامد بن الحارث و من حديثه أنه كان

يرعى إبلا له بواد معشب فيينا هو كذلك إذ ابصر بنبعه فى صخره فأعجبه فقال:

ينبغى أن يكون هذه قوسا، فجعل يتعهدا ويرقبها حتى أدركت قطعها و جففها فلما جفت اتخذت منها قوسا و أنشا يقول:

يا ربّ وفقنى لنحت قوسى فإنها من لذتى لى نفسى

و انفع بقوسى ولدى و عرسى أنحتها صفراء مثل الورس

صفراء ليست كقسى النكس

ثم دهنها و خطمها بوتر ثم عمد إلى مكان من برايتها فجعل منه خمسة أسهم و جعل يقلبها فى كفّه و يقول:

هنّ و ربّى أسهم حسان تلذ للرامى بها البنان

كأنما قومها ميزان فابشروا بالخصب يا صبيان

إن لم يعقنى الشوم و الحرمان

ثم خرج حتى أتى قتره على موارد حمر فكمن فيها، فمرّ قطع منها فرمى عيرا منها فأمخطه السهم أى أنفذه فيه و جازه و أصاب
الجبل فأورى نارا فظنّ أنه أخطأ فأنشأ يقول:

أعوذ بالله العزيز الرحمن من نكد الجددّ معا و الحرمان

مالى رأيت السهم بين الصّوان يورى شرارا مثل لون العقيان

فأخلف اليوم رجاء الصّبيان

ثم مكث على حاله فمرّ قطع آخر فرمى عيرا منها فأمخطه السهم و صنع صنيع الأوّل فأنشأ يقول:

لا بارك الرّحمن فى رمى القتر أعوذ بالخالق من سوء القدر

أ أمخط السهم لازهاق الضرر أم ذاك من سوء احتيال و نظر

ثم مكث على حاله فمرّ قطع آخر فرمى عيرا منها فأمخطه السهم و صنع صنيع الثانى فأنشأ يقول:

ما بال سهمى يوقد الجبا جبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

و أمكن العير و ولى جانبا فصار رأى فيه رأيا خائبا

ثم مكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمى عيرا منهما فصنع صنيع الثالث فأنشأ يقول:

يا أسفا للشوم و الجدد النكد أخلف ما أرجو لأهل و ولد

ثم مرّ به قطيع آخر فرمى عيرا منها فصنع صنيع الرابع فأنشأ يقول:

أبعد خمس قد حفظت عدّها أحمل قوسى و اريد ردّها

أخزى الاله لينها و شدّها و الله لا تسلم عندى بعدها

و لا ارجى ما حييت رفدها

ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجرا فكسّرها، ثم بات فلما أصبح نظر فاذا الحمر مطرّحه حوله مصرعه و أسهمه بالدم مضرّجه

فندم على كسر القوس فشدّ على إبهامه فقطعها و أنشأ يقول:

ندمت ندامه لو أنّ نفسى تطاوعنى إذا لقطعت خمسى

تبيّن لى سفاء الرأى منى لعمر أبيك حين كسرت قوسى

قال الفرزدق:

ندمت ندامه الكسعى لما غدت منى مطلقه نوار

و كانت جتتى فخرجت منها كادم حين لجّ به الضرار

و كنت كفاقىء عينيه عمدا فأصبح ما يضىء له النهار

و لو إننى ملكت يدى و قلبى لكان علىّ للقدر الخيار

و قال آخر:

ندمت ندامه الكسعى لما رأته عيناها ما صنعت يداها

و قال علم الهدى فى الشافى: إنّ طلحه تمثّل بهذا البيت، و روى المفيد فى آخر الجمل مسندا أنّ طلحه لما قدم مكّه بعد قتل

عثمان و بيعته عليا عليه السّلام و قبل حرب الجمل جاء إلى عائشه فلما رأته قالت: يا أبا محمّد قتلت عثمان و بايعت عليا فقال

لها: يا أمّاه مثلى كما قال الشاعر:

ندمت ندامه الكسعى لما رأته عيناها ما صنعت يداها

قد بين في المجلد الأول من تكمله المنهاج (ص ٣٦٧-٣٧٩) أنّ محاربي عليّ و منهم أصحاب صفين و الجمل كفره، و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يسر فيهم بسيره الكفار، لأنّ التساوى في الكفر لا يوجب التساوى في جميع أحكامه، لأنّ أحكام الكفر مختلفه، فحكم الحربى خلاف حكم الذّمى، و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا- كتاب له، من عبّاد الأصنام، فإنّ أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزيه و يقروّن على أديانهم، و لا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام، و حكم المرتدّ بخلاف حكم الجميع، و إذا كان أحكام الكفر مختلفه مع الاتفاق في كونه كفرا لا- يمتنع أن يكون من حاربه عليه السّلام كافرا و إن سار فيهم بخلاف أحكام سائر الكفار كما سئلوا عليك طائفه من سيرته عليه السّلام في أصحاب الجمل، و فعله عليه السّلام حجّه في الشرع بما ثبت من إمامته و عصمته فيجب أن يكون سيرته فيهم هو الذى يجب العمل به.

فان قلت: فما الوجه فيما نقل من الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

قاتل ابن صفية في النار، ثم إن رجوعه عن الحرب يدلّ على توبته فلا يشمل أحكام المحاربين، على أنّ الزبير كان من العشرة المبشّره بالجنه، و كذلك الكلام في طلحه أنّ قوله: ندمت ندامه الكسعى يدلّ على أنّه تاب و كان من العشرة أيضا؟.

قلت: قد أورد كثيرا من هذه الاعتراضات القاضى عبد الحبار في المغنى و أجابها علم الهدى الشريف المرتضى في الفصل الأخير من الشافى بما لا مزيد عليه و من نظر في تلك الأجوبه نظر دقّه و تأمل لرأى أنّها شافيه كافيه، و ذكر بعض تلك الأسئلة و أجوبتها في الزبير خاصه في كتابه الموسوم بتتزيه الأنبياء، و كأنّ ما أتى به فيه هو خلاصه ما فصّله في الشافى و قد صنّف الشافى قبله، قال:

فان قيل: فما الوجه فيما ذكره النظام من أنّ ابن جرموز لمّا أتى أمير المؤمنين عليه السّلام برأس الزبير و قد قتله بواد السباع قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و الله كان ابن صفية بجبان و لا لثيم و لكنّ الحين و مصارع السوء، فقال ابن جرموز:

الجائزه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام: سمعت النّبىّ صلّى الله عليه وآله يقول: بشر قاتل ابن صفّيه بالنّار، فخرج ابن جرموز وهو يقول شعرا: أتيت عليا برأس الزبير إلى آخر الأبيات، وقد كان يجب على عليّ عليه السّلام أن يقيده بالزبير و كان يجب على الزبير إن بان له أنه على خطاء أن يلحق بعليّ عليه السّلام فيجاهد معه؟.

الجواب: أنّه لا شبهه في أنّ الواجب على الزبير أن يعدل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و ينحاز إليه و يبذل نصرته لا سيما إذا كان رجوعه على طريق التوبه و الانابه، و من أظهر ما أظهر من المباينه و المحاربه إذا تاب و تبين خطاؤه يجب عليه أن يظهر ضدّ ما كان أظهره لا سيما و أمير المؤمنين عليه السّلام في تلك الحال مصاف لعدوّه و محتاج إلى نصره من هو دون الزبير في الشجاعه و النجده، قال: و ليس هذا موضع استقصاء ما هو يتصل بهذا المعنى، و قد ذكرناه في كتابنا الشافى.

فأمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فأنّما عدل أن يقيد ابن جرموز بالزبير لأحد أمرين إن كان ابن جرموز قتله غدرا و بعد أن آمنه، أو قتله بعد أن ولى مدبرا و قد كان أمير المؤمنين عليه السّلام أمر أصحابه أن لا يتبعوا مدبرا و لا يجهّزوا على جريح، فلمّا قتل ابن جرموز الزبير مدبرا كان بذلك عاصيا مخالفا لأمر إمامه عليه السّلام، فالسبب في أنه عليه السّلام لم يقده به أنّ أولياء الدّم الذين هم أولاد الزبير لم يطالبوا بذلك و لا- حكموا فيه، و كان أكبرهم و المنظور إليه عبد الله محاربا لأمر المؤمنين عليه السّلام مجاهرا له بالعداوه و المشاقه فقد أبطل بذلك حقه، لأنّه لو أراد أن يطالب به لرجع عن الحرب و بايع و سلم ثمّ طالب بعد ذلك فانتصف له منه.

و إن كان الأمر الآخر و هو أن يكون ابن جرموز ما قتل الزبير إلّا مبارزه بغير غدر و لا أمان تقدّم على ما ذهب إليه قوم، فلا يستحقّ بذلك قودا و لا مسأله ههنا فى القود.

فان قيل: على هذا الوجه ما معنى بشارته بالنار؟ قلنا: المعنى فيها الخبر عن عاقبه أمره لأنّ الثواب و العقاب إنما يحصلان على عواقب الأعمال و خواتيمها، و ابن جرموز هذا خرج مع أهل النهر على

أمير المؤمنين عليه السلام فقتل هناك، فكان بذلك الخروج من أهل النار لا بقتل الزبير.

فإن قيل: فأى فائده لإضافه البشاره بالنار إلى قتل الزبير و قتله طاعه و قربه، و إنما يجب أن يضاف البشاره بالنار إلى ما يستحق به النار؟.

قلنا: عن هذا جوابان:

أحدهما أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرَادَ التَّعْرِيفَ وَالتَّنْبِيهَ وَإنما يعرف الإنسان بالمشهور من أفعاله و الظاهر من أوصافه، و ابن جرّموز كان غفلاً خاملاً و كان فعله بالزبير من أشهر ما يعرف به مثله، و هذا وجه في التعريف صحيح.

و الجواب الثاني أنّ قتل الزبير إذا كان باستحقاق على وجه الصواب من أعظم الطاعات و أكبر القربات، و من جرى على يده يظنّ به الفوز بالجنّة، فأراد عليه السّلام أن يعلمّ الناس أنّ هذه الطاعه العظيمة التي يكثر ثوابها إذا لم تعقب بما يفسده غير نافع لهذا القاتل، و أنه سيأتي من فعله في المستقبل ما يستحقّ به النار، فلا تظنّوا به لما اتفق على يده من هذه الطاعه خيراً.

و هذا يجري مجرى أن يكون لأحدنا صاحب خصيص به خفيف في طاعته مشهور بنصيحته فيقول هذا المصحوب بعد برهه من الزّمان لمن يريد إطرافه و تعجيبه: أو ليس صاحبي فلان الذي كانت له من الحقوق كذا و كذا و بلغ من الاختصاص بي إلى منزله كذا قتلته و أبحت حريمه و سلبت ماله و إن كان ذلك إنما استحقّه بما تجدد منه في المستقبل، و إنما عرف بالحسن من أعماله على سبيل التعجب و هذا و اصح. انتهى.

و قال في الشافى: و أمّا الكلام في توبه طلحه فهو على المخالف أضيق و أخرج من الكلام في توبه الزبير، لأنّ طلحه قتل بين الصّفين و هو مباشر للحرب مجتهد فيها و لم يرجع عنها حتّى أصابه السهم فأتى على نفسه، و ادّعاء توبه مثل هذا مكابره.

فأمّا قوله أنه لمّا أصابه السهم أنشد البيت الذي ذكره و أنّه يدلّ على توبته فبعيد من الصواب، بل البيت المروىّ بأنه يدلّ على خلاف التوبه أولى، لأنّه

جعل ندمه مثل ندامه الكسعى، و خبر الكسعى معروف لأنه ندم حيث لا ينفعه الندامه و حيث فات الأمر و خرج عن يده، و لو كان ندم طلحه واقعا على وجه التوبه الصحيحه لم يكن مثل ندامه الكسعى، بل كان شبيها لندامه من تلافى ما فرط على وجه ينتفع به.

ثم أخذ بردّ ما تمسك بها القاضى عبد الجبار فى توبته و تصحيح عمله فراجع فانه رحمه الله أفاد بما هو فوق المراد.

أقول: لا- يخفى أنّ طلحه قال البيت فى حال كان وجود فيها بنفسه و لا يقبل التوبه فى مثل تلك الحال كما حققناه فى المجلد الأول من التكملة.

و أما كونهما من العشره المبشّره بالجنّه فى الاحتجاج نقلا عن سليم بن قيس الهلالي: لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصره يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إلىّ، فخرج الزبير و معه طلحه، قال: و الله إنكما لتعلمان و اولو العلم من آل محمّد و عائشه بنت أبى بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد صلّى الله عليه و آله و قد خاب من افترى، قال الزبير: كيف نكون ملعونين و نحن أهل الجنّه؟ فقال عليّ عليه السلام: لو علمت أنكم من أهل الجنّه لما استحللت قتالكم، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل و هو يروى أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: عشره من قريش فى الجنّه؟ قال عليّ عليه السلام: سمعته يحدث بذلك عثمان فى خلافته، فقال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال له عليّ عليه السلام: لست اخبرك بشىء حتّى تسميهم، قال الزبير: أبو بكر و عمر، و عثمان، و طلحه، و الزبير، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص و أبو عبيده بن الجراح، و سعيد بن عمرو بن نفيل، فقال له عليّ عليه السلام: عددت تسعه فمن العاشر؟ قال له: أنت، قال له عليّ عليه السلام: أمّا أنت فقد أقررت أنّى من أهل الجنّه، و أمّا ما ادّعت لنفسك و أصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين قال له الزبير: أفتراه كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ قال: ما أراه كذب و لكنّه و الله اليقين، فقال عليّ عليه السلام و الله إنّ بعض من سمّيته لفى تابوت فى شعب فى جبّ فى أسفل

درك من جهنم على ذلك الجبّ صخره إذا أراد الله أن يسعّر جهنم رفع تلك الصخره سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا أظفرك الله بي و سفك دمي على يديك، وإلا أظفرتني الله عليك و على أصحابك و عجل أرواحكم إلى النار، فرجع الزبير إلى أصحابه و هو يبكي.

و روى حسين الأشقر، عن أبي يعقوب يوسف البزاز، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما مرّ على طلحه بين القتلى قال: اقعده فاقعد فقال عليه السلام: إنه كانت لك سابقه و لكنّ الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار.

و روى المفيد في الجمل مثل كلامه ذلك في الزبير أيضا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى رأس الزبير و سيفه قال للأحنف الذي جاء برأسه إليه عليه السلام: ناولني السيف، فناوله فهزّه و قال: سيف طالما قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و لكنّ الحين و مصارع السوء، ثمّ نفرّس في وجه الزبير و قال: لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبه و منه قرابه، و لكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد. و من أراد أكثر من ذلك فعليه بالشافى.

«كلامه عليه السلام حين قتل طلحه و تفرق الناس»

قال الشيخ المفيد قدس سرّه في الارشاد: و من كلامه عليه السلام حين قتل طلحه و انفضّ أهل البصره: بنا تستمتم الشرف، و بنا انفجرتم. إلخ (ص ١٢١ طبع طهران ١٣٧٧ هـ).

و ذكر كلامه هذا في النهج أيضا و هو الخطبه الرابعه منه و بين النسختين اختلاف في الجملة إلا أنّ في ذيلهما بونا بعيدا.

فما في النهج: غرب رأى امرىء تخلف عني، ما شككت في الحقّ منذ اريته لم يوجس موسى خيفه على نفسه، أشفق من غلبه الجهال و دول الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل، من وثق بماء لم يظما.

و ما في الارشاد غرب فهم امرىء تخلف عني، ما شككت في الحقّ منذ اريته

كان بنو يعقوب على المحجّه العظمى حتى عقّوا أباهم و باعوا أخاهم، و بعد الإقرار كانت توبتهم و باستغفار أبيهم و أخيهم غفر لهم.

«كلام أمير المؤمنين عليه السلام عند تطوفه على القتلى و تكليمه إياهم»

نقل كلامه عليه السّلام عند تطوّفه على القتلى الشيخ الأجلّ المفيد فى الجمل و الارشاد و بعضه العالم الجليل الطبرسى فى الاحتجاج و ذكر طائفه منه فى غيرهما من الجوامع:

ففى الجمل لما انجلت الحرب بالبصره و قتل طلحه و الزبير و حملت عائشه إلى قصر بنى خلف ركب أمير المؤمنين عليه السّلام و تبعه أصحابه و عمّار بن ياسر رحمه الله يمشى مع ركابه حتّى خرج إلى القتلى يطوف عليهم، فمرّ بعبد الله بن خلف الخزاعى و عليه ثياب حسان مشهره فقال الناس: هذا و الله رأس الناس، فقال عليه السّلام: ليس برأس الناس و لكنّه شريف منيع النفس.

ثمّ مرّ بعبد الرّحمن بن عتاب بن أسيد فقال: هذا يعسوب القوم و رأسهم كما تروه، ثمّ جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا، فلما رأى أشراف قريش صرعى فى جملة القتلى قال:

جدعت أنفى أما و الله إن كان مصرعكم لبغيضا إلىّ و لقد تقدّمت إليكم و حدّرتكم عضّ السيوف و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكن الحين و مصارع السوء و نعوذ بالله من سوء المصرع.

و فى مروج الذهب: و وقف عليه السّلام على عبد الرّحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن اميّه و هو قتيل يوم الجمل فقال:

لهفى عليك يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بنى عبد مناف شفيت نفسى و جدعت أنفى، فقال له الأشر: ما أشدّ جزعك عليهم يا أمير المؤمنين، و قد أرادوا بك ما نزل بهم؟ فقال لى: إنه قامت عنى و عنهم نسوه لم يقمن عنك.

قال: و اصيب كفّ ابن عتاب بمنى ألقاها عقاب و فيها خاتم نقشه: عبد الرّحمن بن عتاب، و كان اليوم الذى وجد فيه الكفّ بعد يوم الجمل بثلاثه أيام.

أقول: الظاهر أنّ قصه الكفّ لا تخلو من اختلاق و فريه و إن نقلها أبو جعفر الطبرى أيضا.

ثمّ سار حتّى وقف على كعب بن سور القاضى و هو مجدلّ بين القتلى و فى عنقه المصحف فقال: نَحُوا المصحف و ضعوه فى مواضع الطهاره، ثمّ قال: اجلسوا لى كعبا فاجلس و رأيته ينخضض إلى الأرض فقال: يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدنى ربّى حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟ ثمّ قال: اضجعوا كعبا.

و قال فى الارشاد: ثمّ مرّ بكعب بن سور فقال: هذا الذى خرج علينا فى عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر امّه يدعو الناس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثمّ استفتح فخاب كلّ جبار عنيد أما إنه دعا الله أن يقتلنى فقتله الله، اجلسوا كعب بن سور فاجلس فقال له: يا كعب لقد وجدت. إلخ.

و قال الطبرى فى التاريخ: قد كان كعب بن سور أخذ مصحف عائشه فبدر بين الصفيين يناشدهم الله عزّ و جلّ فى دمائهم و اعطى درعه فرمى بها تحته و اتى بترسه فتنكبه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه فكان أوّل مقتول بين يدى عائشه من أهل الكوفه ثمّ روى عن مخلد بن كثير عن أبيه قال: أرسلنا مسلم بن عبد الله يدعو بنى أبينا فرشقه أصحاب الجمل رشقا واحدا كما صنع بكعب فقتلوه فكان أوّل من قتل بين يدى أمير المؤمنين عليه السّلام.

ثمّ مرّ عليه السّلام بطلحه بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتى و المنشىء الفتنة فى الامه و المجلب علىّ و الدّاعى إلى قتلى و قتل عترتى اجلسوا طلحه بن عبيد الله فاجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: يا طلحه قد وجدت ما وعدنى ربّى حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا، ثمّ قال: اضجعوا طلحه و سار فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلّم كعبا و طلحه بعد قتلها؟ فقال: أم و الله لقد سمعا كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله يوم بدر، و لو أذن لهما فى الجواب لرأيت عجبا، و يعنى بالقليب بئر بدر.

و قد مضى كلامه عليه السّلام لما مرّ بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما

قتيلان يوم الجمل: لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا أما والله لقد كنت - إلخ.

(الكلام ٢١٧ من باب الخطب).

و مرّ عليه السّلام بمعيد بن المقداد بن عمر و هو فى الصرعى فقال عليه السّلام: رحم الله أبا هذا إنما كان رأيه فينا أحسن من رأى هذا، فقال عمّار: الحمد لله الذى أوقعه و جعل خدّه الأسفل إنّا والله يا أمير المؤمنين لانبا لى عمّن عند عن الحقّ من ولد و والد، فقال عليه السّلام: رحمك الله يا عمّار و جزاك الله عن الحقّ خيرا.

و مرّ بعبد الله بن ربيعه بن درّاج و هو فى القتلى فقال: هذا البائس ما كان أخرجه؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟ و الله ما كان رأى عثمان فيه و لا فى أبيه بحسن.

ثمّ مرّ بمعيد بن زهير بن أبى اميه فقال: لو كانت الفتنة برأس الثرّيّا لتناولها هذا الغلام، و الله ما كان فيها بذى نخيره و لقد أخبرنى من أدركه و أنه ليولول فرقا من السيف.

بيان: قيل: النخيره. صوت فى الأنف، يريد عليه السّلام أنه كان يخاف من الحرب و لم يكن فيها صوت. و أقول: كذا المذكوره فى إرشاد المفيد و لكنه تصحيف و أصله كما فى جملة: و الله ما كان فيها بذى مخبره، و المخبر و المخبره بفتح الأوّل و الثالث و بضمّ الثالث فى الثانى أيضا العلم بالشىء و الوقوف عليه، فالمراد أنه كان غلاما حدثا غمرا لا علم له بعواقب الامور و آداب الحرب و القتال و نحوها، فلا حاجه إلى ذلك التكلف الناشى من التحريف.

ثمّ مرّ بمسلم بن قرظه فقال: البرّ أخرج هذا و الله لقد كلّمنى أن اكلم عثمان فى شىء كان يدّعيه قبله بمكّه، فلم أزل به حتّى أعطاه و قال لى: لو لا أنت ما اعطيته، إن هذا ما علمت، بئس أخو العشيره ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثمّ مرّ بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضا ممّن أوضع فى قتالنا زعم يطلب الله بذلك، و لقد كتب إلى كتابا يوذى عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضى عنه

و فى الجملى ثم مرّ بعبء الله بن عمير بن زهير قال: هذا أيضا ممن أوضع فى قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان و لقد كتب - إلخ.

ثم مرّ بعبء الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه فى الخروج و أبوه حين لم ينصرنا قد أحسن فى بيعته لنا، و إن كان قد كفّ و جلس حين شكّ فى القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنّا و عن غيرنا و لكنّ المليم الذى يقاتلنا.

ثم مرّ بعبء الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان فى الدار فخرج مغضبا لقتل أبيه و هو غلام حدث جبن لقتله، و فى الجملى فخرج غضبا لمقتل أبيه و هو غلام لا علم له بعواقب الامور.

ثم مرّ بعبء الله بن أبى عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فكأنى أنظر إليه و قد أخذ القوم السيوف هاربا يعدو من الصفّ فنهت عنه فلم يسمع من نهفت حتى قتله و كان هذا ممّا خفى على فتیان قريش أغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا و استرلوا فلمّا وقفوا لحجوا فقتلوا.

ثم أمر عليه السّلام مناديه فنادى: من أحبّ أن يوارى قتيله فليواره، و قال عليه السّلام و اروا قتلانا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فإنّهم يحشرون على الشهادة و إنى لشاهد لهم بالوفاء.

ثم رجع إلى خيمته و استدعى عبد الله بن أبى رافع و كتب كتابا إلى أهل المدينة، و آخر إلى أهل الكوفة أخبرهم بالفتح و عمّا جرى عليهم من فعل القوم و نكثهم و مقاتلتهم و غيرها ممّا وقعت فى وقعه الجملى، و قد نقلنا الكتب فى صدر شرح هذا الكتاب فلا عأده إلى الإعاده.

«خطبه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى البصره بعد ما كتب الى المدينة و الكوفه بالفتح»

قال المفيد فى الجملى: لمّا كتب أمير المؤمنين عليه السّلام بالفتح قام فى الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على محمّد و آله ثم قال:

أمّا بعد فإنّ الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام جعل عفوه و مغفرته لأهل طاعته و جعل عذابه و عقابه لمن عصاه و خالف أمره، و ابتدع فى دينه ما ليس منه. و برحمته

نال الصالحون، وقد أمكنني الله منكم يا أهل البصره و أسلمكم بأعمالكم، فإياكم أن تعودوا لمثلها، فإنكم أول من شرع القتال و الشقاق، و ترك الحق و الإنصاف.

أقول: هذه الخطبه و ما كَلَّم عليه السَّلام به القتلَى ليست فى النهج إلا كلامه الذى كَلَّم به طلحه و عبد الرحمن لَمَّا مرَّ بهما كما مضى آنفا.

«عدل على عليه السلام و زهده»

ثم نزل عليه السَّلام و دخل على بيت مال الكوفه «البصره ظ» فى جماعه من المهاجرين و الانصار فنظر إلى ما فيه من العين و الورق فجعل يقول: يا صفراء غرّى غبرى و أدام النظر إلى المال مفكراً، فلَمَّا رأى كثره ما فيها فقال: هذا جنيّاي، ثم قال: اقسّموه بين أصحابى و من معى خمسّمائه خمسّمائه، ففعلوا فما نقص درهم واحد و عدد الرّجال اثنا عشر ألفاً، و قبض ما كان فى عسكرهم من سلاح و دابه و متاع و آله و غير ذلك، فباعه و قسّمه بين أصحابه و أخذ لنفسه ما أخذ لكلّ واحد ممن معه من أصحابه و أهله خمسّمائه درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ اسمى سقط من كتابك أو قال و خلفنى عن حضور كذا و أدلى بعذر فدفع الخمسّمائه التى كانت سهمه عليه السلام إلى ذلك الرّجل.

و روى أبو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال: لَمَّا أراد أمير المؤمنين عليه السَّلام التوجه إلى الكوفه قام فى أهل بصره فقال: ما تنقمون علىّ يا أهل البصره؟ و أشار إلى قميصه و ردائه فقال: و الله إنهما لمن غزل أهلى، ما تنقمون منّى يا أهل البصره و أشار إلى صرّه فى يده فيها نفقته فقال: و الله ما هى إلا من غلّتى بالمدينه، فان أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين.

و روى الثورى عن داود بن أبى هند عن أبى حرز الأسود قال: لقد رأيت بالبصره لَمَّا قدم طلحه و الزبير أرسل إلى اناس من أهل البصره أنا فيهم، فدخلنا بيت المال معهما فلَمَّا رأيا ما فيه من الأموال قالوا: هذا ما وعدنا الله و رسوله، ثم تليا هذه الايه «وعدكم الله مغنم كثيره تأخذونها فعجل لكم هذه» إلى آخر الايه و قالوا: نحن أحقّ بهذا المال من كلّ أحد، و لَمَّا كان من أمر القوم ما كان

دعانا علي بن أبي طالب عليه السّلام فدخلنا معه بيت المال، فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: غزى غيرى، وقسمه بين أصحابه بالسويّه حتى لم يبق إلا خمسمائه درهم عزلها لنفسه، فجاءه رجل فقال: إن اسمى سقط من كتابك فقال عليه السّلام: ردّوها ردّوها عليه، ثم قال: الحمد لله الذي لم يصل إلّي من هذا المال شيئا وقره على المسلمين.

أقول: وقد مضى نحوها المروى عن أبي الأسود الدؤلى آنفا. ويا ليت كلامه عليه السّلام بلغ إلى امراء هذه الأعصار وقرع أسماعهم الموقوره لعلهم يعقلون و من نوم الغفله عن الحقّ ينتبهون، و من فحص عن سيرتهم شاهت وجوههم رأى أن ليس شأنهم إلا تزويق الباطل و تزيين العاطل، و ليس مقالهم إلا أن لا يصل إلى غيرهم شيء من حطام الدنيا و لعمرى قد أصبحنا فى دهر عنود و زمان كنود يظلم على عباد الله فوق العدّ و الاحصاء و لم يبق من العدل إلا اسمه كالعنقاء و الكيمياء و لو تفوّه زعيم ربّانّي و هاد إلهيّ أين العدل و الانصاف؟ و لم غلب على الناس الفقر و الافلاس؟ اجيب بالجنس و النفي و القتل، فالحرى بنا أن نثنى القلم على ما كنا بصدده لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا.

«خطبه عليه السلام بعد قسمه المال، و خطبه اخرى»

«له عليه السلام لما خرج من البصره»

روى الواقدي أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لما فرغ من قسمه المال قام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أيّها النّاس إنى أحمد الله على نعمه، قتل طلحه و الزبير و هربت عائشه، و أيم الله لو كانت طلبت حقا و هانت باطلا لكان لها فى بيتها مأوى، و ما فرض الله عليها الجهاد و إنّ أول خطأها فى نفسها و ما كانت و الله على القوم أشأم من ناقه الصخره و ما ازداد عدوّكم بما صنع الله إلاّ حقّ ذاء، و ما زادهم الشيطان إلاّ طغيانا، و لقد جاءوا مبطلين، و أدبروا ظالمين، إنّ إخوتكم المؤمنين جاهدوا فى سبيل الله و آمنوا يرجون مغفره الله، و إننا لعلّى الحقّ، و إنّهم لعلّى الباطل، و يجمعنا الله و إيّاهم

يوم الفصل، و أستغفر الله لى و لكم. (كتاب الجمل للمفيد ص ٢٠٠ طبع النجف).

أقول: هذه الخطبه ليست بمذكوره فى النهج.

و روى نصر بن عمر بن سعد عن أبى خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحارث بن السريع قال: لما ظهر أمير المؤمنين على عليه السلام على أهل البصره و قسّم ما جواه العسكر قام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال:

أيها الناس إنّ الله عزّ و جلّ ذو رحمه واسع، و مغفره دائمه، لأهل طاعته و قضى أنّ نعمته و عقابه على أهل معصيته، يا أهل البصره يا أهل المؤتفكه و يا جند المرأه و أتباع البهيمه، رغا فرجفتم، و عقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، و عهدكم شقاق، و دينكم نفاق، و أنتم فسقه مراق، أنتم شرّ خلق الله، أرضكم قريه من الماء، بعيده من السماء، خفت عقولكم، و سفهت أحلامكم، شهرتم سيوفكم علينا و سفكتم دماءكم، و خالفتم إمامكم، فأنتم أكله الاكل و فريسه الظافر، و النار لكم مدّخر، و العار لكم مفخر، يا أهل البصره نكتم بيعتى، و ظاهرتم علىّ ذوى عداوتى فما ظنكم يا أهل البصره الان؟.

فقام إليه رجل منهم فقال: نظنّ خيرا يا أمير المؤمنين و نرى أنك ظفرت و قدردت فان عاقبت فقد أجرمنا، و إن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين، فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم فإياكم و الفتنة، فانكم أول من نكت البيعه و شقّ عصا الامه، فارجعوا عن الحوبه و اخلصوا فيما بينكم و بين الله بالتوبه. (كتاب الجمل للمفيد ص ٢٠٣ طبع النجف).

أقول: و قد روى هذه الخطبه فى الارشاد أيضا (ص ١٢٣ طبع طهران ١٣٧٧ هـ) و بين الروايتين اختلاف فى الجملة، قال: و من كلامه عليه السلام بالبصره حين ظهر على القوم بعد حمد الله تعالى و الثناء عليه.

أمّا بعد فإنّ الله ذو رحمه واسع و مغفره دائمه و عفوجمّ و عقاب أليم، قضى أنّ رحمته و مغفرته و عفوه لأهل طاعته من خلقه، و برحمته اهتدى المهتدون

و قضى أنّ نعمته و سطوته و عقابه على أهل معصيته من خلقه، و بعد الهدى و البيّنات ما ضلّ الضالّون، فما ظنكم يا أهل البصره و قد نكثتم بيعتى و ظاهرتم علىّ عدوّى فقام إليه رجل فقال: نظنّ خيرا و نراك قد ظهرت و قدرت، فإن عاقبت فقد اجترنا ذلك، و إن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله تعالى، فقال: قد عفوت عنكم فأياكم و الفتنة فإنكم أوّل الرعيه نكث البيعه و شقّ عصا هذه الائمة، ثمّ جلس للناس فبايعوه.

و نقل المسعودى طائفه من هذه الخطبه فى مروج الذهب. و أتى ببعضها الشريف الرضى رضوان الله عليه فى الموضوعين من النهج أحدهما قوله: و من كلامه عليه السّلام فيدمّ أهل البصره: كنتم جند المرأه و أتباع البهيمه إلخ (الكلام الثالث عشر من باب الخطب). و الموضوع الاخر قوله: و من كلامه عليه السّلام فى مثل ذلك: أرضكم قريبه من الماء بعيدة من السماء إلخ (الكلام الرابع عشر من باب الخطب).

و ذيل الكلام الثالث عشر ملتقطه من خطبه اخرى رواها المفيد فى الجمل عن الواقدى (ص ٢١٠ طبع النجف) أنه عليه السّلام لما خرج من البصره و صار على علوه استقبال الكوفه بوجهه و هو راكب بغله رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال:

الحمد لله الذى أخرجنى من أخبث البلاد و أخشنها ترابا، و أسرعها خرابا و أقربها من الماء، و أبعداها من السماء، بها مغيض الماء، و بها تسعه أعشار الشّرّ و هى مسكن الجنّ، الخارج منها برحمه، و الدّاخل إليها بذنب، أما أنها لا تذهب الدّنيا حتّى يجىء إليها كلّ فاجر، و يخرج منها كلّ مؤمن، و حتّى يكون مسجدها كأنه جؤجؤ سفينه.

و رواها الطبرسى فى الاحتجاج أيضا عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال: لما فرغ أمير المؤمنين عليه السّلام من قتال أهل البصره وضع قنبا على قنّب ثمّ صعد عليه فخطب فحمد الله و أثنى عليه فقال:

يا أهل البصره يا أهل المؤتفكه يا أهل الدّاء العضال، يا أتباع البهيمه، يا جند المرأه، رغا فأجبتم، و عقر فهربتم، ماؤكم زعاق، و دينكم نفاق، و أحلامكم دقاق.

ثم نزل يمشى بعد فراغه من خطبته، فمشينا معه فمرّ بالحسن البصرى و هو يتوضّأ فقال: يا حسن أسبغ الوضوء فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناسا يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنّ محمدا عبده و رسوله، و يصلّون الخمس، و يسبغون الوضوء. فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: لقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟ فقال: و الله لأصدّقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صببت علىّ سلاحى و أنا لا أشكّ فى أنّ التخلّف عن امّ المؤمنين عائشه كفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبه نادى مناد: يا حسن إلى أين؟ ارجع فإنّ القاتل و المقتول فى النّار، فرجعت ذعرا و جلست فى بيتى، فلمّا كان فى اليوم الثانى لم أشكّ أنّ التخلّف عن امّ المؤمنين هو الكفر فتحنّطت و صببت علىّ سلاحى و خرجت اريد القتال حتّى انتهيت إلى موضع من الخريبه فنادى مناد من خلفى: يا حسن إلى أين مرّه اخرى فإنّ القاتل و المقتول فى النّار، قال علىّ عليه السّلام: صدقت أفتدرى من ذلك المنادى؟ قال: لا، قال عليه السّلام:

أخوك إبليس و صدقك أنّ القاتل و المقتول منهم فى النّار، فقال الحسن البصرى:

الان عرفت يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكى.

ثمّ قال الطبرسى فى الاحتجاج بعد عدّه فصول: روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: فى أثناء خطبه خطبها بعد فتح البصره بأيام حاكيا عن رسول الله صلّى الله عليه و آله قوله:

يا علىّ إنك باق بعدى و مبتلى بامّتى و مخاصم بين يدى الله، فأعدّ للخصومه جوابا فقلت: بأبى أنت و امّى يا رسول الله بين لى ما هذه الفتنة التى ابتلى بها؟ و على ما اجاهد بعدك؟ فقال لى: إنك ستقاتل بعدى الناكثه و القاسطه و المارقه - و حلاهم و سماهم رجلا رجلا - و تجاهد من امّتى كلّ من خالف القرآن و ستّى ممّن يعمل فى الدّين بالرأى و لا رأى فى الدّين إنما هو أمر الربّ و نهيه، فقلت:

يا رسول الله فأرشدنى إلى الفلج عند الخصومه يوم القيامة، فقال صلّى الله عليه و آله: نعم، إذا كان ذلك كذلك فاقتصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، و عطفوا القرآن على الرأى، فتأولوه برأيهم بتتبع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء

الطاريه عند الطمأنينه إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأى على القرآن، و إذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهيه و الاراء الطامحه و القاده الناكته و الفرقة القاسطه و الاخرى المارقه أهل الإفك المردى و الهوى المطغى و الشبهه الخالقه، فلا تنكلك عن فضل العاقبه فانّ العاقبه للمتقين.

بيان: الناكته أتباع الجمل، و القاسطه أتباع معاويه، و المارقه الخوارج فالطائفه الاولى أثاروا فتنه الجمل، و الثانيه أقاموا غزوه صفين، و الثالثه حرب نهروان.

و روى فى الإحتجاج عن أبى يحيى الواسطى قال: لمّا فتح أمير المؤمنين عليه السلام البصره اجتمع الناس عليه و فيهم الحسن البصرى و معه الألواح، فكان كلما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمه كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته:

ما تصنع؟ فقال: نكتب آثارهم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أما إنّ لكلّ قوم سامريًا و هذا سامريّ هذه الامه أما أنه لا يقول: لا مساس، و لكنه يقول: لا قتال.

بيان: قوله عليه السلام أنه لا يقول لا مساس إشاره إلى قوله تعالى: «قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ» - إلى قوله تعالى: «قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ» الايه (طه - ٩٩).

و فى الإحتجاج عن المبارك فضاله عن رجل ذكره قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل فقال له: يا أمير المؤمنين رأيت فى هذه الواقعه أمرا هالنى من روح قد بانت، و جثّه قد زالت، و نفس قد فانت، لا أعرف فيهم مشركا بالله فالله الله ممّا يجعلنى من هذا إن يك شرًا فهذا تتلقى بالتوبه، و إن يك خيرا ازددنا منه، أخبرنى عن أمرك هذا الذى أنت عليه أفتنه عرضت لك فأنت تنفخ الناس بسيفك أم شىء خصّك به رسول الله صلى الله عليه و آله؟.

فقال عليه السلام إذا أخبرك إذن اثبتك إذن احذثك، إنّ ناسا من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه و آله و أسلموا ثم قالوا لأبى بكر: استأذن لنا على رسول الله حتى تأتى قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع، فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه و آله فاستأذن

لهم فقال عمر: يا رسول الله أترجع تلك الجماعة من الاسلام إلى الكفر؟ فقال:

و ما علمك يا عمر أن ينطلقوا فيأتوا بمتلهم معهم من قومهم؟ ثم إنهم أتوا ابا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستأذن لهم و عنده عمر فقال مثل قوله، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: و الله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلا من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرد.

فقال له أبو بكر: فداك أبي و أمي يا رسول الله أنا هو؟ فقال: لا، فقال عمر: أنا هو؟ قال: لا، فقال: عمر: فمن هو يا رسول الله؟ فأومى إليّ و أنا أخصف نعل رسول الله و قال هو خصف النعل عند كما ابن عمي و أخي و صاحبي و مبرئ ذمتي و المؤدّي عنّي ديني و عداتي و المبلّغ عنّي رسالاتي، و معلّم الناس من بعدى، و مبيّنهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون، فقال الرجل: أكتفى منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت، فكان ذلك الرجل أشدّ أصحاب عليّ عليه السلام فيما بعد من خالفه.

و فيه أيضا: روى يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصره بعد دخولها بأيام، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة؟ و من أهل الفرقة؟ و من أهل البدعه؟ و من أهل السنه؟.

فقال عليه السلام: ويحك أما إذا سألتني فافهم عنّي و لا عليك أن لا تسأل عنها أحدا بعدى، أمّا أهل الجماعة فأنا و من اتّبعتني و إن قلّوا و ذلك الحقّ عن أمر الله عزّ و جلّ و عن أمر رسوله. و أمّا أهل الفرقة المخالفون لي و لمن اتّبعتني و إن كثروا و أمّا أهل السنّه فالمتمسّكون بما سنّه الله و رسوله و إن قلّوا و أمّا أهل البدعه فالمخالفون لأمر الله و لكتابه و لرسوله العاملون برأيهم و أهوائهم و إن كثروا، و قد مضى منهم الفوج الأوّل و بقيت أفواج، فعلى الله قبضها و استيصالها عن جدد الأرض.

فقام إليه عمّار و قال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس يذكرون الفيء و يزعمون أنّ من قاتلنا فهو و ماله و ولده فيء لنا.

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعا عباد بن قيس و كان ذا عارضه و لسان شديد فقال: يا أمير المؤمنين و الله ما قسّمت بالسويّه و لا عدلت في الرعيّه. فقال عليه السلام: و لم؟ ويحك، قال: لأنك قسّمت ما في العسكر و تركت الأموال

و النساء و الدَّرِيَّة، فقال: أيها الناس من كانت له جراحه فليداوها بالسمن فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات، فقال له أمير المؤمنين: إن كنت كاذبا فلا أمتك الله حتى يدركك غلام ثقيف، فقيل: و من غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع لله حرمه إلا انتهكها، فقيل: أفيموت أو يقتل؟ قال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجرى من بطنه.

يا أخا بكر أنت امرء ضعيف الرأي أو ما علمت أننا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير و أنّ الأموال كانت لهم قبل الفرقه و تزوجوا على رشده و ولدوا على فطره و إنما لكم ما حوى عسكرهم، و ما كان في دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذبنيه، و إن كَفَّ عَنَّا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه و آله في أهل مكه فقسّم ما حوى العسكر و لم يتعرّض لما سوى ذلك، و إنما اتبعت اثره حذو النعل بالنعل.

يا أخا بكر أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها، و أنّ دار الهجره يحرم ما فيها إلاّ- بحقّ فمهلا- مهلا- رحمكم الله فان لم تصدّقوني و أكثرتم عليّ - و ذلك أنه تكلم في هذا غير واحد - فأيّكم يأخذ عائشه بسهمه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت و أخطأنا و علمت و جهلنا فنحن نستغفر الله، و نادى الناس من كلّ جانب: أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشاد و السداد.

فقام عبيد فقال: أيها الناس إنكم و الله إن اتبعتموه و أطعتموه لن يضلّ بكم عن منهل نبيكم صلى الله عليه و آله حتى قيس شعره و كيف لا- يكون ذلك و قد استودعه رسول الله صلى الله عليه و آله علم المنايا و القضايا و فصل الخطاب على منهاج هارون عليه السلام و قال له:

أنت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ- أنه لا- نبيّ بعدى فضلا خصّه الله به و إكراما منه لنبيّه حيث أعطاه ما لم يعط أحدا من خلقه.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فإنّ العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخرس، فأنى حاملكم إنشاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاه، و إن كان فيه مشقّه شديده و مراره عتيده، و الدّنيا

خلوه الحلاوه لمن اغترّ بها من الشقوه و الندامه عمّا قليل. ثمّ إني اخبركم أنّ جيلا من بنى إسرائيل أمرهم نبيّهم أن لا يشربوا من النهر فلجّوا فى ترك أمره فشربوا منه إلّا قليلا منهم، فكونوا رحمكم الله من اولئك الذين أطاعوا نبيّهم و لم يعصوا ربّهم، و أمّا عائشه فأدركها رأى النساء و لها بعد ذلك حرمتها الاولى و الحساب على الله، يعفو عمّن يشاء و يعذب من يشاء.

بيان: فلان ذو عارضه أى ذو جلد و صراحه و قدره على الكلام. و ذلك أنّه تكلم فى هذا غير واحد، جمله معترضه من كلام الراوى، قيس شعره أى قدرها.

العتيد: الحاضر المهيتا. ثمّ إنّ ما نقلنا من كلامه عليه السّلام فى الزوايتين الأخيرتين عن الاحتجاج ليس بمذكور فى النهج.

«سيره على عليه السلام فى اهل البصره»

قد تظافرت الأخبار أنه لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين مناديا ينادى أن لا تجهّزوا على جريح، و لا تتبعوا مدبرا، و لا تكشفوا سترا، و لا تأخذوا أموالا، و لا تهيجوا امرأه، و لا تمثّلوا بقتيل و قال عمّار له عليه السّلام: ما ترى فى سبى الدّريه؟ قال: ما أرى عليهم من سبيل إنّما قاتلنا من قاتلنا. و قال له بعض القراء من أصحابه: اقسم من ذراريهم لنا و أموالهم و إلّا فما الّذى أحلّ دماءهم و لم يحلّ أموالهم؟ فقال عليه السّلام: هذه الدّريه لا سبيل عليها و هم فى دار هجره، و إنّما قاتلنا من حاربنا و بغى علينا، و أمّا أموالهم فهى ميراث لمستحقيها من أرحامهم، فقال عمّار رحمه الله تعالى: لا نتبع مدبرهم، و لا نجهز على جريحهم؟ فقال: لا، لأنى آمنتهم و قال عليه السّلام: مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصره أن يعتدن منهم، و إذا اتى بأسير منهم فإن كان قد قاتل قتله، و إن لم تقم عليه بينه بالقتل أطلقه.

«تجهيز على عليه السلام عائشه من البصره الى المدينه»

قال الدينورى فى الامامه و السياسه (ص ٨٧ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ): أتى محمّد بن أبى بكر فدخل على اخته عائشه قال لها: أما سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول:

علّى مع الحقّ و الحقّ مع علّى ثمّ خرجت تقاتلينه بدم عثمان؟ ثمّ دخل

عليها عليّ عليه السّلام فسلمّ وقال: يا صاحبه الهودج قد أمرك الله أن تقعدى في بيتك ثم خرجت تقاتلين. أترتحلين؟ قالت: أرتحل، فبعث معها عليّ عليه السّلام أربعين امرأة و أمرهنّ أن يلبسن العمائم و يتقلّدن السيوف و أن يكنّ من الذين يلينها و لا تطلع على أنهنّ نساء، فجعلت عائشه تقول فى الطريق: فعل الله فى ابن أبى طالب و فعل، بعث معى الرّجال، فلمّا قدم من المدينة و ضمن العمائم و السيوف و دخلن عليها فقالت: جزى الله ابن أبى طالب الجنه.

و ذكر قريبا من هذه الروايه المفيد فى كتاب الجمل (ص ٢٠٧ طبع النجف) و صرّح فيه أنّه عليه السّلام أنفذ معها أربعين امرأة على الوصف المذكور. ثمّ قال:

فجعلت عائشه تقول فى الطريق: اللهم افعل بعلّى بن أبى طالب و افعل، بعث معى الرّجال و لم يحفظ بى حرمه رسول الله صلّى الله عليه و آله، فلمّا قد من المدينة معها ألقين العمائم و السيوف و دخلن معها، فلمّا رأتهنّ ندمت على ما فرطت بدمّ أمير المؤمنين عليه السّلام و سبه و قالت: جزى الله ابن أبى طالب خيرا فلقد حفظ فى حرمه رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و قال المسعودى فى مروج الذهب: و خرجت عائشه من البصره و قد بعث معها عليّ عليه السّلام أخاها عبد الرّحمن بن أبى بكر و ثلاثين رجلا و عشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس و همدان و غيرهما ثمّ ذكر النساء على الوصف المذكور (ص ١٤ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦هـ).

أقول: الظاهر أنّ إرسال النساء معها على الوصف المذكور لا يخلو من دغدغه و لا يعقل له وجه يعتنى به، لأنّ هذه الروايات كلّها متّفقه فى أنّ الأمر التبس على عائشه فى أثناء الطريق من البصره إلى المدينة و ما فهمت أنهنّ نساء، و هذا لا يستقيم مع دهائها و فطانتها، و لأنّ هذا العمل منه عليه السّلام لو كان لحفظ حرمه رسول الله صلّى الله عليه و آله يدفعه أنّ أخاها عبد الرحمن كان معها، على أنّ العلم البتّى حاصل بأنّه لو لم يكن معها أخوها لما كان أنفذ أمير المؤمنين معها إلّا رجلا يثق بهم، و الصواب فى ذلك ما فى تاريخ أبى جعفر الطبرى بأنّه عليه السّلام سرّحها و أرسل معها جماعه من رجال و نساء، و جهّزها من غير أن يتعرّض بلبسهنّ العمائم و تقلّدهنّ السيوف

و لم ينقل ما رواه القوم أصلاً، صرح بذلك في الموضوعين: ص ٥٢٠ و ص ٥٤٧ من المجلد الثالث طبع مصر ١٣٥٧ هـ.

«قَامِرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَ وَصِيَّتُهُ لَهُ وَ خُطْبَتُهُ النَّاسَ»

قال المفيد في الجمل: و مما رواه الواقدي عن رجاله قال: لَمَّا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخُرُوجَ مِنَ الْبَصْرَةِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَ وَصَّاهُ وَ كَانَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ أَنْ قَالَ:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ الْعَدْلِ بِمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِ، وَ أَنْ تَبْسُطَ لِلنَّاسِ وَجْهَكَ، وَ تَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ مَجْلِسُكَ، وَ تَسْعَهُمْ بِحِلْمِكَ، وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبَ فَانْهَ طَيْرَةَ الشَّيْطَانِ وَ إِيَّاكَ وَ الْهَوَى فَانْهَ يَصَدِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ مَبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا بَاعِدُكَ مِنَ اللَّهِ فَمَقْرَّبُكَ مِنَ النَّارِ، وَ اذْكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

أقول: أتى ببعض هذه الوصية في آخر باب الكتب و الرسائل من النهج قوله: و من وصيه له عليه السلام بعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة:

سع الناس بوجهك و مجلسك - إلخ.

و روى أبو مخنف لوط بن يحيى قال: لَمَّا اسْتَعْمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ عَلَى الْبَصْرَةِ خُطِبَ النَّاسَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ قَالَ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ مَا أَطَاعَ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ، فَانْأَحِثُّ فِيكُمْ أَوْ زَاغَ عَنِ الْحَقِّ فَاعْلَمُوا أَنِّي أَعَزُّ لَكُمْ فَانْأَحِثُّوا أَنْ تُجِدُوهُ عَفِيفًا تَقِيًّا وَرِعًا، وَ إِنِّي لَمْ أَوْلِهِ عَلَيْكُمْ إِلَّا وَ أَنَا أَظُنُّ ذَلِكَ بِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَ لَكُمْ.

قال: فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمده أمير المؤمنين عليه السلام إلى التوجه إلى الشام، فاستخلف. عليها زياد بن أبيه و ضم إليه أبا الأسود الدؤلي و لحق بأمير المؤمنين عليه السلام حتى صار إلى صفين.

أقول: خطبته هذه ما ذكرت في النهج. و قال أبو جعفر الطبري في التاريخ:

أمر علي عليه السلام ابن عباس على البصره و ولى زيادا الخراج و بيت المال، و امر ابن عباس أن يسمع منه فكان ابن عباس يقول: استشرته عند هنيه كانت من الناس، فقال:

إن كنت تعلم أنك على الحق و أنّ من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغي و إن كنت لا تدري أشرت عليك بما ينبغي كذلك، فقلت: إني على الحق و إنهم على الباطل، فقال: اضرب بمن أطاعك من عصاك و من ترك أمرك، فإن كان أعزّ للاسلام و أصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه، فاستكتبه.

و روى ثقة الاسلام الكليني رضوان الله عليه في الكافي خطبه اخرى له عليه السلام خطب الناس في البصره بعد انقضاء الحرب نقلها الفيض قدس سرّه في الوافي أيضا (ص ١٧ ج ١٤) قال: محمد بن عيسى عن السّراد عن مؤمن الطاق عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما انقضت القصّه فيما بينه و بين طلحه و الزبير و عائشه بالبصره صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله ثم قال:

أيها الناس إنّ الدّنيا حلوه خضره تفتنّ الناس بالشهوات و تزينّ لهم بعاجلها و أيم الله إنّها لتغزّ من أملها، و تخلف من رجاها و ستورث غدا أقواما الندامه و الحسره باقبالهم عليها و تنافسهم فيها و حسدهم و بغيهم على أهل الدين و الفضل فيها ظلما و عدوانا و بغيًا و أشرا و بطرا و بالله أنه ما عاش قوم قطّ في غضاره من كرامه نعم الله في معاش دنيا و لا دائم تقوى في طاعه الله و الشكر لنعمه فأزال ذلك عنهم إلّا من بعد تغيير من أنفسهم، و تحويل عن طاعه الله و الحادث من ذنوبهم و قلّه محافظته و ترك مراقبه الله و تهاون بشكر نعمه الله، لأنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ».

و لو أنّ أهل المعاصي و كسبه الذّنوب إذا هم حذروا زوال نعمه الله و حلول نعمته و تحويل عافيته أيقنوا أنّ ذلك من الله تعالى بما كسبت أيديهم فأقلعوا و تابوا و فزعوا إلى الله تعالى بصدق من تياتهم و إقرار منهم له بذنوبهم و إساءتهم لصفح لهم

عن كلِّ ذنب، و إذا لأقالهم كل عثره و لردّ عليهم كل كرامه نعمه ثمّ أعاد لهم من صلاح أمرهم و ممّا كان أنعم به عليهم كلّ ما زال عنهم و فسد عليهم، فاتقوا الله أيّها الناس حقّ تقاته، و استشعروا خوف الله تعالى، و أخلصوا اليقين، و توبوا إليه من قبيح ما استنفركم الشيطان من قتال وليّ الأمر و أهل العلم بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله، و ما تعاونتم عليه من تفريق الجماعة، و تشتيت الأمر، و فساد صلاح ذات البين، إنّ الله يقبل التوبه و يعفو عن السيئه و يعلم ما تفعلون.

أقول: و هذه الخطبه ما ذكرت في النهج أيضا.

«إشاره اجماليه الى ما عند الأئمه من سلاح رسول الله صلّى الله عليه و آله و غيرها»

في الكافي للكليني قدّس سرّه و في الوافي ص ١٣٤ ج ٢ من الطبع المظفرى في باب ما عندهم من سلاح رسول الله صلّى الله عليه و آله و متاعه: أبان، عن يحيى بن أبي العلاء قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: درع رسول الله صلّى الله عليه و آله ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدّمها، و حلقتان من ورق في مؤخرها، و قال: لبسها عليّ عليه السّلام يوم الجمل.

و في الكافي: أبان، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: شدّ عليّ عليه السّلام بطنه يوم الجمل بعقال أبرق نزل به جبرئيل عليه السّلام من السماء، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يشدّ به على بطنه إذا لبس الدرع.

و في الفقيه: كان صلّى الله عليه و آله يلبس من القلانس اليمتيه و البيضاء و المصريه ذات الاذنين في الحرب، و كانت له عنزه يتكى عليها و يخرجها في العيدين فيخطب بها و كان له قضيب يقال له الممشوق، و كان له فسطاط يسمّى الكن، و كانت له قصعه تسمّى السعه، و كان له قعب يسمّى الرى، و كان له فرسان يقال لأحدهما المرتجز و للاخر السكب، و كل له بغلتان يقال لأحدهما الدلدل و للاخرى الشهباء و كان له ناقتان يقال لأحدهما العضباء و للاخرى الجدعاء، و كان له سيفان يقال لأحدهما ذو الفقار و للاخر العون، و كان له سيفان آخران يقال لأحدهما المخدم و للاخر الرسوم، و كان له حمار يسمّى اليعفور، و كانت له عمامه تسمّى السحاب و كان له درع تسمّى ذات الفضول لها ثلاث حلقات فضّه: حلقه بين يديها، و حلقتان

خلفها، و كانت له رايه تسمى العقاب، و كان له بعير يحمل عليه يقال له الدباج و كان له لواء يسمى العلوم، و كان له مغفر يقال له الأسعد، فسلم ذلك كلها إلى عليّ عليه السّلام عند موته و أخرج خاتمه و جعله في اصبعه فذكر عليّ عليه السّلام أنه وجد في قائم سيف من سيوفه صحيفه فيها ثلاثه أحرف: صل من قطعك، و قل الحقّ و لو على نفسك، و أحسن إلى من أساء إليك.

الكافي: محمّد، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال: ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله في المتاع سيفاً، و درعاً، و عنزه، و رحلاً، و بغلته الشهباء فورث ذلك كلّه لعليّ بن أبي طالب.

الكافي: محمّد، عن أحمد، عن الحسين، عن فضاله، عن عمر بن أبان قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عمّا يتحدّث الناس أنّه دفع إلى أم سلمه صحيفه مختمه فقال:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما قبض ورث عليّ عليه السّلام علمه و سلاحه و ما هناك، ثمّ صار إلى الحسن، ثمّ صار إلى الحسين، قال، قلت: ثمّ صار إلى عليّ بن الحسين، ثمّ صار إلى ابنه، ثمّ انتهى إليك؟ فقال: نعم.

الكافي: الاثنان، عن الوشاء، عن أبان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: لبس أبي درع رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات الفضول فخطت و لبستها أنا ففضّلت.

الكافي: الاثنان، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان، عن عبد الأعلى بن أعين، قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: عندي سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله لا انازع فيه، ثمّ قال:

إنّ السلاح مدفوع عنه لو وضع عند شرّ خلق الله لكان خيرهم، ثمّ قال: إنّ هذا الأمر يصير إلى من يلوى له الحنك فاذا كانت من الله فيه المشيئة خرج فيقول الناس ما هذا الذي كان و يضع الله له يدا على رأس رعيته.

أقول: قد مضى في (ص ٢٥٤ ج ١ من تكمله المنهاج) أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام تقدّم في صفين للحرب على بغله رسول الله صلّى الله عليه وآله الشهباء نقلاً عن المسعودي في مروج الذهب و الأخبار في ذلك المعنى متظافره جدا و نقلها و بيانها ينجران إلى بحث طويل الذيل و لسنا في ذلك المقام إلّا أنّه لما قادنا شرح الخطبه

إلى الإشارة إلى وقعه الجمل مجمله و قد تضافرت الأخبار بأن أمير المؤمنين عليه السّلام لبس درع رسول الله ذات الفضول يوم الجمل أحببت أن اشير إلى ما عند الأئمة من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرها.

ثمّ المراد من قوله عليه السّلام فى الخبر الأخير: إنّ هذا الأمر يصير إلى من يلوى له الحنك، هو قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله و ولّى العصر الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فقد آن أن نشرع فى شرح جمل الكتاب فإنّ غرضنا من شرح هذا الكتاب و الّذى قبله أن نورد واقعه الجمل على الايجاز و الاختصار و أن نبين مدارك الخطب و الخطب الواردة منه عليه السّلام فى النهج و طرق اسنادها ممّا تتعلّق بالجمل، فقد أتبعنا لذلك أنفسنا، و أسهرنا أعيننا، و بذلنا جهدنا على ما أمكننا حتّى استقام الأمر على النهج الّذى قدّمناه، فلله الحمد على ما هدانا، و له الشكر بما أولانا.

قوله عليه السّلام: (و جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم) لما أنّ أهل الكوفة أجابوا دعوته عليه السّلام مخلصين و قاموا بنصرته مرتاحين، و هو عليه السّلام من أهل بيت نبيهم خاطب أهل الكوفة فى الكتاب، و دعا لهم بدعاء مستطاب مستجاب، بقوله:

جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم.

قوله عليه السّلام: (أحسن ما يجزى العاملين بطاعته، و الشاكرين لنعتمه) العمل بطاعته تعالى فعل أوامره و ترك نواهيه، و النعمة تعمّ جميع ما أنعم الله به عباده و منه نعمه وجود الأنبياء و الأوصياء.

ثمّ إنّ الشكر بإزاء كل نعمه بحسبها كالتوبه عن الذّنوب مثلا، ففى بعضها يتمّ الشكر بالقول فقط مثلا أن يقول: الحمد لله ربّ العالمين، و فى بعضها لا يتمّ إلّا بالفعل و هو على أنحاء أيضا و منه الجهاد فى سبيل الله تعالى فمن الشكر بإزاء نعمه وجود النّبى صلى الله عليه وآله و أهل بيته أن يبذل الأموال و الأنفس دونهم كما فعل أهل الكوفة فكأنّما هو عليه السّلام أشار فى كلامه إلى أنهم عملوا بطاعه الله و شكروا لنعتمه و يمكن أن يقال: و من ثمّ أتى بهيئه الجمع دون الأفراد أى لم يقل العامل

بطاعته و الشاكر لنعمته ليومئ إلى أنهم كانوا العاملين و الشاكرين، كما يمكن أن يقال إن لفظ الجمع تنبىء عن كثره ثوابهم و جزائهم أيضا.

ثم إن فيه إيماء أيضا إلى جزاء العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته حيث خصّهما بالذكر دون غيرهما.

قوله عليه السلام: (فقد سمعتم - إلخ) أى إنما كان لكم جزاء العاملين بطاعته لأنكم أيضا سمعتم أمر الله و أطعتموه، لأنّ أمر حجه الله هو أمره تعالى، و دعيتم إلى نصره أهل بيت نبيكم و هى نصره دين الله فى الحقيقه فأجبتهم الدّاعى و إنما لم يذكر متعلقات الأفعال لأنّها ظاهره من سياق الكلام و من معانى الكلمات، أو لأنّ الغرض كما قيل ذكر الأفعال دون نسبتها إليها.

الترجمه

این یکی از نامه های آن بزرگوار است که بعد از فتح بصره بمردم کوفه نوشت:

ای مردم کوفه خداوند شما را از جانب اهل بیت پیغمبرتان نیکوترین جزائی که به اطاعت کنندگان سپاسگزارانش می دهد پاداش دهد که فرمان ولیّ خدا را شنیدید و اطاعت کردید، و بیاری دین خدا دعوت شدید و اجابت کردید.

ص: ۱۰۰

و هو الكتاب الثالث من باب المختار من كتبه

و رسائله عليه السلام

روى أنّ شريح بن الحارث قاضى أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعى شريحا و قال له:

بلغنى أنّك ابتعت دارا بثمانين ديناراً، و كتبت لها كتاباً، و أشهدت فيه شهوداً، فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فنظر إليه نظر مغضب ثمّ قال له: يا شريح أما إنّ سيأتىك من لا ينظر فى كتابك، و لا يسئلك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً و يسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة، أما لو إنّك كنت أتيتنى عند شرائك ما شريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب فى شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه، و النسخة هذه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما اشترى عبد ذليل من مَيّت قد أزعج للرحيل، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين، و خطّه الهالكين، و تجمع

هذه الدّار حدود أربعة: فالحدّ الأوّل ينتهى إلى دواعى الافات، و الحدّ الثّانى ينتهى إلى دواعى المصيبات، و الحدّ الثّالث ينتهى إلى الهوى المردى، و الحدّ الرّابع ينتهى إلى الشّيطان المغوى، و فيه يشرع باب هذه الدار، اشترى هذا المغتّر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدّار بالخروج من عزّ القناعه و الدّخول فى ذلّ الطّلب و الضّراعه، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك. فعلى مبلبل أجسام الملوّك و سالب نفوس الجبايره، و مزيل ملكك الفراعنه، مثل كسرى و قيصر و تبع و حمير، و من جمع المال على المال فأكثر، و من بنى و شيّد، و زخرف و نجّد، و ادّخر و اعتقد و نظر بزعمه للولد إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب، و مواضع الثّواب و العقاب إذا وقع الأمر بفصل القضاء و خسر هنالك المبتلون. شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدّنيا.

أقول: نقل الكتاب فى البحار (ص ٦٣٢ ج ٨ و ص ٥٤٥ ج ٩ من طبع الكمباني) نقله أبو نعيم الأصفهاني فى حليه الأولياء، و العلامه الشيخ البهائي فى الأربعين بلى ما نتلو عليك و سيأتى من ذى قبل بعض كلماته عليه السّلام لشريح فى بحثنا المعنون القضاء و القاضى فى الإسلام ذيل شرح هذا الكتاب.

«وهم ورجم»

إنّ ما يهمنّا و لا بدّ لنا منه ههنا قبل بيان لغه الكتاب و إعرابه تقديم مطلب

ص: ١٠٢

لم يتعرّضه أحد من شرّاح النهج، و هو أنّ الحافظ أبا نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ أسند هذا الكتاب في كتابه حليه الأولياء إلى الفضيل بن عياض قاله للفيض بن إسحاق في واقعه اقتضت ذلك، و بين ما في النهج و بين الحليه اختلاف يسير في بعض الألفاظ و العبارات و لكنهما واحد بلا ارتياب و دونك ما نقله أبو نعيم:

قال أبو نعيم في ترجمه الفضيل بن عياض من حليه الأولياء (ص ١٠١ و ١٠٢ ج ٨ طبع مصر ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) ما هذا لفظه:

حدّثنا سليمان بن أحمد، ثنا بشر بن موسى، ثنا عليّ بن الحسين بن مخلد قال: قال الفيض بن إسحاق: اشترت دارا و كتبت كتابا و أشهدت عدولا فبلغ ذلك الفضيل بن عياض فأرسل إليّ يدعوني فلم أذهب، ثم أرسل إليّ فمررت إليه فلما رأني قال: يا ابن يزيد بلغني أنّك اشترت دارا و كتبت كتابا و أشهدت عدولا؟ قلت: قد كان كذلك، قال: فانه يأتيك من لا ينظر في كتابك و لا يسأل عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا يسلمك إلى قبرك خالصا، فانظر أن لا تكون اشترت هذه الدار من غير مالك، أو ورثت مالا من غير حلّه، فتكون قد خسرت الدنيا و الاخره، و لو كنت حين اشترت كتبت على هذه النسخه:

هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد ازعج بالرحيل، اشترى منه دارا تعرف بدار الغرور، حدّ منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، و يجمع هذه الدار حدود أربعة: الحدّ الأوّل ينتهي منها إلى دواعي العاهات، و الحدّ الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، و الحدّ الثالث ينتهي منها إلى دواعي الافات، و الحدّ الرابع ينتهي إلى الهوى المردى و الشيطان المغوى، و فيه يشرع باب هذه الدار على الخروج من عزّ الطاعه إلى الدّخول في ذلّ الطلب، فما أدركك في هذه الدار فعلى مبلبل أجسام الملوك، و سالب نفوس الجبابره، و مزيل ملك الفراعنه مثل كسرى و قيصر، و تبع و حمير، و من جمع المال فأكثر و اتّحد و نظر بزعمه الولد، و من بنى و شيّد و زخرف و أشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عزّ و جلّ كرسيه لفصل القضاء، و خسر هنالك المبتلون، يشهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، و نظر بالعينين إلى زوال الدنيا، و سمع صارخ الزهد عن عرصاتها.

ما أبين الحقّ لدى عينين إنّ الرّحيل أحد اليومين

فبادروا بصالح الأعمال فقد دنا النقلة و الزوال. انتهى.

أقول: مع فرض صحّحه إسناد الروايه إلى الفضيل أوّلاً، و عدم سهو الراوى و عدم الإسقاط و الحذف ثانياً، ما كان للفضيل و أضرابه أن يسوقوا الكلام إلى ذلك الحدّ من الزهد فى الدّنيا و الرغبه عنها أو يعبروا تلك المعانى اللّطيفه بتلك الألفاظ الوجيزه ثالثاً، بل لا نشكّ فى أنّ سبك العبارات على هذا الاسلوب البديع، و سوق المعانى على هذا النهج المنيع و التنفير عن الدّنيا بهذه الغايه و الجوده و اللّطافه إنّما نزل من حضره القدس العلويّه.

و لا ننكر أنّ مثل تلك الواقعه وقع للفضيل أيضاً إلّا أنّ الفضيل لما رأى أنّ عمل الفيض بن إسحاق شبيه بعمل شريح و يناسبه انتقل إلى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لشريح فخاطب به الفيض تنبيهاً له، و إنّما لم ينسب الكلام إليه عليه السلام إمّا لعلمه بأنّ الفيض أيضاً عالم بذلك الكتاب لاشتهاره بين أهله، أو كان نقله من باب الاقتباس إن لم يتطرّق إليه سقط و حذف من الراوى و كم لما قلنا من نظير و شبيه نظماً و نثراً، مثلاً أنّ العروضى نقل فى كتابه المعروف ب «چهار مقاله» أى أربع مقالات، أنّ نوح بن منصور أمير الخراسان كتب إلى آلبتكين كتاباً توعّده فيه بالعقوبه و أوّده بالقتل و الأسر و النهب فلما بلغه الكتاب أمر الإسكافى الكاتب البليغ المشهور أن يجيبه عن كتابه و يستخفّ به و يستهين، فكتب الإسكافى: «يا نوح قد جادلنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما نعدنا إن كنت من الصادقين».

فانظر فيه كيف اقتبس كتابه من القرآن الكريم من غير أن يتفوّه باسناده إليه.

ثمّ لا- ننكر فضل الفضيل و أنّ له كلمات فاضله لأنّه كان له شأن و إدراك السعاده العظمى لأنّه كان من سلسله الرواه و أتى بكثير من رواياته و كلماته الأنيقه العذبه أبو نعيم فى الحليه، و لأنّه أدرك أبا عبد الله عليه السلام و اغترف من بحر حقائقه

بقدر وسعه، واقترب من كنوز معارفه بمبلغ كده و جهده، روى عنه عليه السلام نسخه يرويها النجاشي و لكن كلماته موجوده و نقل كثير منها فى الحليه بينها و بين الكتاب بون بعيد و مسافه كثيره لا تشابهه فى سلك ألفاظه و لا تدانيه فى سبك معانيه.

ثم مّا يؤيد كلامنا بأنّ الفضيل اقتبس الكتاب منه عليه السلام ما أسند إليه أبو نعيم فى الحليه أيضا و هو عن الصادق عليه السلام قال أبو نعيم (ص ١٠٠ ج ٨ حليه الأولياء الطبع المذكور): حدّثنا محمّد بن عليّ، ثنا المفضل بن محمّد الجندى، ثنا محمّد بن عبد الله بن يزيد المقرئ قال: سمعت سفيان بن عيينه يقول: سمعت الفضيل ابن عياض يقول: يغفر للجاهل سبعون ذنبا ما لم يغفر للعالم ذنب واحد. انتهى.

و هذه الروايه مع أنها لا تدلّ على أنّ الفضيل قائلها تنافى ما فى الكافى و نقلها الفيض فى الوافى (ص ٥٢ ج ١) فى أوّل باب لزوم الحجّه على العالم و تشديد الأمر عليه مسندا عن المنقرئ عن حفص بن غياث عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

و إن اختلفت ببالك أنّ تنظيم قبالة الأرض و الدار على هذا النظم المتضمّن للحدود لم يعهد مثله فى صدر الاسلام، بل صار متعارفا معهودا بعد ذلك العصر فكيف يصحّ اسناد هذا الكتاب إلى الأمير عليه السلام؟.

فاعلم: أنّ أمثال هذه الامور الغير المعهوده الصادره منه عليه السلام ليس بعزيز حتّى يستغرب من إسناد هذا الكتاب إليه عليه السلام.

و من نظر فى كتبه و رسائله حيث إنّه عليه السلام يبيّن فى بعضها آداب العامل و الوالى، و فى بعضها وظائف الخليفه و الأمير، و فى بعضها فنون المجاهده و رسوم المقاتله، و فى بعضها تعيين أوقات الفرائض، و فى بعضها ما يتمّ به صلاح الاجتماع و ما به يصير المدينه فاضله و غيرها من المطالب المتنوّعه فى الموضوعات المختلفه الشاخصه التى لم تتغيّر بتغيّر الأعصار، و لم تختلف باختلاف الأمصار قطّ، لأنّها حقائق و الحقيقه فوق الزمان و الزمانى و غير متغيّر بتغيّر الماده و الماديات، علم أنّ جميع ما فاض من سماء علمه ممّا يتحير فيه العقول، و يستغرب، و أنّ

بروز نحو هذا الكتاب منه عليه السّلام ليس بمستبعد.

على أنّه رويت عنه عليه السّلام واقعه اخرى و قبالة نظير هذه الواقعة و القبالة نقلها حسين بن معين الدّين الميبدى فى شرح الدّيوان المنسوب إلى الأمير عليه السّلام (ص ٤٤٨ طبع ايران ١٢٨٥ هـ): روى أنّ بعض أهل الكوفة اشترى دارا و ناول أمير المؤمنين عليه السّلام رقّا و قال له: اكتب لى قبالة، فكتب عليه السّلام: بسم الله الرحمن الرّحيم هذا ما اشترى ميّت عن ميّت دارا فى بلده المذنبين، و سكنه الغافلين.

الحدّ الأوّل منها ينتهى إلى الموت، و الثانى إلى القبر، و الثالث إلى الحساب و الرابع إمّا إلى الجنّة و إمّا إلى النار، ثمّ كتب فى ذيلها هذه الأبيات:

النفس تبكى على الدّنيا و قد علمت أنّ السلامه منها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلاّ التى كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها و إن بناها بشرّ خاب ثاويها

أين الملوك التى كانت مسلّطه حتّى سقاها بكأس الموت ساقياها

لكلّ نفس و إن كانت على و جل من المتيه آمال تقويها

فالمرء يبسطها و الدّهر يقبضها و النفس تنشرها و الموت تطويها

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدّهر نبنيها

كم من مدائن فى الافاق قد بنيت أمست خرابا و دون الموت أهليها

و كذا روى عن الصادق عليه السّلام نحو هذا الحديث من جهة تحديد الحدود الأربعة كما فى المناقب لمحمّد بن شهر آشوب عن هشام بن الحكم قال: كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتى الصادق عليه السّلام فى حجّه كلّ سنه، فينزله أبو عبد الله عليه السّلام فى دار من دوره فى المدينه، و طال حجّه و نزوله فأعطى أبا عبد الله عليه السّلام عشرة آلاف درهم ليشتري له دارا و خرج إلى الحجّ، فلما انصرف قال: جعلت فداك اشتريت لى الدّار؟ قال عليه السّلام: نعم، و أتى بصكّ فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما اشترى جعفر بن محمّد لفلان بن فلان الجبلى، اشترى دارا فى الفردوس حدّها الأوّل رسول الله صلّى الله عليه و آله، و الحدّ الثانى

أمير المؤمنين عليه السلام، و الحدّ الثالث الحسن بن عليّ، و الحدّ الرابع الحسين بن عليّ عليهم السلام.

فلما قرأ الرّجل ذلك قال: قد رضيت جعلني الله فداك قال: فقال أبو عبد الله عليه السّلام: إني أخذت ذلك المال ففرّفته في ولد الحسن و الحسين عليهما السّلام و أرجو أن يتقبّل الله ذلك، و يشبك به الجنّه.

قال: فانصرف الرّجل إلى منزله و كان الصكّ معه، ثمّ اعتلّ علّه الموت فلما حضرته الوفاه جمع أهله و حلفهم أن يجعلوا الصكّ معه، ففعلوا ذلك فلما أصبح القوم غدوا إلى قبره فوجدوا الصكّ على ظهر القبر مكتوب عليه: و في لى و الله جعفر بن محمد عليهما السّلام بما قال.

أقول: و للخذشه في هذا الحديث المنسوب إلى الصادق عليه السّلام مجال و إنما ذكرناه تأييدا لما قدّمنا و بالجمله إنما يستفاد من واقعه الأمير عليه السّلام مع شريح و مع بعض أهل الكوفه أنّ القبالة المتداوله في زماننا تكتب في ابتياع الأملاك حيث يتعيّن فيه الحدود و يذكر فيه الشروط و الشهود إنما كانت متعارفه في زمن الصحابه أيضا هب أنّها بتلك الكيفيّة لم تكن معهوده في صدر الإسلام، فلا بأس أن يكون أمير المؤمنين عليه السّلام مبتكره فيه، فأنّه عليه السّلام كان سباقا إلى العجائب و الغرائب دائما فلا مجال لتوهم إسناد الكتاب إلى غيره عليه السّلام بمجرد الاستبعاد بل استناده إلى مثل الفضيل مستبعد جدّا، بل عدم صحه الاسناد إليه معلوم قطعاً.

«سند الكتاب»

نحن بعون الله تعالى وجدنا أسانيد جلّ ما في نهج البلاغه و نرجو من الله الهادى تحصيل أسانيد ما لم يحصل بعد، و ببالي إن أخذ التوفيق بيدى أن أذكر أسانيد ما في النهج و ما لم يأت به الرّضى رضوان الله عليه من كلامه عليه السّلام في آخر الشرح.

فنقول: يا ليت الرّضى ذكر أسانيد ما نقل في النهج و مدار كه لثلاً يتقوّل عليه بعض الأقاويل، و لكنّ الانصاف أن يقال: كفى في سنده أنّ مثل الرّضى

أسنده إليه عليه السلام.

ثم نقول في المقام: أولا- إن الشريف الرضي مع جلاله شأنه و فخامه أمره و تتبعه في الاثار و عرفانه بالأخبار و تبخره في فنون الكلام و تضلعه في جل ما أتى به الشرع أسند الكتاب أعنى ذلك الكتاب الذي كتبه عليه السلام لشريح، إليه عليه السلام و ثانيا أن العلامة الشيخ بهاء الدين العاملي قدس سره رواه مسندا في كتابه المعروف بالأربعين و هو الحديث الرابع عشر منه و سلسله سنده من المشايخ العظام و الرواه الأجلاء، فبعد اللتيا و التي فلا مجال لأحد أن يناقش في إسناد الكتاب إليه عليه السلام، و في اقتباس الفضيل منه عليه السلام و دونك الكتاب و سنده على ما في الأربعين.

روى الشيخ رحمه الله بسنده المتصل إلى الشيخ الجليل محمد بن بابويه - و قد ذكر سنده إلى ابن بابويه في الحديث الأول من الأربعين - عن صالح بن عيسى بن أحمد، عن محمد بن محمد بن علي، عن محمد بن الفرج الرخجي - بالراء المهملة المضمومه و الخاء المعجمه المفتوحه و الجيم ثقه من أصحاب الرضا عليه السلام - عن عبد الله بن محمد العجلي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى - المعروف بشاه عبد العظيم المدفون بالرى - عن أبيه، عن أبان مولى زيد بن علي، عن عاصم بن بهدله قال:

قال لى شريح القاضى: اشتريت دارا و كتبت كتابا و أشهدت عدولا، فبلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبعث إلي مولاه قنبر، فأتيته فلم ياد دخلت عليه قال: يا شريح اتق الله فإنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، و لا يسأل عن بيتك حتى يخرجك من دارك شاخصا، و يسلمك إلى قبرك خالصا، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها، و وزنت مالا من غير حلّه، فاذا قد خسرت الدارين جميعا: الدنيا و الاخره، ثم قال عليه السلام: فلو كنت عند ما اشتريت هذه الدار أتيتنى فكتبت لك كتابا على هذه النسخه إذ لم تشتريها بدرهمين، قال: قلت:

و ما كنت تكتب يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: كنت أكتب لك هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت ازعج بالرحيل اشترى دارا في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين و تجمع هذه الدار

حدود أربعة: فالحدّ الأوّل منها ينتهى إلى دواعى الافات، و الحدّ الثانى منها ينتهى إلى دواعى العاهات، و الحدّ الثالث منها ينتهى إلى دواعى المصيبات، و الحدّ الرابع منها ينتهى إلى الهوى المردى و الشيطان المغوى، و فيه يشرع باب هذه الدّار.

اشترى هذا المفتون بالأمل، من هذا المزعج بالأجل، جميع هذه الدّار بالخروج من عزّ القنوع، و الدّخول فى ذلّ الطلب، فما أدرك هذا المشتري من درك فعلى مبلى أجسام الملوّك و سالب نفوس الجبابره مثل كسرى و قيصر، و تبّع و حمير، و من جمع المال إلى المال فأكثر، و بنى فشيّد، و نجّد فزخرف و ادّخر بزعمه للولد، إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض لفصل القضاء، و خسر هنالك المبطلون شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسرى الهوى، و نظر بعين الزوال لأهل الدّنيا، و سمع منادى الرّهد ينادى فى عرصاتها:

ما أبين الحقّ لذي عينين إنّ الرّحيل أحد اليومين

تزوّدوا من صالح الأعمال، و قرّبوا الامال بالاجال.

«اللغة»

(على عهده) أى فى زمانه فإنّ كلمه الجارّه ههنا بمعنى فى، و أحد معانى العهد الزّمان، ففى أقرب الموارد: كان ذلك فى عهد شبابى أى زمانه، و منه كان ذلك على عهد فلان أى فى زمانه. انتهى.

(دينار) الدّينار ضرب من النقود القديمه الذهبية، و فى أقرب الموارد أنه فارسى معرّب، و أصله دَنّار بالتشديد بدليل جمعه على دنانير و تصغيره على دنينير، لأنّهما يرجعان الكلمه إلى أصلها غالبا فابدل من أحد حرفى تضعيفه ياء لثلا يلتبس بالمصادر الّتى يجيء على فعّال كقوله تعالى: «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا» (النبا - ٢٩) إلّا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنّاره و الدنّامه لأنّه أمن الان من الالتباس، قاله فى الصحاح.

(استدعاه) أى طلبه (أشهدت فيه شهودا) أى أحضرت فيه شهودا، أو تكون

كلمه فى الجاره بمعنى على نحو قوله تعالى « وَ لَأَصِلَّبَنَّكُمْ فِى حُجْدُوعِ النَّخْلِ » (طه ٧٦) و يقال: أشهد فلانا على كذا أى جعله شاهدا عليه، فالمعنى و جعلت قوما شهودا عليه، و الشهود جاء مصدرا و غير مصدر و المراد هنا الثانى يقال: شهد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا شهاده من بابى علم و كرم إذا أدى ما عنده من الشهاده، فهو شاهد فيجمع على شهود نحو عادل و عدول، و شهد كصاحب و صحب، و أشهاد كناصر و أنصار و شاهدين كعالم و عالمن. و فى نسختى الأربعين و حليه الأولياء: و أشهدت عدولا و لكن الشهود أنسب بالمقام من العدول.

(أما) بفتح الأول و تخفيف الثانى: حرف تنبيه ههنا.

(سيأتىك من) المراد من من إما الموت أو ملك لموت، و الثانى أولى لأن من يستعمل غالبا فى ذوى العقول كما أن ما يستعمل غالبا فى غير ذوى العقول و إنما قلنا غالبا لأن ما قد يستعمل فى ذوى العقول كقوله تعالى: « وَ السَّمَاءِ وَ ما بَنَاهَا » (الشمس - ٦) و من فى غير ذوى العقول كقوله تعالى « فَمِنْهُمْ مَنْ يَمِشَى عَلَى بَطْنِهِ » (النور - ٤٥) و التفصيل مذكور فى الموصولات من كتب النحو.

(لا ينظر فى كتابك) يقال: نظره و نظر إليه إذا أبصره بعينه و نظر فيه إذا تدبره و فكر فيه، يقدره و يقيسه و منه قوله تعالى «فَنظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَاقِيمٌ» (الصفاء - ٨٧ و ٨٨) و لذا قال بعضهم: إنَّ نظر يتعدى إلى المبصرات بنفسه و يتعدى إلى المعانى بفى.

(لا يسألك عن بينتك) السؤال إذا كان بمعنى الاستخبار يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه و إلى الثانى بعن كما فى المقام، و قد يتعدى إلى الثانى بالباء مضمَّنه معنى عن نحو: سل به خبيرا، أى سل عنه، و قد تخفف الهمزه من فعله فيقال سال يسال سل و مسول كخاف يخاف خف و مخوف، المستفاد من ظاهر كلام المرزوقى فى شرح الحماسه (الحماسه ٧٥٧ ص ١٧١٥ طبع مصر ١٣٧١ هـ) أنَّ التخفيف هو لغه هذيل. قال عبد الله بن الدمينه (الحماسه ٥١٠).

سلى البانه الغناء بالأجرع الذى به البان هل حَبِيت أطلال دارك

فقوله: سلى، كان أصله أسألى فحذف الهمزة تخفيفاً وألقت حركتها على السين فصار اسلى، ثم استغنى عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فحذفت فصارت سلى، وعلى هذا القياس قوله تعالى: «سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ» (البقره - ٢٠٩).

(البينه) الحجّه. و فى نسخه الأربعين عن بيتك أى دارك التى اشتريتها و الأوّل أنسب بالمقام، و ما يختلج فى البال أنّ الثانى حرّف من الكتاب و إلّا لقال عليه السّلام: حتّى يخرجك منه، لا من دارك كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام، و الشاهد لذلك ترجمه ابن خاتون العاملى بالفارسيه فى شرحه على الأربعين للشيخ بهاء الدّين قدّس سرّه حيث قال: زود باشد كه بر تو وارد شود شخصى كه نگاه بسند تو نكند، و از گواهان تو چیزی نپرسد، إلخ. على أنّ النسختين متفقتان فى الأوّل.

(شاخصاً) إشاره إلى قوله تعالى: «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» (الحجر-٤٤) و قوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» (الأنبياء ٩٨) قال الراغب فى المفردات: قال تعالى: تشخص فيه الأبصار، شاخصه أبصارهم أى أجفانهم لا تطرف. و فى مجمع البيان التفسير: شخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله، و شخص عن بلد إلى بلد و شخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه. يقال: شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف مع دوران فى الشحمه، و شخص الميت بصره و ببصره أى رفعه، و فى منتهى الارب: شخص بصره:

واكرد چشم را و وا داشت و بر هم نزد آنرا و بلند کرد نگاه را، و شخصت عينه باز ماند چشم او.

و يمكن أن يتخذ الشاخص من شخص المسافر من بلد إلى بلد شخوصاً بمعنى ذهب و سار و خرج من موضع إلى غيره، و منه حديث إقامه العاقل أفضل من شخوص الجاهل.

أو من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدف، و منه الدعاء: اللّهم إليك شخصت

الأبصار أى ارتفعت أجفانها ناظره إلى عفوك و رحمتك، قال الجوهرى فى الصحاح:

أشخص الرامى إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، و هو سهم شاخص، فالمراد على هذا الوجه الأخير حتى يخرجك منها مرفوعا أى محمولا على أكتاف الرجال.

و الوجهان الأخيران مما احتملها الشيخ فى الأربعين أيضا و جعل العبارة على الأوّل كناية عن الموت، فأنه ذكر معنى الشاخص على الوجه الذى أتى به الجوهرى فى الصّحاح حيث قال: شخص بصره بالفتح فهو شاخص إذا فتح عينيه و صار لا يطفرف، و هو كناية عن الموت و كذا الطريحي فى مجمع البحرين.

و لكن فى أقرب الموارد بعد ما فى الصحاح أتى بقميد زائد و هو قوله: مع دوران الشحمه، و هذا المعنى لا- يناسب قوله عليه السلام: حتى يخرجك، فإن المرء ما لم يمّت لا- يخرج من داره، و لا يخفى أنّ المعنى الذى ذكره فى الصحاح لا يشير إلى الموت، غايه الأمر إلى شدّه الأمر و هو له، و لذا فسّر الكلبى كما فى مجمع البيان قوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» بقوله: إنّ أبصار الذين كفروا تشخص فى ذلك اليوم أى لا- تكاد تطرف من شدّه ذلك اليوم و هو له، ينظرون إلى تلك الأهوال.

و بالجمله إنّ شخص بالمعنى الأوّل لا يدلّ على موت الشاخص إلا أن يؤخذ الشاخص من شخص الميت بصره و ببصره إذا رفعه، و كذا شخصت عينه، حتى يستقيم المعنى الكنائى، أو من شخص المسافر بمعنى ذهب و سار على نوع من التجوّز.

(يسلمك إلى قبرك) من التسليم أى يعطيك قبرك و يناولك إياه يقال: سلّمه إلى فلان أى أعطاه إياه فتناوله منه، و يمكن أن يؤخذ من الاسلام لأنّ أسلم جاء بمعنى سلّم أيضا يقال: فلان أسلم أمره إلى فلان أى سلّمه إليه.

(خالصا) الخالص هو المحض و المراد هنا العارى من أعراض الدّنيا و حطامها أى يخرجك عاريا منها.

(نقدت الثمن من غير حلالك) يقال: نقدته و نقدته لفلان الثمن أى أعطيته

إيَّاه نقدا معجلاً، فالمراد أنك ابتعتها بيعا نقدا أى بيع الحال بالحال.

و على نسخه الشيخ فى الأربعين: و وزنت مالا- من غير حلّه، أى وزنت للدّار أو لبائعها مالا يقال: وزنت فلانا وزنت لفلان كما يقال: كلت زيدا و كلت لزيد قال تعالى «وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » (المطففين - ٤).

و على نسخه أبى نعيم فى الحليه: أو ورثت مالا- من غير حلّه، و معناه ظاهر و لكن الصواب أن يقال: إن ورثت محرف و زنت لعدم مناسبه ورثت فى المقام و تفسير العبارة على ورثت لا يخلو من تكلف و تعسف. و ما فى المتن موافق للنسختين.

(ترغب فى شراء) الأفعال كما تتغير معانيها بتغير الأبواب سواء كانت الأبواب مجردة أو غير مجردة كذلك تتغير معانيها بتغير صلاتها، و كذا الحكم فى مصادرها، فالرغبه و مشتقاتها إذا كانت صلتها كلمه فى الجاره تفيد معنى الاراده و الميل إلى الشىء و نحوهما يقال: رغب فى الشىء إذا أراد و أحبّه، و مال إليه و طمع فيه و حرص عليه، و إذا كانت صلتها كلمه عن الجاره تفيد الاعراض و الترك يقال: رغب عنه إذا زهد فيه و لم يردّه و أعرض عنه و تركه قال تعالى: «وَ مَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ » (البقره - ١٢٦).

(الدرهم) بكسر الدال و فتح الهاء و كسرهما: ضرب من النقود القديمه المضروبه من الفضة للمعامله، قال فى الصحاح و منتهى الارب: إنه فارسى معرب و فى أقرب الموارد و المنجد: يونانى معرب. و ربما قالوا درهام أيضا بكسر الدال قال الشاعر:

لو أن عندى مأتى درهام لجاز فى آفاقها خاتامى

و جمع الدرهم دراهم، و جمع الدرهم دراهيم، قال الشاعر:

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرته نفى الدراهم تنقاد الصياريف

نقل البيتين فى الصحاح.

(ميت) أصله ميوت على وزن فيعل من الموت.

(ازعج للرحيل) ازعج بالبناء للمفعول أى شخص به للرحيل يقال

أزعه فانزعج أى أقلقه وقلعه من مكانه فقلق و اقلع، هذا إن كانت اللام للتعليل و إن كانت بمعنى إلى فالمعنى سيق إليه يقال: أزعه إلى المعصية أى ساقه إليها كما فى لسان العرب فى مادة أزر على ما فى أقرب الموارد.

(دار الغرور) الغرور بضم الغين المعجمه مصدر يقال غره يغره غرورا من باب نصر أى خدعه و أطمعه بالباطل و لذا قيل: الغرور تزيين الخطاء بما يوهم أنه صواب، و كذا قيل: الغرور شرك الطريق بفتحيتين، و المراد من دار الغرور الدنيا قال تعالى «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (آل عمران - ١٨٤ و الحديد - ٢١) و قال تعالى: «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ» (لقمان - ٣٥) و لذا توصف الدنيا بالغرور بالفتح و يقال: دنيا غرور بل أحد معانى الغرور بالفتح الدنيا، قال ابن السكيت كما فى صحاح الجوهري: الغرور الشيطان و منه قوله تعالى «وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ».

أقول: الصواب أن كل ما يغر الانسان من مال و جاه و شهوه و شيطان و غيرها فهو غرور بالفتح و إنما فسر بالشيطان لأنه الغار الحقيقى و تلك الامور آلات و وسائل. إذ هو أخبث الغارين، و بالدنيا لأنها تغر و تضر و تمر كما قاله عليه السلام و سيأتى فى باب المختار من حكمه.

(خطه) واحده خطط قال الجوهري فى الصحاح: الخطه بالكسر الأرض يخطها الرجل لنفسه و هو أن يعلم عليها علامه بالخط ليعلم أنه قد اختارها لنفسه لبيئها دارا، و منه خطط الكوفه و البصره، و المراد منها البقع و الناحيه و الجانب و أمثالها و يقال بالفارسيه: سرزمين.

(تجمع هذه الدار) أى تحويها و تحيط بها. (دواعى) جمع الداعيه بمعنى السبب، قال الحريرى: و تآقت نفسى إلى أن أفض ختم سره و أبطن داعيه يسره، أى أعرف باطن سبب يسره نقله فى أقرب الموارد، دواعى الدهر: صروفه، دواعى الصدر: همومه، و لكن المراد هنا معناها الأول أى أسباب الافات و المصيبات.

و فى الحليه: و الحد الأول منها و فى الأربعين و الحد الثانى منها ينتهى إلى دواعى العاهات، و هى جمع العاهه أى الافه، و أصل العاهه عوهه، يقال: عيه الزرع و أيف و أرض معيوهه أى ذات عاهه و طعام ذو معوهه أى من أكله أصابته عاهه و فى النهايه الأثيريه:

فى الحديث نهى عن بيع الثمار حتى تذهب العاهه، أى الافه التى تصيبها فتفسدها يقال: عاه القوم و أعوهوا إذا أصابت ثمارهم و ماشيتهم العاهه، و منه الحديث:

لا يورد ذو عاهه على مصح، أى لا يورد من بابه آفه من جرب أو غيره على من إبله صحاح لثلا ينزل بهذه ما نزل بتلك فيظن المصح أن تلك أعدتها فيأثم.

و فى مجمع البحرين: فى الحديث بظهر الكوفه قبر لا- يلوذ به ذو عاهه إلا شفاه الله، أى آفه من الوجع، و فى الحديث: لم يزل الإمام مبرء عن العاهات أى هو مستوى الخلقه من غير تشويه.

و قيل: الفرق بين الافات و العاهات أن العاهات تكون الأمراض الظاهرية من قبيل برص أو جذام، و الافات تكون الأمراض الباطنيه من مثل الحمى.

(المردى) اسم فاعل من الإرداء بمعنى الاهلاك، فالهوى المردى أى الهوى المهلك، و الردى: الهلاك، و المراد هنا هلاك الدين، و يقال أيضا: أرداه فى البئر مثلا أى أسقطه فيها، فالمعنى على هذا الوجه الهوى المسقط إلى هوه جهنم و مال المعنيين واحد.

(المغوى) كالمردى فاعل من الاغواء أى المضل، و هو إشاره إلى قوله تعالى حاكيا عن الشيطان: «وَأَلْغَوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ» (الحجر - ٤١) «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» (ص - ٨٥).

و فى الحليه (زقاق الفناء) الزقاق بضم الأول و تخفيف الثانى: السكه و قيل:

الطريق الضيق دون السكه نافذا كان أو غير نافذ يذكر و يؤنث جمعه زقاق بالضم فالتشديد و أزقه.

(يشرع) بالبناء للمفعول من الاشرع أى يفتح، و فى القاموس: أشرع بابا إلى الطريق فتحه. أو من الاشرع بمعنى التهيؤ أى يتهيأ للدخول و الخروج

نحو قول جعفر بن علبه الحارثي (الحماسه ٤):

فقالوا لنا ثنتان لابد منهما صدور رماح اشرفت أو سلاسل

أى إذا كان الأمر على هذا فلا بد من أحدهما إما صدور رماح هيأت للطعن أو سلاسل، أى إما القتل أو الأسر و لكن المعنى الأول أبين و أنسب.

فى الأربعين: بالخروج من عز القنوع، و القنوع بالضم: القناعه.

(الضراعه): الذله: مصدر من ضرع ضراعه من بابى منع و شرف أى خضع و ذل و تذلل.

(أدرک) بمعنى لحق يقال: طلب الشىء حتى أدركه أى حتى لحقه و وصل إليه.

(درك) قال فى الصحاح: الدرک التبعه، تسكن و تحرك، يعنى أن الدرک يقرأ على وجهين بفتح الأولين و بفتح الأول و سکون الثانى يقال: ما لحقتك من درک فعلى خلاصه. و المراد من الدرک هنا ما يضر بملكیه المشترى كأن يدعى أحد كان المبيع ملكه و بيع بغير حق و كان البائع غاصبا و غير ذلك.

(مبلبل) اسم فاعل من بلبل القوم ببلبه و بلبالا- إذا هيجهم و أوقعهم فى الهم و وسواس الصدور. قال باعث بن صريم «على التصغير»:

سائل أسيد هل تأرت بوائل أم هل شفيت النفس من بلبالها

أى من همها و حزنها (الحماسه ١٧٥).

و قال منصور النمرى:

فلما رآنى كبر الله وحده و بشر قلبا كان جما بلبله

أى كانت غمومه مجتمعته عليه (الحماسه ٧٤٩).

أو من بلبل الألسنه أى خلطها أى يخلط و يمزج أجسامهم بتراب القبر.

أو من بلبل الشىء إذا فرقه و مزقه و أفسده بحيث أخرجه عن حد الانتفاع به، و المراد هنا المعنى الثانى أو الثالث كما هو ظاهر لاغبار عليه، فلا حاجه إلى ما تكلف به الشيخ محمد عبده حيث فسر مبلبل الأجسام بقوله: مهيج داءاتها

المهلكه لها.

و فى نسخه الشيخ فى الأربعين: فعلى مبلى أجسام الملوك، وقال قدس سره فى بيانه: مبلى كمكرم من البلاء بالكسر و هو الدثور و الاندراى، و كذا ابن الخاتون العاملى فى شرحه قال: مبلى بر وزن مكرم مأخوذ از بلاى بكسر با است كه بمعنى دثور و اندراس است يعنى از هم پاشیدن و ريزه ريزه شدن، و لم ينقل- غير المبلى نسخه اخرى فعندهما المبلى هو المتعين، و فى النهج و الحليه:

المبلى مكان المبلى، و مال الكل واحد يقال: أبلى الثوب أى أخلقه و بلبله أى مزقه و أفسده، فمعنى أحدهما قريب من الآخر.

(سالب نفوس الجابره) سلبه يسلبه سلبا و سلبا من باب نصر أى انتزعه من غيره على القهر، و النفوس جمع النفس و هى هنا بمعنى الروح، و الجابره:

الملوك كما فى اللسان فسالب نفوس الجابره أى قابض أرواح الملوك أو أن الملوك أحد بعض مصاديق الجابره.

ثم الظاهر أنه عليه السلام كنى بالمبلى و السالب و المزيل عن الله جلت عظمته و يمكن إرادته ملك الموت منها و لكن الشيخ صرح فى الأربعين بأن المراد منها الموت فليتأمل.

(كسرى) بكسر الكاف و فتحها أيضا لقب ملوك الفرس، و هو معرب خسرو أى واسع الملك و أحد جموعه: أكاسره.

(قيصر) لقب ملوك الروم و جمعه: قياصره.

(تبع) بضم التاء المثناه من فوق و تشديد الباء الموحده المفتوحه. لقب ملوك اليمن و الجمع: تبايعه.

(حمير) بكسر أوله و فتح ثالثه أبو قبيله من اليمن و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و منهم كانت الملوك فى الدهر الأول و اسم حمير العرنج، قاله فى الصحاح.

(شيد) الشيد بكسر الشين ما يطفى به الحائط من حص أو بلاط و نحوهما

و بالفتح المصدر يقال: شاده يشيده شيذا بالفتح جصصه، و هو مشيد أى معمول بالشيء قال تعالى: «وَقَصْرٍ مَشِيدٍ» و نقل إلى باب التفعيل للمبالغة، أو يكون من شيء البناء أى رفعه كما فى أقرب الموارد و كذا فى الصحاح حيث قال: و المشيد بالتشديد المطول، أو من شيء قواعده أى أحكمها.

قال الكسائى: المشيد للواحد من قوله تعالى «وَقَصْرٍ مَشِيدٍ» و المشيد بالتشديد للجمع من قوله تعالى «فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ» نقله فى الصحاح.

أقول: الظاهر أن الكسائى أراد أن المشيد و المشيد بمعنى واحد إلا أن الأول يستعمل فى المفرد و الثانى فى الجمع فلا يقال قصر مشيد بالتشديد أو بروج مشيده بالتخفيف فتأمل.

(زخرف) زخرفه أى زينه و حسنه، و الزخرف كل ما حسن به الشئ و المزخرف المزين قال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ» (يونس-٢٦).

قال عنتره بن الأخرس (الحماسه ٨١٧):

لعلك تمنى من أرقام أرضنا بأرقم يسقى السم من كل منطف

تراه بأجواز الهشيم كأنما على متنه أخلاق برد مفوف

كأن بضاحى جلده و سراته و مجمع ليته تهاويل زخرف

شبه بارز جلد الحيه و ظهره و مجمع صفحتى عنقه لاختلاف ألوانها بالتهاويل التى تزخرف بها الإبل. و فى المفردات: الزخرف الزينه المزوقه و منه قيل للذهب زخرف.

قال فى الصحاح: الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور، فعلى هذا قوله عليه السلام زخرف بمعنى زينه بالزخرف أى ذهبه.

(نجد) بالنون و الجيم المشدده و الدال المهمله يقال: نجد البيت أى زينه بالبسط و الفرش و الوسائد، و فى اللسان نجدت البيت بسطته بثياب موشيه و النجد محركه: متاع البيت من فرش و نمارق و ستور، جمعه أنجاد، و نجد البيت:

ستوره التي تعلق على حيطانه يزين بها.

أو يكون نجد من النجد بمعنى ما ارتفع من الأرض أى رفع البناء، وهذا المعنى على نسخه الشيخ فى الأربعين حيث قال: «نجد فزخرف» أنسب إن لم يكن متعينا، و على نسخه الرضى المعنى الأول أنسب فإن زخرف أعنى ذهب يستعمل غالبا فى تزيين سقف البيت، و نجد فى تزيين أرضه.

(ادخر) أى اكتسب المال و خبأه لوقت الحاجة إليه، و هو افتعل من الذخر لكنه أبدل من التاء دالا فادغم الدال فيه فلك أن تقول: ادخر، و لك أن تقول: ادخر، قال منظور بن سحيم «بالتصغير» الحماسه ٤٢٢:

و عرضى أبقى ما ادخرت ذخيره و بطنى أطويه كطى ردائيا

(اعتقد) مالا: جمعه، و اعتقد ضيعه: اقتناها، تقول: اعتقد عقده إذا اشترى ضيعه، و العقده: الضيعه و العقار الذى اعتقده صاحبه ملكا أى اقتناه و غيرهما من الأموال الصامته فلك أن تقول: اعتقد أى جعل لنفسه عقده.

(الولد) بسكون الثانى و حركات الواو و بفتحهما كل ما ولده شىء و يطلق على الذكر و الاثنى و المثنى و المجموع، و هو مذكر و الجمع أولاد و ولده بالكسر فالسكون و إلهه بإبدال الواو همزه و ولد بالضم فالكسر فالأخير جاء جمعا و مفردا كالفلك قال تعالى: «وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ» (البقره - ١٦١)، و قال تعالى: «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» (يونس - ٢٤) فالأولى مفرد و الثانيه جمع.

(نظر بزعمه للولد) يقال: نظر له أى رثاه و أعانه و المراد هنا جمع المال للولد إعانه له و تحننا عليه.

(إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب) أى إرجاعهم إليه قال فى اللسان: أشخص فلانا إلى قومه: أرجعه اليهم. و يقال أيضا: أشخصه أى أزعجه و أحضره.

(العرض) أى عرض أعمالهم عليهم من عرض الشىء عليه و له أى أراه إياه

قال تعالى: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» (البقره - ٣١) «وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَبْرًا» (الكهف - ٤٧) «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَنْبِيَاءِ» (الأحزاب - ٧٣) «وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا» (الكهف - ١٠١) «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» (الأحقاف - ٣٥).

(فصل القضاء) الفصل إبانة أحد الشيتين من الاخر حتى تكون بينهما فرجه و يوم الفصل أحد أسماء القيامة قال تعالى «هذا يومُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى» (المرسلات - ٣٩) أى اليوم يبين الحق من الباطل، و قال تعالى «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» (الدخان - ٤٢) و قال: «وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» (الأنعام - ٥٨) فقوله عليه السلام: فصل القضاء أى فصل القضاء بين الحق و الباطل.

(خسر هنالك المبطلون) اقتباس من قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» (المؤمن - ٨٠).

الاعراب

«قاضى» صفة لشريح بالإضافة. «بثمانين» الباء للتعويض و المقابلة و هى الداخلة على الأعواض و الأثمان. جملة اشترى على عهده دارا بثمانين ديناراً خبر إن. «قد كان ذلك» كان تامه و ذلك فاعل لها. «نظر مغضب» مفعول مطلق لفعل نظر.

ثم إن كلمه مغضب فيما رأينا من النسخ المطبوعه من النهج مشكوله بكسر الضاد لكنها و هم و الصواب بفتحها كما فى نسخه عتيقه مصححه جدا قد رزقنا الله أثناء الشرح و وفقنا بابتياعها و قد تفألت بها التوفيق فى إتمام هذا الأثر كيف لا و فى الخبر: إذا أراد الله شيئاً هيا أسبابه.

و بعد ذلك تفضل علينا صديقنا الفاضل السيد مهدي الحسينى اللاجوردى زاده الله توفيقاً بالاطلاع على نسخه من مكتبته بدار العلم قم قوبلت بنسخه السيد الامام الرضى رضوان الله عليه، و النسختان موافقتان متنا و صحه فى عدده مواضع قوبلتا فيها، و المغضب فيهما مشكوله بالفتح.

أما من حروف التنبيه يصدر بها الجمل كلها حتى لا- يغفل المخاطب عن شيء مما يلقي المتكلم إليه، ولذا سميت حروف التنبيه، و هي: أما و ألا و ها، و الأخيره خاصه من المفردات على أسماء الإشاره حتى لا يغفل المخاطب عن الاشاره التي لا يتعين معانيها إلا بها نحو: هذا، و هاتا، و نحوهما.

«حتى لا يخرجك» الفعل منصوب بأن المقدره وجوبا و يسلمك عطف عليه.

«شاخصا» حال لضمير المفعول في يخرجك. «خالصا» حال لضمير المفعول في يسلمك.

«فانظر يا شريح لا تكون» في نسختي الأربعين و حليه الأولياء: فانظر أن لا تكون. فإن كان بمعنى تدبر و تفكر فلا بد من صلته بفي، و إن كان بمعنى أبصر إمّا أن تكون صلته بإلى، و إمّا يتعدى بنفسه يقال نظره و نظر إليه أى أبصره بعينه كما قدمنا في اللغه.

ثم إن الأولى و الأنسب أن تكون صله الفعل كلمه في الجاره المقدره حتى تفيد معنى التدبر و التأمل و التفكير أى تأمل و تدبر في أن لا- تكون اشترت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك. فعلى هذا يكون المصدر المسبوك بأن الناصبه منصوبا بنزع الخافض، أى تأمّل في عدم كونك شاريا لها من غير مالك و في أدائك ثمنها من غير حلالك، و أمّا نسخه النهج فعلى وزان قوله تعالى: «أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ» (الاسراء - ٥٢) ثم اعلم الصواب أن يقرأ ما لك في قوله عليه السلام: ابتعت هذه الدار من غير مالك بهينه الفاعل لأنه لو قرئ باضافه المال إلى الضمير يلزم التكرار لأن معنى جملتي «ابتعت هذه الدار من غير مالك» و «أو نقدت الثمن من غير حلالك» واحد حينئذ فالمتعين أنه فاعل لا مضاف و مضاف إليه، و نسخه الشيخ في الأربعين «فانظر أن لا تكون اشترت هذه الدار من غير مالکها» شاهد صادق بل حجه قاطعه للمختار و قد ترجم العبارة و فسرها كثير من المترجمين و المفسرين بالإضافه و لم يتفطنوا لتلك الدقيقه.

«فاذا أنت قد خسرت» قال الشيخ في الأربعين: إذا هذه فجائيته كالمواقعه في قوله تعالى «فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» (يس - ٣٠) أى فيكون مفاجئاً للخسران.

«فلم ترغب فى شراء هذه الدار بالدرهم فما فوقه» و فى نسخه الأربعين «إذا لم تشتريها بدرهمين» و قال الشيخ فى إعرابه: إذا حرف جواب و جزاء و الأ-كثر وقوعها بعد أن و لو، و اختلف فى رسم كتابتها و الجمهور بالألف و المازنى بالنون، و الفراء كالجمهور إن أعملت و كالمازنى إن أهملت. انتهى قوله.

أقول: و أمّا على نسخه النهج فقوله عليه السّلام: بالدرهم فما فوقه. الفاء للعطف و ما نكره موصوفه أو بمعنى الذى مجرور محلاً بالباء و لم تعد لأنّه عطف على الظاهر و العامل فى فوق على الوجهين الاستقرار، و المعطوف عليه الدرهم و سيأتى توجيه قوله عليه السّلام فما فوقه و تحقيقه فى المعنى إن شاء الله تعالى.

«من مَيّت قد ازعج للرحيل» قد ازعج للرحيل صفة للميت لأنه نكره كالدليل للعبد. «اشترى منه داراً» بدل للأوّل كالثالث.

و القياس أن يقال: هذه ما اشترى لأنّ ما ابتاعها كانت دارا كقوله عليه السّلام:

تجمع هذه الدار، و لكنّه عليه السّلام قال: هذا ما اشترى باعتبار المنزل و نحوه.

«دارا من دار الغرور» كلمه من بمعنى فى إن كان المراد من دار الغرور الدّنيا كما بينا أى دارا فى دار الغرور نحو قوله تعالى (الجمعه - ١٠) «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» أى فى يوم الجمعة، و يمكن أن تكون من على هذا الوجه للتبعيض أيضا كما هو ظاهر أو يكون الظرف مستقرا صفة للدّار، و إن كانت من لبيان الجنس لا يكون المراد منها الدّنيا. نحو من الثانيه فى قوله تعالى «يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» (الكهف - ٣١) أى دارا هى دار الغرور.

«تجمع هذه الدار حدود أربعة» هذه الدار مفعول قدّم و حدود فاعل تجمع و فى بعض نسخ الأربعين جعلت هذه الدار فاعل الفعل و حدود مفعوله حيث كتب

تجمع هذه الدار حدودا أربعة، ولكنه من تحريف النساخ و تصرفهم.

«فالحَدَّ الأَمُول» الفاء هذه للترتيب الذكري لأَنَّ أكثر ما يكون ذلك في عطف مفصّل على مجمل نحو قوله تعالى: «فَقَدَّ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» (النساء - ١٥٣).

«بالخروج من عزّ القناعه» الباء للعرض و المقابله أى اشترى هذا بهذا كما تقول: اشتريت هذه الدار بهذه الدنانير. و الدّخول مجروره معطوف على الخروج «فما أدرك» كلمه ما إمّا موصوله أو موصوفه و على التقديرين مبتداء و خبره جمله «فعلى مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض» لأنّ إشخاصهم مبتداء ثان و خبره على مبلبل أجسام الملوك قدّم لتوسعه الظروف، و هذه الجملة الاسميّه خبر لما.

«من درك» من بيانيّه بيّن ما «فعلى مبلبل» كلمه الفاء جواب لما لأنه على حدّ: الّذى يأتيني فله درهم، أعنى من المواضع الّتى يتضمّن المبتدأ فيها معنى الشرط فتدخل الفاء فى خبره نحو قوله تعالى: «و ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» (النحل - ٥٥) و قوله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» (الجمعه - ٨) و كأنما أراد الشيخ فى الأربعين هذا المعنى حيث قال: ما فى ما درك شرطيه، سالب عطف على مبلبل، و كذا المزيل.

«و من جمع» من موصول اسميّ معطوف على الفراعنه أى مزيل ملك الّذى جمع المال - إلخ، أو على كسرى كقيصر و أخويه و كأنّ الأخير أظهر و كذا الحكم فى من الثانى، و نسخه الشيخ هكذا: و من جمع المال إلى المال فأكثر و بنى فشيد و نجد فزخرف.

و لولا كلمه - إلى - مكان - على - لكانت نسخته أولى من النهج لعدم الاحتياج إلى من الثانى أولا، و عدم تنسيق العبارة على نظام واحد فى النهج ثانيا، و خلّوه عن التعريفات الحسنه الأنيقه ثالثا.

و أمّا كلمه إلى و إن كانت تفيد معنى صحيحا فى المقام و لكن على أصحّ و أفصح

منها. و الفاءات تفيد الترتيب «بزعمه» الباء للسببيه.

إلى موقف العرض متعلق بالاشخاص، و الظرف لغو، و على نسختى الشيخ و أبى نعيم «ما أبين الحق» كلمه ما للتعجب.

ما الذى اوجب سخط الامير عليه السلام

على عمل شريح حتى كتب له ذلك الكتاب؟

قبل الورود فى تفسير جمل الكتاب لا بد من ذكر مقدمه ليزيد الطالب بصيره فى غرض الكتاب، و هى:

أنّ سفراء الله تعالى لم يمنعوا التّياس عمّا لا مناص عنها فى حياتهم كتعلّم المعارف و تحصيل المأكّل و المشرب و الملبس و المنكح و بناء الدّور و اتّخاذ الحرف و الصنائع و نحوها ممّا هى ضروريّه لحفظ نظام الاجتماع و بقاء بنى نوع الانسان، بل ندبواهم إليها و رغّبواهم فيها و حرّموا عليهم الرّهائيه بأنّ الانسان مدنيّ بالطبع، و كذا لم يدع أحد و لم يرو أنّ حجّه من الحجج الالهيه عاتب أحدا فى قبال عمله الصحيح العقلانى، بل حدّروهم و نهوهم عما يحكم العقل الناصع بقبحه و يذمّ من ارتكبه كالسرقة و الكذب و الافتراء و الخيانه و الغصب و الاقتداء بالنساء و نحوها ممّا هى تضرّ سعادته الاجتماع، و تمنع الناس عن التكامّل و الارتقاء، و تورث بينهم العداوه و البغضاء.

و هذا هو أمير المؤمنين على عليه السّلام يمدح هديّه و يذمّ اخرى، لأنّ الاولى كانت عاربه عن الهوى، و الثانيه كانت مشوبه بها، فانها كانت رشوه فى صورته هديّه أتى بها آت ليلا و زعم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام يضلّ بها عن الحقّ، و يفسق عن أمر ربّه أمّا مدحه عليه السّلام الاولى فبعض من كان يأنس إليه عليه السّلام من أصحابه دعاه إلى حلواء عملها يوم نوروز، فأكل و قال عليه السّلام: لم عملت هذا؟ فقال: لأنّه يوم نوروز، فضحك عليه السّلام و قال: نورزوا لنا فى كلّ يوم إن استطعتم.

و أمّا ذمّه الثانيه فإنّ أشعث بن القيس أهدى له نوعا من الحلواء تأتق فيه و ظنّ الأشعث أنه يستميله بالمهاداه لغرض دنيوى كان فى نفس الأشعث، و كان

يبغض أمير المؤمنين عليه السلام فردّه هديّته و قال:

و أعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفه فى وعائها و معجونه شنتتها كأنما عجت بريق حيّه أوقينها، فقلت: أصله؟ أم زكاه؟ أم صدقه؟ فذلك كله محرّم علينا أهل البيت، فقال: لا- ذا و لا- ذاك و لكنّها هديّه، فقلت: هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى أم مختبط أم ذوجّه أم تهجر؟ و الله لو اعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نمله اسلبها جلب شعيره ما فعلته، و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تقضمها ما لعلى و نعيم يفنى، و لذّه لا- تبقى نعوذ بالله من سبات العقل و قبح الزلل و به نستعين (ذيل الكلام ٢٢٢ من باب الخطب من النهج).

ثمّ إذا كان المتجر الحلال و تحصيل ما يحتاج إليه الناس و منه ابتياع الدار ممدوحا شرعا و عقلا حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: من سعادته المرء المسلم المسكن الواسع، و قال أبو جعفر عليه السّلام: من شقاء العيش ضيق المنزل و غيرهما من الأخبار المرويّه فى الكافى و غيره (الوافى ص ١٠٧ ج ١١).

فلازم للعاقل المستبصر أن ينظر فى قول أمير المؤمنين عليه السّلام لشريح حتى يظهر له سبب سؤاله شريحا عن داره هذه فإنّ شريحا كان قاضيا من قبله عليه السّلام و سيأتى ترجمته فى ذيل الشرح، و الظاهر أنّ شريحا تجاوز عن الحقّ فى أوان قضائه و اشترى بالارتشاء أو نحوه بيتا فصار عمله هذا سبب مؤاخذه أمير المؤمنين عليه السّلام إياه على ابتياع الدار سيّما أنّ القائمين بامور الدّين كالقاضى و المفتى و المدرّس و المؤدّن و الخطيب و الامام و أمثالهم لا تعظم ثروتهم فى الغالب.

و لا ريب أنّ أزمّه الامور إذا كانت بيد رجل إلهى خير للاجتماع و رؤف بالناس يجتاح شوكة الجور و العدوان من أصله و لا يدع أحدا أن يتجاوز عن قانون الفطره و ينحرف عن الحقّ فلا جرم يدور رحى الاجتماع على محور العدل.

و بالجمله أنّ ما أوجب سخطه عليه السّلام على شريح و عمله كما يلوح من ظاهر كتابه عدول شريح عن الحقّ و تجاوزه عن حقوق الناس حتّى اشترى دارا بثمانين دينارا

من غير حلال، و لو لا ذلك لما سخط عليه و ما جعل له أحد الحدود الحدّ الذي ينتهي إلى الشيطان المغوى و فيه يشرع باب هذه الدار.

المعنى

إشارة

قوله: (روى أنّ شريح بن الحارث قاضى أمير المؤمنين عليه السلام) سندكر فى ذيل شرح الكتاب ترجمه شريح و نسبه و خبره و مدّه قضائه و ما قيل فيه إنشاء الله تعالى قوله: (اشترى على عهده دارا بثمانين ديناراً) أى اشترى فى زمان حياه أمير المؤمنين عليه السلام داراً فى الكوفه كان ثمنها ثمانين ديناراً، و إنّما قلنا اشترى داراً فى الكوفه لأنه كان قاضياً فيها، و يظنّ ظاهراً أنّه اشترى الكوفه أيضاً.

قوله: (فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً) أى بلغ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ابتياع شريح تلك الدار فطلب عليه السلام شريحاً.

قوله: (و قال له بلغنى أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً و كتبت لها كتاباً و أشهدت فيه شهوداً) أى قال عليه السلام لشريح: بلغنى اشترى داراً ثمنها ثمانون ديناراً، و كتبت لها قبالة و أحضرت فى ذلك شهوداً، أو جعلت قوماً شهوداً عليه على أن تكون فى بمعنى على.

قوله: (فقال له شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين) أى قد ثبت و وقع ذلك لأنّ كان تامه.

قوله: (قال فنظر إليه نظر مغضب) أى قال الزاوى و هو عاصم بن بهدله على روايه الشيخ قدّس سرّه فى الأربعين، و لا يجوز إرجاع الضمير إلى شريح و إلا لقال فنظر إلى.

ثمّ إنّ غضب سفراء الله و أوليائه على غيرهم لا يكون إلاّ لله عزّ و جلّ، و إنّما كان ذلك من كمال إيمانهم بالله و غايه رافتهم بالناس، لأنهم لا يحبّون أن تشيع الفاحشه أو يرتكب أحد منكراً، و شريح قد آسف أمير المؤمنين عليه السلام باعترافه باشتراء الدار فنظر عليه السلام إليه نظر مغضب و ذلك لما قدّمنا أنّ شريحاً لو لم يظلم أحداً على اشترائها و لم يتجاوز عن الحقّ لما سخط عليه السلام عليه و لما جعل أحد حدود الدار الحدّ الذي ينتهي إلى الشيطان المغوى.

قوله: (ثمّ قال يا شريح أما أنه سيأتيك) و فى نسخه الشيخ فى الأربعين «قال

يا شريح اتق الله فانه سيأتيك» أى خف الله و احذر ما حرّمه عليك، قال بعضهم:

التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، و لا يفقدك حيث أمرك. و قيل: المتقى الذى اتقى ما حرّم عليه و فعل ما أوجب عليه. و قيل: هو الذى يتقى بصلاح أعماله عذاب الله. و سأل عمر بن الخطاب كعب الأبحار عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ فقال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت و شمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، و نظمه بعض الناس فقال:

خَلَّ الذَّنُوبَ صَغِيرَهَا وَ كَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى

وَ اصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَهُ إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

و روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: إنّما سمى المتّقون لتركهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس.

و قال عمر بن عبد العزيز: التقى ملجم كالمحرم فى الحرم أتى بها الطبرسى فى المجمع ضمن قوله تعالى «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (البقره - ٣).

قوله عليه السلام: (أما إنه سيأتيك من لا ينظر فى كتابك و لا يسألك عن بيتك) أما للتنبه كأن شريحا كان نائما استيقظه أمير المؤمنين عليه السلام، لأن الغافل فى أعماله كالنائم فتبهه عليه السلام من نوم الغفله فقال: انتبه يا شريح سيأتيك ملك الموت أو الموت لا يتأمل فى كتابك و لا يستخبرك عن حجّتك.

أما عدم نظره و استخباره، فان كان المراد من الموت فالأمر واضح و إن كان المراد منه ملك الموت عليه السلام فوجهان:

الأول أنه مأمور لقبض الأرواح فقط، و ليس تكليفه السؤال عن أعمال الناس قال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (السجده - ١٣) و قوله تعالى: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» (الصفات - ١٦٥).

الوجه الثانى أنه من العقول المجرّده المحيطه بما دونهم، و إنما يسأل عن الشىء و يستخبر عنه من لم يكن محيطا به.

قوله عليه السّلام: (حتّى يخرجك منها شاخصاً) أى حتّى يخرجك الموت، أو ملك الموت من تلك الدّار حال كونك مرفوعاً محمولاً على أكتاف الرّجال، هذا إن أخذنا الشاخص من شخص السهم إذا ارتفع عن الهدف.

أو و الحال أنت خارج من تلك الدّار و سائر إلى دار اخرى أى أنت مرتحل من هذه الدّار إلى الدّار الاخره إن أخذناه من شخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله إلى غيره.

أو حال كونك ميتاً إن أخذناه من شخص الميت بصره و شخصت عينه على التحقيق الّذى قدّمناه فى اللّغه.

قوله عليه السّلام: (و يسلمك إلى قبرك خالصاً) أى يسلمك إلى قبرك حال كونك عارياً من المال و الأهل و العيال و مجزّداً من أعراض الدّنيا و حطامها، أى لا ينفعك ما تركت من الأهل و العيال و ما ادّخرت من الأموال فى وحشه القبر و غربته إلّا صالح الأعمال يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

قوله عليه السّلام: (فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدّار من غير مالك) أى إذا كان مال كلّ أحد أن يخرج من الدّنيا شاخصاً و يسلم إلى قبره خالصاً فتأمل و تدبّر فى عدم كونك شارياً لها من غير مالكها بأن تكون الدّار مغصوبه فحينئذ لا بدّ فى معنى ابتعت من توسع، لأنه لم يكن بيعاً صحيحاً جزماً.

قوله عليه السّلام: (أو نقدت الثمن من غير حلالك) عطف على ابتعت، أى إذا كان كذلك فتدبّر و تأمل فى أدائك ثمنها من غير حلالك بأن اكتسبه من حرام بأخذ رشوه أو نحوها، لأنه كان قاضياً و القضاء فى معرض الارتشاء و أكل المال بالباطل، إلّا من اتقى لله حقّ تقاته.

قوله عليه السّلام: (فاذا أنت قد خسرت دار الدّنيا و دار الاخره) إذا فجأته أى إن كانت الدّار المبيعه مغصوبه أو ثمنها من الحرام فأنت مفاجاً للخسران فى الدارين.

أمّا خسرانه فى دار الدّنيا لأنّ مالك الدّار يسلبها من يد غاصبها سيّما

فى عصر كان فىه هىكل التوىىء و عنصر العءل على بن أبى طالب علىه السىلام أمىر الناس رءب الباع فىرءء الءار إلى مالءها، فىبقى الخسران على المشرى، فقد تقرّر فى الفقه أن أءءا لو اشترى مالا من غير مالءه فمالءه يأءءه من المشرى و المشرى ىرءع فى ءمنه إلى البائع الغاصب، و إن ءعاقب أىء عءىءه فىه ءءىر المالك فى إلزام أىهم شاء.

و أما خسرانه فى ءار الاخره فإنّ ءمّء من غير الءلال فى الءنىا ءصىر وبالا فى الاخره، و ذلك هو الخسران المىبن.

قوله علىه السىلام: (أما لو أنك كنت - إلى قوله: بءرهم فما فوؤه) أى كءب لك فى قبال قبالءك قباله فى مسافه ءلك الءار و ءءوءها و مءءءها و مءءهاها و سائر أوصافها لم ءرء و لم ءءب اءبءاعها بءرهم فما ءونه فى الصغر و القىمه.

و العاقل إذا ءأمّل فى نساءه القباله كىف ىرءب فى بىء أءء ءءوءه ءواعى الافاء، و الاخر ءواعى المصىباء، و ءالء مءءه إلى الهوى المردى، و الرابع إلى الشىطان المغوى و لو اعءبها مءانا.

فإن قلت: إنه علىه السىلام قال: بءرهم فما فوؤه، فكىف فسّره بءرهم فما ءونه؟ قلت: إن الءار ءى لا ىرءب فى شراءها بءرهم فبالأولى أن لا- ىرءب بما فوؤه من الءرهمىن فأكءر، و هءا ظاهر لا غبار علىه، فلا ىصءء ءمل العبارة على ما فوؤه الءرهم فى مءءار ءمّن، بل المراد من قوله فما فوؤه، فوؤه الءرهم فى القله و الءقاره، نحو قولك لمن ىقول: فلان أسفل الناس و أنءلهم: هو فوؤه ءاك، ءرىء هو أبلع و أءرق فىما وصف به من السفاله و النءاله فىءول فما فوؤه إلى فما ءونه فى الصغر و القىمه.

و هءا هو أءء الوءهىن ءكرهما المفسرون فى قوله ءعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِىبُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» (البقره - ٢٦) فءهب بعضهم كءءاءه و ابن جرىء و أءباعهما إلى أن المراد فما فوؤها فى الصغر و القله، و بعض آخر إلى أن المراد فما فوؤها أى أكبر منها و ما ءاء علىها فى الءءم.

و يجرى الاحتمالان فى ما روى فى صحيح مسلم عن ابراهيم عن الأسود قال:

دخل شباب من قريش على عائشه و هى بمنى و هم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا إتنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجه و محيت عنه بها خطيئه.

فيحتمل فما عدا الشوكه و تجاوزها فى القله، و يحتمل ما هو أشدّ من الشوكه و أوجع.

و قال العكبرى فى شرحه على ديوان المتنبى عند قوله:

و من جسدى لم يترك السقم شعره فما فوقها إلا و فيها له فعل

و ما فوقها يجوز أن يكون ما هو أعظم منها، و يجوز أن يريد ما دونها فى الصغر و قد قال المفسّرون فى قوله تعالى «بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا» الوجهان اللذان ذكرنا.

انتهى.

و لكن كلا- الوجهين فى الايه و الخبر لا- يتمشيان فى المقام لما علمت أنّ ما لا يرغب فيه بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيه بما فوقه.

فما أشار إليه بعض فى حاشيه النهج من أنّ هذه العبارة فى المقام تكون مثل قوله تعالى «بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا» ليس باطلاقه صحيحا.

ثم إنّ لتفسير نحو هذه العبارة وجها آخر أدقّ و أطف ممّا قدّمنا لم يتعرّضه أحد من الشراح و المفسّرين و هى:

أنّ مفاد عبارة النهج مثلا يكون هكذا: لم ترغب فيها بدرهم فكيف ترغب فيها بما فوقه، كأنه قال: فبأن لا يرغب فيها بما فوق الدرهم أولى، نظير هذا المضمون يقال فى المحاورات الفارسيه: اين کالا بدرمى نمى ارزد تا چه رسد كه به بيشر از آن. و هكذا نحوه فى كلّ مقام بحسبه مثلا «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ» فبأن لا يستحيى أن يضرب مثلا فوقها أولى، أو كيف يستحيى أن يضرب مثلا فوقها، و على هذا القياس فى الخبر و شعر المتنبى و نحوها.

ص: ١٣٠

ثم إنَّ الشارح البحراني قرّر السؤال و الجواب بقوله:

فان قلت: فكيف قال فما فوقه و معلوم أنه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيها بما فوقه؟.

قلت: لما كان الدرهم أقلّ ما يحسن التملّك به في القلّه و كان الغرض أنك لو أتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء أصلا لم يحسن أن يذكر وراء الدرهم إلاّ ما فوقه، و نحوه قول المتنبي: و من جسدی لم يترك، البيت، و كان قياسه أن يقول: فما دونها. انتهى.

أقول: إذا كان الدرهم أقلّ ما يحسن التملّك به و كان الغرض ذلك فكيف لم يكتف عليه السّلام بدرهم فقط و لما ذا ذكر فوقه، و لا- يرتبط قوله لم يحسن أن يذكر وراء الدرهم إلاّ- ما فوقه بما قبله معنّى، و بالجمله أنّ ما أتى به من الجواب بعيد عن الصواب، و تأبى عنه عبارته الكتاب.

قوله عليه السّلام: (بسم الله الرحمن الرحيم) من هنا إلى آخر الكتاب قبالة الدار على نهج لو تؤمّل فيها لا- يرغب في شرائها بدرهم، و لو نظر فيها العارف بفنون الكلام و أساليب البيان لأيقن أنّ هذا الكلام متميّز عن كلام من سواه عليه السّلام كالفضيل و أضرابه.

افتتح الكتاب بالبسملة اقتداء بالقرآن العظيم و امتثالا لمثال الرسول الكريم.

افتتح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم تعليما للعباد أن يبدؤوا امورهم كبيرها و صغيرها بتلك الابه المباركه ليبارك فيها، و الافتتاح بتلك الكلمه الطيبه سنّه الأنبياء و المرسلين، و شعار الأولياء و الصّالحين كما جاء في القرآن المبين حكاية كتاب سليمان النبي صلوات الله و سلامه عليه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ» (النمل - ٣٢ و ٣٣).

و في الكافي عن الباقر عليه السّلام أوّل كلّ كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فاذا قرأتها فلا تبال أن لا تستعيد، و إذا قرأتها سترتك فيما بين السماء و الأرض

و فى التهذيب عن الصادق عليه السّلام إنّها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها.

و فى التوحيد عن الصادق عليه السّلام من تركها من شيعةنا امتحنه الله بمكروه ليبتبهه على الشكر و الشاء و يحق عنه و صمه تقصيره عند تركه.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله حدّثنى عن الله عزّ و جلّ أنّه قال: كلّ أمر ذى بال لم يذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبت.

قوله عليه السّلام: (هذا ما اشترى عبد ذليل) لم يقل هذه باعتبار المنزل و البيت و نحوهما و إنّما عبّر شريحا بالعبد الدليل لئلا يتوهّم حيث كان قاضيا أنّ له شأنًا و رفعه بل تبّهه بأنّه فى أيّ حال كان، و بلغ إلى أيّ رتبة رفيعة و درجه شامخه تتصوّر عبد ذليل فى يد مولى قاهر لا يقدر من الفرار عن سلطانه و حكومته، و معلوم أنّ دأب الإنسان الفخر و العجب و الاستكبار إنّ رآه ذا رياسه و اقتدار إلاّ الأوحى من الناس، لا يليه التكاثر و لا يعتنى بالتفاخر قال عزّ من قائل: «رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ» (الايه (النور - ٣٨).

و هذا التوجيه المختار أمتن و أتقن من توجيه الشارح البحرانى حيث قال:

خصّ المشتري بصفه العبوديّة و الذلّه كسرا لما عساه يعرض لنفسه من العجب و الفخر بشراء هذه الدار.

قوله عليه السّلام: (من ميّت قد ازعج للرحيل) و فى بعض النسخ من عبد قد ازعج للرحيل، و على الاولى إنّما عبّر البائع بالميت العذى قد ازعج للرحيل مع أنّه حيّ لعدم استقامه الشراء من الميت، تنبيها على أنّ الموت لبالمرصاد بل أنشب أظفاره فإذا حان حينه لا منجى منه و لا مناص، فعده ميّتا لتحقق وقوعه عن قريب و هذا تذكّار للناس بأنّ الموت قريب و وقوعه و كلّ نفس ذائقته، فلا ينبغي لهم أن يحبوا العاجله و يذروا و رائهم يوما ثقيلا.

و فى الكافى عن على بن الحسين عليهما السّلام هما أنّ الدنيا قد ارتحلت مدبره، و أنّ الاخره قد ارتحلت مقبله و لكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الاخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا، إلخ.

قوله عليه السّلام: (اشترى منه دارا من دار الغرور) بدل من اشترى الاولى: أى

اشترى دارا فى بيت الغرور أى الدّنيا، أو دارا هى دار الغرور، و قد مضى وجه التفسيرين فى الاعراب فراجع.

و إنما كانت الدّنيا دار الغرور لأنّها تغرّ أهلها بألوانها و زخارفها و حطامها فتلهيهم عن ذكر الله عزّ و جلّ قال تعالى «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (آل عمران ١٨٤) و قال: «فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» (لقمن - ٣٥).

و فى كتاب عيون الحكيم عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: احذروا هذه الدّنيا الخدّاعه الغدّاره التى قد تزّينت بحليتها، و افتتنت بغرورها، و عزّت بامالها و تشوّفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلّوه، و العيون إليها ناظره، و النفوس بها مشغوفه، و القلوب إليها تائقه، و هى لأزواجها كلّهم قاتله، إلخ.

قوله عليه السّلام: (من جانب الفانين و خطّه الهالكين) فى نسخه الشيخ فى الأربعين:

من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين، و فى نسخه أبى نعيم فى حليه الأولياء:

حدّ منها فى زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، و ترجم ابن الخاتون العاملى نسخه الشيخ فى شرحه الفارسى عليه بقوله: مسافت آن از جانب فنا و زوال است تا لشكر هلاك و ارتحال، و نسخ النهج متّفقه فى العبارة المذكوره.

أقول: الفناء خلاف البقاء، و الهلاك يستعمل غالبا فى من مات ميتة سوء من معصيه الله و مخالفه أمره قال تعالى: «كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ» (آل عمران - ١١٥) و قال: «وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ» (الأعراف - ٥) و قال: «وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» (الكهف - ٦٠) و قال عزّ من قائل: «فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَ أَمَا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» (الحاقه - ٧) و غيرها من الايات.

و إنّما قلنا غالبا لأنّه قد يطلق على الموت على حتف الأنف كقوله تعالى:

«إِنَّ امْرَأَتًا هَلَكَتْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» (النساء - ١٧٦) و على غير الموت أيضا نحو قوله تعالى حكاية عن أصحاب الشمال: «هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً» (الحاقه - ٣٠).

و قال فى أقرب الموارد: هلك الرّجل مات، و لا يكون إلّا فى ميتة سوء و لهذا لا يستعمل للأنبياء العظام، انتهى.

أقول: و يردّه قول الله عزّ و جلّ: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» الايه (المؤمن - ٣٨).

على أنّا لا نفرّق بين الأنبياء في قبح اسناد نحو الميته السوء ممّا ينفر عنه الطباع إليهم و إنّ كُنّا لا ننكر أنّ الله تعالى فضّل بعضهم على بعض قال عزّ قائلنا:

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» الايه (البقره - ٢٥٦).

فعلى ما عرفت من معنى دار الغرور و الفناء و الهلاك فيكون من جانب الفانين أخصّ من دار الغرور و خطّه الهالكين أخصّ من جانب الفانين، و هذا كما قيل على ما جرت العادت به في كتب البيع من الابتداء بالأعمّ و الانتهاء في تخصيص المبيع إلى امور بعينه.

ثمّ على نسختي الأربعين و حليه الأولياء عيّن عليه السّلام أوّلا- مسافه الدّار بأنّها من جانب الفانين أو رفاق الفناء إلى عسكر الهالكين، و بيّن ثانيا حدودها الأربعة و لا يخفى لطفه.

قوله عليه السّلام: (و تجمع هذه الدّار حدود أربعة) أى تحوى هذه الدّار و تحيط بها حدود أربعة آتية، بيّن حدودها الأربعة كما هو المتعارف في تعيين حدود الأراضى و الدّور و غيرهما، و الحدود في تحديد الأملاك بمنزله الجنس و الفصل في الحدود قوله عليه السّلام: (فالحّد الأوّل ينتهى إلى دواعى الافات - إلى آخر الحدود) أخذ يفصّل حدودها المذكوره على الاجمال أوّلا و فى النسخ الثلاث أعنى النهج و الأربعين و الحليه فى تعيين الحدود اختلاف فى الجملة و قد ذكرنا النسخ فلا حاجة إلى الإعادة.

ثمّ إنّّه لا توجد دار فى الدّنيا تكون دار السّلام، بل تنتهى لا محاله إلى الافات و الأسقام و المصيبات و الالام، لأنّ الدّنيا نفسها دار بالبلاء معروفه و بالتراحم و التصادم معجونته، فالحّد ان الأوّلان تعمّ جميع الدّار و أمّا الاخران فيختصّان بما بنيت على أساس الجور و مال الزّور لأنّ المال الصالح فى يد الرجل الصالح لا ينجزّ إلى الهوى المردى و الشيطان المغوى بل هو نعم المال.

ثم إنه عليه السلام جعل باب هذه الدار الذي يشرع أى يفتح للدخول فيها فى الحد المنتهى إلى الشيطان المغوى تنبيها على أن الدار المبتية على الجور والعدوان ليست إلا من إغواء الشيطان، وإشاره إلى أن الشيطان كان سببا لا شرائها، ولو أعرض شريح عن أتباعه لما أقدم إلى ابتاعها.

قوله عليه السلام: (اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزيج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعه والدخول فى ذل الطلب و الضراعه) بدل من الأول و أفاد عليه السلام فى هذه فقره:

أولا أن اغترار شريح بالأمل صار سبب شرائه الدار.

و ثانيا أنه جعل ثمنها الخروج من عز القناعه والدخول فى ذل الطلب و الضراعه لما مرّ فى الإيعراب من أن الباء لل عوض و للمقابل.

و ثالثا أن القناع عزيز و للقناعه عزه.

و رابعا أن الخروج من عز القناعه يؤدى إلى الذله و المسكنه من الطلب و الضراعه للخلق.

ثم انظر فى لطائف كلامه عليه السلام و دقائق بيانه: ذمّ الأمل، و الطلب و الضراعه و الخروج من القناعه، مدح القناعه، و وصفها بالعزّه، و جمع بين الأمل و الأجل و الخروج و الدخول، و العزّ و الذلّ، و القناعه و الضراعه، و محاسن هذا الكتاب فوق أن يحوم حولها العباره.

الانبياء و ورثتهم عليهم السلام لا- يأمرن بالذل و السؤال بل يحضون على العز و الجلال زعم الجاهلون و المغفلون عن غرض سفراء الله تعالى و بعثتهم أنهم يدعون الناس إلى الفقر و الكديه، و يأمرنهم بالبطله و العزله و الرهبانيه، و ذلك ظنّ المذنبين أتبعوا أهواءهم و لم يصلوا إلى درك مقاصد الأنبياء و فهم مطالبهم، و لم يدروا أنهم نهوا الناس عن الدنيا المذمومه أى اقتراف المال و ادخاره على وجه لم يمضه العقل و لا يرضى به، كأن يقتطفه بالسرقه و القياده و القمار و الربا و الجور و شهاده الزور و بيع الخمر و نحوها مما تضرّ الاجتماع و تمنعه عن الارتقاء.

قال الله تبارك و تعالى: «وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَ زَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَ نِعْمَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (الحجرات - ٨ و ٩).

و لا- منعوهم عن الدنيا المحموده قال عز من قائل: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (الأعراف - ٣٢ و ٣٣).

ثم إن إسناده الأمر بالزُهْبَانِيَّةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ وَرَثَتِهِمْ كَمَا اجْتَرَأَ النَّصَارَى بِذَلِكَ وَ عَزَّوهُ إِلَى عَيْسَى نَبِيِّ اللَّهِ فَرِيهِ وَ اخْتِلاق، لِأَنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الزُّهْبَانِيَّةَ وَ حَثُّوهُمُ عَلَى الْكَسْبِ وَ تَحْصِيلِ الْعِزَّةِ وَ الْكَمَالِ وَ مَا رَضُوا بِالذَّلَّةِ وَ النَّكْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» (المنافقون - ٩).

و هذا هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَيْفَ شَدَّدَ النَّكِيرَ عَلَى عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ لَمَّا كُنَ إِلَى الزُّهْبَانِيَّةِ: رَوَى الشَّيْخُ الْأَجَلُّ ابْنَ بَابُوِيَةَ الصَّدُوقِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْمَجْلِسِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ أَمَالِيهِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: تَوَفَّى ابْنَ لِعَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ حَتَّى اتَّخَذَ مِنْ دَارِهِ مَسْجِدًا يَتَعَبَّدُ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْنَا الزُّهْبَانِيَّةَ إِلَّا مَا رَهْبَانِيَّةِ أُمَّتِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْحَدِيثُ.

و كَيْفَ يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهَا مَعَ أَنَّ كَلِمَاتِهِمْ فِي ذِمَّتِهَا لَا تَحْصِي كَثْرَهُ، وَ ينادون الناس جهارا، بأن كل واحد منهم كعضو من أعضاء جثمان الاجتماع، لأنَّ الإنسان مدنيّ بالطبع فلا بدّ لكلّ واحد منهم من مكسب يتمّ به أمرهم، و لا يختلّ حتّى لا يتطرّق إليهم النكبة و الذلّة قال تعالى: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (النجم - ٤١).

و لقد روى الفريقان عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَعَاطُفِهِمْ

و تراحمهم بمنزله جسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحُمى و السهر فمن هذا الحديث يستفاد مطالب أنيقه أخلاقيه و اجتماعيه منها أنهم بمنزله جسد، فأخذ هذا المضمون الشيخ الأجلّ السعدى و قال بالفارسيه:

بنی آدم اعضای یکدیگرند که در آفرینش ز یک گوهرند

چو عضوی بدرد آورد روزگار دگر عضوها را نماند قرار

تو کز محنت دیگران بی غمی نشاید که نامت نهند آدمی

و هذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام كيف أخذ شريحا في كتابه هذا بخروجه من عزّ القناعه، و دخوله في ذلّ الطلب و الضراعه، باغتراره بالأمل.

و أخبارنا في ذمّ طول الأمل و السؤال من الناس و مدح الكسب و تحصيل الكمال و ترغيب الناس إلى ما فيه سعادتهم و رفعتهم و تبرّي الأنبياء من الذين صاروا بالعطاله و البطاله كلاً على الناس كثيره جدّاً و لولا خوف الإطناب و الخروج عن اسلوب الكتاب لذكرناها فلعلنا نأتى بطائفه منها في المباحث الآتیه إن شاء الله تعالى.

و بالجمله أنّ ما جاء به الأنبياء فانما هو لحياء النفوس و إيقاظ العقول و سوق الناس إلى ما فيه حياتهم الأبدية المعنوية و سعادتهم السرمديه و خروجهم من حضيض الذلّ إلى أوج العزّ، قال الله جلّ و علا. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» (الأنفال - ٢٥).

قوله عليه السلام: (فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك) لَمَّا بَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَافَهُ الدَّارِ وَ حُدُودَهَا أَخَذَ فِي بَيَانِ ضَمَانِ دَرَكٍ مَا يَلْحَقُ الْمَشْتَرِي.

فاعلم أنّ المشتري إن لم يكن عالماً بالغصب فاشترى المال المغصوب ثمّ شهد مالكة و لم يجر بناء على صحّحه البيع الفضولي و أخذه منه يرجع في ثمنه و ما لحقه من درك آخر إلى البائع، و إن كان عالماً به و أقدم إلى شراء المغصوب فلا حرمه لماله لأنّه ألقى بيده. إلى التهلكه، لأنّه استولى على مال الغير و تصرف فيه عدواناً فهو غاصب

و ضامن العين و المنافع، و لم يكن حينئذ ما أدركه من درك على البائع و ليس له حق الرجوع اليه.

و لذا ذهب طائفة من الفقهاء إلى أنه لا رجوع للمشتري على البائع الغاصب مع علمه حتى بالثمن مع تلفه، بل في المسالك أن الأشهر عدم الرجوع به مع وجود عينه، بل ادعى عليه في التذكرة الإجماع عقوبه له، و خالفهم الآخرون فصرح بعضهم كالشهيد في اللمعة بالرجوع به مع بقاء العين سواء كان عالما أو جاهلا و بعضهم بالرجوع مطلقا سواء تلف الثمن أو لا كالمحقق في أحد قوليّه.

و من لطائف كلامه عليه السلام في المقام أنه عليه السلام لم يبين حكم ضمان الدرك الذي يلحق المشتري في هذه المعاملة بأن الضامن من هو؟ بل أحاله إلى يوم القيامة حيث قال عليه السلام: فعلى مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب - إلخ، فلا يخفى لطفه.

ثم إن درك الضمان لا يختص بمال المغصوب بل يجري في المبيع المعيب أيضا، و كذا في الثمن المعيب على التفصيل المذكور في الفقه.

ثم لا يخفى على ذي مسكه أنه عليه السلام لم يعلق ضمان الدرك على أحد. بل صريح كلامه أن على مبلبل أجسام الملوك إشخاصهم إلى موقف العرض و الحساب يعني هنالك يحكم بين الحقّ و الباطل بفصل القضاء فيعلم أن ضامن الدرك من هو و العجب من شارح البحراني ذهب في شرحه على النهج إلى أنه عليه السلام علق الدرك و التبعة اللازمه في هذا البيع بملك الموت.

و كذلك بما حققنا علم أن ما ذهب إليه المجلسي قدس سره في شرح الكتاب (ص ٥٤٥ ج ٩ من البحار الطبع الكمباني) حيث قال: ثم اعلم أنه يكفي لمناسبته ما يكتب في سجلات البيوع لفظ الدرك، و لا يلزم مطابقتها لما هو المعهود فيها من كون الدرك لكون المبيع أو الثمن معينا أو مستحقا للغير، فالمراد بالدرك التبعة و الاثم أي ما يلحق هذا المشتري من وزر و حطّ مرتبه و نقص عن حظوظ الآخرة، فيجزى بها في القيامة، ليس بصحيح، و يأباه قوله عليه السلام إشخاصهم جميعا

و غيره من العبارات فهو تفسير لا يناسبه الكتاب.

قوله عليه السلام: (و سالب نفوس الجبابره) عطف على مبلبل و كذا قوله عليه السلام:

و مزيل ملك الفراعنه. و إنما خصّ الملوك و الجبابره و الفراعنه بالذكر كسرا لشريح و أضرابه حتّى لا يغتروا بالمنصب و المقام و الشهره و العنوان، و تنبيهها لهم أنه لما كان هؤلاء الملوك و الجبابره و الفراعنه مقهورين فى يد الله الواحد القهار فكيف مثل شريح و أشياعه، على و زان قوله تعالى: «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» (المؤمن - ٢٤) و قوله تعالى:

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (المؤمن - ٨٤).

قوله عليه السلام: (مثل كسرى و قيصر و تبع و حمير) مثل لكل واحد من الملوك و الجبابره و الفراعنه و لا يختص بالأخير.

قوله عليه السلام: (و من جمع المال على المال فأكثر) قد مضى فى الاعراب أنّ الأظهر أن يكون من معطوفا على كسرى كالثلاثه قبله أى مثل من جمع المال - إلخ قوله عليه السلام: (و من بنى و شيّد) عطف على من الأوّل أى مثل من بنى دارا و جصصها أو رفعها أو أحكم قواعدها على الوجوه التى بينها فى اللغه.

قوله عليه السلام: (و زخرف) أى زين سقف البناء و جدرانها بالذهب.

قوله عليه السلام (نجد) أى زين بالبسط و الفرش و الوسائد و النمارق و الستور و نحوها، و قد مضى فى اللغه أنّ التذهيب يناسب تزيين سقف البيت، و التنجيد تزيين أرضه و جدرانها.

قوله عليه السلام: (و ادّخر) أى اكتسب المال و جعله ذخيره لوقت الحاجه إليه قوله عليه السلام: (و اعتقد) أى جعل لنفسه عقده أى اقتنى الضياع و العقار و غيرهما من الأموال الصامته.

قوله عليه السلام: (و نظر بزعمه للولد) أى نظر فى جمع المال لولده إعانه له

و ترخما عليه و رآه مصلحه له ظنا منه أنّ عمله هذا ينفعه و يعزه. و سيأتى فى أواخر باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه الحسن عليه السلام: يا بنى لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعه الله فسعد بما شقيت، و إما رجل عمل فيه بمعصيه الله فكنت عوناً له على معصيته، و ليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك.

فإن قلت: فعلى هذا ترى أنّ الشارع منع الناس أن ينظروا لأولادهم و يخلفوا لأخلافهم ما ينفعهم و يمدّهم فى معاشهم؟.

قلت: كلاً. بل الشارع أغراهم بذلك و كره أن يتكفّف أولادهم بعدهم الناس غايه الأمر نهامهم عن الاكتساب بالحرام نظراً للأولاد و نكتفى فى ذلك بذكر روايه روما للاختصار.

روى ابن بابويه الصدوق رضوان الله عليه فى من لا يحضره الفقيه و نقلها الفيض فى الوافى فى أبواب الوصيه (ص ١٢ ج ١٣): أنّ رجلاً من الأنصار توفى و له صبيه صغار و له ستّه من الرقيق فأعتقهم عند موته و ليس له مال غيرهم، فاتى النبى صلى الله عليه و آله فاخبر فقال: ما صنعتم بصاحبكم؟ قالوا: دفناه، قال: لو علمت ما دفناه مع أهل الإسلام، ترك ولدك يتكفّفون الناس.

قوله عليه السلام: (إشخاصهم جميعاً - إلى قوله: و خسر هنالك المبطلون) إشخاصهم أى إزعاجهم و إحضارهم و فى نسخه أبى نعيم: و أشخصهم إلى موقف العرض و لكنّها تصحيف و الحقّ ما فى النسختين الاخرين لأنّ إشخاصهم مبتداء مؤخر عن على مبلبل أجسام الملووك قدّم الخبر لتوسع الظروف و ما يجرى مجراها و لا يمكن حمل تلك النسخه على وجه صحيح.

ثمّ إنّ الضمير فى إشخاصهم لا- يمكن إرجاعه إلى الملووك و ما بعده لا لفظاً و لا معنى أمّا الأوّل فلأنّ الضمير فى المبتدأ لا يرجع إلى جزء لفظ الخبر و هو ظاهر، و أمّا الثانى فلأنّ المقصود إجماله ضمان الدرك على من أوجب الشرع الرجوع به إليه، فلا بدّ أن يكون ممن كان دخيلاً فى البيع فهو يرجع إلى البائع

و المبيع و المشتري و صاحب الدرك، فالمراد أنّ ملك الموت متعهد و متكفل باحضارهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب للفصل و القضاء.

قوله عليه السلام: (شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا) لما بين حكم الدرك أردفه بذكر الشهود كما هو السنه المتعارفه فى سائر القباله و جعل العقل شاهدا على ما قال.

ثم إن ههنا دقيقه أنيقه و هى أنّ الشاهد لا بدّ من أن يكون عادلا، و إنما قيد عليه السلام شهد على ذلك العقل بقوله: إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا، ليفيد هذا المعنى، أعنى أن يأتي بالشاهد العادل على ما كتب، و ذلك لأنّ تلك القوه القدسيه الملكوتيه أعنى العقل لما تعلق بشرك البدن و ألف مجاوره الخراب البلقع و صار حشره مع الماديات قد يتأثر عن البدن و قواه الحيوانيه و غيرهما، فيعرض له من غيره ما يشغله عن فعل نفسه، لأنّ تلك العوائق كاللصوص القطاع لطريقه تمنعه عن الوصول إلى صريح الحقّ و محض الحكم العقلي، فلو لم يجرد عنها سيما عن النفس الأماره بالسوء و حبّ الدنيا و أسر الهوى و قيد الأوهام كان حكمه مزوقا مشوبا بالباطل، فلم يكن حينئذ شاهدا عادلا، فلا يخفى لطفه.

فالمراد أنّ العقل لو خلّى و طبعه بحيث لم يكن مأسورا فى قيد الهوى و علائق الدنيا يشهد على أنّ لنحو هذا المشتري خسران الدارين، و فى نحو هذا المبيع يلزم تلك الافات و المصيبات عليه و غيرهما ممّا هى مذكوره فى القباله.

ثمّ الحقّ أنّ الرضى رضى الله عنه لم يذكر الكتاب بتمامه، لأنّ غرضه كان جمع المختار من كلامه عليه السلام كما صرح فى عدّه مواضع النهج بأنّ ما أتى به هو بعض تلك الخطبه أو ذلك الكتاب أو نحوهما، و الكتاب بتمامه هو ما فى النسختين الاخرين و إن كان بينهما اختلاف ما فى بعض العبارات، فنذكر بعض ما فى الأربعين و بيان الشيخ فيه:

قوله عليه السلام: (فى عرصاتها) أى ساحاتها و الضمير إمّا للدار أو للدنيا و الأوّل أقرب و إن كان أبعد.

قوله عليه السّلام: (ما أبين الحقّ لذي عينين) كلمه ما تعجّبه أى ما أظهر الحقّ لصاحب البصيره.

قوله عليه السّلام: (إنّ الرّحيل أحد اليومين) أى كما أنّ لابن آدم يوم ولاده و هو يوم القدوم إلى هذه الدار، فله يوم رحيل عنها و هو يوم الموت فينبغى أن لا يزول عن خاطره، بل يجعله أبدا نصب عينيه.

قوله عليه السّلام: (و قرّبوا الامال بالاجال) أى قصرها بتذكّر الموت الذى هو هادم اللذات، و فاضح الامال.

«اشاره»

فسير العالم العامل العاملى الشيخ بهاء الدّين قدّس سرّه فى الأربعين هذا الكتاب بوجه آخر أيضا يليق أن يذكر فى المقام للطافته و عذوبته.

قال: اشاره. يمكن أن يكون الدّار فى قوله عليه السّلام اشترى منه دارا، رمزا إلى هذه البنيه البدنيه، و المشتري رمزا إلى النفس الناطقه الإنسانيه العاكفه على تلك البنيه الظلمانيه المشغوله بها عن العوالم المقدّسه النورانيه، و البائع رمزا إلى الأبوين اللّذين منهما حصلت الأجزاء المنويّه المتكوّن منها البنيه الّتى مبدؤها من جانب الفانين و مالها إلى عسكر الهالكين.

ثمّ إنّ هذه البنيه أعنى البدن و إن كان مركبا للنفس و وسيله لها إلى تحصيل كمالاتها، لكن قواه البهيميّه دواع و أسباب لافات النفس و عاهاتها و مصيبتها و اتّباعها للهوى و الشيطان، فنزل تلك الدّواعى منزله حدود الدار المكتنفه بها من جوانبها.

و لما كان الخروج من ولايه اللّه و الدّخول فى ولايه الطاغوت يحصل باتّباع الهوى و الشيطان ناسب أن يجعل باب تلك الدّار فى هذا الحدّ.

و لما كان ذلّ النفس و خروجها عن استغنائها الّذى كانت عليه فى عالمها النورانى ملازما لعكوفها على هذا البدن الهيولانى و مسببا عن تعلّقها به و شرائها له شبّهه عليه السّلام بالثمن الّذى هو من لوازم الشراء.

ولما كان الموت هو السائق الذي يسوق الخلق بأجمعهم طوعا وكرها إلى موقف القيامة ليقتضى بينهم الحكم العدل و ينتصف من المعتدى للمعتدى عليه شبهه عليه السلام بشخص ضمن الدرك فتعهد أن يحضر كل من له دخل في هذه المعامله إلى دار القضاء ليحكم بينهم و يقتضى لمن له الحق بحقه.

هذا ما خطر بالبال فى معنى هذا الكلام و لعل أمير المؤمنين عليه السلام أراد معنى آخر غير هذا لم يهتد نظرى الكليل إليه، و ثم يعثر فكرى العليل عليه، و الله أعلم بحقيقه الحال. انتهى كلامه رفع مقامه.

و ذكر قريبا من هذه الإشاره أو عينها على عبارات اخر العلامه المجلسى فى المجلد التاسع من البحار (ص ٥٤٥ الطبع الكمبانى) أيضا.

أقول: الحق أن هذا التوجيه وجيه فى نفسه و لكنه ليس معنى كلامه عليه السلام بل تأويل يناسبه و يستفاد منه كالتأويلات المذكوره فى طائفه من التفاسير و شروح الأخبار المناسبه للايات و الأخبار.

مثلا أن النيشابورى ذكر فى تفسيره غرائب القرآن التأويل الاتى من قوله تعالى «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً» - الى قوله تعالى - «وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (البقره - ٦٥ - الى ٧١) و نعلم يقينا أن هذا التأويل ليس تفسير كلامه تعالى و إن كان لا يخفى من لطافه من حيث التشبيهاً و المناسبات و هو صرح بذلك أيضا حيث قال بعد تفسيره الايات ما هذا لفظه:

التأويل: ذبح البقره إشاره إلى ذبح النفس البهيميه فإن فى ذبحها حياه القلب الروحاني و هو الجهاد الأكبر، موتوا قبل أن تموتوا.

اقتلونى يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى و حياتى فى مماتى و مماتى فى حياتى

مت بالإرادته تحى بالطبيعه، و قال بعضهم: مت بالطبيعه تحى بالحقيقه، ما هى أنه بقره نفس تصلح للذبح بسيف الصدق، لا فارض فى سن الشيخوخه فيعجز عن رضاييف سلوك الطريق لضعف القوى البدنيه كما قيل: الصوفى بعد الأربعين

بارد، ولا يكون في سنّ شرح الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، صفراء إشارة إلى صفره وجوه أصحاب الرياضات، فاقع لونها يريد أنها صفره زين لا صفره شين فأنها سيماء الصالحين لا ذلول تثير الأرض، لا يحتمل ذله الطمع ولا تثير باله الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها، ولا تسقى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وماء وجهه عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق، مسلمه من آفات صفاتها ليس فيها علامه طلب غير الله، وما كادوا يفعلون بمقتضى طبيعه، لو لا فضل الله وحسن توفيقه و إذ قتلت نفسا يعنى القلب، فاداراتم، فاختلفتم أنه كان من الشيطان أم من الدنيا أو من نفس الأثارة، فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقره النفس المذبوحه بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومه الذكر فحيى باذن الله عز وجل وقال:

إن النفس لأثارة بالسوء وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، مراتب القلوب فى القسوه مختلفه فالتى يتفجر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان «من ظ» أنوار الرّوح بترك اللذات والشهوات، بعض الأشياء المشبهه بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود، والتى تشقق فيخرج منها الماء هى التى يظهر عليها فى بعض الأوقات عند انخراق الحجب البشريه من أنوار الرّوح فيريه بعض الايات والمعانى المعقوله كما يكون لبعض الحكماء، والتى يهبط من خشيه الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الرّوح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشيه، انتهى.

«القضاء والقاضى فى الاسلام»

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» (القرآن الكريم - سورة النساء - الايه ٦٢) يناسب فى المقام تقديم نبذه من الكلام على ما قرره الشرع فى القضاء والقاضى على سبيل الإجمال والاختصار فنقول:

الغرض من إرسال الرسل و إنزال الكتب إحياء مكارم الأخلاق، و محاسن الأفعال، و إيمانه الصفات المرديه، و الاداب المغويه، و إيقاظ عقول الناس من نوم الغفله، و تركيتهم من رين الهوى، و إناره أرواحهم بالملكات الملكوتيه، و إثاره فطرتهم إلى جناب الربّ جلّ و علا، و قيامهم بالعدل، و احتياج الظلم من بينهم ليّصفوا بالأوصاف الربوبيه، و يتخلّقوا بالأخلاق الإلهيه، و لئلا يتطرّق إليهم الجور و العدوان و الهرج و المرج قال الله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أُنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد - ٢٦).

ثمّ لو تنازع اثنان في أمر فلا بدّ من حكم عدل يعطى كل ذي الحقّ حقّه، و يذبّ عنه التصرّف العدوانيّ و أكل المال بالباطل بالأمارات و الاصول التي جعلها الشارح الحكيم ميزانا له لحسم مادّه التنازع و قلع شجر التشاجر و فصل القضاء.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام كما في الكافي و التهذيب: أحكام المسلمين على ثلاثه:

شهاده عادله. أو يمين قاطعه. أو سنّه ماضيه من أئمه الهدى.

فلا بدّ لحفظ اجتماع الناس من حاكم عادل لا يبيع آخرته بدنياه و لا يعقل عقله بهواه.

و كما أنّ الإنسان يحتاج في سلامه جسمه إلى الطيب الحاذق الأمين المؤمن، و في سلامه روحه إلى عالم عامل إلهيّ روحانيّ، كذلك يحتاج الاجتماع لحفظ نظامه و رفع المخاصمه و النزاع إلى طيب آخر و هو القاضى العادل و حكومه عادله و لا مناص للناس من هؤلاء الأطباء.

قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام في هذا المعنى: لا يستغنى أهل كلّ بلد عن ثلاثه تفزع إليه في أمر دنيا [هم ظ] و آخرتهم، فإنّ عدموا ذلك كانوا همجا:

فقيه عالم ورع، و أمير خيّر مطاع، و طيب بصير ثقّه (نقل في مادّه طب من السفينه).

و اعتبر الشارع في القاضى البلوغ و كمال العقل و الايمان و طهاره المولد و العلم و الذكوره و العداله، و إنّما اعتبر فيه العداله حتّى يراعى التسويه بين الخصمين

مطلقا و إن كان أحدهما وضعيا و الآخر شريفا و فى الكافى و التهذيب عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: من ابتلى بالقضاء فليواس بينهم فى الاشاره و فى النظر و فى المجلس فيجب عليه التسويه بينهما فى الكلام و السّلام و القيام و غيرها من أنواع الا-كرام حتّى لا-يجوز له خطاب أحد الخصمين بالكنيه و الآخر بالاسم لأنّ الاولى تنبىء بالتعظيم دون الثانى، و كذا الانصات لكلّ واحد منهما على التفصيل الذى بين فى الكتب الفقهيّه.

و نحن نكتفى ههنا بما قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام لشريح أيضا فى آداب الحكم لم يأت به الرّضى رضوان الله عليه فى النهج، نقله ثقة الاسلام الكلينى مسندا فى الكافى، و شيخ الطائفة فى التهذيب، و الشيخ الأجلّ الصدوق فى من لا يحضره الفقيه، و المحقق الفيض فى الوافى (ص ۱۳۵ ج ۹) باسنادهم عن سلمه بن كهيل قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول لشريح: انظر إلى أهل المعك و المطل و دفع حقوق الناس من أهل المقدره و اليسار ممن يدلى بأموال المسلمين إلى الحكّام، فخذ للنّاس بحقوقهم منهم، و بع فيها العقار و الدّيار، فأتى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: مطل المسلم الموسر ظلم للمسلم، و من لم يكن له عقار و لا دار و لا مال فلا سبيل عليه، و اعلم أنّه لا يحمل الناس على الحقّ إلاّ- من وزعهم عن الباطل، ثمّ واس بين المسلمين بوجهك و منطقتك و مجلسك حتّى لا يطمع قريبك فى حيفك، و لا يئأس عدوّك من عدلك. و ردّ اليمين على المدّعى مع بينته فإنّ ذلك أجلى للعمى و أثبت فى القضاء، و اعلم أنّ المسلمين عدول بعضهم على بعض إلاّ مجلودا فى حدّ لم يتب منه، أو معروفا بشهاده زور، أو ظنينا، و إياك و التضجّر و التأذى فى مجلس القضاء الّمدى أو جب الله فيه الأجر، و أحسن فيه الدّخر لمن قضى بالحقّ، و اعلم أنّ الصلح جائز بين المسلمين إلاّ صلحا حرّم حلالا أو أحلّ حراما، و اجعل لمن ادّعى شهودا غيبا أمدا بينهما، فان أحضرهم أخذت له بحقّه، و إن لم يحضرهم أوجبت عليه القضيه. و إياك أن تنفذ قضيه فى قصاص أو حدّ من حدود الله أو حقّ

من حقوق المسلمين حتى تعرض ذلك على إنشاء الله، ولا تقعدن في مجلس القضاء حتى تطعم.

وقال عليه السلام لشريح أيضا كما في الكافي والتهذيب والفقهاء: لا تسار أحدًا في مجلسك، وإن غضبت فقم، ولا تقضين و أنت غضبان.

والأخبار المرويّة في الكتب الأربعة وغيرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى في آداب الحكم والقضاء والقاضي كثيره جدًا تركناها خوفاً من الإطناب وفيما قدّمناه كفايه لمن كان طالباً للصواب.

ثم إن ما قدّمنا من وجوب مراعاة المساواة بين الخصمين على القاضي يكون على وجه تساويهما في الإسلام أو الكفر، بأن كانا مسلمين أو كافرين، ولو كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فلا يجب عليه مراعاتها بينهما، بل له أن يرفع المسلم على الكافر، وذلك لما يأتي من قول أمير المؤمنين مع الرجل اليهودي في مجلس شريح.

«وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (القرآن الكريم الآية ١٨٦ من البقرة).

وحرم على الناس رفع الدعاوى إلى قضاء الجور والتحاكم إليهم كما حرم عليهم أكل المال بالباطل، وفي الصحاح للجوهري: أدلى بما له إلى الحاكم:

رفعه إليه ومنه قوله تعالى «وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» يعني الرشوة، انتهى.

وقال الفيض في الوافي: قوله تعالى: تدلوا، أي ولا تدلوا حذف لا- اعتماداً على العطف والمعنى لا- تعطوا الحكام أموالكم ليحكموا لكم استعاره من قولهم أدلى دلوه إذا أرسلها، فإن الرشوة ترسل إلى الحكام.

وفي الكافي والتهذيب باسنادهما عن ابن مسكان عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله تعالى في كتابه «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» فقال: يا با بصير إن الله قد علم أن في الأئمة حكماً يجورون أما أنه لم يعن حكماً أهل العدل ولكنه عنى حكماً أهل الجور، يا با محمد إنه لو كان

لك على رجل حق فدعوته إلى حكام أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافحك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له، لكان ممن حاكم إلى الطاغوت وهو قول الله عز وجل «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» (النساء - ٦٥).

و في التهذيب باسناده عن ابن فضال قال: قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام وقرأته بخطه سأله ما تفسير قوله «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» قال: فكتب إليه بخطه: الحكام القضاء قال: ثم كتب تحته: هو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذ ذلك الذي حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم.

و إنما اعتبر فيه العلم أي العلم بجميع الأحكام عن اجتهاده أعنى أن يكون مجتهدا في الدين مستنبطا أحكامه بالأدلة الأربعة من العقل و الإجماع و الكتاب و السنه فلا يكفيه فتوى العلماء و قد وردت آيات و روايات كثيرة في تشديد ذلك و تأكيده، و لو نذكرها لكثير بنا الخطب و نقتصر بذكر شر ذمه قليله منها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي و الفقيه و التهذيب لشريح: يا شريح قد جلست مجلسا لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي.

قال الباقر عليه السلام: إن من أفتى الناس بغير علم و لا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب، و لحقه و زر من عمل بفتياه.

و قال عليه السلام: أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال: أنهاك أن تدين الله بالباطل، و تفتي الناس بما لا تعلم.

و قال الصادق عليه السلام كما في الكافي و التهذيب: القضاء أربعة ثلاثه في النار و واحد في الجنة: رجل قضى بجور و هو يعلم فهو في النار، و رجل قضى بجور و هو لا يعلم أنه قضى بجور فهو في النار، و رجل قضى بجور و هو لا يعلم أنه قضى بجور فهو في النار، و رجل قضى بالحق و هو لا يعلم فهو في النار جل قضى بالحق و هو يعلم فهو في الجنة.

و في دعائم الاسلام عن عليّ عليه السّلام أنه قال: القضاء ثلاثة واحد في الجنّه و اثنان في النار: رجل جار متعمّدا فذلك في النار، و رجل أخطأ في القضاء فذلك في النار و رجل عمل بالحقّ فذلك في الجنّه.

بيان: و لا- تنافى بين الأخيرين لأنّ الوسط من الأخير يعمّ الوسطين من الأوّل و الوصيّ في قوله عليه السّلام أو وصيّ نبيّ يعمّ الوصيّ الخاصّ و العامّ، جمعا بين الأدلّه و تفصيل البحث موكل إلى الكتب الفقهيّه.

و أمّا الايات فقد قدّمنا بعضها و قال الله تبارك و تعالى «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيْمًا» (النساء - ١٠٦) و قوله تعالى: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (المائد - ٥١) و قوله تعالى: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ» (ص - ٢٧).

و إنما اعتبر فيه الذّكوره فلقوله صلّى الله عليه و آله: لا يفلح قوم وليتهم امرأه، و وصيّته صلّى الله عليه و آله لعلّي عليه السّلام المرويّه في الفقيه باسناده عن حمّاد: يا عليّ ليس على المرأه جمعه - إلى أن قال: و لا تولّى القضاء، على أنّ ذلك إجماعيّ لا خلاف فيه عندنا الإماميّه، فلا يليق لها مجالسه الرّجال و رفع الصوت بينهم.

و أمّا اعتبار الإيمان فلاّن المسلم الفاسق، إذا لم يصلح لهذا المنصب الجليل فكيف الكافر، على أنّ الكافر ليس أهلا للأمانه و لم يجعل الله له سبيلا- على المسلم إذ الإسلام يعلو و لا- يعلا عليه قال الله تعالى: «وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (النساء - ١٤٠). و أمّا اعتبار البلوغ و العقل فبيّن، و أمّا طهاره المولد فالعمده فيها الإجماع و فحوى ما دلّ على المنع من إمامته و شهادته، على أنّ النفوس تنفر عن ولد الزنا.

ثمّ إنّ في سيره رسول الله صلّى الله عليه و آله و أهل بيته في دعاوى الناس لعبه لأولى الألباب يليق لهم أن ينظروا فيها بعين العلم و الدّرايه حتّى يتبيّن لهم أنّ الغرض من بعثهم لم يكن إلّا تعليم النّاس ما فيه نجاحهم و نجاتهم:

و هذا هو رسول الله صلّى الله عليه و آله كيف يراعى حقوق النّاس و يحترمها، روى الشيخ

الجليل العلامه بهاء الدين العاملي في الأربعين الحديث التاسع عشر باسناده عن موسى بن اسماعيل، عن أبيه، عن الامام أبي الحسن موسى الكاظم، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: إنَّ يهوديًّا كان له على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دنانير فتقاضاه، فقال: يا يهودي ما عندي ما أعطيك، قال: فأنِّي لا افارقك يا محمَّد حتى تقضيني، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إذا أجلس معك، فجلس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ معه حتَّى صَلَّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخره والغداه و كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لم يبعثني ربي عزَّ وجلَّ بأن أظلم معاهدا ولا غيره، فلمَّا علا النَّهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله، و شطر ما لي في سبيل الله أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلاَّ لأنظر إلى نعتك في التوراه فأنِّي قرأت نعتك في التوراه: محمَّد بن عبد الله مولده بمكّه، و مهاجره بطيبه و ليس بفظّ، و لا غليظ، و لا سخاب، و لا مترن بالفحش و لا قول الخنا، و أنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله و أنك رسول الله، و هذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله و كان اليهودي كثير المال.

و هذا هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فانظر إلى فعله و قوله كيف يراعى المواساه و العدل مع يهودي و يؤاخذ شريحا بر كونه إلى خلاف العدل حيث قام في مجلس المحاكمه له عليه السلام إكراما له و لم يقم لليهودي.

قال أبو الفرج في الأغاني: و لشريح أخبار في قضايا كثيره يطول ذكرها و فيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الدرع قال:

حدّثني به عبد الله بن محمَّد بن إسحاق ابن اخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدّثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم العجلي، قال حدّثني حكيم بن حزام عن الأعمش عن إبراهيم التيمي قال: عرف عليّ صلوات الله عليه درعا مع يهودي فقال: يا يهودي درعي سقطت مني يوم كذا و كذا. فقال اليهودي: ما أدري ما تقول، درعي و في يدي بيني و بينك قاضي المسلمين، فانطلقا إلى شريح فلمَّا رآه شريح قام له عن

مجلسه. فقال له عليّ: اجلس: فجلس شريح ثم قال: إنّ خصمى لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تساوهم فى المجلس و لا تعودوا مرضاهم. و لا تشيعوا جنازهم، و اضطروهم إلى أضييق الطرق، و إن سبوكم فاضربوهم، و إن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال عليه السّلام: درعى عرفتها مع هذا اليهودى، فقال شريح لليهودى: ما تقول؟ قال: درعى و فى يدي، قال شريح:

صدقت و الله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت و لكن لا بدّ من شاهد، فدعا قنبراً فشهد له، و دعا الحسن بن عليّ فشهد له، فقال: أمّا شهادة مولاك فقد قبلتها و أمّا شهادة ابنك لك فلا، فقال عليّ عليه السّلام: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، قال: اللهمّ نعم، قال عليه السّلام: أ فلا تجيز شهادة أحد سيّدى شباب أهل الجنّة، و الله لتخرجنّ إلى بانقيا فلتقتضينّ بين أهلها أربعين يوماً، ثمّ سلّم الدّرع إلى اليهودى فقال اليهودى: أمير المؤمنين مشى معى إلى قاضيه ففضى عليه فرضى به، صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا و كذا عن جمل أوراق فالتقطتها و أنا أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليّ عليه السّلام: هذه الدّرع لك، و هذه الفرس لك، و فرض له فى تسعمائه فلم يزل معه حتّى قتل يوم صفين. انتهى.

و قال القاضى ابن خلّكان فى التاريخ: روى أنّ عليّ بن أبى طالب عليه السّلام دخل مع خصم ذمى إلى القاضى شريح فقام له، فقال: هذا أوّل جورك ثمّ أسند ظهره إلى الجدار و قال: أمّا إنّ خصمى لو كان مسلماً لجلست بجنبه.

أقول: الظاهر أنّهما قضيه واحده نقلها أبو الفرج بالتفصيل، و ابن خلّكان بالإجمال إلّا أنّ أبا الفرج لم ينقل قوله عليه السّلام له «هذا أوّل جورك».

و كذا يشير إلى هذه القضيّه ما فى الرّوضات و غيره حيث قالوا: روى أنه عليه السّلام سخط على شريح مرّه فطرده من الكوفه و لم يعزله عن القضاء و أمره بالقيام ببانقيا، و كانت قريه من الكوفه أكثر سكّانها اليهود، فأقام بها مدّه حتّى رضى عنه و أعاده إلى الكوفه.

و روى قريب هذه المحاكمه فى الكافى و التهذيب و الفقيه و جاء بها الفيض فى أبواب القضاء و الشهادات من الوافى (ص ١٤١ ج ٩) عن ابن أبى عمير، عن البجلي قال: دخل الحكم بن عتيبه و سلمه بن كهيل على أبى جعفر عليه السلام، فسألاه عن شاهد و يمين فقال: قضى به رسول الله صلى الله عليه و آله، و قضى به على عليه السلام عندكم بالكوفه فقالا: هذا خلاف القرآن: قال عليه السلام: و أين وجدتموه خلاف القرآن؟ فقالا:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ «وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ» (الطلاق - ٣) فقال لهما أبو جعفر عليه السلام: و أشهدوا ذوى عدل منكم هو أن لا تقبلوا شهاده واحد و يمينا؟! ثم قال عليه السلام:

إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَاعِدًا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَمَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُفْلٍ التَّمِيمِيُّ وَمَعَهُ دَرَعٌ طَلْحَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذِهِ دَرَعٌ طَلْحَهُ أَخَذْتَ غُلُولًا يَوْمَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُفْلٍ: فَاجْعَلْ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ قَاضِيكَ الَّذِي رَضِيْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ شَرِيحًا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذِهِ دَرَعٌ طَلْحَهُ أَخَذْتَ غُلُولًا - يَوْمَ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ: هَاتِ عَلِيٌّ مَا تَقُولُ بَيْنَهُ، فَأَتَاهُ بِالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَشَهِدَ أَنَّهَا دَرَعٌ طَلْحَهُ أَخَذْتَ غُلُولًا يَوْمَ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: هَذَا شَاهِدٌ وَ لَا أَقْضَى بِشَهَادَةِ شَاهِدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مَعَهُ آخِرٌ، قَالَ: فَدَعَا قَبْرًا فَشَهِدَ أَنَّهَا دَرَعٌ طَلْحَهُ أَخَذْتَ غُلُولًا يَوْمَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ شَرِيحٌ: هَذَا مَمْلُوكٌ وَ لَا أَقْضَى بِشَهَادَةِ مَمْلُوكٍ، قَالَ: فَغَضِبَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَالَ: خَذُوهَا فَإِنَّ هَذَا قَضَىٰ بِجُورٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قال: فنحو شريح عن مجلسه ثم قال: لا أقضى بين اثنين حتى تخبرني من أين قضيت بجور ثلاث مرّات؟.

فقال له: ويلك أو ويحك إنى لما أخبرتك أنّها درع طلحه اخذت غلولا يوم البصره فقلت هات على ما تقول بينه و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله حيث ما وجد غلول اخذ بغير بينه فقلت رجل لم يسمع الحديث فهذه واحده، ثم أتيتك بالحسن عليه السلام فشهد، فقلت: هذا واحد و لا أقضى بشهاده واحد حتى يكون معه آخر و قد قضى رسول الله صلى الله عليه و آله بشهاده واحد و يمين فهذه ثنتان، ثم أتيتك بقبر فشهد أنّها درع طلحه اخذت غلولا يوم البصره فقلت: هذا مملوك و لا أقضى بشهاده مملوك و ما بأس بشهاده المملوك إذا كان عدلا ثم قال: ويلك أو ويحك إمام المسلمين

يؤتمن من امورهم على ما هو أعظم من هذا.

قال الفيض في بيانها: الغلول الخيانة و ربما يختصّ بالغنيمه يقال: غلّ شيء من المغنم إذا اخذ في خفيه، و لعلّ الوجه في جواز أخذ الغلول بغير بينه أنه ممّا يعرفه العسكر و لم يقسم بعد بين أهله لبيع و يوهب، و كفى بهذه القضيّه شاهدا على حماقه شريح، إلى آخر ما قال.

ثمّ و ممّا يليق أن يذكر في المقام تنبيها للقضاء و غيرهم من ذوى المناصب أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: الفقر فخرى، و هذا الفقر قد فسّر بالفقر إلى الله تعالى قال عزّ من قائل «أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» (فاطر - ١٧) كما هو السائر في ألسنه العرفاء.

و لكن يمكن أن يفسّر بوجه آخر و هو أن يكون الفقر بمعناه المصطلح الدراج أى الفقر من الدرهم و الدينار و الأرض و الدار و غيرها من حطام الدنيا و زخارفها، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله يباهى بفقره من حيث إنّه لم يخن الناس و لم يطمع إلى أموالهم مع أنّ الدنيا كانت مقبله إليه، و لو شاء أن يكون له بيت من زخرف فما فوقه لتيسّر له و قد قدّمنا في شرح الخطبه ٢٣٣ (ص ٩٣ ج ١ من تكمله المنهاج) كانت عنده صلّى الله عليه و آله فى مرضه الذى توفى منه سبعة دنانير أو ستّه فأمر أن يتصدّق بها و قال صلّى الله عليه و آله: ما ظنّ محمد برّبّه أن لو لقي الله و هذه عنده؟.

و لا ريب أنّ ذا منصب و مقام إذا زاد أمواله على قدر اجرتة و نفقته من غير نسبه متناسبه كما نرى فى عصرنا هذا أنّ كثيرا من أشباه الرّجال و لا رجال إذا تولّوا أمرا من الامور لم ينصرم عليهم برهه من الزّمان إلّا بلغت أموالهم من الدّور و القصور و النقود و الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبه اولى القوّه، أتبع الشيطان لا جرم فعدل عن سواء الطريق، فخان الناس.

و لو لا السرقة و الخيانه و الارشاء و أكل المال بالباطل فأنتى حصلت له، و لم لم تحصل للاخر الشريف النجيب الأصيل المؤمن الموحد الرّؤوف بالنّاس و خدومهم فحرى أن يقال لهؤلاء اللّصوص: اجتنبوا عن ظلم العباد فإنّ ربّكم لبالمرصاد

و إن لم يكن لكم دين فكونوا فى دنياكم أحرارا، و لا تكونوا كالذين قال الشاعر فيهم:

ليل البراغيث ليل لا نفاذ له لا بارك الله فى ليل البراغيث

كأنهنّ بجسمى إذ خلون به قضاة سوء على مال المواريث

ثمّ الروايات فى ذمّ أخذ الرشاه فى الحكم و ذمّ القاضى الجائر فى الحكم كثير جدّا مع أنّها تمضى حكم العقل فى ذلك، لأنّ العقل يحكم بدمّ الرشا و الجور.

روى فى الكافى و التهذيب عن سماعه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: الرشا فى الحكم هو الكفر بالله.

و فيهما عن ابن مسكان عن يزيد بن فرقد قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن السحت فقال: الرشا فى الحكم.

بيان: مراد السائل من السحت هو قوله تعالى: «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» الايه (المائده - ٤٧) و قوله تعالى: «و ترى كثيراً منهم يفسارعون فى الأيّم و العيّدوان و أكلهم السُّحْتِ» و قوله تعالى «لَوْ لا - ينهاهم الرّبّياتيون و الأخبار عن قولهم الأيّم و أكلهم السُّحْتِ» (المائده - ٦٨ و ٦٩) فسأله عليه السّلام عن السحت أى ما معناه فى القرآن الكريم أكالون للسحت و أكلهم السحت. و نعم ما قال العارف الرّومى:

تا تو رشوت نستدى بيننده اى چون طمع كردى ضرير و بنده اى

«ذكر شريح و نسبه و خبره»

قد اختلف الرواه فى نسبه اختلافا كثيرا و أصحّ الطرق فيه هو: أبو اميّه شريح بن المحارث بن قيس بن الجهم بن معاويه بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاويه بن ثور بن مرّع - بتشديد التاء المثناه من فوقها و كسرهما - الكندى، كما فى الأغانى (ص ٣٥ ج ١٦ طبع ساسى) و اسد الغابه و تاريخ ابن خلّكان و غيرها من الكتب المعتمده.

و فى الروضات للخوانسارى: الكندى بكسر الكاف نسبه إلى كنده التى

لقب بها جدّه الثامن ثور بن مرتع الكوفى، لأنّه كند أباه نعمته بمعنى كفرها و كذا فى تاريخ ابن خلّكان أيضا.

و قال فى الأغانى بعد ذكر نسبه المذكور: و قد اختلف الرّواه بعد هذا فى نسبه فقال بعضهم: شريح بن هانىء، و هذا غلط، ذاك شريح بن هانىء الحارثى، و اعتلّ من قال هذا بخبر روى عن مجاهد عن الشعبي أنّه قرأ كتابا من عمر إلى شريح من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء، و قد يجوز أن يكون كتب عمر هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثى و قرأه الشعبي و كلا هذين الرّجلين معروف، و الفرق بينهما النسب و القضاء، فإنّ شريح بن هانىء لم يقض و شريح ابن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب و علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و قيل: شريح بن عبد الله، و شريح بن شراحيل، و الصحيح ابن الحارث و ابنه أعلم به.

أقول: و إنما قال و ابنه أعلم به لأنّه روى نسبه المذكور عن هشام بن السائب و عن ابن شريح ميسره بن شريح.

ثمّ روى باسناده عن أبى ليلى أنّ خاتم شريح كان نقشه: شريح الحارث و قيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذى يزن و عداه فى كنده و قد روى عنه شبيه بذلك.

و روى باسناده عن الشعبي قال: جاء أعرابى إلى شريح فقال: من أنت؟ قال: أنا من الذين أنعم الله عليهم و عدادى فى كنده. و روى عن أبى حصين قال:

كان شريح إذا قيل له: ممّن أنت؟ قال: ممّن أنعم الله عليه بالإسلام عديد كنده قال و كيع: و قيل: إنه لما خرج إلى المدينة ثمّ إلى العراق لأنّ أمّه تزوّجت بعد أبيه، فاستحيا.

و فى اسد الغابه: أنّه أدرك النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلم و لم يلقه، و قيل لقيه، و استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفه فقضى بها أيام عمر و عثمان و علىّ، و لم يزل على القضاء بها إلى أيام الحجاج، فأقام قاضيا بها ستين سنه، و كان أعلم الناس بالقضاء

ذا فطنه و ذكاء و معرفه و عقل، و كان شاعرا محسنا، له أشعار محفوظة و كان كوسجا لا شعر فى وجهه.

قال: روى على بن عبد الله بن معاوية بن ميسره بن شريح القاضى، عن أبيه عن جدّه معاويه، عن شريح أنه جاء إلى النبىّ صلى الله عليه و آله فأسلم ثم قال: يا رسول الله إنّ لى أهل بيت ذو عدد باليمن فقال له: جىء بهم، فجاء بهم و النبىّ صلى الله عليه و آله قد قبض.

و قال ابن خلكان: كان من كبار التابعين و أدرك الجاهليّه و استقضاءه عمر ابن الخطاب على الكوفه فأقام قاضيا خمسا و ستين سنه لم يتعطّل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء فى فتنه ابن الزبير، و استعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه و لم يقض بين اثنين حتّى مات.

و قال ابن عبد البر: و كان شاعرا محسنا، و هو أحد السادات الطلس و هم أربعة: عبد الله بن الزبير، و قيس بن سعد بن عباده، و الأحنف بن قيس الذى يضرب به المثل فى الحلم، و القاضى شريح المذكور.

الطلس: جمع الأطلس أى الذى لا شعر فى وجهه و قال الخوانسارى فى الروضات: و قيل: إنه من الكواسج الأربعة و فيه مسامحه، لأنّ الكوسج فى اللغه من كانت لحيته على الذقن دون العارضين أو كان خفيفها جدّا و كذلك فى العرف و عليه قول بعض أهل الحكمة: ما طالت لحيه أحد إلا تكوسج عقله، بمعنى رقّ و خفّ - انتهى.

أقول: الكوسج إن كان معرّب كوسه كما فى البرهان القاطع قال: كوسه بر وزن بوسه معروف است يعنى شخصى كه او را در چانه و زنج زياده بر چندی موى نباشد و معرّب آن كوسج است، فهو كما قاله الخوانسارى، و إن كان عربيّا من كسج الرّجل أى لم ينبت له لحيه فالتعبير بالكوسج صحيح بلا مسامحه و إن كان الأوّل هو الأصحّ و الأصوب، قال الجوهرى: الكوسج الأثظ و هو معرّب، و قال الأزهرى لا أصل له فى العربيّه. و الأثظ هو الذى لحيته على ذقنه لا على العارضين.

و كان شريح خفيف الروح مزاحا دخل عليه عذى بن أراطه (حاتم خ ل) فقال له: أين أنت أصلحك الله؟ فقال: بينك و بين الحائط قال: استمع منى، قال:

قل أسمع، قال: إني رجل من أهل الشام، قال: من مكان سحيق، قال: تزوجت عندكم، قال: بالرفاء و البنين، قال: و أردت أن أرحلها، قال: الرجل أحق بأهله، قال: و شرطت لها دارها، قال: الشرط أملكك، قال: فاحكم الان بيننا قال: قد فعلت، قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن امّيك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن اخت خالتك. نقله الجاحظ فى البيان و التبيين (ص ٩٨ ج ٤ طبع مصر ١٣٨٠ هـ) و ابن خلكان فى وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان.

و فى الوفيات أيضا: حدّث أبو جعفر المدنى عن شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة لبييعها فقال له المشتري: يا أبا امّيه كيف لبنها؟ قال: احلب فى أى إناء شئت، قال: كيف الوطأ؟ قال: افرش و نم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها فى الابل عرفت مكانها علّق سوطك و نم، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، فاشترها فلم ير شيئا ممّا وصفها به. قال: ما كذبتك قال:

أقلنى قال: نعم.

و فيه أيضا: قيل: تقدم رجلان إلى شريح فاعترف أحدهما بما ادّعى عليه و هو لا يعلم بذلك فقضى عليه، فقال الرجل: تقضى على من غير بينه؟ فقال:

قد شهد عندى الثقة، قال: و من هو؟ قال: ابن أخى عمّك. و قد ألمّ بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين الحجاج:

و إن قدّموا خيلهم للركوب خرجت فقدّمت لى ركبتي

و فى جمل الناس غلمانهم و ليس سوى أنا فى جملتى

و لا لى غلام فادعى به سوى من أبوه أخو عمّتى

قال: و قال الأشعث بن قيس لشريح: ما أشدّ ما ارتفعت؟! قال: فهل ضرّك ذلك؟ قال: لا، قال: الأشعث بن قيس لشريح: ما أشدّ ما ارتفعت! قال: فهل ضرّك ذلك؟ قال: لا، قال: فأراك تعرف نعمه الله عليك فيحفظها فى نفسك.

قال: و حدّث محمّد بن سعد عن عامر الشعبي أنّ ابن الشريح قال لأبيه: إنّ بينى و بين قوم خصومه فانظر فان كان الحقّ لى خاصمت و إن لم يكن لى الحقّ

لم اخاصمهم، فقصّ قصّته عليه، فقال: انطلق فخاصمهم، فانطلق إليهم فتخاصموا إليه فقضى عليه ابنه، فقال لَمَّا رجع إلى أهله: و الله لو لم أتقدّم إليك لم ألمك فقال: و الله يا بنى لأنت أحبّ إليّ من ملء الأرض مثلهم، و لكنّ الله هو أعزّ عليّ منك خشيت أن اخبرك أنّ القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقّهم.

و عن الشعبي أيضا قال: شهدت شريحا و جائته امرأه تخاصم رجلا فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: يا أبا اميّه ما أظنّ هذه الباكيه إلاّ مظلومه، فقال: يا شعبي إنّ إخوه يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

قال: و يروى أنّ زياد بن أبيه كتب إلى معاويه: يا أمير المؤمنين قد ضببت لك العراق بشمالي و فرغت يميني لطاعتك فولّني الحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر و كان مقيما بمكّه فقال: اللهم اشغل عنّا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه فجمع الأطباء و استشارهم فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحا و عرض عليه ما أشار به الأطباء فقال له: لك رزق معلوم و أجل محتوم و إنى أكره إن كانت لك مدّه أن تعيش في الدّنيا بلا يمين، و إن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليمين، فاذا سألك لم قطعها؟ قلت: بغضا في لقائك و فرارا من قضائك فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحا على منعه من القطع لبغضهم له فقال: إنه استشارني و المستشار مؤتمن، و لو لا الأمانه في المشوره لوددت أنه قطع يده يوما و رجله يوما. و سائر جسده يوما يوما.

و كان شريح رجلا داهيا، قال الدميري في حيوه الحيوان: قيل للشعبي:

يقال في المثل: إنّ شريحا أدهى من الثعلب و أحيل. فما هذا؟ فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلىّ يجيء ثعلب فيقف تجاهه و يحاكيه و يخيل بين يديه و يشغله عن صلاته، فلَمَّا طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبه و أخرج كميّه و جعل قلنسوته عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه و أخذه بغته فلذلك يقال: شريح أدهى من الثعلب و أحيل.

و كان شاعرا محسنا و ذكر أبياتا منه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني و القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ففي الأغاني، بعد ذكر خبر زينب بنت حدير و ترويح شريح إياها قال: قال شريح: فما غضبت عليها قطّ إلا مرّه كنت لها ظالما فيها، و ذاك إني كنت إمام قومي فسمعت الإقامه و قد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقربا فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت:

يا زينب لا- تحرّكي الإناء حتّى أجيء. فعجلت فحرّكت الإناء فضربت بها العقرب فجئت فإذا هي تلوى، فقلت: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب فلو رأيتني يا شعبي و أنا أعرك اصبعها بالماء و الملح و أقرأ عليها المعوذتين و فاتحه الكتاب، و كان لي يا شعبي جار يقال له: ميسره بن عرير من الحيّ، فكان لا يزال يضرب امرأته فقلت:

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينبا

يا شعبي فوددت أني قاسمتها عيشي، قال: و ممّا يغنى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب:

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يميني يوم أضرب زينبا

أضربها في غير جرم أنت به إليّ فما عذري إذا كنت مذنبا

فزينب شمس و النساء كواكب إذا طلعت لم تبد منهنّ كوكب

فتاه تزين الحلبي إن هي حليت كأنّ بفيها المسك خالط محلبا

أقول: و قال آخر نحو مضمون البيت الأخير:

و إذا الدّرّ زان حسن وجوه كان للدّرّ حسن وجهك زينا

و كذا قال بهذا المضمون حسين بن مطير «بالتصغير» في باب النسب من الحماسه (الحماسه ٤٦٠):

مخصّره الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

و بهذا المضمون للشيخ الأجلّ السعدى بالفارسيه:

تو از هر در که باز آیی بدین خوبی و رعنائی دری باشد که از رحمت بروی خلق بگشائی

بزیورها بیاریند مردم خوبرویان را تو سیمین تن چنان خوبی که زیورها بیارائی

و ذکر أبو الفرج فی الأغانی أنّ شریحا قال هذه الأبیات الاتیه فی زوجته زینب بنت حدیر التمیمیه أيضا، ثمّ قال: و ذکر اسحاق فی کتاب الاغانی المنسوب الیه أنه لابن محرز:

إذا زینب زارها أهلها حشدت و أكرمت زوارها

و إن هی زارتهم زرتهم و إن لم أحد لی هوی دارها

فسلمی لمن سالمت زینب و حربی لمن أشعلت نارها

و ما زلت أروعی لها عهدھا و لم أتبع ساعه عارھا

و فی تاریخ ابن خلکان: روی أنّ علیا علیه السّلام قال: اجمعوا إلیّ القراء فاجتمعوا فی رحبه المسجد فقال: إنّی اوشک أن افارقکم، فجعل یسألهم ما تقولون فی کذا؟. ما تقولون فی کذا؟، ما تقولون فی کذا؟، و شریح ساکت، ثمّ سأله فلما فرغ منهم قال: اذهب فأنت من أفضل الناس أو من أفضل العرب.

و فی الروضات بعد نقل هذه الروایه من ابن خلکان قال: و أنت خیر بأنّ من هذه الروایه العامیه تلوح آثار الوضع إلی آخر ما قال، فراجع و تأمل.

و قال فی الأغانی باسناده عن الشعبي: إنّ عمر بن الخطاب أخذ من رجل فرسا علی سوم فحمل علیه رجلا فعطب الفرس، فقال عمر: اجعل بینی و بینک رجلا، فقال له الرجل: اجعل بینی و بینک شریحا العراقی، فقال: یا أمیر المؤمنین أخذته صحیحا سلیمما علی سوم فعلیک أن تردّه كما أخذته، قال: فأعجبه ما قال و بعث به قاضیا ثمّ قال: ما وجدته فی کتاب الله فلا تسأل عنه أخذا، و ما لم تستبن فی کتاب الله فالزم السنّه، فإن لم یکن فی السنّه فاجتهد رأیک.

أقول: قد قدّمنا فی المباحث السالفه أنّ کلّ ما یحتاج الیه الناس من امور الدّین قد جاء به الكتاب و السنّه یستنبط منهما الأحكام الجزئیة.

و فى الأغانى قال عمر لشريح حين استقضاه: لا تشار، و لا تضار، و لا تشتر و لا تبع، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين:

إنَّ القضاء إن أرادوا عدلا و فصلوا بين الخصوم فصلا

و زحزحوا بالحكم منهم جهلا كانوا كمثل الغيث صاب محلا

ثم قال: و له أخبار فى قضايا كثيرة يطول ذكرها، و فيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمه أمير المؤمنين على عليه السلام فى الدرر و قد قدمناها فى البحث السابق آنفا.

و قد روى ثقه الإسلام الكلينى فى الكافى و الصدوق فى الفقيه و شيخ الطائفة فى التهذيب و الفيض فى أبواب القضاء و الشهادات من الوافى (ص ١٥٩ ج ٩) قضيه قضى بها شريح أولا ثم قضى بها أمير المؤمنين على عليه السلام بخلافه رادا عليه و هى:

أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل المسجد فاستقبله شاب يبكى و حوله قوم يسكتونه، فقال على عليه السلام: ما أبكاك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ شريحا قضى على بقضيه ما أدرى ما هى، إنَّ هؤلاء النفر خرجوا بأبى معهم فى السفر فرجعوا و لم يرجع أبى فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما ترك مالا فقدّمتهم إلى شريح فاستحلفهم، و قد علمت يا أمير المؤمنين أنَّ أبى خرج و معه مال كثير، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: ارجعوا، فرجعوا و الفتى معهم إلى شريح، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء القوم؟ فقال:

يا أمير المؤمنين ادعى هذا الفتى على هؤلاء النفر أنهم خرجوا فى سفر و أبوه معهم فرجعوا و لم يرجع أبوه، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله فقالوا: ما خلف مالا، فقلت للفتى: هل لك بينه على ما تدعى؟ فقال: لا، فاستحلفتهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هيهات يا شريح هكذا تحكم فى مثل هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين فكيف؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: و الله لأحكمنّ فيهم بحكم ما حكم به خلق قبلى إلا داود النبى عليه السلام، يا قنبر ادع لى شرطه الخميس، فدعاهم فوكل بكل

واحد منهم رجلا من الشرطه، ثم نظر إلى وجوههم فقال: ما ذا تقولون؟ أ تقولون إنى لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى؟ إنى إذا لجاهل، ثم قال: فرّوهم غطّوا رؤوسهم ففرّق بينهم و اقيم كلّ رجل منهم إلى اسطوانه من أساطين المسجد و رؤوسهم مغطاه بشيا بهم.

ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه فقال: هات صحيفه و دواه، و جلس أمير المؤمنين عليه السّلام فى مجلس القضاء و اجتمع الناس إليه فقال لهم: إذا أنا كبرت فكبروا، ثم قال للناس: افرجوا.

ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه و كشف عن وجهه ثم قال لعبيد الله:

اكتب إقراره و ما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: فى أى يوم خرجتم من منازلكم و أبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: فى يوم كذا.

و كذا، قال عليه السّلام فى أى شهر؟ قال: فى شهر كذا و كذا، قال عليه السّلام: فى أى سنه؟ قال فى سنه كذا و كذا، قال: و إلى أين بلغتكم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا و كذا، قال عليه السّلام: فى منزل من مات؟ قال:

فى منزل فلان بن فلان: قال: و ما كان مرضه؟ قال: كذا و كذا، قال عليه السّلام:

فكم يوما مرض؟ قال، كذا و كذا، قال عليه السّلام، فمن كان يمرّضه و فى أى يوم مات و من غسّله و أين غسّله، و من كفّنه و بم كفّتموه، و من صلّى عليه و من نزل قبره؟ فلمّا سأله عن جميع ما يريد كبر أمير المؤمنين عليه السّلام و كبر الناس جميعا فارتاب اولئك الباقون و لم يشكّوا أنّ صاحبهم قد أقرّ عليهم و على نفسه، فأمر عليه السّلام أن يغطّى رأسه و ينطلق به إلى السجن.

ثم دعا باخر فأجلسه بين يديه و كشف عن وجهه ثم قال عليه السّلام، كلاً زعمتم أنّى لا أعلم بما صنعتم؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلا واحد من القوم و لقد كنت كارها لقتله فأقرّ.

ثم دعا بواحد بعد واحد كلّهم يقرّ بالقتل و أخذ المال ثم ردّ الذى كان أمر به إلى السجن فأقرّ أيضا فألزمهم المال و الدّم.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين و كيف كان حكم داود النبي عليه السّلام؟ فقال عليه السّلام: إنّ داود النبي مرّ بغلمه يلعبون و ينادون بعضهم بيّامات الدّين فيجيب منهم غلام، فدعاهم داود عليه السّلام فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقال: مات الدّين فقال له داود: من سمّاك بهذا الاسم؟ فقال: أمّي، قال عليه السّلام: فانطلق داود عليه السّلام إلى امّه فقال لها: يا أيتها المرأه ما اسم ابنك هذا؟ فقالت: مات الدّين، فقال لها: و من سمّاه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه، قال: و كيف كان ذلك؟ قالت: إنّ أباه خرج في سفر له و معه قوم و هذا الصبيّ حمل في بطني فانصرف القوم و لم ينصرف زوجي فسألتهم عنه فقالوا: مات، فقلت لهم: فأين ما ترك؟ قالوا: لم يخلف شيئا فقلت: هل أوصاكم بوصيّه؟ قالوا: نعم زعم أنك جلي فما ولدت من ولد جاريه أه غلام فسميّه مات الدّين، فسميّه.

قال داود: و تعرفين القوم الّذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم قال: فأحياء هم أم أموات؟ قالت: بل أحياء، قال: فانطلقى بي إليهم.

ثمّ مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم بعينه و أثبت عليهم المال و الدّم، ثمّ قال للمرأه: سميّ ابنك هذا عاش الدّين.

ثمّ إنّ الفتى و القوم اختلفوا في مال الفتى كم كان؟ فأخذ أمير المؤمنين عليه السّلام خاتمه و خواتيم من عنده ثمّ قال: اجبلوا بهذه السهام فأيكّم أخرج خاتمي فهو صادق في دعواه، لأنّه سهم الله و سهم الله لا يخيب.

ثمّ إنّ الكليني روى تلك القضيّه باسناده عن الأصبع بن نباته أيضا و قال:

إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لما رأى قضاء شريح فيها قال:

أوردها سعد و سعد مشتمل ما هكذا تورّد يا سعد الابل

و قال عليه السّلام: ما يغنى قضاك يا شريح، ثمّ قال عليه السّلام: و الله لأحكمنّ فيهم بحكم ما حكمه قبلي إلاّ داود النبي عليه السّلام - إلى آخرها.

بيان: قال الميداني في باب الألف من مجمع الأمثال في بيان مثل «آبل من مالك بن زيد منا» هو سبط تميم بن مرّه، و كان يحمق إلاّ أنه كان آبل أهل

زمانه، ثم إنه تزوّج و بنى بامرأته فأورد الإبل أخوه سعد و لم يحسن القيام بها و الرفق عليها، فقال مالك: أورها سعد، البيت. فأجابه سعد و قال:

يظلّ يوم و ردها مزعفرا و هى خناطيل تجوش الخضرا

و قال فى فصل الواو الساكنه منه فى بيان مثل

«أورها سعد و سعد مشتمل»

يضرب لمن قصّر فى طلب الأمر. انتهى.

فمراده عليه السّلام أنّ شريحا قصّر فى حكم هذه القضيّه و لم يحسن القيام به.

و فى المجلّد العاشر من البحار ص ٩٠ طبع الكمباني: ادّعى رجل على الحسن ابن عليّ عليهما السّلام ألف دينار كذبا و لم يكن له عليه فذهبا إلى شريح فقال للحسن عليه السّلام أ تحلف؟ قال: إن حلف خصمى أعطيه، فقال شريح للرجل: قل بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهاده، فقال الحسن عليه السّلام: لا اريد مثل هذا لكن قل: بالله إنّ لك على هذا و خذ الألف، فقال الرجل ذلك و أخذ الدنانير، فلمّا قام خرّ إلى الأرض و مات، فسئل الحسن عليه السّلام عن ذلك فقال: خشيت أنه لو تكلم بالتوحيد يغفر له يمينه ببركه التوحيد و يحجب عنه عقوبه يمينه.

أقول: و نظير ذلك روى الشيخ المفيد فى الإرشاد و الكليني فى الكافى و الفيض فى الوافى (ص ٢٤٥ ج ٥) عن أبى عبد الله عليه السّلام و هو أنّ المنصور أمر الربيع باحضاره فأحضره فلمّا بصر به المنصور قال له: قتلتى الله إن لم أقتلك أتلحد فى سلطانى و تبغينى الغوائل؟ فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: و الله ما فعلت و لا أردت و إن كان يلغك فمن كاذب، و لو كنت فعلت فقد ظلم يوسف فغفر، و ابتلى أيوب فصبر، و اعطى سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله و إليهم يرجع نسبك.

فقال له المنصور: أجل ارتفع ههنا فارتفع، فقال له: إن فلان بن فلان أخبرنى عنك بما ذكرت، فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقنى على ذلك، فاحضر الرجل المذكور فقال له المنصور: أنت سمعت ما حكيت عن جعفر عليه السّلام؟ قال:

نعم، فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: فاستحلفه على ذلك.

فقال له المنصور: أ تحلف؟ قال: نعم، و ابتدأ باليمين. فقال له أبو عبد الله

عليه السّلام: دعنى يا أمير المؤمنين احلفه أنا، فقال له: افعَل فقال أبو عبد الله عليه السّلام للسّاعى: قل: برئت من حول الله و قوّته و التجّات إلى حولى و قوّتى لقد فعل كذا و كذا جعفر و قال كذا و كذا جعفر، فامتنع منها هنيئاً ثم حلف بها فما برح حتى ضرب برجله فقال أبو جعفر: جرّوا برجله فأخرجوه لعنه الله.

قال الربيع: و كنت رأيت جعفر بن محمّد عليهما السّلام حين دخل على المنصور يحرك شفّتيه. فكلمهما سکن غضب المنصور حتّى أدناه منه و قد رضى عنه، فلمّا خرج أبو عبد الله عليه السّلام من عند أبى جعفر اتبعته فقلت له: إنّ هذا الرّجل كان من أشدّ الناس غضباً عليك فلمّا دخلت عليه دخلت و أنت تحرك شفّتيك و كلّما حرّكتها سکن غضبه فبأى شىء كنت تحركهما؟.

قال عليه السّلام: بدعاء جدّى الحسين بن علىّ عليهما السّلام قلت: جعلت فداك و ما هذا الدّعاء؟ قال: «يا عدّتى عند شدّنى و يا غوثى عند كربتى احرسنى بعينك الّتى لا تنام و اكتفىنى بركنك الّذى لا يرام».

قال الربيع: فحفظت هذا الدّعاء فما نزلت بى شدّه قطّ إلاّ دعوت به ففرّج عنى.

قال: و قلت لجعفر بن محمّد عليهما السّلام: لم منعت السّاعى أن يحلف بالله؟.

قال عليه السّلام: كرهت أن يراه الله يوحدّه و يمجّده فيحلم عنه و يؤخّر عقوبته فاستحلفتها بما سمعت، فأخذ الله أخذاً راييه.

و فى عاشر البحار ص ١٧٩ طبع الكمبانى أنّ ابن زياد لما ضرب بالقضيب هانيا رضوان الله عليه فى قضيه مسلم بن عقيل عليه السّلام حتّى كسر أنفه و سال الدّماء على ثيابه و وجهه و لحيته و نثر لحم جبينه و خدّه على لحيته حتى كسر القضيب ثم أمر بإلقائه فى بيت من بيوت الدّار و حبسه فيه بلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانيا قد قتل فأقبل فى مذبح حتّى أحاط بالقصر و معه جمع عظيم، ثم نادى و قال: أنا عمرو بن الحجاج و هذه فرسان مذبح و وجوهها لم نخلع طاعه و لم نفارق جماعه و قد بلغهم أنّ صاحبهم قد قتل فأعظموا ذلك.

فقيل لابن زياد: هذه فرسان مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبكم فانظر إليه ثم اخرج و أعلمهم أنه حتى لم يقتل.

فدخل شريح فنظر إليه فقال هانيء لما رأى شريحا: يا لله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟ و الدماء تسيل على لحيته إذ سمع الصيحه على باب القصر فقال: إني لأظنها أصوات مذحج و شيعة من المسلمين إنه إن دخل على عشره نفر أنقذوني.

فلما سمع مقاله شريح خرج إليهم فقال لهم: إن الأمير لَمَّا بلغه كلامكم و مقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاكم و أعزفكم أنه حتى و أن الذي بلغكم من قتله باطل، فقال له عمرو بن الحجاج و أصحابه: أما إذا لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا.

و في روضات الجنات بعد نبذه من ترجمه شريح قال:

و بالجمله فالأخبار في خباثه رأى هذا الرجل و سوء عاقبته كثيره، و حسب الدلالة على غايه ملعنته و شقاوته كونه من جمله من ترك إغاثة مولانا الحسين عليه السلام بكلمه خير عند بني امية، كانت تمكنه يقينا بل كونه من جمله من تسبب ذلك منه و من أمثاله الذين كانوا يطئون بساط الظالم عبيد الله بن زياد الملعون في دار الإمارة كوفه، كما يشهد بذلك واقعه مسلم بن عقيل المظلوم و ولديه الشهيدين و ما صدر منه في حقهم و بدر منه على قتلهم، و يؤيده أيضا ما نقل عن أبي مخنف الأزدي صاحب المقتل أنه ذكره من جمله من قتله المختار في زمن انتقامه من بني امية و أتباعهم الملعونين. فليتأمل. انتهى قوله.

اختلف في سنه فقيل: مائه و عشرون سنه، و قيل: مائه و عشر، و قيل: أقل من ذلك و أكثر، و كان وفاته سنه سبع و ثمانين للهجرة، و قيل غير ذلك.

و في الأغاني عن أبي سعيد الجعفي أنه مات في زمن عبد الملك بن مروان، و فيه باسناده عن الأصمعي ولد شريح و هو ابن مائه سنه.

و في الروضات، أنه كان خفيف الروح مزاحا و يشهد بصحة هذه النسبه إليه

طول عمره فانّ من أشدّ ما ينقص به العمر و ينقص به العيش إنّما هو زيادة الغيره و الاغتنام، و الشفقّه على أهل الكروب. انتهى.

الترجمه

این کتابیست از امیر المؤمنین علی علیه السلام که بقاضی خود شریح بن حارث مرقوم فرموده است:

روایت است که شریح در زمان خلافت امیر المؤمنین علیه السلام که از جانب آن بزرگوار بسمت قضا منصوب بود، خانه ای بهشتاد دینار خرید، این خبر بان جناب رسید و شریح را طلبید و بدو گفت که شنیدم خانه ای بهشتاد دینار خریده ای و سند و قبالة بر آن نوشته ای و جمعی را بر آن گواه گرفته ای؟.

شریح گفت: ای امیر المؤمنین آری چنین است.

راوی گفت: چون علی این سخن از شریح بشنید خشمگین در وی نگریست و گفت ای شریح آگاه باش که بزودی کسی بسویت آید (مرگ، یا جان شکر) که در قبالة ات ننگرد و از گواहत نپرسد تا از خانه تو را با چشم بی نور و جسم بی روح بدر برد و دست از همه چیز شده و جدا مانده بخانه گورت سپارد، پس ای شریح با دیده بصیرت درنگر که مبادا آنرا از کسی که مالک آن نبوده خریده باشی، و یا بهای آنرا از مال حرام داده باشی که در این سرا و آن سرازیان کار خواهی بود.

بدان که گاه خرید آن اگر نزد من آمدی هر آینه این قبالة برایت نوشتمی که بدرمی آنرا نمی خریدی تا چه رسد که به بیشتر.

بسم الله الرحمن الرحيم این سرائیس که آنرا بنده ای خوار از مرده ای که از این سرا کوچش داده اند خریده است، خانه ای خریده که مسافت آن از جانب فانی شدگان تا سرزمین هالکان است. این سرا محدود به چهار حدّ است حدّ نخستین آن باسباب آفتها پایان می یابد، و دوّم آن بعلل مصیبتها، حدّ سوّم به هوای نفس، و چهارم آن به دیو گمراه کننده، و در آن در این حدّ گشوده می شود.

این شخص فریب آرزو خورده این خانه را از آنکه مرگش فرا رسیده و کوچ داده شد بیهای از عزت قناعت بدر رفتن و در ذلت سؤال بدر آمدن، خریده است.

پس اگر عوارضی در این معامله از پی پدید آید بر عهده خراب کننده خانه کالبد شاهان - و رباینده جان ستمکاران، و نابود کننده سلطنت فرعونان، همچون شاهان پارس و ملوک روم و سلاطین و والیان یمن، و آنانکه مال را بر مال انباشتند و بنا کردند و بر آفراشتند، و زینتش دادند و بیاراستند، و گنج نهفتند و آب و خاک گرد آوردند، و بدلسوزی فرزندان و بخیال یاری آنان مال اندوخته اند - مییاشد که فروشنده و خریدار و آنکه درک باو تعلق گرفته همه را در پیشگاه عدل الهی که خلاق را برای پرسش سان دهند و پپاداش و کیفر رسانند، حاضر کند تا آن گاه که فرمان خداوند قهار بفصل میان حق و باطل فرود آید مهم دعوی ایشان فیصل یابد، در آنجا تباه پیشه گان باطل کیش زیانکار شوند.

خرد آزاد از بردگی هوی، و سالم از امراض علائق دنیا بر این قباله شاهد عادل و حجت بالغ است.

و من کتاب له علیه السلام الی بعض امراء جیشه

اشاره

و هو الكتاب الرابع من باب المختار

من کتبه علیه السلام و رسائله:

فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك المذی نحب، و إن توافت الامور بالقوم إلى الشقاق و العصیان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، و استغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده (شهوده - خ ل) و قعوده أغنى من نهوضه.

ص: ۱۶۸

(توافت الامور) أى تتأمت، (الشقاق) بالكسر: المخالفة و العداوة (انهد) أى انهض أمر من نهد إلى العدو من بابى منع و نصر أى قصد لهم و أسرع فى قتالهم و نهض إليهم، و المناهذه المناهضة فى الحرب يقال: نهد لعدوه و إليه نهودا و نهدا بالفتح و التحريك اذا صمد لهم. و (استغن) بالغين المعجمه أمر من الاستغناء و فى كثير من النسخ جعل بالمهمله من الاستعانه و كذا مال غير واحد من المفسرين و المترجمين إلى المهمله لكته مذهب مهمل و طريقه عمياء كما سيتضح لك وجهه فى تقرير الإعراب و تحرير المعنى إنشاء الله تعالى.

(تقاعس عنك) أى أبطأ و تأخر عنك و تكاره القتال (المتكاره): المتسخط من تكارهه إذا تسخطه و لم يرض به يقال: فعله على تكاره و متكارها. و (المغيب) و (المشهد) مصدران كالغيبه و الشهود.

الإعراب

(الفاء) فى قوله عليه السلام: فذاك رابطه للجواب، لأنّ جواب الشرط أعنى ذاك الذى يحبّ جملة اسميه فهى من المواضع الستة التى لا تصلح لأن تكون شرطاً فيجب دخول الفاء فيها نحو قوله تعالى: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَئِثٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». و كذا الفاء فى قوله: فانهد، لأنّ الفعل هنا إنشائي فهذه الجملة من تلك المواضع أيضاً نحو قوله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي».

(بمن أطاعك) الباء صلة لقوله: فانهد إمّا بمعنى المصاحبه و المعية. أو الاستعانه.

(إلى من عصاك) صلة لقوله فانهد أيضاً لا- أطاعك لما علم فى اللغة أنه يقال نهد لعدوه و إليه. (عمّن تقاعس) متعلق بقوله استغن أيضاً و لا يصح استعمال عن مع الاستعانه.

(فانّ المتكاره) الفاء فى مقام التعليل لقوله عليه السلام: استغن، فهى فصيحته تنبىء عن محذوف يدلّ عليه ما قبله، و كأنّ الجملة جواب عن سؤال مقدّر، و التقدير:

و ما علّه الاستغناء بمن انقاد عمّن تقاعس؟ فأجاب بقوله: لأنّ المتكاره - إلخ.

و جمله (مغيبه خير من مشهده) خير لاسم إن أعنى المتكاره. و جمله (قعوده أغنى من نهوضه) معطوفه على الاولى.

المعنى

هذا الكلام هو جزء من كتاب له عليه السلام كما هو من دأب الشريف الرضى رضوان الله عليه من اختيار محاسن كلامه و البليغ منه و رفض ما عداه كما تبهنا به غير مره في شروحا السالفه، و هذا هو الظاهر من قوله: فان عادوا إلى ظل الطاعه، إلخ و هذا لا مريه فيه إلا- أنا لم نظفر به فى الكتب الموجوده عندنا بعد، و لكن قال الشارح البحرانى و المولى فتح الله القاسانى: روى أن الأمير الهذلى كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصره، و ذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها و عزموا على الحرب، فكتب عثمان إليه عليه السلام يخبره بحالهم، فكتب عليه السلام إليه كتابا فيه الفصل المذكور.

قوله عليه السلام (فإن عادوا إلى ظل الطاعه فذاك الذى نحب) الضمير فى عادوا يرجع إلى ناكثى بيعته عليه السلام أعنى طلحه و الزبير و أتباعهما، و قد قدمنا فى مباحثنا السالفه أنه لمّا تم أمر البيعه لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و أيس طلحه و الزبير ممّا كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعه لأحدهما بالإمامه نقضوا العهد و نكثوا البيعه و خرجوا إلى مكّه و اجتمعوا فيه و رأوا فى ذلك أمرهم فتحقق عزمهم على المسير إلى البصره، و سارت معهم عائشه بخدعتهم و مكرهم، حيث بعث طلحه و الزبير فى مكّه إلى عائشه عبد الله بن الزبير و قال- له: امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منّا و قل لها: إن طلحه و الزبير يقرءانك السلام و يقولان لك:

إن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما و أن على بن أبى طالب ابتز الناس أمرهم و غلبهم عليه بالسفهاء الذين تولّوا قتل عثمان و نحن نخاف انتشار الأمر به فان رأيت أن تسيرى معنا لعل الله يرتق بك فتق هذه الامه، و يشعب بك صدعهم، و يلّم بك شعثهم، و يصلح بك امورهم.

فأتاها عبد الله فبلغها ما أرسله به فأظهرت الامتناع أولا ثم أجابتهما غدا

إلى الخروج.

فلما انتهوا إلى البصره و عزموا على الحرب كتب عثمان بن حنيف و كان عامل أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام وقتئذ في البصره إلى أمير المؤمنين بحالهم.

فكتب عليه السّلام إليه: فان عادوا إلى ظلّ الطاعه فذاك الذي نحبّ و إنّما استعار لفظ الظلّ لأنّ الطاعه كما قيل يستلزم السلامه و الرفاهه و الراحه عن حراره الحرب كما يستلزم الظلّ الراحه من حراره الشمس قال تعالى «و ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ» امتنانا عليهم حيث سخّر لهم السحاب تسير بسيرهم في التيه و تظّلهم من حراره الشمس.

و في الحديث، السلطان ظلّ الله في الأرض، استعار الظلّ له لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظلّ أذى الشمس.

و يمكن بيانه بوجه أدقّ و ألطف من هذا و هو أنّ المراد من السلطان هو السلطان العادل الإلهي و إنّما كان ظلّه تعالى بمعنى أنه مظهره الأتمّ و مجلى أسمائه الحسنی، و صفاته العليا يحكى عنه بحيث من رآه كأنما رأى الله كما يحكى الظلّ عن ذی الظلّ و قد روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال: من رآني فقد رأى الله.

قوله عليه السّلام (و إن توافت الامور - إلى قوله - من عصاك) أي إن تتامت الامور بالقوم و تهتأت لهم أسباب المخالفه و توافقت و سلكهم في الشقاق و العصيان فانهض و أسرع مع من انقاد لك إلى من خالفك و خرج عن طاعتك أي الناكثين و أشياعهم.

قوله عليه السّلام (و استغن بمن انقاد - إلخ) من نظر في كلامه عليه السّلام حقّ النظر و تدبّر فيه علم أنّ قوله عليه السّلام: فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده اه في مقام التعليل لقوله: و استغن كما قدّمناه في الاعراب، و هذا لا يناسب إلا أن يكون استغن أمرا من الاستغناء لا- بالعين المهمله من الاستعانه، فانه عليه السّلام بين وجه الاستغناء بالمنقاد عن المتقاعس أي المتكاره بأن المتكاره عدم حضوره في الحرب خير من حضوره فيه، لأنه لا يقاتل على جدّ و اهتمام كما يقال بالفارسيّه: سگ که

ص: ١٧١

بزورش بشکار برند از او تک نیاید، و ربما انهزم و ولى الدبر فى أثناء الحرب فساعتئذ عمله هذا يوجب التخاذل و الوهن و الضعف فى العسكر فيتبعونه فى الفرار و نعم ما قاله السعدى بالفارسيه:

آنکه جنگ آرد بخون خویش بازی میکند روز میدان، و آن که بگریزد بخون لشکری

فالمتکاره يوجب مغيبه عن الحرب عدم الانتفاع به فقط، و حضوره فى الحرب موجب للمفسده العظيمه التى هى تخاذل العسكر و وهنهم، فمغيبه خير من شهوده و كذا قعوده عن الحرب أغنى من نهوضه إليها، و مثل قوله هذا قوله تعالى: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا» (التوبه - 48) و العجب من شارح البحرانى و المولى فتح الله القاسانى ذهباً إلى أن قوله: استعن، أمر من الاستعانه، على أن صله الاستعانه لا- تكون كلمه عن الجاره، و أمياً الشارح المعتزلى فلم يتفوه بشيء، و الأمر بين، و المخالف مكابر.

الترجمه

یکی از نامه های امیر المؤمنین علی علیه السلام این کتابست که آنرا ببعضی از سرداران لشکرش نوشته.

(این مقدار که در نهج البلاغه مذکور است برخی از آن نامه است که آنرا مرحوم سید رضی از تمام نامه اختیار کرده است زیرا آنچه که بیشتر مورد اهتمام سید رضی بود انتخاب کلمات فصیح و جمله های بلیغ آن حضرت است، و روایت شده که آن سردار سپه عثمان بن حنیف بود که در شهر بصره عامل آن حضرت بود و ارسال این نامه بعثمان وقتی بود که طلحه و زبیر و اتباع آن دو پیمانی را که بان حضرت بستند شکستند، و نقض بیعت کردند، و با لشکر بسیار از مکه بجانب بصره روان شدند که فتنه جنگ جمل را برانگیختند و عثمان بن حنیف صورت واقعه را برای امام علیه السلام مرقوم داشت، و امام در جوابش فرمود):

پس اگر آن گروه بیعت شکن برگشتند بسایه فرمانبرداری، این خود

همان است که ما می خواهیم و دوست می داریم، و اگر کارها تمام شود بایشان یعنی اسباب و علل مخالفت برای آنها مهیا گردد که ایشان را بمخالفت و نافرمانی کشاند پس بمعاونت کسانی که تو را فرمان برده اند قیام کن بجنگ کسانی که نافرمانی کرده اند و عاصی گشته اند. و بی نیازی جو بکسانی که گردن نهادند از کسانی که از یاری تو و حضور در معرکه کراهت دارند و باز پس می ایستند، زیرا آنکه از حضور در عرصه جنگ کاره است نبودش در جنگ بهتر از حضورش است و باز نشستش از جنگ بی نیاز کننده تر و سودمندتر است از نهضتش.

و من کتاب له علیه السلام الی الاشعث بن قیس و هو

اشاره

عامل آذربایجان، و هو الكتاب الخامس

من باب المختار من کتبه و رسائله علیه السلام

و إنّ عملک لیس لک بطعمه، و لکنه فی عنقک أمانه، و أنت مسترعی لمن فوقک، لیس لک أن تفتأت فی رعیه، و لا تخاطر إلاّ- بوثيقه، و فی یدیک مال من مال الله عزّ و جلّ و أنت من خزّانی حتی تسلّمه إلیّ، و لعلی أن لا أکون شرّ ولا تک لک، و السلام.

اللغه

(الطعمه) بضم الطاء المهمله المشاله: المأكله و وجه الکسب و الجمع طعم کصرد علی و زان الغرفه و الغرف. (مسترعی) علی هیئه المفعول أي من استرعاہ آخر فوقه بمعنی أن طلب منه حفظ أمر من الامور و جعله راعیا لذلك الأمر فذلك الآخر مسترع، و منه ما فی زیاره الأئمه علیهم السّلام: و استرعاکم أمر خلقه، أي جعلکم رعاہ و ولاه و حفظه علی خلقه و جعلهم رعیه لکم تحکمون بهم بما أجزتم و أمرتم، قاله الطریحی

ص: ۱۷۳

(تفتات) مضارع افتأت بالفاء و الهمزه من باب الافتعال و أصله فأت و فى القاموس: افتأت برأيه استبدد، و يصح أن يقرأ تفتات كتححتاج من الافتيات، و أصله الفتوت، و الافتيات الاستبداد أى السبق إلى الشىء من دون ايتمار من يؤتمر إليه و يقال بالفارسيه: خود سرى كار كردن، و فلان افتات برأيه أى استبدد به كافتأت بالهمزه، و فلان لا يفتات عليه أى لا يعمل شىء دون أمره.

(رعِيَه) الرعيه: المرعيه فعليه بمعنى مفعوله و الجمع رعايا كشطيه و شظايا (تخاطر) المخاطره: الإقدام فى الامور العظام و الاشراف فيها على الهلاك يقال: خاطر بنفسه مخاطره، إذا عرّضها للخطر.

(وثيقه) الوثيقه ما يوثق به فى الدين فهى فعليه بمعنى المفعول أى موثوق به لأجل الدين، و التاء فيها لنقل اللفظ من الوصفيه إلى الإسميه كالحقيقه، و يقال فلان أخذ فى أمره بالوثيقه أى احتاط فيه.

(خزّانى) الخزّان جمع الخازن كطلّاب و طالب و هو الذى يتولّى حفظ المال المخزون و المدّخر. (و لا تك) الولاه جمع الوالى كالقضاء و القاضى و الوالى الولّى كما يقال القادر و التقدير و هو المتولّى للشىء و الفاعل له، قال جواس الكلبى (الحماسه ٤٣٣):

كنا ولاه طعانها و ضرابها حتى تجلت عنكم غمّاها

الاعراب

لك متعلّق بالطعمه و كذلك فى عنقك بالأمانه قدّما توسّعا للظروف، و الباء فى طعمه زائده فى خبر ليس للتأكيد. جمله أن تفتأت فى رعيه مأوّله بالمصدر المرفوع حتّى يكون اسم ليس. و جمله و لا- تخاطر إلا بوثيقه معطوفه عليها. و الظاهر أن كلمه حتّى بمعنى إلى أن كما أنّها بهذا المعنى فى البيت المقدم آنفا. و جمله أن لا أكون - إلى قوله - و السّلام، مأوّله بالمصدر المرفوع خبر لعلّ. و السّلام مبتداء و خبره محذوف، و التقدير و السّلام على من اتّبع الهدى، أو و السّلام لأهله

المعنى

أشاره

هذا الكتاب جزء من كتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل و الكتاب بتمامه مذكور مسندا في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى الكوفى (ص ١٣ من الطبع الناصرى ١٣٠١ هـ) كما سنتلوه عليك.

قال نصر فى أول كتاب صفين: قال عمر بن سعد بن أبى الصيد الأسدى، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبى الكنود وغيره قالوا: لما قدم على عليه السلام من البصره إلى الكوفه يوم الاثنين لثنتى عشره ليله مضت من رجب سنه ثلاث و ستين (١) و قد أعز الله نصره و أظهره على عدوه و معه أشراف الناس من أهل البصره و غيرهم استقبله أهل الكوفه و فيهم قرأؤهم و أشرافهم، فدعوا له بالبركه و قالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أنزل القصر؟ فقال: لا، و لكنى أنزل الرحبه، فتزلها و أفبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثم صعد المنبر.

أول خطبه خطبها امير المؤمنين فى الكوفه لما قدم من البصره اليها و قد أظهره الله على أعدائه الناكثين فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله و قال: أمّا بعد يا أهل الكوفه فإنّ لكم فى الاسلام فضلا ما لم تبدلوا و تغيروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتكم، و بدأتكم بالمنكر فغيّرتكم، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم و بين الله فى الأحكام و القسم، فأنتم أسوه من أجابكم، و دخل فيما دخلتم فيه، ألا- إنّ أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى و طول الأمل، فأما أتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخره، ألا إنّ الدنيا قد ترخلت مدبره، و الآخره قد ترخلت مقبله، و لكلّ واحده منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخره، اليوم عمل و لا حساب، و غدا حساب و لا عمل، الحمد لله الذى نصر وئيه و خذل عدوه، و أعزّ الصادق المحقّ، و أذلّ

ص: ١٧٥

عليكم بتقوى الله و طاعه من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدعين المقابلين إلينا، يتفضلون بفضلنا و يجاهدونا أمرنا، و ينازعونا حقنا، و يدافعونا عنه، فقد ذاقوا و بال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا، ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم، و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

أقول: قد أتى الرضى ببعض هذه الخطبه فى النهج و هى الخطبه الثانيه و الأربعين من باب الخطب أولها: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى و طول الأمل - إلخ، و بين النسختين اختلاف فى الجملة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعى و كان صاحب شرطته، فقال: و الله إنى لأرى الهجر و سماع المكروه لهم قليلا، و الله لئن أمرتنا لنقتلنهم، فقال عليّ:

سبحان الله يا مال، جزت المدى، و عدوت الحد، و أغرقت فى الترع، فقال: يا أمير المؤمنين:

لبعض الغشم أبلغ فى امور تنوبك من مهاده الأعدى

فقال عليّ عليه السلام: ليس هكذا قضى الله، يا مال قتل النفس بالنفس فما بال الغشم، و قال: «و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً» و الإسراف فى القتل أن تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه و ذلك هو الغشم.

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي و كان ممن تخلف عنه فقال: يا أمير المؤمنين أرايت القتلى حول عائشه و الزبير و طلحه بم قتلوا؟.

قال عليّ عليه السلام: قتلوا شيعتى و عمّا لى و قتلوا أخا ربيعه العبدى رحمه الله عليه فى عصابه من المسلمين قالوا: لا ننكث كما نكثتم، و لا- نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إلى قتله إخوانى أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بينى و بينهم فأبوا عليّ فقاتلوني و فى أعناقهم بيعتى و دماء قريب من ألف رجل من شيعتى فقتلتهم بهم أفى شك أنت من ذلك؟

قال: قد كنت فى شكّ فأما الآن فقد عرفت و استبان لى خطؤ القوم و أنك أنت المهدىّ المصيب، و كان أشياخ الحىّ يذكرون أنه كان عثمانياً، و قد شهد مع علىّ على ذلك صفين لكنّه بعد ما رجع كان يكاتب معاويه، فلما ظهر معاويه أقطعه قطيعه بالفلوجه و كان عليه كريما.

ثمّ إنّ عليّاً عليه السّلام تهيأ لينزل و قام رجال ليتكلّموا، فلما رأوه نزل جلسوا و سكتوا.

نصر: أبو عبد الله سيف بن عمر، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته أنّ عليّاً لما دخل الكوفه قيل له: أىّ القصرين نزلك؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه فنزل علىّ جعده بن هبيرة المخزومى.

أقول: الخبال على وزن السحاب: الفساد و النقصان و أراد منه قصر دار الاماره و كانه عليه السّلام سمّاه به لما وقع فيه قبله من امراء الجور و عمّال أهل النفاق و الشقاق من الهلكه و الفساد و النقصان. و جعده بن هبيرة كان ابن اخته عليه السّلام أمّه أمّ هانى بنت أبى طالب كانت تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى و قد قدّمنا الكلام فيه فى شرح الخطبه ٢٣١ (ص ٣٤ ج ١٥) فراجع.

نصر: عن الفيض بن محمّد، عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: لما قدم علىّ عليه السّلام الكوفه نزل علىّ باب المسجد فدخل و صلّى ثمّ تحوّل فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفه؟ فقال قائل: استأثر الله به. فقال عليه السّلام:

إنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله بالموت إعراز نفسه و إذلال خلقه و قرأ «و كنتم أمواتا فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم». قال: فلما لحق النقل قالوا: أىّ القصرين تنزل؟ فقال عليه السّلام: قصر الخبال لا تنزلونيه.

نصر: عن سيف قال: حدّثنى اسماعيل بن أبى عميره، عن عبد الرّحمن بن عبيد ابن أبى الكنود أنّ سليمان بن صرد الخزاعىّ دخل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بعد رجعتّه من البصره فعاتبه و عدله و قال له: ارتبت و تربّصت و راوغت، و قد كنت من أوثق الناس فى نفسى، و أسرعهم فيما أظنّ إلى نصرتى، فما قعد بك عن أهل بيت

نبيك و ما زهدك في نصرهم؟.

فقال: يا أمير المؤمنين لا تردن الأمور على أعقابها، و لا تؤنبنى بما مضى منها، و استبق مودتي يخلص لك نصيحتي و قد بقيت أمور تعرف فيها وليك من عدوك، فسكت عنه، و جلس سليمان قليلاً ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي عليه السلام و هو قاعد في المسجد فقال: ألا اعجبك من أمير المؤمنين و ما لقيت منه من التبكيك و التوبيخ؟ فقال الحسن عليه السلام: إنما يعاتب من ترجى مودته و نصيحته، فقال: إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا، و ينتضى فيها السيوف و يحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستبشعوا غيبتى، و لا تتهموا نصيحتي. فقال له الحسن عليه السلام: رحمك الله ما أنت عندنا بالظنين.

نصر: عن عمر يعنى ابن سعد عن نمير بن وعله، عن الشعبي، أن سعيد بن قيس دخل على علي بن أبي طالب عليه السلام فسلم عليه فقال له علي عليه السلام: و عليك، و إن كنت من المتربصين، فقال: حاش لله يا أمير المؤمنين لست من اولئك قال: فعل الله ذلك.

نصر: عن عمر بن سعد عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن مخنف قال: دخلت مع أبي علي عليه السلام حين قدم من البصره و هو عام بلغت الحلم، فاذا بين يديه رجال يؤنبهم و يقول لهم: ما بطأ بكم عنى و أنتم أشراف قومكم؟ و الله لئن كان من ضعف التيه و تقصير البصيره إنكم لبور، و الله لئن كان من شك في فضلى و مظاهره على إنكم لعدو.

قالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك و حرب عدوك. ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذره، و منهم اعتل بمرض، و منهم من ذكر غيبته فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبد الله بن المعتم العيسى، و إذا حنظله بن الربيع التميمي، و كلاهما كانت له صحبه، و إذا أبو بردة بن عوف الأزدي، و إذا غريب بن شريحيل الهمداني قال: و نظر علي عليه السلام إلى أبي فقال: لكن مخنف بن سليم و قومه لم يتخلفوا و لم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ»

«أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» (النساء - ٧٤) ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَثَ بِالْكُوفَةِ.

أقول: كل ما ذكرنا ونقلنا من كلماته عليه السَّلام عن كتاب صفين بعد الخطبه المذكوره آنفا ما ذكرت في النهج مع أنها من محاسن كلامه عليه السَّلام سيما قوله عليه السَّلام لسليمان بن سرد الخزاعي: ارتبت و تربصت - الى قوله - و ما زهدك في نصرهم و لعل الرضى رضوان الله عليه لم يظفر بها. و الله العالم.

خطبته عليه السلام في الجمعة بالكوفة و الاشارة

الى مسأله فقهيه فى المقام

نصر: عن أبى عبد الله سيف بن عمر، عن الوليد بن عبد الله، عن أبى طيبه، عن أبىه قال: أتم عليّ عليه السَّلام الصَّلاه يوم دخل الكوفه فلما كانت الجمعة و حضرت الصَّلاه صلّى بهم و خطب خطبه.

نصر: قال أبو عبد الله عن سليمان بن المغيرة، عن عليّ بن الحسين خطبه عليّ ابن أبى طالب فى الجمعة بالكوفه و المدينه أن: الحمد لله أحمده و أستعينه و أستهديه و أعوذ بالله من الضلاله، من يهدى الله فلا مضلّ له، و من يضلّل فلا هادى له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمّداً صلّى الله عليه و آله عبده و رسوله انتجبه لأمره و اختصّه بالنبوه، أكرم خلقه عليه، و أحبهم إليه، فبلغ رساله ربّه، و نصح لأمته و أذى الذى عليه.

و اوصيكم بتقوى الله فإنّ تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله و أقربه لرضوان الله و خيره فى عواقب الامور عند الله، و بتقوى الله امرتم، و للإحسان و الطاعه خلقتم، فاحذروا من الله ما حدركم من نفسه، فإنّه حدّر بأسا شديدا، و اخشوا الله خشيه ليست بتعذير، و اعملوا فى غير رياء و لا سمعه، فإنّه من عمل لغير الله و كلفه الله الى ما عمل له، و من عمل لله مخلصا توّلى الله أجره، و أشفقوا من عذاب الله فانه لم يخلقكم عبثا، و لم يترك شيئا من أمركم سدى، قد سمى آثاركم

و علم أعمالكم، و كتب آجالكم، فلا تغتروا بالدنيا فإنها غرارة بأهلها، مغرور من اغتر بها، و إلى فناء ما هي، إن الآخره هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون أسأل الله منازل الشهداء، و مرافقه الأنبياء، و معيشه السعداء، فأنما نحن له و به.

أقول: ذكر بعض هذه الخطبه و هو قوله عليه السلام: و اخشوه خشيه ليست بتعذير و اعملوا في غير رياء و لا سمعه فإنه من عمل لغير الله و كله الله إلى ما عمل له نسأل الله منازل الشهداء و معاشه السعداء و مرافقه الأنبياء، في النهج في ضمن الخطبه ٢٣ أولها: أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض - إلخ، إلا أن في النهج ذكر مكان و كله إلى ما عمل له: يكله الله إلى من عمل له.

و كذا ذكر بعضها و هو قوله عليه السلام: فإنه لم يخلقكم عبثا، و لم يترك شيئا من أمركم سدى، قد سمى آثاركم، و علم أعمالكم، و كتب آجالكم، في ضمن الخطبه ٨٤ أولها: قد علم السرائر و خبر الضمائر - إلخ.

و لكن الخطبه المذكوره بتمامها على تلك الهيئه ليست بمذكوره في النهج و شر ذمه من صدرها المذكوره في خطبه يوم الجمعة المرويّه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام.

ثم اعلم أنه يجب في صلاه الجمعة الخطبتان قبل الصلاه، لأن الخطبه شرط في صحه الجمعة، و روى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليس تكون جمعه إلا بخطبه.

و صوره الخطبتين جاءت في الجوامع على أنحاء، ففي الكافي روى عن أبي جعفر عليه السلام على صورته ثم عن أمير المؤمنين علي عليه السلام على صورته اخرى، و في الفقيه روى عنه عليه السلام أيضا على صورته اخرى غير ما في الكافي، و ذكر كل واحد منها في الوسائل للعالمى و كذا في الوافي من ص ١٧٠ الى ١٧٤ من المجلد الخامس فلا حاجه إلى نقلها ههنا.

ثم إنها تغاير الخطبه المنقوله من نصر في صفين و لم يعلم من نصر أنها الخطبه الاولى أو الثانيه، و لكن ما يناسب أحكام الجمعة و ساير الروايات أن تكون

هي للاولى و الثانيه كليهما، و ذلك لأنّ جمع الروايات يدلّ على أنّهما شاملتين على حمد الله تعالى و الثناء عليه و الصلاه على النبيّ صلّى الله عليه و آله و قراءه شىء من القرآن سواء كانت سورة خفيفه أو آيه تامّه الفائده، و وعظ الناس، و الخطبه المذكوره حائزه لها. و إن كان الأوفق بالاحتياط فى الاولى أن يحمد الله و يثنى عليه و يوصى بتقوى الله و يقرأ سورة من القرآن قصيره، و فى الثانيه بعد الحمد و الثناء أن يصلّى على محمّد و أئمّه المسلمين و يستغفر للمؤمنين، و البحث عنها على التفصيل موكول إلى الفقه أعرضنا عنه خوفا من الإطناب و الخروج عن موضوع الكتاب.

صوره كتابه بتمامه الى الأشعث بن قيس

نقلا مسندا عن نصر فى صفين

قال نصر: ثمّ إنّ عليا عليه السلام أقام بالكوفه و استعمل العمّال و بعث إلى الأشعث بن قيس الكندى.

نصر: محمّد بن عبيد الله عن الجرجانى قال: لما بويح علىّ عليه السلام و كتب إلى العمال كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمدانى و الأشعث علىّ آذربيجان عامل لعثمان و قد كان عمرو بن عثمان تزوّج ابنه الأشعث بن قيس قبل ذلك فكتب إليه علىّ عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس أمّيا بعد فلو لا هنات كنّ فيك كنت المقدم فى هذا الأمر قبل الناس، و لعلّ أمرك يحمل بعضه بعضا إن اتّقيت الله، ثمّ إنّ كان من بيعه الناس إياى ما قد بلغك، و كان طلحه و الزبير ممّن بايعانى ثمّ نقضا بيعتى على غير حدث، و أخرجنا أمّ المؤمنين و سارا إلى البصره فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا، فأبلغت فى الدّعاء و أحسنت فى البقيّه، و إنّ عملك ليس لك بطعمه، و لكنّه أمانه و فى يديك مال من مال الله و أنت من خزّان الله عليه حتّى تسلّمه إلىّ و لعلّى أن لا أكون شرّ و لا تك لك إن استقمت، و لا قوّه إلاّ بالله.

أقول: و قد روى الكتاب الشارح البحرانى عن الشعبى و بينهما و بين ما فى النهج اختلاف فى بعض الكلمات و الجمل فى الجملة.

فما نقل عن الشعبي: أمّا بعد فلو لا هنات كرت منك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس، ولعل آخر أمرك يحمد أوله وبعضه بعضا إن اتقيت الله، إنه قد كان من بيعه الناس إياي ما قد بلغك، وكان طلحه و الزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث، وأخرجا عايشه فساروا بها إلى البصرة فصرت اليهم في المهاجرين والأنصار، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدعاء وأحسن في البقية، واعلم أن عمك - إلى آخر الفصل على ما في النهج، وكتب عبد الله بن أبي رافع في شعبان سنة ست و ثلاثين.

قال نصر: فلما قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن مرحب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، إن أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفى منه الخبر، غير أن من سمع به ليس كمن عاينه، إن الناس بايعوا عليا عليه السلام راضين به، وإن طلحه و الزبير نقضا بيعته على غير حدث ثم أذنا بحرب، فأخرجنا أم المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم و في نفسه منهم حاحه فأورثه الله الأرض و جعل له عاقبه المتقين.

قال: ثم قام الأشعث بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين عثمان ولاني آذربيجان فهلك و هي في يدي، و قد بايع الناس عليا و طاعتنا له كطاعه من كان قبله، و قد كان من أمره و أمر طلحه و الزبير ما قد بلغكم، و علي المأمون على ما غاب عنا و عنكم من ذلك الأمر.

فلما أتى منزله دعا أصحابه فقال: إن كتاب علي قد أوحشني و هو آخذ بمال آذربيجان و أنا لا حق بمعاويه، فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك و جماعه قومك و تكون ذنبا لأهل الشام؟ فاستحى فسار حتى قدم على علي عليه السلام و روى أن قوله هذا و توبيخ الناس إياه على ذلك بلغ أهل الكوفة فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إليه كتابا يوبخه و يأمره بالقدوم عليه، و بعث به حجر بن عدى الكندي، فلامه حجر على ذلك و ناشده الله و قال له: أتدع قومك و أهل مصرك و أمير المؤمنين عليه السلام و تلحق بأهل الشام؟ و لم يزل به حتى أقدمه إلى الكوفة

فعرض عليّ عليه السّلام ثقلته فوجد فيها مائه ألف درهم و روى أربعمائه ألف فأخذها و كان ذلك بالنخيله، فاستشفع الأشعث بالحسن و الحسين عليهما السّلام و بعبد الله بن جعفر فأطلق له منها ثلاثين ألفا، فقال: لا تكفيني، فقال: لست بزائدك درهما واحدا و أيم الله لو تركتها لكان خيرا ممّا لك و ما أظنّها تحلّ لك و لو تيقّنت ذلك لما بلغتها عندي فقال الأشعث: خذ من خدعك ما أعطاك. فقال السكوني و قد خاب أن يلحق بمعاويه:

إني اعيدك بالذّي هو مالك بمعاذه الاباء و الأجداد

ممّا يظنّ بك الرّجال و إنما ساموك خطّه معشر أو غاد

إن آذربيجان التي مرّقتها ليست لجّدك فاشنها ببلاد

كانت بلاد خليفه ولاكها و قضاء ربك رائح أو غاد

فدع البلاد فليس فيها مطمع ضربت عليك الأرض بالأسداد

فادفع بما لك دون نفسك إننا فادوك بالأموال و الأولاد

أنت الذّي تثني الخناصر دونه و بكبش كنده يستهلّ الوادي

و معصّب بالتاج مفرق رأسه ملك لعمر ك راسخ الأوتاد

و أطع زيادا إنّه لك ناصح لا شكّ في قول النصيح زياد

و انظر عليّا إنّه لك جنّه يرشد و يهديك للسعادة هاد

قال نصر: و ممّا قيل على لسان الأشعث:

أتانا الرّسول رسول عليّ فسرّ بمقدمه المسلمونا

رسول الوصيّ وصيّ النبيّ له الفضل و السبق في المؤمنينا

بما نصّح الله و المصطفى رسول الإله النبيّ الأمينا

يجاهد في الله لا ينثنى جميع الطغاه مع الجاحديننا

وزير النبيّ و ذو صهره و سيف المتيّه في الظالمينا

و كم بطل ماجد قد أذاق متيّه حتف من الكافريننا

وكم فارس كان سال التزال فاب إلى النار في الاثينا

ص: ١٨٣

فذاك عليّ إمام الهدى وغيث البريه و المفتحينا

و كان إذا ما دعى للنزال كليث عرين بن ليث العرينا

أجاب السؤال بنصح و نصر و خالص و دّ علي العالمينا

فما زال ذلك من شأنه ففاز و ربّي مع الفائزينا

قال: و ممّا قيل علي لسان الأشعث أيضا:

أتانا الرسول رسول الوصيّ عليّ المهذب من هاشم

رسول الوصيّ وصيّ النبيّ و خير البريه من قائم

وزير النبيّ و ذو صهره و خير البريه في العالم

له الفضل و سبق بالصالحات لهدى النبيّ به يأتّم

محمّدا أعنى رسول الاله و غيث البريه و الخاتم

أجبنا عليّا بفضل له و طاعه نصح له دائم

فقيه حلیم له صوله كليث عرين بها سائم

حلیم عفيف و ذو نجده بعيد من الغدر و المأثم

تذكره: قد تقدّم منّا الكلام في الذين وصفوا عليّا عليه السّلام و عرّفوه بأنّه وصيّ رسول الله من كبار الصحابه و غيرهم في صدر الإسلام فراجع إلى ص ١٩ من المجلّد الأوّل من تكمله المنهاج. و قد مضى في باب الخطب قوله عليه السّلام للأشعث:

ما يدريك ما عليّ ممّا لي عليك لعنه الله - إلخ (الكلام ١٩ من باب الخطب).

و كان الأشعث في خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام من المنافقين المعاندين و هو كما قال الشارح المعتزليّ: كان في أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال: كلّ فساد كان في خلافه أمير المؤمنين و كلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث و كان الأشعث خائفا من أمير المؤمنين عليه السّلام و جازما بأنّه عليه السّلام لا يقيه في عمله، و ذلك لهنات كنّ منه كما عرّضها عليه السّلام عليه فهو في الحقيقه كان خائفا من أعماله السيئه و كان قد استوحش من كلامه عليه السّلام له: فلو لا هنات كنّ منك، حيث علم أنّ الأمير كان عارفا بها حتّى دعا من الدهشه

أصحابه فقال: أنا لا حق بمعاويه.

ثم الظاهر المستفاد من كلامه عليه السّلام له: فلو لا هتات كنّ فيك «أو - منك» كنت المقدم في هذا الأمر أنّ أمير المؤمنين عزله عن آذربيجان بذلك الكتاب، و ممّا يظاّهره قول المؤرّخ الخبير المسعودي في كتابه مروج الذهب حيث قال (ص ١٥ ج ٢ طبع مصر ١٣٤٦ هـ): و سار [علّيّ عليه السّلام بعد انقضاء الجمل] إلى الكوفه فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليله مضت من رجب، و بعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن آذربيجان و ارميّه و كان عاملا لعثمان، فكان في نفس الأشعث على ما ذكرنا من العزل و ما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك الأموال، انتهى:

و ممّا يؤيّدّه أيضا ما روينا عن نصر و غيره من إرادته اللّحوق بمعاويه و ما جرى بينه و بين علّيّ عليه السّلام فتأمل.

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السّلام، و ابنته جعده سمّت الحسن عليه السّلام، و محمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السّلام.

و روى أبو الفرج أنّ الأشعث دخل على علّيّ عليه السّلام فكلمه فأغلظ علّيّ عليه السّلام له فعرض له الأشعث أنه سيفتك به، فقال علّيّ عليه السّلام: أبا لموت تخوفني أو تهددني فوالله ما ابالي وقعت على الموت أو وقع الموت علّيّ.

قوله عليه السّلام (و إنّ عملك ليس لك بطعمه و لكنّه في عنقك أمانه) ظاهر كلامه عليه السّلام تنبيه أن الأشعث اتّخذ مال الله مأكّله و لم يكن أمينا عليه فتبهه على أنه ليس له بطعمه أي ما جعلتك عاملا أن تدّخر أموال المسلمين لنفسك و تأكل ما جنى يداك منها، بل هي أمانه بيده بل ألزمها في عنقه تشديدا عليه و تنبيها له على أنها تعلّقت بدمته و تكون أو زارا عليه، و ذلك لأنّه كان عاملا من قبل غيره و مسترعى لمن فوقه، و كان مال المسلمين أمانه بيده فما سوّغ له الشرع التصرف في بيت مال المسلمين.

قوله عليه السّلام (و أنت مسترعى - إلى قوله: بوثيقه) يعني أنت رعيتيه من هو

فوقك و أميرك جعلك راعيا للناس و عاملا لهم و أمينا و حافظا على أموالهم و أملاكهم و غيرها ممّا جعل ولايتها بيدك فلا يجوز لك أن تسبق إلى امور الرعيه من غير أن تستأذن من استرعاك و تستأمر من ائتمنك، و كذا لا يسوغ لك أن تقدم في الامور الخطيره ممّا يتعلّق بالمال و غيره من غير احتياط تامّ و وثيقه، أى من غير أن يكون للمسلمين وثوق و اعتماد فى صحّه ذلك العمل و عدم الإضرار بالرعيه، و بالجمله لا ينبغى لك أن تقدم فيما لا يثق المسلمون بيا و لا يعتمدون عليها ممّا هي خلاف العقل و الشرع و العرف.

قوله عليه السّلام (و فى يدك - إلى قوله: تسلّمه) لعلّ تشنيه اليد إشاره إلى تسلّطه التامّ على الأموال حيث كان عاملا و واليا، و إنما قال: مال من أموال الله تشديدا عليه بالحفظ و الحراسه و ترعيا له بالمخالفه حتّى لا يخون الله تعالى فى ماله بأنّ الزكاه و الخمس من مال الله الذى أفاه على عباده قال تعالى «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ الْآيَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِ أَيْ لَا يَجُوزُ لَكَ التَّصَرُّفُ فِيهَا فِي الْخَزَائِنِ إِلَّا بِإِذْنِي وَ يَجِبُ عَلَيْكَ حِفْظُهُ وَ رِعَايَتُهُ إِلَى أَنْ تَسْلَمَهَا إِلَيَّ.

قوله عليه السّلام (و لعلّى أن لا أكون - إلخ) لما كان كلامه المصدّر أوّلا تشديدا و مؤاخذه عليه و موجبا للوحشه و الاضطراب فانه كان يدلّ على أنّه عليه السّلام لم يره أمينا على ما ولى عليه أتى بلفظه لعلّ المفيد للتّرجى حتّى يسكن جاشه و يطمعه إلى عدم المؤاخذه و التشديد لئلا يفرّ إلى العدوّ و يجعله خائفا راجيا فلا يخفى لطفه على أنّ الرجاء بعد الخوف الدّ فى النفوس و أوقع فى القلوب.

و مع ذلك كلّ أعلمه بأنّه لو تجاوز عن الحقّ و خالف الدّين يكون هو عليه السّلام شرّ ولاته له، أى يجازيه بما فعل و يؤاخذ عليه بذنبه. و كلامه هذا تعريض لسائر الولاه و العمّال أيضا إنهم لو عدلوا عن الحقّ و جعلوا أموال الناس طعمه لهم كان هو عليه السلام شرّ ولاه لهم أى يكافأهم على ما كان منهم، و يجازيهم به

این کتابیست که امیر المؤمنین علیه السلام بأشعث بن قیس نگاشت.

(أشعث از جانب عثمان عامل آذربایجان بود و اموال بسیار در دست او بود چون امیر المؤمنین علیه السلام بمسند خلافت نشست و بعد از فتح بصره بکوفه آمد این نامه را بوی نوشت و او را تنبیه فرمود بحفظ آن، چون نامه باو رسید سخت مستوحش و مضطرب شد و یاران خود را طلبید، و با آنان در این موضوع سخن بمیان آورد که نامه علی علیه السلام مرا بوحشت انداخت و او از من تمامی اموالی که از آذربایجان بدست آورده ام خواهد ستاند، از این روی بمعاویه پناه می برم که علی علیه السلام نتواند این اموال را از من أخذ کند، آنان گفتند بهتر آنست که در نزد مرتضی روی و از اندیشه خود سر باز زنی، و در روایتی آمده که حجر بن عدی الکندی که فرستاده حضرت بسوی أشعث بود وی را باندرز و نرمی بکوفه آورد علی علیه السلام اموال او را تفتیش کرد، چهار صد هزار درهم یافته همه آنها را اخذ کرد أشعث حسنین علیهما السلام و عبد الله بن جعفر را شفیع خود گرفت که امام پولها را باورد کند، امام سی هزار درهم را باورد کرده و هر چه الحاح و ابرام در رد بقیه نمود امام فرمود که بیش از این یک درهم رد نخواهم کرد که بر خلاف است. و أشعث مردی منافق بود و اکثر مصائب و شدائدی که به امام علی علیه السلام روی آورد أشعث اصل آن فتنه ها و ام الفساد بود).

ای أشعث عملت طعمه تو نیست (یعنی تو را عامل آن دیار نگردانیدم که هر چه از مال مسلمین بدست تو آید بخوری و برای خود اندوخته کنی) و لکن آن در گردن تو امانت است که باید طریق دیانت را در آن رعایت کنی. کسی که امیر و بزرگ تو است تو را حافظ و والی امور مردم کرده، لذا نشایدت که در کار رعیت بی اذن امیرت خود سری پا پیش نهی و در کارهای بزرگ اقدام کنی مگر این که مورد اعتماد و وثوق مسلمانان باشد، و در دستهای تو مالی از مالهای خداوند ارجمند و بزرگوار است و تو یکی از خزینه داران منی که باید در حفاظت آن بکوشی تا آنها را تسلیم من کنی و شاید که من بدترین والیان تو نباشم. والسلام.

إشاره

من باب المختار من كتبه عليه السلام و رسائله

إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا للغائب أن يردّ، و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار، فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعه ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، و ولّاه الله ما تولى. و لعمرى يا معاويه لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبراّ الناس من دم عثمان، و لتعلمنّ أنّى كنت فى عزله عنه، إلاّ أن تتجنّى، فتجنّ ما بدا لك - و السلام.

اللغه

(الشورى) فعلى من المشاوره و هى المفاوضه فى الكلام ليظهر الحقّ، قوله تعالى: «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ» (جمعسق - ٣٨) أى لا- يتفردون بأمر حتّى يشاوروا غيرهم فيه، قال الفيومى فى المصباح: شاورته فى كذا و استشرته: راجعته لأرى رأيه فيه، فأشار علىّ بكذا أرانى ما عنده فيه من المصلحه فكانت إشارته حسنه و الاسم: المشوره، و تشاور القوم و اشتوروا و الشورى اسم منه، و أمرهم شورى بينهم أى لا يستأثر أحد بشىء دون غيره. انتهى.

(العزله) بالضمّ اسم بمعنى الاعتزال.

«تجنّى» من الجنايه. التجنّى: طلب الجنايه و هو أن يدعى عليك أحد ذنبا لم تفعله. تجنّى عليه أى رماه باثم لم يفعله.

«فتجّن» أمر من تتجّنّى بلا- كلام فالكلمه بالفتحات. وقد ذهب غير واحد من الشراح و المترجمين إلى أنّها بضمّ الجيم و النون فعل مضارع من جَنّه إذا ستره كتمدّ من مدّ أى تَسْتَر و تخفّى ما ظهر لك، و لكنّها و هم بلا ارتياب، و كانت العبارة فى نسختنا المصحّحه العتيقه و فى نسخه صديقنا الألاجوردى قد قوبلت بنسخه الرضى - رحمه الله - هى الأوّل على أنّ تتجّنّى قرينه قويه على أنّها أمر منها، و اسلوب العبارة ينادى بأعلى صوتها على أنّها أمر و أوّل ما تبادر ذهننا إليه قبل الفحص و الاستقراء أنّها أمر من تتجّنّى.

الاعراب

الضمير فى أنّه للشأن، على ما بايعوهم عليه، متعلّقه بقوله بايعنى، اللّام من لعمرى لام الابتداء و عمرى مبتداء و خبر المبتدأ محذوف لا يجوز إظهاره كأنه قال:

لعمرى قسمى أو لعمرى ما أقسم به، و العمر و العمر بالفتح و الضمّ لغتان، و معناهما البقاء و لا يجىء عمر فى اليمين إلاّ مفتوح العين. و الباء فى بطعن للسببىّه متعلّقه بقوله خرج، و اللّام فى لئن موطنه للقسم و جواب لعمرى لتجدنّى، و جواب الشرط ما دلّ عليه هذا الجواب، و المعنى: و بقائى لئن نظرت بعقلك فقد تجدنى أبراّ الناس من دم عثمان، على و زان قول شبيب بن عوانه (الحماسه ٣٣٧):

لعمرى لئن سرّ الأعداى و أظهروا شماتا لقد مرّوا بربعك خاليا

أى: و بقائى لئن كان الأعداى مسرورين بموتك شامتين بدويك و عشيرتك لفقدهم لك، فقد وقعت الشماته فى وقتها و حينها و وافاهم السّرور لحادث أمر عظم موقعه، لأنهم مرّوا بربعك خاليا كما أفاده المرزوقى فى شرح الحماسه.

و لتعلمنّ عطف على لتجدنّى.

«دون هواك» كلمه دون تكون هنا بمعنى سوى كما جاء فى وصفه تعالى:

ليس دونه منتهى، أى ليس سواه سبحانه من ينتهى إليه أمل الاملين، فهو تعالى منتهى رغبه الراغبين. و تكون بمعنى القدام كقول قيس الخطيم الأوسى (الحماسه ٣٦):

ملكتم بها كفى فأنهت فتقها يرى قائما من دونها ما ورائها

و تكون بمعنى الطرف نحو هذا دون ذلك أى أقرب منه. أو شىء من دون بالتنوين أى حقير ساقط، و على الأول قوله (الحماسه ١٢٧):

ألم تريا أنى حميت حقيقتى و باشرت حد الموت و الموت دونها

و بهذا المعنى تصغر و يقال: دوين على نحو قولهم: قبيل و بعيد و فويق قال خلف بن خليفه (الحماسه ٢٩٦):

و بالدير أشجاني و كم من شج له دوين المصلى بالبيع شجون

و تكون بمعنى عند و غير و خذ نحو دونكها أى خذها و بمعنى نقيض فوق و بمعنى الشريف و الخسيس و الوعيد.

«إلا أن تتجنى» استثناء منقطع. «فتجنّ ما بدا لك» ما منصوب محلا بالمفعوليه.

المعنى

إشارة

هذا الكتاب بعض ما كتب عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي و روى الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم المنقرى الكوفى مسندا فى صفين (ص ١٨ الطبع الناصرى ١٣٠١ هـ) و هذا الكتاب مروى أيضا فى كتاب الفتن و المحن من البحار ص ٤٣٤ و سنتلوه عليك بحذافيره.

قال نصر فى صفين: إن أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما قدم من البصره و دخل الكوفه و أقام بها بعث إلى العمال فى الافاق «يعنى بهم العمال لعثمان على البلاد» و كان أهم الوجوه إليه الشام.

و روى عن محمد بن عبيد الله القرشى، عن الجرجانى قال: لما بويح على عليه السلام و كتب إلى العمال فى الافاق كتب إلى جرير بن عبد الله البجلي و كان جرير عاملا لعثمان على ثغر همدان فكتب إليه مع زحر بن قيس الجعفى:

«كتاب على عليه السلام الى جرير بن عبد الله البجلي»

أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و إذا أراد الله

بقوم سوء فلا مردّ له و ما لهم من دونه من وال، و إني اخبرك عن نبا من سرنا إليه من جموح طلحه و الزبير عند نكثهم بيعتهم و ما صنعوا بعاملى عثمان بن حنيف، إني هبطت من المدينه بالمهاجرين و الأنصار حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفه بالحسن بن عليّ، و عبد الله بن عباس، و عمّار بن ياسر، و قيس بن سعد ابن عباده، فاستنفروهم فأجابوا فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصره، فأعذرت فى الدّعاء، و أقلت العثره، و ناشدتهم عقد بيعتهم، فأبوا إلا قتالى، فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل، و ولّوا مدبرين إلى مصرهم، فسألونى ما كنت دعوتهم إليه قبل اللّقاء فقبلت العافيه، و رفعت السيف، و استعملت عليهم عبد الله بن عباس، و سرت إلى الكوفه و قد بعثت إليكم زحر بن قيس فاسأل عما بدا لك.

أقول: كتابه هذا إلى جرير ليس بمذكور فى النهج و هذا الكتاب مذكور أيضا فى كتاب الإمامه و السياسه لابن قتيبه الدينورى المتوفى سنه - ٢١٣ هـ - و بين النسختين اختلاف يسير لا يعاب به.

ثم إن زحر بن قيس هذا هو الذى كان فى خيل عمر بن سعد يوم الطفّ و كان ممّن حمل الاسازى و رءوس الشهداء من أهل بيت الطهاره و النبوّه إلى الشام و ما جرى بينه و بين الإمام السجاد عليه السّلام و سائر أقواله و أفعاله مذكور فى كتب المقاتل، نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمه.

قال نصر: فلمّا قرأ جرير الكتاب قام فقال: أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و هو المأمون على الدّين و الدّنيا، و قد كان من أمره و أمر عدوّه ما نحمد الله عليه، و قد بايعه السابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان، و لو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها، ألا- و إن البقاء فى الجماعه، و الفناء فى الفرقة و عليّ حاملكم على الحقّ ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم، فقال الناس: سمعا و طاعه رضينا رضينا، فأجاب جرير و كتب جواب كتابه بالطاعه.

قال: و كان مع عليّ رجل من طيء ابن اخت لجرير، فحمل زحر بن قيس

شعرا له إلى خاله جرير و هو:

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى و بايع عليا إننى لك ناصح
فإن عليا خير من وطأ الحصى سوى أحمد و الموت غاد و رائج
ودع عنك قول الناكثين فإتما اولاك أبا عمرو كلاب نوابح
و بايعه إن بايعته بنصيحه و لا يك معها فى ضميرك فادح
فانك إن تطلب به الدين تعطه و إن تطلب الدنيا فيبيعك رايح
و إن قلت عثمان بن عفان حقّه علىّ عظيم و الشكور مناصح
فحقّ علىّ إذ وليك كحقّه علىّ عظيم و الشكور مناصح
فحقّ علىّ إذ وليك كحقّه و شكرك ما أوليت فى الناس صالح
و إن قلت لا نرضى عليا إمامنا فدع عنك بحرا ضلّ فيه السوابح
أبى الله إلاّ أنه خير دهره و أفضل من ضمتّ عليه الأباطح

قال: ثمّ قام زحر بن قيس خطيبا فكان ممّا حفظ من كلامه أن قال:

الحمد لله الذى اختار الحمد لنفسه، و تولّاه دون خلقه، لا شريك له فى الحمد، و لا نظير له فى المجد، و لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، القائم الدائم، إله السماء و الأرض، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، أرسله بالحقّ الوضوح، و الحقّ الناطق، داعيا إلى الخير، و قائدا إلى الهدى.

ثمّ قال: أيها الناس إنّ عليا قد كتب إليكم كتابا لا يقال بعده إلاّ رجيع من القول، و لكن لا بدّ من ردّ الكلام، إنّ الناس بايعوا عليا بالمدينه من غير محاباه له ببيعتهم، لعلمه بكتاب الله و سنن الحقّ، و إنّ طلحه و الزبير نقضا بيعته على غير حدث، و ألّبا عليه الناس ثمّ لم يرضيا حتّى نصبا له الحرب، و أخرجوا أمّ المؤمنين، فلقيهما فأعذر فى الدّعاء، و أحسن فى البقيّه، و حمل الناس على ما يعرفون، هذا عيان ما غاب عنكم، و لأنّ سألتم الزيادة زدناكم و لا قوه إلاّ بالله و نقل كلامه الدينورى فى الإمامه و السياسه و بين النسختين اختلاف فى الجمله.

قال نصر: و قال جرير فى ذلك:

أنا كتاب عليّ فلم نردّ الكتاب بأرض العجم

و لم نعص ما فيه لمّا أتا و لمّا نضام و لمّا نلم

و نحن و لاه عليّ ثغرها نضيم العزيز و نحمي الذمم

نساقيهم الموت عند اللّفاء بكأس المنايا و نشفى القرم

طحناهم طحنه بالقنا و ضرب سيوف تطير اللّمم

مضينا يقينا على ديننا و دين النبيّ مجلّي الظلم

أمين الإله و برهانه و عدل البريّه و المعتصم

رسول المليك و من بعده خليفتنا القائم المدّم

عليّا عنيت وصيّ النبيّ نجالد عنه غواه الامم

له الفضل و السبق و المكرمات و بيت النبوه لا يهتضم

أقول: قد قدّمنا في مواضع أنّ كثيرا من سنام المسلمين في صدر الإسلام و صفوا أمير المؤمنين عليه السلام بأنه وصيّ النبيّ، و قلنا إنّ هذه الكلمه الصادره من هؤلاء الذين أدرك كثير منهم. النبيّ صلّى الله عليه و آله ممّا ينبغي أن يعتنى بها و يبجلها من يطلب طريق الحقّ و يبحث عنه. و لعمرى أنّ هذه الدّفيقه حجّه على من كان له قلب إلاّ. أن ختم الله على قلبه و نعم ما قال العارف الروميّ:

چشم باز و گوش باز و اين عمى حيرتم از چشم بندي خدا

نصر: عمر بن سعد عن نمير بن و عله، عن عامر الشعبي أنّ عليّا عليه السلام حين قدم من البصره نزع جريرا عن همدان فجاء حتّى نزل الكوفه فأراد عليّ عليه السّلام أن يبعث إلى معاويه رسولا، فقال له جرير: ابعثني إلى معاويه فإنه لم يزل لي مستنصحا و ودّا نأتيه فأدعوه عليّ أن يسلم لك هذا الأمر و يجامعك على الحقّ عليّ أن يكون أميرا من امرائك و عاملا من عمالك ما عمل بطاعه الله و اتّبع ما في كتاب الله، و أدعو أهل الشام إلى طاعتك و ولايتك و جلّهم قومي و أهل بلادي و قد رجوت أن لا يعصوني.

فقال له عليه السلام الأشر: لا تبعته و دعه و لا تصدّقه فوالله إنّي لأظنّ هواه

فقال له عليّ عليه السّلام: دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعثه عليّ عليه السّلام و قال له حين أراد أن يبعثه: إنّ حولي من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله من أهل الدّين و الرأى من قد رأيت، و قد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلّى الله عليه و آله فيك: إنك من خير ذى يمن، ايت معاويه بكتابى فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون، و إلّا فانبذ إليه و أعلمه أنّى لا أرضى به أميرا و أنّ العامه لا ترضى به خليفه.

فانطلق جرير حتّى أتى الشام و نزل بمعاويه فدخل عليه، فحمد الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد يا معاويه فأنه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين و أهل المصرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل مصر و أهل العروض و عمّان و أهل البحرين و اليمامة، فلم يبق إلّا- أهل هذه الحصون الّتى أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها، و قد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك و يهديك إلى مبايعه هذا الرّجل، و دفع إليه الكتاب كتاب عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و فيه:

صورة كتابه عليه السّلام الكامله الى معاويه

على ما فى كتاب نصر فى صفين (ص ١٨ من الطبع الناصرى) و كتاب الامامه و السياسه لابن قتيبه الدينورى (ص ٩٣ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنّ بيعتى لزمتك بالمدينه و أنت بالشام لأنّه بايعنى القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا- للغائب أن يردّ، و إنّما الشورى للمهاجرين و الأنصار، فاذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماما كان ذلك لله رضى، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه ردّوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين و ولّاه الله ما تولّى و يصليه جهنم و ساءت مصيرا، و إنّ طلحه و الزبير بايعانى ثمّ نقضا بيعتى و كان نقضهما كردّهما، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر الله و هم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإنّ أحبّ الامور إلّى فيك العافيه إلّا- أن تتعرّض للبلاء، فان تعرّضت له قاتلتك، و استعنت الله عليك و قد أكثرت فى قتله عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثمّ حاكم القوم إلّى

أحملك وإياهم على كتاب الله، فأتميتك التي تريدها فخدعه الصبي عن اللبن و لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك، لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافه، و لا تعرض فيهم الشورى و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد الله، و هو من أهل الإيمان و الهجره فبايع و لا قوه إلا بالله.

أقول: و لا يخفى عليك أنّ بين نسخه النهج و بين نسخه صفين لنصر تفاوتاً في الجملة كما أنّ بين نسختي نصر و الدينوري اختلافاً يسيراً لا يعاب به.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام: و قد أكثر في قتله عثمان - الى قوله: فخدعه الصبي عن اللبن، مذكور في ذيل كتابه الاخر إلى معاويه أيضاً، و هو الكتاب الرابع و الستون أوله: أمّا بعد فإنّا كنّا نحن و أنتم على ما ذكرت من الالفه - إلخ.

قال نصر: فلما قرأ معاويه الكتاب قام جرير فقال:

الحمد لله المحمود بالعوائد، المأمول منه الزوايد، المرتجى منه الثواب المستعان على النوائب، أحمده و أستعيه في الامور التي تحير دونه الألباب و تضمحلّ عندها الأرباب، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلّ شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون، و أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله، أرسله بعد الفتره و بعد الرسل الماضيه، و القرون الخاليه، و الأبدان الباليه، و الجبله الطاغيه، فبلغ الرسالة، و نصح الامه، و أدى الحق الذي استودعه الله و أمره بأدائه إلى امته، صلى الله عليه و آله و سلّم من مبتعث و منتجب.

ثمّ قال: أيها الناس إنّ أمر عثمان قد أعيا من شهده فما ظنكم بما غاب عنه، و إنّ الناس بايعوا علياً غير و اترو لا موتور. و كان طلحه و الزبير ممّن بايعه ثمّ نكنا بيعته على غير حدث، ألا و إنّ هذا الدين لا يحتمل الفتن، ألا و إنّ العرب لا تحتمل السيف، و قد كانت بالبصره أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس، و قد بايعت العامه علياً و لو ملكنا و الله امورنا لم نختر لها غيره، و من خالف هذا استعتب، فادخل يا معاويه فيما دخل فيه الناس، فان قلت: استعملني

عثمان ثم لم يعزلني فان هذا امر لو جاز لم يقيم لله دين، و كان لكل امرىء ما فى يديه، و لكن الله لم يجعل للاخر من الولاة حقّ الأوّل، و جعل تلك امورا موّطاه، و حقوقا ينسخ بعضها بعضا.

فقال معاويه: انظر و ننظر و أستطلع رأى أهل الشام.

أقول: الظاهر أنّ هذا الكتاب هو أوّل كتاب أرسله عليه السّلام إلى معاويه يدعوه إلى بيعته إلا أنّ الرضىّ رضى الله عنه قال فى آخر هذا الباب (الكتاب ٧٥) و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه فى أوّل ما بويع له، ذكره الواقدى فى كتاب الجمل، من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان فقد علمت إعدارى فيكم و إعراضى عنكم - إلخ.

و قال ابن قتيبه الدّينورى فى كتاب الإمامه و السياسه المعروف بتاريخ الخلفاء (ص ٨٢ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ): و ذكروا أنّه لما فرغ من وقعه الجمل بايع له القوم جميعا و بايع له أهل العراق و استقام له الأمر بها، فكتب إلى معاويه أمّا بعد فإنّ القضاء السابق و القدر النافذ ينزل من السماء كقطر المطر فتمضى أحكامه عزّ و جلّ و تنفذ مشيئته بغير تحابّ المخلوقين و لا رضىّ الادميين، و قد بلغك ما كان من قتل عثمان و بيعه الناس عامّه إياى و مصارع الناكثين لى، فادخل فيما دخل الناس فيه، و إلا فأنا اللّذى عرفت و حولى من تعلمه، و السّلام.

و يمكن أن يكون هذه الكتب الثلاث كتابا واحدا فتفرّق كما قدّمنا كثيرا من نظائره، و ممّا يؤيّدّه أنّ الدينورى بعد نقل الكتاب قال: ثمّ إنّ معاويه انتخب رجلا- من عبس و كان له لسان، فكتب إلى علىّ عليه السّلام كتابا عنوانه: من معاويه إلى علىّ، و داخله: بسم الله الرّحمن الرّحيم لا غير، فلما قدم الرسول دفع الكتاب إلى علىّ فعرف علىّ عليه السّلام ما فيه و أنّ معاويه محارب له و أنّه لا يجيبه إلى شىء ممّا يريد.

و قد نقل قريبا من هذا الكلام الشارح المعتزلى فى شرح نسخه النهج و هو:

فلما جاء معاويه هذا الكتاب «يعنى به الكتاب المذكور فى النهج» وصل بين

طومارين أبيضين ثم طواهما وكتب عنوانهما من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب - قال جرير: و دفعهما معاوية إلى لا أعلم ما فيهما ولا أظنهما إلا جوابا وبعث معي رجلا من بني عبس لا أدري ما معه فخرجنا حتى قدمنا الكوفة واجتمع الناس في المسجد لا يشكون أنها بيعة أهل الشام، فلما فتح علي عليه السلام الكتاب لم يجد شيئا - إلخ، والله تعالى أعلم.

و قد روى أنه عليه السلام كتب إلى معاوية مع جرير: أتى قد عزلتك ففوض الأمر إلى جرير، والسلام.

وقال: لجرير: صن نفسك عن خداعه فان سلم إليك الأمر و توجه إلى فأقم أنت بالشام، و ان تغل بشيء فارجع، فلما جاءه تغل بمشاوره أهل الشام و غير ذلك، فرجع جرير فكتب معاوية في أثره على ظهر كتابه عليه السلام: من ولاك حتى تغلني، و السلام.

قوله عليه السلام (إنه بايعني - إلى قوله: علي ما بايعوهم عليه) و اعلم أن بيعة الناس أمير المؤمنين عليا عليه السلام و إطباقهم على إمامته كان أشد و أوكد بمراحل من إطباقهم على إمامه الثلاثة قبله عليه السلام، كما أشرنا إلى نبذه من شواهد في المباحث الماضية، و كفي في ذلك قوله عليه السلام: فتداكوا علي تداك الإبل الهيم يوم ورودها قد أرسلها راعيها و خلعت مثنياها، حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي (الخطبة ٥٤ من النهج).

و قوله عليه السلام: و بسطتم يدي فكففتها و مددتموها فقبضتها، ثم تداكتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى انقطعت النعل و سقطت الرداء و وطىء الضعيف و بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، و هدمج إليها الكبير و تحامل نحوها العليل، و حسرت إليها الكعاب (الخطبة ٢٢٧ من النهج).

ثم إن ذلك الكلام لا يدل على أنه عليه السلام أثبت خلافته ببيعة الناس و إجماعهم بل احتج على القوم باتفاق الناس و إجماعهم على خلافته على وجه التسليم و المماشاه

و حسب مقتضى عقيدتهم بأنهم لما اعتقدوا أنّ مبنى الخلافة و نصب الإمام على البيعه دون النصّ لهم قبول خلافته و امامته و التسليم و الانقياد لأمره.

و لو احتجّ عليهم بالنصّ لم يقبلوا منه و لم يسلموا له و إلاّ فخلافته بلا فصل ثبتت بنصّ الله تعالى و رسوله، و قد أشرنا إلى ذلك فى شرح الخطبه السابعه و الثلاثين و المأتين من أنّ الإمام يجب أن يكون منصوبا من الله تعالى، لأنّ الامامه عهده تعالى و لا يناله إلاّ من اجتيبه.

ثمّ إنّ عليه السلام لو تمسك لإمامته بالنصّ لكان هذا طعنا على الذين سبقوه بالخلافه الظاهريّه، فإذا تفسد حاله مع الذين بايعوه من المهاجرين و الأنصار فى المدينه و كان المقام لا يناسب سوق الاحتجاج على سبيل النصّ، و لو لا مراعاة المقام لكان يصرح بما هو الحقّ الصريح، و الشقشقيه حجه بالغه على ذلك.

قوله عليه السلام: (فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يردّ) هذه نتيجه لما قدّم أى إذا بايعنى القوم على الوجه الذى بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان و ما اختار أحد من الشاهدين فى المدينه غير ما بايعوه و كذا لم يردّ أحد من الغائبين عن المدينه من بايعوه بل الكلّ انقادوا و تسلّموا فكذا لم يكن للشاهد أن يختار غيرى و لا للغائب أن يردّنى، بل يجب على الشاهد و الغائب جميعا الاطاعه و الانقياد.

ثمّ إنّ فيه تعريضا و طعنا على الناكثين طلحه و الزبير و أتباعهما، و على معاويه و أهل الشام من أتباعه لأنّ الشاهد أى الناكثين اختاروا غيره عليه السلام و الغائب أى معاويه و أهل الشام لم يقبلوا بيعته.

ثمّ يمكن أن يستفاد من قوله عليه السلام (أن يردّ) أن لا يكون هذا الكتاب أوّل كتاب كتبه إلى معاويه بأن يكون الأوّل هو الكتاب ٧٥ من هذا الباب أو الذى نقله الدينورى فى الامامه و السياسه، و لما ردّ معاويه كتابه و لم يقبل البيعه قال عليه السلام: و لا للغائب أن يردّ، فتأمل.

قوله عليه السلام (و إنّما الشورى - الى قوله: و ولائه ما تولّى) الشورى المشوره و إنّما تفيد حصر الشورى فى المهاجرين و الأنصار، و إنّما حصر الشورى فيهما لأنهما

أهل الحلّ والعقد من أمّه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَتَى اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا مَرْضِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى فَيَجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّبَاعَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ إِطْبَاقُهُمْ عَلَى إِمَامِهِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: فَانْجَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلًا فَسَمَّوْهُ إِمَامًا فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَحَدٌ بَطَعَنَ عَلَيْهِمْ أَوْ عَلَيَّ مِنْ بَايَعُوهُ بِالْإِمَامَةِ كَمَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَمِ عَثْمَانَ، أَوْ بَدَعَهُ كَنَكْتِ النَّاكِثِينَ وَمَنْ بَايَعَ مَعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَجْمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عَلَى إِمَامِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدَّوهُ عَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ.

فَإِنْ امْتَنَعَ ذَلِكَ الْخَارِجُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ قَاتِلُوهُ، لِأَنَّهُ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَيْثُ أَبِي وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا اللهُ مَا تَوَلَّى أَيْ يَخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَيَكُلُّهُ إِلَى مَنْ انْتَصَرَ بِهِ وَاتَّكَلَ عَلَيْهِ.

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِّ إِلَيْهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٦).

وَإِنَّمَا تَهَدَّدَهُ بِكَلَامِهِ هَذَا وَتَوَعَّدَهُ بِالْعُقُوبَةِ لِثَلَاثِ تَبَعٍ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَبَهُهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ خَالَفَ سَبِيلَهُمْ بَطَعَنَ أَوْ بَدَعَهُ رَدَّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ وَقَاتَلُوهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّيهِ مَا تَوَلَّىٰ وَيَصْلِيهِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ كَلَامَهُ هَذَا أَيْضًا عَلَى مَقْتَضَىٰ عَقِيدَةِ الْقَوْمِ مَدَارَاهُ وَمِمَّا شَاءَ مَعَهُمْ بِمَا اعْتَقَدُوا مِنْ أَنَّ أَمْرَ الْخِلَافَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْبَيْعَةِ مِنْ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ لَا بِالنَّصِّ، وَإِلَّا فَامَامَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَفَضْلُهَا كَانَتْ ثَابِتَةً بِالْبُرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ فَالْقِيَاسُ جَدَلِيٌّ عَلَىٰ اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْمِيزَانِ، لِأَنَّهُ اعْتَبِرَ فِي مَقْدَمَاتِهِ التَّسْلِيمَ مِنَ الْخِصْمِ أَيْ تَبَكُّيْتَ الْخِصْمِ وَإِلْزَامَهُ بِمَا سَلَّمَ بِهِ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَلِعَمْرِي - إِلَى قَوْلِهِ: فِي عَزْلِهِ عَنْهُ) قَدْ قَدَّمْنَا فِي أبحاثنا السالفة نقل كلام عمار بن ياسر رضوان الله عليه و شبت و غيرهما من أن معاوية لم يجد شيئاً يستغوى به الناس و يستميل به أهواءهم و يستخلص به طاعتهم إلا قوله.

قتل إمامكم عثمان مظلوما فحن نطلب بدمه.

وقد روى أبو جعفر الطبري في التاريخ باسناده عن زيد بن وهب الجهني أنّ عمّار بن ياسر قال في صفين: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين - يعني بهم معاوية و أتباعهم - يبغون دم ابن عفّان و يزعمون أنه قتل مظلوما، و الله ما طلبتم و لكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها و استمروها و علموا أنّ الحقّ إذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرّغون فيه من دنياهم، و لم يكن للقوم سابقه في الاسلام يستحقّون بها طاعه الناس و الولايه عليهم فخذعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوما، ليكونوا بذلك جبابره ملوكا و تلك مكيدته بلغوا بها ما ترون، و لولا هي ما تبعهم من الناس رجلا. إلخ.

وقال عمّار أيضا: أيها الناس و الله ما أسلموا - يعني معاوية و أتباعه كما مضى من قبل مسندا - و لكنّهم استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا له أعوانا أظهروه. و الظاهر أنه أخذ هذا القول منه عليه السلام كما سيأتي في الكلام ١٦ من هذا الباب.

ثمّ قد مضى في الخطبه ٢٣٨ قوله عليه السّلام: و الله لقد دفعت عنه - يعني عن عثمان - حتّى خشيت أن أكون آثما. و قوله المنقول عن الطبري (ص ٤١٠ ج ٣ طبع مصر ١٣٥٧ هـ) في عثمان: و الله ما زلت أذبّ عنه حتّى أنى لأستحي، و كذا برهنا في مواضع كثيره من مباحثنا الماضيه على أنه عليه السلام كان أبرأ الناس من دم عثمان.

ثمّ لما كانت هوى النفس قائده إلى خلاف الحقّ، لأنّها قرين سوء يزيّن كلّ قبيح و يقبّح كلّ حسن و كاسفه بيضاء العقل كما قيل: «إناره العقل مكسوف بطوع الهوى» أقسم عليه السّلام بعمره لئن نظر معاوية فيما جرى على عثمان بعقله الناصع من الهوى ليجدّته أبرأ الناس من دمه، و ليعلمنّ أنّه عليه السلام كان في عزله عن دم عثمان.

قوله عليه السّلام: (إلا أن تتجنّى فتجنّ ما بدا لك و السلام) يعني به أنك لو خالفت هواك لتجدّني أبرأ الناس من دم عثمان إلا أن تعزّيني إلى الجنايه افتراء

و تدعى على ذنبا لم أفعله فافتتر على ما ظهر لك من الذنوب والجفایات.

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان أبرأ الناس من دم عثمان و كان منزها عن جنايه و ذنب رأى أن معاويه أراد استغواء الناس بذلك الافتراء، و أن الانسان المبرى عن الشين لا يبالي بأقويل كاذبه تقال فيه، لأن الباطل يذهب جفاء قال:

فتجن ما بدا لك.

و بوجه آخر أنه عليه السلام قال لمعاويه: إذا كنت تعلم أنني أبرأ الناس من دم عثمان و مع ذلك تفوه بما خلافه معلوم لك و لا تستحي بالافتراء فان شئت أن تدعى على أيه جنايه كانت، و أردت أن تنسب إلي أي ذنب كان: فافعل، و لا يخفى أن كلامه عليه السلام ينبىء عن استخفاف أمر معاويه و استحقر تجنيه عليه.

و أميا على مختار القوم، أى كون تجن مضارع جن فالمعنى أنك لو خالفت هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان إلا أن تعزىنى إلى الجنايه افتراء و تدعى على ذنبا لم أفعله، ثم تأخذ ذلك الاختلاق و سيله لأن تستر و تخفى ما ظهر لك من براءتى من دم عثمان، يعنى أن براءتى من دم عثمان ظاهره لك غير خفيه إلا أنك تريد إخفاءه و الافتراء على بدمه حتى تجعله ذريعه لك فتستغوى بها الناس و لكن الصواب هو الوجه الأول لما دريت فى بيان اللغه.

قوله عليه السلام:(و السلام) أى و السلام على من أتبع الهدى، أو و السلام على أهله أو غيرهما مما يناسبهما.

قال الفاضل الشارح المعتزلى: و اعلم أن هذا الفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامه كما يذكره أصحابنا المتكلمون، لأنه احتج على معاويه بيعته أهل الحل و العقد له، و لم يراع فى ذلك إجماع المسلمين كلهم و قياسه على بيعه أهل الحل و العقد لأبى بكر، فانه ما روعى فيها إجماع المسلمين، لأن سعد بن عباد لم يبايع و لا واحد من أهل بيته و ولده، و لأن عليا و بنى هاشم و من انضوى إليهم لم يبايعوا فى مبدء الأمر و امتنعوا، و لم يتوقف المسلمون فى تصحيح إمامه أبى بكر و تنفيذ أحكامه على بيعتهم، و هذا دليل على صحه الإختيار و كونه

طريقا إلى الإمامه و أنه لا يقدر في إمامته امتناع معاويه من البيعه و أهل الشام.

فأمّا الإماميه فتحمل هذا الكتاب منه على التقيّه و تقول إنه ما كان يمكنه أن يصرح لمعاويه في مكتوبه بباطن الحال و يقول له: أنا منصوص على من رسول الله صلى الله عليه و آله و معهود إلى المسلمين أن أكون خليفه فيهم بلا- فصل، فيكون في ذلك طعن على الأئمه المتقدمين و تفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة.

و هذا القول من الإماميه دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها و يصار إليها، و لكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الاصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيّه.

ثم قال: فأما قوله: و قد أكثر في قتله عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله، فيجب أن يذكر في شرحه ما يقول المتكلمون في هذه الواقعة.

قال أصحابنا المعتزله: هذا الكلام حق و صواب لأن أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام و يدخلوا تحت طاعته ثم يرفعوا خصومهم إليه، فان حكم بالحق استدیمت إمامته، و إن حاد عن الحق انتقضت خلافته، و اولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا علينا و لا دخلوا تحت طاعته، و كذلك معاويه ابن عم عثمان لم يبايع و لا أطاع، فمطالبتهم له بأن يقتصر لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إياه و طاعتهم له ظلم منهم و عدوان.

ثم قال: فإن قلت: هب أن القصاص من قتله عثمان موقوف على ما ذكره أما كان يجب عليه لا من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر و أنتم تذهبون إلى أن النبي عن المنكر واجب على من هو سوجه فكيف على الامام الأعظم؟.

قلت: هذا غير وارد ههنا لأن النهي عن المنكر إنما يجب قبل وقوع المنكر لكيلا يقع، فاذا وقع المنكر فأى نهى يكون عنه، و قد نهى على السّلام أهل مصر و غيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، و نابذهم بيده و لسانه و بأولاده فلم يغن شيئا، و تفاقم الأمر حتى قتل، و لا يجب بعد القتل إلا القصاص، فاذا امتنع أولياء

الدّم من طاعه الامام لم يجب عليه أن يقتصّ من القاتلين، لأنّ القصاص حقهم وقد سقط بغيهم على الإمام و خروجهم عن طاعته، وقد قلنا نحن فيما تقدّم أنّ القصاص إنّما يجب على من باشر القتل، و الذين باسروا قتل عثمان قتلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان و الذين كان معاويه يطالبه بدم عثمان لم يباشروا القتل و إنما كثّروا السواد و حصروا عثمان في الدار و أجلبوا عليه و شتموه و توغّدوه و منهم من تسوّر عليه داره و لم ينزل إليه، و منهم من نزل فحضر قتله و لم يشرك فيه و كلّ هؤلاء لا يجب عليهم القصاص في الشرع.

أقول: أمّا قوله إنّ الاختيار طريق إلى الإمامه فيردّه ما برهنّا في عدّه مواضع من مباحثنا السالفه من أنّ الإمامه أجلّ قدرا، و أعظم شأنًا، و أعلا مكانا و أمنع جانبا، و أبعد غورا، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها برأيهم، أو يقيموا إماما باختيارهم، بل انها رئاسه إلهيه يجب على الله تعالى نصب من اجتبه لها.

و أمّا قوله: و قياسه على بيعه أهل الحلّ و العقد لأبي بكر - إلخ، فيردّه أنّ خلافه أبي بكر لم يكن بحقّ حتّى يقاس بها، و إعراض سعد بن عباده و أتباعه و عليّ عليه السّلام و أشياعه عن بيعته كان على بصيره في أمر الخلافه.

و أمّا قوله عليه السّلام: و هذا القول من الاماميه دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها - إلخ فقد قلنا آنفا في شرح هذا الكتاب إنّ كلامه عليه السّلام هذا إنّما هو على مقتضى عقيدته القوم حيث ذهبوا إلى أنّ أمر الامامه و الخلافه إنّما هو بالبيعه لا بالنصّ، و أنه سيق على القياس الجدلي أعنى إلزام الخصم بما اعتقد و سلّم به فلا حاجه إلى حمل كلامه عليه السّلام على التقيّه.

و إسناد هذا القول إلى الاماميه لا يخلو من دغدغه، و لو مال إليه واحد منهم فقد أخطأ و لا يصحّ إسناده إلى الجميع و قد سبقنا بهذه الدقيقه المجلسي رحمه الله في البحار ص ٥٢٨ ج ٨ من الطبع الكمباني.

و أمّا الأدلّه على كونه عليه السّلام خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله بلا فصل فتجلّ عن الاحصاء

من العقلية و النقلية، و قد ألف بغاه الحقيقه و الهدايه فى ذلك رسائل شتى و صنف أهل الفحص و التبصير من الفريقين جوامع عديده حاويه للأخبار المأثوره عن النبى صلى الله عليه و آله فى خلافته بلا فصل، و كذا فى خلافه سائر الأئمه واحدا بعد واحد و لو ثبنا البيان على تفصيل ذلك لطال بنا الخطب و عظم علينا الأمر.

و لعمري أنّ الرّجل يحبّ أن يتشابه بالجهال، و إلا فالأمر أبلج من الشمس فى رابعه النهار، و قد قدّمنا أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان أشفق على الناس من الوالد على ولده حتّى أنّه أرشدهم إلى امور كانت دون مرتبه و لايه الأمر بمراحل كتعليمهم تقليهم الأظفار، و آداب طلى النوره، و تسريح اللّحي، و أخذ الشوارب و لبس الثياب حتّى أرشدهم فى قضاء الحاجه إلى امور كثيره مندوبه و غير مندوبه فكيف يسكت عن أجلّ الأشياء قدرا و أشدها حاجه أعنى النّصّ على الامام العدى يتولّى امورهم بعده.

و أمّا قوله عليه السّلام: و قد أكثرت فى قتله عثمان - إلخ، فمذكور فى ذلك الكتاب كما نقلنا صورته الكامله عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم.

ثمّ إنّ ما نقل الفاضل الشارح من أصحابه من أنّ أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام و يدخلوا تحت طاعته ثمّ يرافعوا خصومهم إليه فان حكم بالحقّ استديمت إمامته، و إن حاد عن الحقّ انتقضت خلافته - إلخ. اعتراف منهم بانتقاض خلافه عثمان من أول ما بويح له بالخلافه، لأنّه عطل الحدّ الواجب فى عبيد الله ابن عمر قاتل جفينه و الهرمزان و ابنه أبى لؤلؤه، و قد قدّمنا الكلام فى ذلك فى شرح الخطبه ٢٣٦ و المختار الأول من باب الكتب و الرسائل، فراجع.

الترجمه

این یکی از نامه های امیر المؤمنین علی علیه السلام است که بسوی معاویه ارسال داشت:

همانا گروهی که بر وجهی با ابو بکر و عمر و عثمان بیعت کردند بر آن وجه نیز با من بیعت کردند، پس حاضر - در مدینه - را نشاید که دیگری را

بامامت بر گزیند و غائب را نسزد که از بر گزیده قوم بامامت سر باز زند.

(این گفتار تعریض است به عمل طلحه و زبیر و پیروانشان که در مدینه بودند و بیعت کردند و نکث و نقض عهد کردند، و بکار معاویه و اتباع او که در مدینه نبودند و از اختیار قوم و اجماع ایشان اعراض کردند).

و جز این نیست که مشورت در امر خلافت برای مهاجرین و أنصار است که آنان اهل حلّ و عقد از امت محمد و پیشوا و زعمای آنانند پس اگر آنان اجتماع کردند بر مردمی و او را امام خود نامیدند آن کار مرضی خداوند است، پس اگر کسی بسبب طعنی بر آنان یا بر کسی که با او بامامت بیعت کردند، یا بسبب بدعتی در آن کار از امرشان بدر می رفت او را بسوی آنچه که از او بدر رفت بر می گردانیدند و اگر با میکرد با او کار زار می کردند چه او جز راه مؤمنین را پیروی کرده است و خداوند او را بخودش وا می گذارد.

(مراد این است که برخی به آن حضرت بر قتل عثمان طعن می زدند، و برخی بدعت نهادند که معاویه را برای منصب خلافت نصب کردند، و امام علیه السلام در این نامه تعریضا بمعاویه ارائه می دهد که اگر سبیل مؤمنین را اتباع نکند و از اجماع مهاجر و أنصار بر امامت آن بزرگوار روی بر گرداند نخست آن قوم او را بقبول آن امر و رجوع از خود کامی و خود سری دعوت کنند، و اگر گردن کشد و یاغی شود با وی بقتال قیام کنند).

هر آینه قسم بزندگان من ای معاویه! اگر بدیده خرد بنگری نه بهوای نفس اماره ات مرا بری ترین مردم از خون عثمان می یابی، و خواهی دانست که من از ریختن خونسش بر کنار بودم جز این که خواهی جنایتی بافترا و بهتان بمن نسبت دهی تا آنرا دست آویز خود گردانی و آنچه را که بر تو هویدا است بپوشانی.

(این معنی بنا بر آن وجه است که تجنّ مضارع جنّ باشد که بسیاری بر آن رفته اند اگر چه صحیح این است تجنّ امر از تتجنّی است، خلاصه بنا بر مضارع

بودنش مراد این که بر معاویه معلوم بود که امام علیه السلام از قتل عثمان دفاع میکرد و مردم را از آن تحذیر می فرمود و از ریختن خونس بر کناره بود، جز این که می خواست بهانه ای در دست گیرد تا بدشمنی و کینه توزی این امر روشن و أمثال آنرا بیوشاند و انکار کند و حضرتش را بخون عثمان بیالاید).

درود بر آنکه راه حق را پیروی کند.

(و بنا بر نسخه صحیح که تجنّ را امر از تتجنّی بگیریم معنی چنین است) پس هر چه از افتراء و بهتان که بخاطرت می رسد و خواهی بمن نسبت دهی بده «که گفته اند: دروازه شهر را توان بست و دهن مردم را نتوان بست». و در لغت و شرح این وجه اخیر متعین و صحیح دانسته شد.

بدانکه إمام علیه السلام این نامه را بنا بر عقیده قوم و حسب مقتضی مقام که مماشات با آنان است تقریر فرمود که چنانچه خلافت آن سه تن بعقیده قوم به بیعت أهل حلّ و عقد بود و دیگران آنرا قبول کردند و نقض بیعت نکردند و بدعت در دین نهادند، می بایستی در باره آن حضرت نیز که أهل حلّ و عقد از مهاجر و أنصار بر امامت او گردن نهادند و اتفاق کردند مخالفت نمایند، و گرنه خلافت بلا فصل آن بزرگوار و امامت حضرتش بنصّ خدا و رسول ثابت و مبرهن است.

و من کتاب له علیه السلام ایضا و هو الكتاب السابع

اشاره

من باب المختار من کتبه علیه السلام و رسائله:

أما بعد فقد أتتني منك موعظه موصّله، و رساله محبّره، نَمَقَّتْهَا بَضَالِكْ، و أمضيتها بسوء رأيك، و كتاب امرء ليس له بصر يهديه، و لا قائد [و لا صالح - خ ل] يرشده، قد دعاه الهوى فأجابه و قاده الضلال فاتّبعه، فهجر لاغطا، و ضلّ خابطا.

ص: ۲۰۶

و من هذا الكتاب: لأنها بيعه واحده لا يثنى فيها النَّظر، و لا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، و المرؤى فيها مداهن.

اللغة

(موصّله) بصيغته المفعول من وصل الشيء بالشيء وصلًا و وصله لأمه أى ربطه به.

(محبّره) بصيغته المفعول من تحبير الخطّ و الشعر و غيرهما بمعنى تحسينها قال الجوهريّ فى الصحاح: قال الأصمعيّ و كان يقال لطيف الغنوى فى الجاهليّه محبّر لأنّه كان يحسّن الشعر.

قال الشهاب الفيومىّ فى المصباح: حبرت الشيء حبرا من باب قتل زينتته و الحبر بالكسر اسم منه فهو محبور و حبرته بالثقل مبالغه.

نمّق الكتاب تنميقا حسّنه و زينته، فقوله عليه السّلام: نمّقتها بضلالك أى زينتها به. أمضيت الأمر إمضاء أى أنفذته أو بمعنى إمضاء الصكوك و الرسائل لتوقيعها البصر: العين و نفاذ القلب و حكى أنّ معاويه قال لابن عباس و قد كفّ بصره: ما لكم يا بنى هاشم تصابون بأبصاركم إذا أسنتم؟ فقال: كما تصابون ببصائر كم عنده.

قاد الرجل الفرس قودا و قياده و قيادا بالكسر: مشى أمامها آخذًا بقيادها نقيض ساقه، قال الخليل - كما فى مصباح الفيومى: القود أن يكون الرّجل أمام الدّابه آخذًا بقيادها، و السوق أن يكون خلفها فإن قادها لنفسه قيل: اقتادها لنفسه. و قاد الأمير الجيش قياده فهو قائد و جمعه قاده و قواد و قود.

(الهوى) مقصوره: إرادته النفس و ميلانها إلى ما تستلذّ. و ممدوده: الهواء المكتنف للأرض. و فى الصحاح: كلّ خال هواء. قال الشاعر:

فكيف أرحل عنها اليوم إذ جمعت طيب الهوائين مقصور و ممدود

قال المبرّد فى الكامل: الهوى من هويت مقصور و تقديره فعل فانقلبت الياء

ألفا فلذلك كان مقصورا، وإنما كان كذلك لأنك تقول هوى يهوى كما تقول فرق يفرق و هو هو كما تقول هو فرق كما ترى و كان المصدر على فعل بمنزله الفرق و الحذر و البطر لأنّ الوزن واحد فى الفعل و اسم الفاعل. فأَمَّا الهوَاء من الجَوِّ فممدود يدلّك على ذلك جمعه إذا قلت أهويه، لأنّ أفعله إنّما تكون جمع فعال و فعيل كما تقول قذال و أقدله و حمار و أحمره فهوَاء كذلك و المقصور جمعه أهواء فاعلم لأنّه على فعل و جمع فعل أفعال كما تقول جمل و أجمال و قتب و أقتاب، قال الله عزّ و جلّ: «وَ اتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ» (محمّد صلى الله عليه و آله - ١٩).

و قوله: هذا هوَاء يافتى فى صفة الرّجل إنّما هو ذمّ يقول لا قلب له قال الله عزّ و جلّ:

«وَ أَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً» أى خاليه و قال زهير:

كأنّ الرّحل منها فوق صعل من الظّلّمان جؤجؤه هوَاء

و هذا من هوَاء الجوّ قال الهذلي:

هوَاء مثل بعلك مستميت على ما فى وعائك كالخيال

(الهجر): الهذيان و قد هجر المريض يهجر هجرا من باب قتل خلط و هذى فهو هاجر و الكلام مهجور. قال الجوهرى فى الصحاح: قال أبو عبيد يروى عن إبراهيم ما يثبت هذا القول فى قوله تعالى «إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» (الفرقان - ٣٣) قال: قالوا فيه غير الحقّ ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحقّ، قال: و عن مجاهد نحوه.

و الهجر: الاسم من الإهجار و هو الافحاش فى المنطق أى الكلام القبيح المهجور لقبحه. و فى الحديث: و لا تقولوا هجرا، قال عوف بن الخرع:

زعمتم من الهجر المضللّ أنكم ستنصر كم عمر و علينا و منقر

و أهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد، قال الشماخ بن ضرار:

كماجده الأعراق قال ابن ضرّه عليها كلاما جار فيه و أهجرا

(اللاخط): ذو اللّغظ، قال فى المصباح: لغظ لغطا من باب نفع و اللّغظ بفتحتين اسم منه و هو كلام فيه جلبه و اختلاط و لا يتبين. قال عمرو بن أحمر

لها لفظ جنح الظلام كأنها عجارف غيث رائح متهزّم

قال المرزوقي في الشرح: اللّفظ: الصوت يعنى هزّتها «أى هزه القدور السود المذكوره فى صدر الأشعار» فى الغليان، و انتصب جنح الظلام على الظرف يريد أنها تغلى إذا جنح الظلام بالعشى و ذاك وقت الضيافه و كأنّ لفظه صوت رعد من غيث ذى تعجرف، و العجارف شدّه وقوع المطر و تتابعه يريد أنه هبّت الريح فيه و صار له هزمه أى صوت شبّه صوت القدر فى غليانها بصوت الرّعد من سحاب هكذا.

(الخبط): الحركه على غير نظام يقال: خبط اللّيل اذا سار فيه على غير هدى. و فلان خبط خبط عشواء أى تصرف فى الامور على غير بصيره. و قال الفيومىّ حقيقه الخبط الضرب و خبط البعير الأرض ضربها بيده.

و قد يكنى بالخابط عن السائل كقول زهير بن أبى سلمى فى قصيده يمدح فيها هرم بن سنان:

و ليس بمانع ذى قبرى و لا حرم يوما و لا معدما من خابط ورقا

استعار الورق فكّنى به عن المال كما استعار الخبط فكّنى به عن طلبه و الخابط عن طالبه، و أصله أنّ العرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحّت و ينفض ورقه فيعلّقه، قد خرج يختبط الشجر، و الورق المنفوض يسمّى الخبط بالفتحتين و يقال للرجل: إنّ خابطه ليجد ورقا أى إن سائله ليجد عطاء، لكنه ليس بمراد ههنا و المقصود هو المعنى الأوّل.

(لا يثّنى) ثنى الشىء ثنيه جعله اثنين، فالمعنى لا يجعل النظر فى تلك البيعه اثنين بل هو نظر واحد تحقق من أهل الحلّ و العقد من امّه محمّد صلّى الله عليه و آله فيها بالمدينه، فهى لازمه على غيرهم من الحاضر و الغائب.

و جاء فى بعض نسخ النهج و غيره «لا يستثنى فيها النظر» مكان لا يثّنى فيها النظر، يقال: استثنى الشىء استثناء إذا أخرجه من حكم عام، فالمعنى على هذا

الوجه لا- يستثنى النظر في هذه البيعه مما قبلها أى كما أنّ بيعه أهل العقد و الحَلّ قبل هذه البيعه فى أبى بكر و عمر و عثمان كانت واحده لانه على الشاهد و الغائب و كان نظرهم فى المَرّه الاولى لازما و ثابتا كما يعترف به الخصم فكذلك ههنا فلا يجوز أن يستثنى النظر فيها عمّا قبلها.

و لكن المعنى على الوجه الثانى لا- يخلو من تكلف، و قوله عليه السّلام: يستأنف فيها الخيار قرينه على أنّ الوجه الأوّل هو الصواب، على أنّ العبارة فى نسختنا المصحّحة الخطيّه العتيقه و فى نسخه صديقنا اللاجوردى قد قوبلت بنسخه الشريف الرضى رحمه الله هى الوجه الأوّل.

(المروى): من رويت فى الأمر ترويه أو من رأت بالهمز إذا نظرت فيه و تفكرت و أصلها من الترويه و هى الفكر و التدبّر. (المداهن): المصانع يقال داهنه مداهنه و أدهنه إذا خدعه و ختله و أظهر له خلاف ما يضمّر قال تعالى:

«وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ».

الاعراب

الباء من بضاللك سببته كأن تقول: زينت الدار بالزخرف، و كذا الباء الثانيه، كتاب امرىء عطف على موعظه، جمله ليس له بصر يهديه صفه لقوله امرء و كذلك الجمل التاليه، يهديه صفه للبصر، و يرشده للقائد. الفاء فى فهجر فصيح و اللتان قبلها للترتيب. لاغطا و خابطا حالان لضمير الفعلين. و ضمير لأنها للقصة، كقوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أو أنها راجعه إلى البيعه المذكوره فى كتابه عليه السلام كما سيجىء نقل كتابه بتمامه.

اسناد هذا الكتاب و مداركه و نقل صورته الكامله

و اختلاف الاراء فيه و تحقيق أنيق فى فيصل الامر فى المقام

قد بينا فى عدّه مواضع أنّ الشريف الرضى رضوان الله عليه إنّما عنى فى النهج اجتناء محاسن كلام أمير المؤمنين عليه السلام و اجتناء ما تضمّن عجائب البلاغه و غرائب الفصاحه و جواهر العرييه من كلامه عليه السلام كما نص عليه فى خطبته على النهج

بقوله: فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب - إلخ.

ولذلك ترى كثيرا في النهج أنه قدس سره ينقل من كتاب له عليه السلام شطرا و يدع آخر فدونك الكتاب بتمامه مع ذكر ماخذة القيمه و اختلاف نسخه المرويّه و بيان الحقّ و فصل الأمر في ذلك:

فلما فرغ جرير من خطبته «قد مضى نقلها في شرح الكتاب السادس» أمر معاويه مناديا فنادى: الصلاة جامعه، فلما اجتمع الناس صعد المنبر و خطب خطبه و استدعى أهل الشام إلى الطلب إلى دم عثمان فأجابوه و بايعوه على ذلك، و استحّثه جرير بالبيعه بخلافه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: يا جرير إنّها ليست بخلسه و أنّه أمر له ما بعده فابلعني ريقى حتّى أنظر، و دعا ثقاته و استشارهم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتب إلى عمرو بن العاص و كان وقتئذ بالبيع من فلسطين، و كتب كتابا آخر إلى شرحبيل، و دعا أتباعهم و أجمعوا آخر الأمر إلى حرب أهل العراق.

روى نصر بن مزاحم المنقرى التميمي الكوفي في كتاب صفين (ص ٣٠ إلى ص ٣٤ من الطبع الناصري) عن محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني قال: كان معاويه أتى جريرا في منزله فقال: يا جرير إنّي قد رأيت رأيا، قال: هاته. قال:

اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام و مصر جبايه، فاذا حضرته الوفاه لم يجعل لاحد بعده بيعه فى عنقى و اسلم له هذا الأمر و أكتب إليه بالخلافه.

فقال جرير: اكتب بما أردت و أكتب معك، فكتب معاويه بذلك إلى عليّ فكتب عليّ عليه السلام إلى جرير:

أمّا بعد فأنما أراد معاويه أن لا يكون لى فى عنقه بيعه، و أن يختار من أمره ما أحبّ، و أراد أن يرثيك حتّى يدوق أهل الشّام، و أنّ المغيره بن شعبه قد كان أشار عليّ أن أستعمل معاويه على الشام و أنا بالمدينه فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليرانى أتخذ المضلّين عضدا، فان بايعك الرّجل و إلّا فاقبل.

أقول: كتابه هذا ليس بمذكور في النهج، و يقال: راث على خبرك من باب باع إذا أبطأ.

قال نصر: و في حديث صالح بن صدقه قال: أبطأ جرير عند معاويه حتى اتهمه الناس و قال عليّ: وقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا، و أبطأ على عليّ حتى أيس منه.

قال: و في حديث محمد و صالح بن صدقه قالا: و كتب عليّ عليه السلام إلى جرير بعد ذلك:

أميا بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاويه على الفصل، و خذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجليه أو سلم محظيه، فان اختار الحرب فانبذ له، و إن اختار السلم فخذ بيعته.

أقول: نقل الرضوي هذا الكتاب في النهج و هو الكتاب التالي لهذا الكتاب أعني الكتاب الثامن من باب المختار من كتبه و رسائله، و سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاويه فأقرأه الكتاب فقال: يا معاويه إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، و لا ينشرح إلا بتوبه، و لا أظن قلبك إلا مطبوعا أراك قد وقفت بين الحقّ و الباطل كأنك تنتظر شيئا في يدي غيرك.

فقال معاويه: ألقاك بالفيصل أول مجلس إن شاء الله.

قال نصر: فليبا بايع معاويه أهل الشام و ذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك و كتب إليه بالحرب و كتب في أسفل كتابه: يقول كعب بن جعيل:

أرى الشام تكره ملك العراق و أهل العراق لهم كارهينا

و كلاً لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان من ذاك دينا

إذا ما رمونا رميناهم و دنأهم مثل ما يقرضونا

فقالوا عليّ إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا

و قالوا نرى أن تدينوا لنا فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

و من دون ذلك خرط القتاد و ضرب و طعن يقرّ العيوننا

و كلّ يسرّ بما عنده يرى غثّ ما فى يديه سمينا

و ما فى علىّ لمستعتب مقال سوا ضمّه المحدثينا

و إثارة اليوم أهل الذنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

إذا سيل عنه حدا شبهه و عمى الجواب عن السائلينا

فليس براض و لا ساخط و لا فى النهاه و لا الامرينا

و لا هو ساء و لا سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا

أقول: ما ذكر نصر فى صفيين صوره كتاب معاويه إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام بل قال بالإجمال إنه كتب إليه عليه السّلام بالحرب و كتب فى أسفل كتابه أشعار كعب بن جعيل كما قدّمنا، لكن أبا العباس محمّد بن يزيد المبرّد نقلها فى الكامل و ابن قتيبه الدّينورى فى الامامه و السياسه.

قال المبرّد: كتب معاويه إلى علىّ عليه السّلام جوابا عن كتابه إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من معاويه بن صخر إلى علىّ بن أبى طالب أمّيا بعد فلعمرى لو بايعك القوم اللّذين بايعوك و أنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر و عمر و عثمان، و لكنّك أغريت بعثمان المهاجرين و خذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف، و قد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتّى تدفع إليهم قتله عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، و لعمرى ليس حجّتك علىّ كحججك على طلحه و الزّبير، لأنّهما بايعاك و لم ابايعك، و ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصره، لأنّ أهل البصره أطاعوك و لم يطعك أهل الشام، و أمّا شرفك فى الاسلام و قرابتك من النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلم و موضعك من قريش فليست أدفعه، قال: ثمّ كتب فى آخر كتابه بشعر كعب بن جعيل و هو: أرى الشام تكره ملك العراق - إلخ.

أقول: و قد نقل الدّينورى ذيل كتاب معاويه هكذا: فإذا دفعتم كانت شورى بين المسلمين و قد كان أهل الحجاز الحكّام على الناس و فى أيديهم الحقّ فلمّا تركوه صار الحقّ فى أيدي أهل الشام، و لعمرى ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصره، و لا حجّتك علىّ كحجّتك على طلحه و الزّبير، لأنّ

أهل البصره بايعوك و لم يبايعك أحد من أهل الشام، و أنّ طلحه و الزبير بايعاك و لم يبايعك، و أمّا فضلك في الاسلام و قرابتك من النبي عليه الصلاة و السلام فلعمري ما أدفعه و لا انكره، و ما نقله كان أوفق بكتاب أمير المؤمنين عليه السلام جوابا عنه كما لا يخفى.

ثمّ النسخ في إعراب تلك الآيات مختلفه و نحن اخترنا نسخه الكامل للمبرّد و نسخه صفين لنصر:

«و أهل العراق له كارهونا»

«و كلّ لصاحبه مبغض»

«و قلنا

نرى أن تدينوا لنا» «فقالوا لنا لا نرى أن نديننا»

ثمّ روى المصراع الثاني من البيت الخامس على وجه آخر و هو:

«و ضرب

و طعن يفضّ الشؤنا»

. و قال أبو العباس المبرّد في كتابه الكامل: و أحسن الروایتين: يفضّ الشؤنا، ثمّ أخذ في شرح كتاب معاويه (و سند ذكر صوره كتابه) و الآيات فقال:

قوله: و لكنتك أغريت بعثمان المهاجرين، فهو من الاغراء، و هو التحضيض عليه، يقال: أغريته به و آسدت الكلب على الصيد اوسده ايسادا، و من قال: أشليت الكلب في معنى أغريت فقد أخطأ إنّما أشليته دعوته إليّ، و آسده أغريته.

و قول ابن جعيل: و أهل العراق لهم كارهينا، محمول على أرى، و من قال و أهل العراق لهم كارهونا، فالرفع من وجهين أحدهما قطع و ابتداء ثمّ عطف جمله على جمله بالواو و لم يحمله على أرى، و لكن كقولك كان زيد منطلقا و عمرو منطلق، الساعه خبرت بخبر بعد خبر. و الوجه الاخر أن تكون الواو و ما بعدها حالا فيكون معناها إذ كما تقول رأيت زيدا قائما و عمر و منطلق، و هذه الايه تحمل على هذا المعنى و هو قول الله عزّ و جلّ: «يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» (آل عمران: ١٤٨) و المعنى و الله أعلم إذ طائفه في هذه الحال، و كذلك قراءه من قرأ «و لو أنّ ما في الأرض من شجره أقلامٌ و البحرُ يمدّه من بعده سبعة أبحرٍ» (لقمان: ٢٦) أي و البحر - بالرفع - هذه حاله، و من قرأ البحر - بالنصب - فعلى أنّ و قوله: و دناهم مثل ما يقرضونا، يقول: جزيناهم، و قال المفسرون في قوله عزّ و جلّ: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قالوا: يوم الجزاء و الحساب، و

من أمثال العرب: كما تدين تدان، و أنشد أبو عبيده (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي):

ص: ٢١٤

و اعلم و أيقن أنّ ملكك زائل و اعلم بأنّ كما تدين تدان

و للدين مواضع منها ما ذكرنا، و منها الطاعة و دين الإسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان أى فى طاعته، و يقال: كانت مكّه بلدا القاحا أى لم يكونوا فى دين ملكك، و قال زهير:

لئن حللت بجوّ فى بنى أسد فى دين عمرو و حالت بيننا فدك

فهذا يريد فى طاعه عمرو بن هند، و الدين العاده، يقال: ما زال هذا دينى و دأبى و عادتى و دينى و إجريّاي، قال المثقب العبدى:

تقول إذا درأت لها و ضينى أ هذا دينه أبدا و دينى

أكلّ الدهر حلّ و ارتحال أما تبقى علىّ و ما يقينى

و قال الكميت بن زيد:

على ذاك إجريّاي و هى ضريبتى و إن أجلبوا طرا علىّ و أحلبوا

و قوله: فقلنا رضينا ابن هند رضينا، يعنى معاويه بن أبى سفيان و أمّه هند بنت عتبه بن ربيعه بن عبد شمس بن عبد مناف.

و قوله: أن تدينوا له أى أن تطيعوه، و تدخلوا فى دينه أى فى طاعته.

و قوله: و من دون ذلك خرط القتاد، فهذا مثل من أمثال العرب، و القتاد شجيرته شاكه غليظه اصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الأمر الشديد لأنّه غاية الجهد.

و من قال: يفضّ الشئونا، يفضّ يفرّق، تقول: فضضت عليه المال. و الشئون واحدها شأن و هى مواصل قبائل الرأس و ذلك أنّ للرأس أربع قبائل أى قطع مشعوب بعضها إلى بعض فموضع شعبها يقول له الشئون واحدها شأن. و زعم الأصمعيّ قال: يقال إنّ مجارى الدّموع منها، فلذلك يقال: استهلّت شئونه و أنشد قول أوس بن حجر:

لا تحزنينى بالفراق فإننى لا تستهلّ من الفراق شئونى

و من قال: يقرّ العيوننا، ففيه قولان: أحدهما للأصمعيّ و كان يقول: لا يجوز

غيره يقال: قرّت عينه و أقرّها الله، و قال إنّما هو بردت من القرّ و هو خلاف قولهم سخنت عينه و أسخنها الله، و غيره يقول قرّت هدأت و أقرّها الله أهدأها الله، و هذا قول حسن جميل، و الأوّل أغرب و أطرف. انتهى قوله.

كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام الى معاويه

كتبه عليه السلام جواب الكتاب الذي كتب إليه معاويه و نقل هذا الكتاب نصر ابن مزاحم في صفيين (ص ٣٣ من الطبع الناصري) و ابن قتيبه الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ في كتاب الإمامه و السياسه (ص ١٠١ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ) و أبو العباس المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ في الكامل (ص ١٩٣ ج ١ طبع مصر) و هو:

بسم الله الرحمن الرحيم من عليّ إلى معاويه بن صخر أمّا بعد فقد أتاني كتاب امرىء ليس له نظر يهديه، و لا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابته، و قاده فاتّبعه، زعمت أنّه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان و لعمرى ما كنت إلّا رجلا من المهاجرين، أوردت كما أوردوا، و أصدرت كما أصدروا، و ما كان الله ليجمعهم على ضلاله، و لا ليضربهم بالعمى، و ما أمرت فيلزمني خطيئته الأمر، و لا قتلت فيجب عليّ القصاص.

و أمّا قولك: إنّ أهل الشام هم الحكّام على أهل الحجاز، فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافه، فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار، و إلّا أتيتك به من قريش الحجاز.

و أمّا قولك: ادفع إلينا قتله عثمان، فما أنت و عثمان، إنّما أنت رجل من بنى اميّه، و بنو عثمان أولى بذلك منك، فان زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك و إيّاهم على المحجّه.

و أمّا تمييزك بين الشام و البصره و بينك و بين طلحه و الزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلّا واحد، لأنها بيعه عامّه لا يثنى فيها النظر، و لا يستأنف فيها الخيار.

و أمّا و لو عكّ بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان و لا بعين الخبر.

و أمّا فضلى في الإسلام و قرابتي من النبيّ صلى الله عليه و آله و شرفى في قريش، فلعمري

لو استطعت دفع ذلك لدفعته.

قال نصر: و أمر - يعنى أمر أمير المؤمنين عليه السّلام - النجاشى فأجابه فى الشعر، و قال المبرّد: ثمّ دعا النجاشى أحد بنى الحرث بن كعب فقال له: إنّ ابن جعيل شاعر أهل الشام و أنت شاعر أهل العراق فأجب الرّجل، فقال: يا أمير المؤمنين أسمعنى قوله قال: إذن اسمعك شعر شاعر ثمّ أسمعك فقال النجاشى يجيبه:

دعن يا معاوى ما لم يكونا فقد حَقَّق الله ما تحذروننا

أتاكم علىّ بأهل الحجاز و أهل العراق فما تصنعونا

على كلّ جرداء خيفانه و أشعث نهّد يسرّ العيوننا

عليها فوارس تحسبهم كأسد العرين حمين العرينا

يرون الطعان خلال العجاج و ضرب الفوارس فى النقع دينا

هم هزموا الجمع جمع الزبير و طلحه و المعشر الناكثينا

و قالوا يمينا علىّ حلفه لنهدى إلى الشام حربا زبونا

تشيب النواصى قبل المشيب و تلقى الحوامل منها الجنينا

فان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضى القوم ما تكرهونا

فقل للمضللّ من وائل و من جعل الغثّ يوما سميّنا

جعلتم عليّنا و أشياعه نظير ابن هند ألاّ تستحونا

إلى أوّل الناس بعد الرّسول و صنو الرّسول من العالمينا

و صهر الرّسول و من مثله إذا كان يوم يشيب القرونا

و اعلم أنّ بين نسختى صفيين و الكامل فى كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام اختلافًا فى الجملة فما فى الكامل: فكتب إليه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام جواب هذه الرّسالة «يعنى رساله معاويه»: بسم الله الرّحمن الرّحيم من علىّ بن أبى طالب..

ليس له بصر يهديه.. زعمت أنك أنما أفسد... و ما كان الله ليجمعهم علىّ ضلال و لا ليضربهم بالعمى، و بعد فما أنت و عثمان إنّما أنت رجل من بنى اميّة، و بنو عثمان أولى بمطالبه دمه، فان زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه

المسلمون ثم حاكم القوم إلى، و أما تمييزك بينك و بين طلحه و الزبير و أهل الشام و أهل البصره فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء، لأنها بيعه شامله لا يستثنى فيها الخيار و لا يستأنف فيها النظر، و أما شرفى فى الإسلام و قرابتى من رسول الله صلى الله عليه و آله و موضعى من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

أقول: و لله درّ النجاشى كأنما روح القدس نفث فى روعه و نطق بلسانه قائلا:

جعلتم عليا و أشياعه نظير ابن هند ألا تستحونا

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما يأتى فى الكتاب التاسع الذى كتبه إلى معاويه: فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى و لم تكن له كسابقتى التى لا يدلى أحد بمثلها إلا أن يدعى مدّع لا أعرفه، و لا أظنّ الله يعرفه و الحمد لله على كلّ حال.

و أقول: يا عجباً للدهر ثمّ يا عجباً للدهر قد أصبح رأى يراعه تفوه بأنّ لها براعه على يوح، و خنفساء شمخت بأنفها و شمزت من الروح. سبحان الله، ما للتراب و ربّ الأرباب، ما للذى عبد الله على حرف و الذى لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا، ما لابن آكله الأكباد و الذى تاهت فى بيداء عظمته عقول العباد.

لحي الله هذا الدهر من شرّ سائس عصافيره تروى و تظمى قشاعمه

تبا لأشباه رجال اتبعوا أهواءهم، فضيّعوا دينهم بدنياهم، فنصروا من اتّخذ المضلّين عضدا حتّى ردّوا الناس عن الإسلام القهقرى.

زعم الشارح البحرانى أنّ ذلك الكتاب المعنون للشرح أعنى الكتاب السابع ملقّق من بعض عبارات كتابين أحدهما ذلك الكتاب المنقول من الثلاثه، و ثانيهما كتاب آخر.

و الحقّ أنّه ليس جزء منهما و إن كانا مشتركين فى بعض الجمل و العبارات و أنّه جزء من كتاب آخر له عليه السلام جوابا عن كتاب آخر من معاويه كما سيحىء نقلهما، و ذلك الكتاب المنقول من هؤلاء الثلاثه مذكور فى النهج، و احتمال

أنهما كتاب واحد و جاء الاختلاف من النسخ بعيد عن الصواب، لأن بينهما بونا بعيدا، و مجرد الاشتراك فى بعض الجمل و العبارات لا يجعلهما كتابا واحدا و لا يؤيد الاحتمال، فدونك ما قاله الشارح البحرانى فى شرح هذا الكتاب:

هذا جواب كتاب كتبه إليه معاويه صورته: من معاويه بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب.

أما بعد فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر و عمر إذن ما قاتلتك، و لا استحللت ذلك، و لكنّه إنّما أفسد عليك بيعتى خطيتك فى عثمان بن عفان، و إنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم، فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز و غيرهم من الناس، و لعمري ما حجّتك على أهل الشّام كحجّتك على أهل البصره، و لا حجّتك على كحجّتك على طلحه و الزبير، لأنّ أهل البصره قد كان بايعوك و لم يبايعك أهل الشّام، و أنّ طلحه و الزبير بايعاك و لم يبايعك، و أمّا فضلك فى الاسلام و قرابتك من رسول الله و موضعك من هاشم فليست أدفعه، و السّلام.

قال: فكتب عليه السّلام جوابه: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويه بن صخر أمّا بعد فإنّه أتانى كتابك كتاب امرىء - إلى قوله: خابطا، ثمّ يتصل به أن قال: زعمت أنّه إنّما أفسد على بيعتك كما أصدروا، «كذا» و ما كان الله ليجمعهم على ضلال و لا- يضربهم بعمى، و أمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان فى الشورى ارتحل لهما الخلافه، فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار، و إلّا فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز. و أمّا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصره و بينك و بين طلحه و الزبير فلعمري ما الأمر فى ذلك إلّا واحد.

قال: ثمّ يتصل به قوله لأنّها بيعه عامّه إلى آخره، ثمّ يتصل به: و أمّا فضلى فى الاسلام و قرابتى من الرسول و شرفى فى بنى هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت و السّلام.

قال: و أمّا قوله: أمّا بعد فقد أتتنى - إلى قوله: بسوء رأيك، فهو صدر

كتاب آخر أجاب به معاويه عن كتاب كتبه إليه بعد الكتاب الذي ذكرناه، وذلك أنه لما وصل إليه هذا الكتاب من عليّ عليه السلام كتب إليه كتابا يعظه فيه و صورته:

أما بعد فاتق الله يا عليّ ودع الحسد فانه طالما ينتفع به أهله، و لا تفسد سابقه قديمك بشرّ من حديثك فانّ الأعمال بخواتيمها، و لا تلحدنّ بباطل في حقّ من لا حقّ لك في حقّه، فانك إن تفعل ذلك لا تضلل إلا نفسك، و لا تمحق إلا عملك، و لعمرى أنّ ما مضى لك من السوابق الحسنه لحقيقه أن تردك و تردعك عمّا قد اجترأت عليه من سفك الدماء و إجلاء أهل الحقّ عن الحلّ و الحرام فاقرا سورة الفلق و تعوذ بالله من شرّ ما خلق و من شرّ نفسك الحاسد إذا حسد قفل الله بقلبك، و أخذ بناصيتك، و عجل توفيقك، فأتى أسعد الناس بذلك، و السلام قال: فكتب عليه السلام جوابه:

أما بعد فقد أتتني منك موعظه - إلى قوله: سوء رأيك، ثم يتصل به و كتاب ليس ببعيد الشبه منك، حملك عليّ الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ، و لو لا علمي بك و ما قد سبق من رسول الله صلّى الله عليه و آله فيك ممّا لا مردّ له دون انفاذه إذن لو عظمتك لكن عظتي لا- تنفع من حقّت عليه كلمه العذاب، و لم يخف الله العقاب، و لا- يرجو الله و قارا، و لم يخف له حذارا، فشأنك و ما أنت عليه من الضلاله و الحيره و الجهاله تجد الله ذلك بالمرصاد من دنيا المنقطعه و تمّنيك الأباطيل، و قد علمت ما قال النبيّ صلّى الله عليه و آله فيك و في أمك و أبيك، و السلام.

قال: و ممّا يتبه عليّ أنّ هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الأوّل أنّ الأوّل لم يكن فيه ذكر موعظه حتّى يذكرها عليه السلام في جوابه، غير أنّ السيد رحمه الله - أضافه إلى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك و أمثاله. انتهى كلامه.

أقول: و كذلك نقل هذا الكتاب من معاويه أعنى قوله: أما بعد فاتق الله يا عليّ ودع الحسد - إلخ. و جواب أمير المؤمنين عليه السلام عنه أعنى قوله: أما بعد فقد أتتني منك موعظه موصله - إلخ، في بعض الجوامع أيضا على الصورة التي

و كذا ما نقلنا قبلهما من كتاب معاوية أعنى قوله: من معاوية بن صخر إلى عليّ بن أبي طالب: أما بعد فلعمري لو بايعك القوم - إلخ، و جواب أمير المؤمنين عليه السّلام عنه أعنى قوله: من عليّ إلى معاوية بن صخر: أما بعد فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر - إلخ، كانا في سائر نسخ الجوامع على تلك الصورة التي نقلناها و الاختلاف يسير لا يعبأ به.

و لكن نصر بن مزاحم المنقري قال في كتاب صفين (ص ٥٩ من الطبع الناصري) إنّ معاوية كتب كتابه: أما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما ينتفع به إلخ - جوابا عن كتاب آخر من أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام كتبه إلى معاوية و هو الكتاب الذي جعله السيد رحمه الله الكتاب العاشر من باب المختار من كتبه و رسائله عليه السّلام أوله: و كيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبّهجت بزيتها - إلخ، و سيجيء اختلاف النسخ و أقوال اخر فيه أيضا في شرحه إن شاء الله تعالى.

فهذا القول من نصر بن مزاحم يناقض ما ذهب إليه الشارح البحراني، و نصر كان من الأقدمين قد أدرك الامام سيّد الساجدين عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السّلام و كان قريب العهد من واقعه صفين، و كلّما أتى به في كتابه فهو الأصل في ذلك و كلّ من أتى بعده و كتب كتابا في صفين أخذ عنه و اقتبس منه جلّ المطالب المهمّ.

على أنّه نقل في جوامع الفريقين أنّه عليه السّلام كتب كتابا إلى معاوية جوابا عن كتاب آخر من معاوية إليه و في ذلك الكتاب من أمير المؤمنين عليه السّلام مذکور جميع ما أتى به السيّد في المقام أعنى في هذا الكتاب السابع المعنون للشرح بلا زياده و نقصان أجاب عليه السّلام به عن الأباطيل التي أتى بها معاوية في كتابه إليه فاندفع ما أوردها الشارح البحراني بحذفها.

و الحقّ أنّ كتابه عليه السّلام: من عليّ إلى معاوية بن صخر: أما بعد فقد أتاني

كتاب امرىء - إلخ، المنقول آنفا من نصر في صفين و المبرّد في الكامل و الدينورى في الإمامه و السياسه ليس بمذكور في النهج و إن كان في بعض الجمل و العبارات مشاركا لهذا الكتاب السابع، و إن أبيت إلاّ جعلهما كتابا واحدا فما اعترض الشارح البحرانيّ على السيّد في المقام و ما زعم من أنّ هذا الكتاب ملفّق من صدر كتاب و ذيل آخر فليس بصواب، فعليك بما كتب عليه السّلام جواب كتاب معاويه:

نسخه كتاب أمير المؤمنين على عليه السّلام الى معاويه

جوابا عن كتاب كتبه معاويه اليه

نقلهما غير واحد من رجال الأخبار و السير في جوامعهم، و نقلهما الفاضل الشارح المعتزلى في شرحه على النهج، و قد كتبه عليه السّلام إلى معاويه جوابا عن كتاب كتبه معاويه إليه عليه السّلام في أواخر حرب صفين لما اشتدّ الأمر على معاويه و أتباعه و كادوا أن يهزموا و يولّوا الدبر.

و كان كتاب معاويه: من عبد الله معاويه بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه «و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين».

و إنّي احذرك الله أن تحبط عملك و سابقتك بشقّ عصا هذه الامّه و تفريق جماعتها.

فاتق الله و اذكر موقف القيامة و اقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، و إنّي سمعت رسول الله يقول: لو تمالأ أهل صنعاء و عدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبهم الله على مناخرهم في النار، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين، و سادات المهاجرين، بله ما طحنت رحاء حربيه من أهل القرآن و ذى العباده و الإيمان من شيخ كبير، و شابّ غرير، كلّهم بالله تعالى مؤمن، و له مخلص، و برسوله مقرّ عارف.

فإن كنت أبا حسن إنّما تحارب على الإمرة و الخلافه فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريبا من أن تعذر في حرب المسلمين، و لكنّها ما صحّت لك و أنّى

بصحتها و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها، و خف الله و سطواته، و اتق بأسه و نكاله، و اغمد سيفك عن الناس، فقد و الله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالثمد في قراره الغدير، و الله المستعان.

فكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام جوابا عن كتابه: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فقد أتتني منك موعظه موصي له، و رساله محببه، و نمقتها بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك، و كتاب امرىء ليس له بصر يهديه، و لا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، و قاده الضلال فأتبعه، فهجر لاغطا، و ضلّ خابطا.

فأما أمرك بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، و أستعيز بالله من أن أكون من الذين إذا مروا بها أخذتهم العزه بالإثم.

و أمّا تحذيرك إياي أن يحبط عملي و سابقتي في الاسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك، و لكنى وجدت الله تعالى يقول «فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله» نظرنا إلى الفئتين ما الفئه الباغيه فوجدناها الفئه التي أنت فيها، لأنّ بيعتي بالمدينه لزمتهك و أنت بالشام كما لزمتهك بيعه عثمان بالمدينه و أنت أمير لعمر علي الشام، و كما لزمته يزيد أخاك بيعه أبي بكر و هو أمير لأبي بكر علي الشام، و أمّا شق عصا هذه الامه فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أمرني بقتالهم و قتلهم و قال لأصحابه: إنّ فيكم من يقاتل علي تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيله، و أشار إليّ و أنا أولى من أتبع أمره.

و أمّا فولك إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها، كيف و إنّما هي بيعه واحده تلزم الحاضر و الغائب، لا يستثنى فيها النظر، و لا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، و المرؤى فيها مدهن، فاربع على ظلعك، و انزع سربال غيئك، و اترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلاّ السيف حتى تفيء إلى أمر الله صاغرا، و تدخل في البيعه راغما، و السلام.

قوله عليه السّلام: (فقد أتتني منك موعظه موصّيه) كأنما شبّه عليه السّلام كتابه بثوب موصّل أى مرفّع والمراد أنّها ملفّقه من كلمات مختلفه و جمل غير مناسبه وصل بعضها ببعض.

أو المراد أنّها موعظه مجموعه ملتقطه من ألفاظ الناس، لا أنّها من منشاته و ممّا تكلم بها مرتجلا، و كأنّما المعنى الأوّل أظهر.

قوله عليه السّلام: (و رساله محبّره) أى أتتني منك رساله أتعبت نفسك فى تقريرها و زينت ألفاظها بالتكلف و التصنع، لما دريت فى بيان اللّغه أنّ المحبّر من يحسّن الشعر و الخطّ و غيرهما، و بالجمله فيه إشاره لطيفه إلى أنّ الرّجل كان فى ميدان الكلام راجلا لا مرتجلا.

قوله عليه السّلام: (نمقتها بضاللك) قد بينا فى الاعراب أنّ الباء هذه سببها، و المعنى أتتني رساله زينتها و زوّقتها بسبب ضلالك، و سرّ ذلك أنّ كلّ فعل إذا لم يكن على اعتقاد و حقيقه لا يقع فى محلّه على ما ينبغى، و لا يصدر من الفاعل على ترتيب حسن و نظم متين، لأنّه عمل قسرى خارج عن سجيّه الطبع واقع بالتكلف فلا يرجى منه حسن الوقوع و النضد، نظير ما قاله أبو الحسن علىّ بن محمّد التهامى:

و مكلف الأيام ضدّ طباعها متطلب فى الماء جذوه نار

فإذا لا بدّ لهذا العامل من أن غير طويّه الطبع أن ينمّق عمله ثانيا و يزيّنه ليقرب من موقع ما وقع بغير تكلف.

فنقول: لما كان معاويه عالما بأنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام كان علىّ بينه من ربّه، و أنّ الحقّ كان معه عليه السّلام حيث دار كان كتابه الّذى كتبه إليه عليه السّلام على التكلف و التصنع لا محاله، فلو لا ضلاله عن الحقّ لما احتاج كتابه إلى التتميق لأنّه كان كتابا صادرا بالطبع و لم يكن مضطربا مشوشا حتّى يلوح منه أثر الكلفه المحتاج إلى التزيين.

قوله عليه السّلام: (و أمضيتها بسوء رأيك) أى أنفذت تلك الرساله و بعثتها إلىّ بسبب سوء رأيك بى، و من سوء رأيه به اختلق عليه عليه السّلام بأنه قتل عثمان و أعرض عن

إجماع المهاجرين و الأنصار فى المدينة على بيعته عليه السلام للخلافه و فعل ما فعل.

قوله عليه السلام: (و كتاب امرىء ليس له بصر يهديه - إلى قوله: خابطا) عطف على موعظه أى أتانى كتاب امرىء ليس له عقل يهديه إلى الحق أى يقوده إليه و الهادى هو الذى يتقدم فيدل، و الحادى هو الذى يتأخر فيسوق.

و إنما حملنا البصر على العقل لا العين لأنّ العقل هو لطيفه مجرّده إلهيته و جوهره ثمينه نورانيه ربّانيه يقود الانسان إلى الرّشاد، و يهديه إلى السداد و يدعوه إلى الاتصاف بالصفات الإلهية، و التخلّق بالأخلاق الرّبويّة، لأنّ العقل ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان، فمن لم يكن له نور العقل ينجيه من المهالك، فلا جرم يتبع الجهل و الهوى، لأنّ بعد الحقّ ليس إلا الضلال، و بعد نور العقل ليس إلا ظلمه الجهل قال عزّ من قائل: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» (يونس - ٣٣).

و كما أنّ العاقل يتفوّه و ينطق بما يعنيه و هو فى أقواله و أعماله على الصراط السوى، و النهج القويم كذلك تابع الهوى لفقدان بصيرته و عميان سريره لا بدّ أن يهجر و يهدى فى نطقه و يضلّ عن سبيل الله فى فعله و قوله لاقتضاء الهوى ذلك ففاقد البصر يجيب داعى الهوى و يتبع قائد الضلال فيلزمه أن يهجر لاغطا و يضلّ خابطا، و بذلك ظهر سرّ قول أمير المؤمنين علىّ عليه السلام كما رواه الصدوق رضوان الله عليه فى الخصال: المؤمن ينقلب فى خمسه من النور: مدخله نور، و مخرجه نور، و علمه نور، و كلامه نور، و منظره يوم القيامة إلى النور.

بحث روائى مناسب للمقام

رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكلينى قدّس سرّه فى اصول الكافى: أحمد ابن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرّحمن، و اكتسب به الجنان، قال:

قلت: فالذى كان فى معاويه؟ فقال: تلك النكراء تلك الشيطنه و هى شبيهه بالعقل و ليست بالعقل.

بيان: سأل أبا عبد الله عليه السلام سائل عن معرفه العقل، و لما كان درك حقيقته و عرفان ذاته للسائل فى غاية الصعوبه و التعسر جدًا، بل قد أعجز الحكماء الراسخين و تحير عقول المتألهين النيل إلى عرفان ذاته و لذا تحيروا فى تحديده و اختلفوا فيه، عرّفه ببعض آثاره و خواصّه، و هذا تعريف بالرّسم فى اصطلاح أهل الميزان.

قال المحقّق الطوسىّ فى أوائل شرحه على منطق الإشارات للشيخ الرئيس:

قد يختلف رسوم الشىء باختلاف الاعتبارات، فمنها ما يكون بحسب ذاته فقط و منها ما يكون بحسب ذاته مقيسا إلى غيره كفعله أو فاعله أو غايته أو شىء آخر مثلا يرسم الكوز بأنه و عاء صفرىّ أو خزفىّ كذا و كذا و هو رسم بحسب ذاته، و بأنه آله يشرب بها الماء، و هو رسم بالقياس إلى غايته و كذا فى سائر الاعتبارات.

انتهى كلامه.

فنقول: تعريفه عليه السلام العقل فى الحديث بأنه ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان رسم له بغايته فإنّ ما ينبغى للسائل أن يعرفه أو يتأتى له عرفانه هذا الرّسم له نحو قوله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» (البقره آيه ١٨٧).

و إنّما رسمه بذلك لأنّ اقتضاء العقل الناصع أعنى المجرد عن شوائب الامور الماديّه الدنيويّه الموجهه لبعده عن ساحه جناب الرّب جلّ جلاله هو ميله و ارتقاءه إلى الله تعالى، لأنه من عالم الأمر يرتقى بالطبع إليه كما أنّ الحجر مثلا بالطبع يهبط إلى مكانه الطبيعى له قضاء لحكم الجسّيّه، و نعم ما أشار إليه العارف الرّومىّ:

ذره ذره كاندرين أرض و سما است جنس خود را همچو كاه و كهريا است

جان گشايد سوى بالا بالها تن زده اندر زمين چنگالها

و لذا يستلذّ العقل من استفاضته من عالم القدس، و يقوى و يتسع وجودا من إفاضه الاشراقات النوريّه الإلهيّه عليه، فمقتضى طويّته و سجيّته التقرب إلى

اللّٰه تعالى و اتّصافه بصفاتهِ العلياء، فهو الهادي إليه تعالى، و لذا قال عليه السّلام: ما عبد به الرّحمن لأنّ العباده فرع المعرفه و لذا فسّروا قوله تعالى: «و ما خلقتُ الجنّ و الإنس إلاّ ليعبُدوني» (الذاريات - ٥٧) بقولهم: ليعرفون، فبالعقل يعرف اللّٰه و يعبد فهو مبدء جميع الخيرات الموجهه للسّعاده الأبديّه، فبه يكتسب الجنان لما دريت من أنّ العقل يهّدي إلى سواء السبيل، فالعاقل على الجاده الوسطى و الطريقه المثلى لا يسلك مسلكى الإفراط و التفريط، بل يعمل ما هو رضى اللّٰه تعالى.

و لذا قال الامام أبو عبد اللّٰه جعفر بن محمّد الصادق كما رواه ثقه الإسلام الكليني في اصول الكافي: من كان عاقلا كان له دين و من كان له دين دخل الجنّه.

فينتج على هيئه قياس منطقي شرطي اقتراني من أعلى ضروب الشكل الأوّل فمن كان عاقلا دخل الجنّه.

ثمّ إنّ قوله عليه السّلام: ما عبد به الرّحمن، إشاره إلى كمال القوه النظريّه و قوله عليه السّلام: و اكتسب به الجنان إلى العقل العملي، لأنّ الأوّل مقدّم بالرتبه على الثاني كما عرفت، و بالقوه النظريّه يعلم المعارف الكليه الإلهيه، و الأحكام الشرعيّه. و الأخلاق الحسنه، و بالثانيه يعمل بها، و هاتان القوتان بمنزله جناحين للعقل يطير بهما من حضيض الناسوت إلى أوج القدس.

و قد تظافرت الأخبار في العقل و آثاره و خواصّه بعبارات عذبه لطيفه علميه من خزنه العلم أثمرنا عليهم السّلام أتى بجلّها المحدث العالم لخبير الثقه الكليني رضوان اللّٰه عليه في الكافي و جعل كتابه الأوّل في العقل و الجهل، و من تأمل علم أنّ تلك الأخبار علوم لدتيه فاضت من سحاب وجود الذين هم وسائط الفيض بين اللّٰه تعالى و عباده.

ثمّ السائل سأله عليه السّلام عن الذي كان في معاويه بقوله: قلت: فالذي كان في معاويه أي فالذي كان في معاويه ما هو على أن يكون الموصول مبتداء حذف خبره، و في بعض النسخ كما في مرآه العقول للمجلسي - ره فما الذي كان في معاويه فعلى هذه النسخه فلا يحتاج إلى تقدير الخبر.

و بالجمله: أنّ السائل لما رأى جريزه معاويه و دهاه و مكره و احتياله فى الامور و طلب الفضول فى الدنيا التبس عليه الأمر فزعم أنّ تلك الرّويه الرّديه الدنيويه كانت فى معاويه عقلا فعده من العقلاء كما يزعم الجهال لبعدهم عن الأنوار العلميه من كان له شيطنه فى اقتراف الأغراض الشهوائيه و الزخارف الدنياويه عاقلا، فأجابه عليه السلام دفعا لا لتباسه و توضيحا لمسألته أنّ تلك القوه الحاكمه على معاويه هى النكراء.

و النكراء بفتح الأول و سكون الثانى الدهاء و الفطنه و المنكر، قال الجوهرى فى الصحاح: النكر «بضم الأول و سكون» المنكر، قال الله تعالى: «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا» (الكهف - ٧٥) و قد يحرك مثل عسر و عسر. قال الشاعر: و كانوا أتونى بشىء نكر، و النكراء مثله. انتهى قوله.

أقول: و المنكر كلّ فعل و قول تقبّجهما العقول الصحيحه الناصعه أو ما تعجز عن درك استحسانه و استقباحه فتتوقف فيه فيحكم بقبحه الشرع، فالنكراء كلّ ما قبّحه العقل أو الشرع.

ثمّ أعاد عليه السلام اسم الإشاره تأكيدا و تنصيحا بأنّ تلك القوه النكراء شيطنه أى الأفعال البارزه من معاويه ليست ممّا يأمره العقل لأنّ العقل يسلك إلى ما فيه عباده الرّحمن و اكتساب الجنان، و كلّ ما ليس كذلك فلا يأمر به بل ينكره و ينهى عن ارتكابه، و منهيّات العقل و منكراته ما يوسوس بفعالها الشيطان السائق إلى التمرد و العصيان.

و لمّا كان الجهّال رأوا أنّ علل المعلولات المختلفه تجب أن تكون مختلفه و زعموا بالقياس أنّ الاثار المتقاربه و المعلولات المتشابهه تجب أن تكون مستنده إلى العلل المتشابهه أيضا، و ما زادهم ذلك القياس إلّا بعدا عن الحقّ، و لذا يعدّون معاويه و أشباهه السفهاء من العقلاء، بين الإمام عليه السلام بأنّ المعلولات المتشابهه قد تكون مستنده إلى العلل المختلفه أيضا. فمجرد اشتراك القوتين فى بعض الاثار كجلب نفع و دفع ضررّ و سرعه التفطنّ وجوده الحدس و أمثالها لا يوجب

اتّحادهما حقيقه، لأنّ المنافع مثلا قد تتعلّق بالدّنيا كما قد تتعلّق بالآخره فالنفع الذي يجلبه معاويه إلى نفسه مشوب بالهوى، قاده إليه الشيطنه و الضلال و هو عند اولى الألباب منكر محض و ضرر صرف، فأين هذا من ذاك؟! و لذا قال عليه السّلام: هي شبيهه بالعقل، و أكدّه توضيحا و صرّح به ثانيا بقوله: و ليست بالعقل، فبينهما بون بعيد و مسافه كثيره. و حرف التعريف في العقل للعهد أى ليست تلك القوّه الشيطنه النكراء هي تلك اللّطيفه النوريه الإلهيه، أى العقل الذي عرّفناه بالرّسم بأنّه ما عبد به الرّحمن و اكتسب به الجنان.

قال الجاحظ في البيان و التبيين (ص ٢٥٨ ج ٣ طبع مصر ١٣٨٠هـ): قيل لشريك بن عبد الله: كان معاويه حليما، قال: لو كان حليما ماسفه الحقّ و لا قاتل عليّ، و لو كان حليما ما حمل أبناء العبيد على حرمه و لما أنكح إلا الأكفاء.

قوله عليه السّلام: (لأنّها بيعه واحده - إلخ) هذا ردّ على كلام معاويه حيث قال في كتابه المقدّم ذكره: فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريبا من أن تعذر في حرب المسلمين و لكنّها ما صحّت لك و أنّي بصحّتها و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا به.

و بيان الرّد إنّما هو على حذو ما قدّمنا في شرح الكتاب السادس من أنه عليه السّلام احتجّ على الخصم بما كان يعتقد من أنّ أمر الإمامه و مبنى الخلافه إنّما هو بالبيعه دون النصّ فألزم معاويه بما أثبت به هو و الناس خلافه أبى بكر و عمر و عثمان من أنّ أهل الشورى من المهاجرين و الأنصار و هما أهل الحلّ و العقد من امّه محمد صلّى الله عليه و آله، كما اتّفقت كلمتهم على خلافه الثلاث و اتّبعهم الناس و لم ينكروا عليهم و لم يكن للشاهد أن يختار غير من اختاروا، و لا للغائب أن يردّ من بايعوه للإمامه بل إن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعه ردّوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، كذلك اتّفاقهم على إمامته عليه السّلام بعد عثمان حجّه على الشاهد و الغائب، فلا يجوز لمعاويه و أتباعه من

أهل الشام أن يردوا من نصبه أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار لأنها بيعه واحده لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار كما كان الأمر في بيعه الناس مع الثلاث كذلك، فقد أهدر معاويه في قوله: و أنى بصحتها و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها.

قوله عليه السّلام: (الخارج منها طاعن) أى الخارج من البيعه طاعن فيما اتفق عليه كلمة أهل العقد و الحلّ و إجماعهم، فعليهم أن يردوه إلى ما خرج منه فان أبى فعليهم أن يقاتلوه. كأنما إشاره إلى قوله تعالى: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (التوبه - ١٢).

قوله عليه السّلام: (و المروى فيها مداهن) أى الذى يتفكر و يرتئى فى صحه البيعه بعد تحقّقها و استقرارها خادع خائن منافق.

الترجمه

این یکی از نامه های امیر المؤمنین علی علیه السّلام است که در جواب نامه معاویه نوشت و بسویش ارسال داشت. این نامه معاویه و جواب آن در اواخر جنگ صفین وقوع یافت و صورت آن چنین است:

چون معاویه دید که علی و سربازانش در صفین عرصه را بر او و پیروانش چنان تنگ کردند که راه گزیری جز گریز بر ایشان نمانده بود بدر عجز در آمده نامه ای باین مضمون به امیر المؤمنین نوشت:

این نامه ایست که بنده خدا معاویه بن ابی سفیان به علی بن ابی طالب نوشت اما بعد خداوند در کتاب استوارش فرمود «لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الزّمر: ٦٥) ای پیغمبر بتو و به پیغمبران پیش از تو وحی شد که اگر شرک آوری عملت تباه خواهد شد و من تو را ای علی از خدا تحذیر می نمایم و بیم می دهم که مبادا عمل و سابقه ات در اسلام بایجاد شکاف در وحدت اّمّت و پراکنده کردن جماعتشان که همسنگ شرک

است تباه شود. پس از خدا بترس و موقف قیامت را بیاد آر و از ریختن خون این همه مسلمانان دست بدار که من از پیغمبر شنیدم اگر اهل صنعاء و عدن بر کشتن مسلمانی همدست شوند خداوند همه آنها را برو در آتش جهنم در اندازد، پس چگونه خواهد بود حال کسی که این همه اعلام مسلمین و بزرگان مهاجرین را کشته است.

ای علی دست بدار از جنگی که چون آسیا این همه از اهل قرآن و عبادت کنندگان و افراد با ایمان از پیرو جوان که مؤمن مخلص و مقرّ و عارف بخدا و پیغمبرش بودند آرد کرده است.

ای أبو الحسن اگر از آن روی خویشتن را امیر و خلیفه می پنداری جنگی این چنین روا می داری، بجانم سوگند که اگر خلافت تو صحیح بوقوع می پیوست گویا جای آن بود که توان گفت در ریختن خون مسلمانان معذور باشی، و لکن چگونه بصحّت رسیده باشد با این که اهل شام در بیعت تو در نیامدند و بدان راضی نشدند. بترس از خدا و قهرش، و پرهیز از سخت گیری و گوشمال دادنش و شمشیر را از روی مردم در غلاف نه که آتش جنگ مردمان را در ربود، و از آن دریا لشکر باندازه مشت آبی در تک گودالی بیش نمانده، خدا مستعان است.

امیر المؤمنین علیه السلام در جواب او نوشت:

این نامه ایست از بنده خدا علی امیر مؤمنان بمعاضیه پور بو سفیان. اما بعد نامه ای باندرز از تو بما آمده که عبارات آن از گفتار این و آن چون جامه پینه دار بهم بر دوخته، و نوشته ای بتکلف انشاء شده بآلفاظ نا مربوط آراسته بود آنرا بگمراهی خود زینت داده ای و باندیشه بد خود فرستاده ای (در شرح گفته ایم که هر عمل در لباس حقیقت نباشد ناچار باید آنرا بیاریند تا بظاهر رنگ حقیقتش دهند و در معرض ترویجش در آورند).

نامه مردی که نه بصیرتی دارد تا هدایتش کند و نه رهبری تا ارشادش نماید هوای نفس دعوتش کرد، و او هم اجابتش، گمراهی افسار او را در دست گرفت و او نیز در پیش روان شد، از این روی ژاژ خایید و یاوه گفت و بانگ بیهوده

بر آورد.

أَمَّا آنکه مرا بتقوی خوانده ای امیدوارم که اهل آن بوده، و پناه می برم که از کسانی باشم چون بتقوی دعوت شوند حمیت آنانرا بگناه بدارد (اشاره است بایه کریمه ۲۰۷ سوره بقره: «وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبُهُ جَهَنَّمَ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ».)

و أمّا پاسخ بیم دادنت مرا از خدا که مبادا عمل و سابقه من در اسلام تباه شود این که بجانم سوگند اگر بر تو ستمکار بودم حق داشتی که مرا تحذیر کنی و بیم دهی، و لکن می بینم که خدا می فرماید «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَيْتِي تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (الحجرات - ۹) یعنی پس کارزار کنید با آن فرقه ای که ستم میکنند تا بامر خدا بر گردند، و فرقه ستم کننده کسانی اند که تو در آنهایی چه بیعت مردم با من در مدینه بر تو نیز که در شام بودی لازم شد چنانکه بیعت با عثمان در مدینه بر تو که از طرف عمر امیر شام بودی لازم شده بود، و چنانکه برادرت یزید را که از طرف ابو بکر امیر شام بود بیعت ابو بکر لازم شده بود (کذا).

أَمَّا پاسخ ایجاد شکاف در وحدت اُمت این که من سزاوارترم که تو را از آن نهی کنم (زیرا که معاویه آتش فتنه پیا کرد و مردم را باختلاف و قتال کشانید).

أَمَّا پاسخ ترساندنت مرا از کشتن ستمکاران این که پیغمبر صلی الله علیه و آله مرا بکارزار با آنان و کشتنشان امر کرد و فرمود «إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله و أشار إلى» یعنی در میان شما کسی است که بر تأویل قرآن قتال میکند چنانکه من بر تنزیل آن قتال کردم و اشاره بسوی من فرمود که آن کس علی است.

و أمّا پاسخ گفتارت که بیعت صحیح بوقوع نیوست از آن روی که شامیان بیعت نکردند این که آن یک بیعت است و بر حاضر و غائب لازم، نظر در آن دو نمی شود و استیناف در آن راه ندارد، هر که از آن سر پیچید و بدر رفت طعن در بیعت و آئین مسلمانان زد، و هر که در آن اندیشه ناک و دو دل است خائن و منافق است.

ص: ۲۳۲

(احتجاج امام علیه السّلام بر سبیل مماشاه به آن چه خصم بدان معتقد است میباشد و گرنه در امام عصمت شرط است که باید از جانب خدا و رسول منصوص و منصوب باشد چنانکه در شرح کتاب ششم گفته ایم).

ای معاویه آرام گیر، و جامه گمرهی از تن بدر کن، و آنچه که در آن تو را سودی نیست ترک گوی، و برای تو در نزدم جز شمشیر چیزی نیست تا این که بامر خدا بر گردی، و بذلت در بیعت در آئی، درود بر آنکه سزاوارش است.

و من کتاب له علیه السّلام الی جریر بن عبد الله البجلي

اشاره

لما أرسله الی معاویه، و هو الکتاب الثامن من

باب المختار من کتبه علیه السّلام و رسائله

أمّا بعد فإذا أتاک کتابی فاحمل معاویه علی الفصل، و خذ بالأمر الجزم، ثمّ خیره بین حرب مجلیه، أو سلم مخزیه [أو سلم محظیه - خ ل] فإن اختار الحرب فانبذ إليه، و إن اختار السلم فخذ بیعته، و السّلام.

اللغه

(فاحمل معاویه علی الفصل) یقال: حمّله علی الأمر إذا أغراه به. و الفصل القطع أي إبانة أحد الشیئین من الآخر حتّی تكون بینهما فرجه یقال: فصلت الشیء فانفصل أي قطعت و انقطع. و القضاء بین الحقّ و الباطل من حیث إنه یفصل بین الحقّ و الباطل، و منه قوله تعالی «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ» (الطارق - ۱۴) أي فاصل قاطع، و حدیث و فد عبد القیس: فمرنا بأمر فصل، أي لا رجعه فیہ و لا مردّ كما فی النّهایه الأثیریه.

ص: ۲۳۳

وقوله تعالى «هذا يَوْمُ الْفُضْلِ» (المرسلات - ٣٨) أى اليوم يبين الحق من الباطل و يفصّل بين الناس بالحكم، فالمراد: فاحمل معاويه على الحكم القطعي من الطاعة أو العصيان و يقرب منه معنى قوله:(و خذه بالأمر الجزم) يقال: جزم الأمر أى قطع به قطعاً لا عوده فيه. تقول: أمرته أمراً جزماً و هذا حكم جزم و حلف يمينا جزماً، فالمراد: خذه بالأمر المقطوع به إما الحرب أو السلم.

(مجلية) من الإجلاء و هو الإخراج من الوطن قهراً. يقال: أجلي فلان القوم عن بلدهم و ديارهم إذا أخرجهم عنها قهراً.

(مخزيه) أى مهينه مذلة فاضحه من الخزي بالكسر فالسكون بمعنى الهوان و الدلّ يقال: أخزاه إخزاء إذا أوقعه فى الخزي، و أخزى الله فلاناً أى فضحه.

و فى نسخه نصر فى كتاب صفين الاتى ذكرها: محظيه. من الحظوه بضمّ الحاء و كسرهما، و الحظه كالعده: المكانه و الحظ من الرزق يقال: أحظاه أى جعله ذا حظوه، و أحظاه به أى تفضّل عليه به، و روى أيضاً: مجزيه، بالجيم أى كافيه.

(فانبذ إليه) نبذت الشيء من يدي من باب ضرب إذا طرحته و رميت به.

قال أبو كبير الهذلي (الحماسه ١٢):

و إذا نبذت له الحصاه رأيتَه فرعا لوقعتها طمور الأخيّل

و النبذ أيضا إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه. و قال الفيوميّ فى المصباح: نبذت العهد لهم نقضته: و قوله تعالى: «فَأَنْبِذُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» (الأنفال - ٦١) معناه إذا هادنت قوما فعلمت منهم النقص للعهد فلا توقع بهم سابقا إلى النقص حتى تعلمهم أنك نقضت العهد، فيكون فى علم النقص مستويين ثم أوقع بهم.

الاعراب

الفاء الاولى جواب أما، و الثانية جواب إذا، و الثالثة للتفصيل، و الأخيرتان جوابا الشرط كالاوليين. مجليه صفة للخرب و الحرب تؤنث و قد تذكّر، قال الله تعالى: «حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» (سوره محمّد - ٦). قال الجوهريّ فى الصحاح قال المبرد: الحرب قد تذكّر و أنشد:

و هو إذا الحرب هفا عقابه مرجم حرب تلتقى حرايه

قال الخليل: تصغيرها حريب بلاهاء روايه عن العرب، قال المازني: لأئنه في الأصل مصدر و قال الفيومي في المصباح: إنما سقطت الهاء كيلا يلتبس بمصغر الحربه التي هي كالرمح.

مخزيه صفه للسلم قال الجوهرى في المصباح: السلم: الصلح، يفتح و يكسر و يذكر و يؤنث قال الله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا» (الأنفال - ٦٤) و في أقرب الموارد: و يؤنث حملا على نقيضه الحرب و قال بعض أهل الأدب:

تأنيث الحرب باعتبار المحاربه و السلم للمسالمة.

ضمير إليه يرجع إلى معاويه. و السلام مبتداء و خبره محذوف، أي و السلام لأهله ككتابه الاتي بعد هذا. أو و السلام على من أتبع الهدى و نحوهما.

«سند الكتاب»

رواه نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين (ص ٣٢ من الطبع الناصري) عن محمد بن عبيد الله و صالح بن صدقه مسندا، و على نسخه نصر كان مكان قوله عليه السلام (أو سلم مخزيه) أو سلم محظيه، و مكان قوله (فانبذ إليه) فانبذ له.

و نقل الكتاب ابن قتيبه الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في الإمامه و السياسه على صورته اخرى، قال: و ذكروا أن عليا كتب إلى جرير: أما بعد فإن معاويه إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعه و أن يختار من أمره ما أحب، و قد كان المغيره بن شعبه أشار علي و أنا بالمدينه أن أستعمله على الشام فأبيت ذلك عليه و لم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضدا، فإن بايعك الرجل و إلا فأقبل (ص ٩٥ ج ١ طبع مصر ١٣٧٧ هـ).

أقول: قد ذكرنا هذا الكتاب في شرح الكتاب السابع منقولا عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم. و بين النسختين اختلاف في الجملة. ثم يمكن أن يكون أنه عليه السلام أرسل إلى جرير في تلك الواقعة كتابين أو أنهما كانا كتابا واحدا فتشئت كما ذكرنا نبذا من نظائره فلا حاجه إلى جعلهما كتابا واحدا. و نقل هذا الكتاب

المجلسيّ رحمه الله في البحار عن كتاب صفين لنصر أيضا (ص ٤٧٠ ج ٨ من الطبع الكمباني).

المعنى

إشارة

قال أبو العباس المبرّد في الكامل (ص ١٩٠ ج ١ من طبع مصر، أوّل الباب ٢٧): وجّه عليّ بن أبي طالب عليه السّلام إلى معاوية يأخذه بالبيعه له فقال له: إنّ حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار، و لكنّي اخترتك لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله فيك: خير ذى يمن: ائت معاوية فخذ بالبيعه.

فقال جرير: والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئا و ما أطمع لك في معاوية. فقال عليّ عليه السّلام: إنّما قصدى حجّه اقيمها عليه.

وقال اليعقوبيّ في التاريخ (ص ١٦٠ ج ٢ طبع النجف ١٣٥٨ هـ): خرج عليّ عليه السّلام من البصره متوجّها إلى الكوفه و قدم الكوفه في رجب سنه ستّ و ثلاثين و كان جرير بن عبد الله على همدان فعزله، فقال لعليّ عليه السّلام: وجّهني إلى معاوية فإنّ جلّ من معه قومي فلعلّي أجمعهم على طاعتك. فقال له الأشر: يا أمير المؤمنين لا تبعته فإنّ هواه هواهم. فقال: دعه يتوجّه فإنّ نصح كان ممّن أدّى أمانته، و إن داهن كان عليه وزر من اوتمن و لم يؤدّ الأمانه و وثق به فخالف الثقه و يا ويحهم مع من يميلون و يدعونني فوالله ما أردتهم إلّا على إقامه حقّ، و لا يريدهم غيري إلّا على باطل.

قال المبرّد: فلمّا أتى جرير معاوية دافعه معاوية فقال له جرير: إنّ المنافق لا يصلّي حتّى لا يجد من الصّلاه بدّا، و لا أحسبك تباع حتّى لا تجد من البيعه بدّا، فقال له معاوية: إنّها ليست بخدعه الصبّي عن اللبن، إنه أمر له ما بعده فابلعني ريقى.

فناظر عمرا - يعنى عمرو بن العاصى - فطالت المناظره بينهما، و ألحّ عليه جرير فقال له معاوية: ألقاك بالفصل فى أوّل مجلس إن شاء الله تعالى. ثمّ نقل كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و جوابه عليه السّلام عن كتابه كما ذكرناهما فى

وقد نقلنا عن نصر في شرح الكتاب السابق أنّ جريرا أبطأ عند معاوية حتّى أنّهمه الناس، وقال عليّ عليه السّلام: وقتّ لرسولى وقتا لا يقيم بعده إلاّ مخدوعا أو عاصيا و أبطأ على عليّ عليه السّلام حتّى أيس منه.

قال نصر: و فى حديث محمّد بن عبيد الله و صالح بن صدقه قالوا: و كتب عليّ عليه السّلام إلى جرير بعد ذلك: أمّا بعد فإذا أتاك كتابى - إلخ.

و بالجمله لما أتى جرير معاوية يأخذه بالبيعه لأمير المؤمنين عليه السّلام سوّف معاوية و ماطل فى البيعه و لما رأى أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك كتب إليه ذلك الكتاب قوله عليه السّلام: (فإذا أتاك كتابى فاحمل معاوية على الفصل و خذ به بالأمر الجزم) يعنى لا- تترك معاوية سوّف فى البيعه و يماطلك بها و تدعك حيران لا- تدرى كيف يعامل بك، بل احمله على الحكم القطعى و الأمر المقطوع به إمّا أن يدخل فى الطاعة فيبيع، و إمّا أن يأذن بالحرب.

قوله عليه السّلام: (ثمّ خيره بين حرب مجليه أو سلم محظيه) لا يخفى حسن صنيعته عليه السّلام حيث أمر جريرا أن يوقع معاوية بين الخوف و الرجاء و التخويف و الاستعطاف أى إن عصى و تمرد عن البيعه فلا بدّ له من أن يحاربنا و الحرب تجليه عن التّى اتّخذها و طنا و هى الشام.

و هذا تهديد و تفريع له بأنّه إن اختار الحرب يجليه جنود الحقّ أى أنصار أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و أعوانه عن بلده قهرا، فإسناد الإجماع إلى الحرب مجاز و إن أسلم فاختار السلم و الصلح فاعزاز و إفضال باطاعته، فنسبه الإحطاء إلى السلم مجاز أيضا فتفسير كلامه عليه السّلام على هذا الوجه يبيّن لا غبار عليه و لا يخلو من لطف.

و أمّا على نسخه المخزيه، بالزاء فقليل: السلم المخزيه الصلح الدالّ على العجز و الخطل فى الرأى الموجب للخزى.

و الظاهر أنّ مراده من هذا التفسير هو ما ذكره الفاضل الشارح المعتزلى حيث قال: و إنّما جعل السلم مخزيه لأنّ معاوية امتنع أوّلا من البيعه، فاذا

دخل فى السلم فإنما يدخل فيها بالبيعه، و إذا بايع بعد الامتناع فقد دخل تحت الهضم و رضى بالضم، و ذلك هو الخزى.

أقول: و على هذه النسخه عرض أمير المؤمنين عليه السلام له فى قوله هذا بأنه سواء كان بايع أم لم يبايع مهان ذليل مقهور، لأنه إن بايع فالسلم تخزيه، و إن أبى و استكبر و أذن بالحرب فالحرب تجليه، و أمّا على روايه الجيم فواضح.

قوله عليه السلام: (فان اختار الحرب - إلخ) هذا تفصيل لقوله: ثم خيره. أى إذا خيرته بين الحرب و السلم فإن اختار الحرب فارمها إليه. و إن اختار السلم فخذ بيعته. و السلام لأهله.

أو أن قوله عليه السلام: فانبذ إليه، إشاره إلى قوله تعالى: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» (الأنفال - ٦١) و ذلك أن المراد من الخيانه فى الايه نقض العهد بدليل سياق الايات المتقدمه عليها و نظمها فى ذلك، و إجماع المفسرين عليه.

و الايات المتقدمه قوله تعالى: «إِنَّ سِرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فِيمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ وَ إِمَّا تَخَافَنَّ» الايه و التبذ إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه. و بمعنى نقض العهد أيضا كما مر.

فمعنى الايه: و إن خفت من قوم معاهدين أى قوم بينك و بينهم عهد لأن نقض العهد يدلّ على تقدّم العهد، نقض العهد لم يظهر منهم بعد، و ذلك لأنّ قوله تعالى: و إن خفت، يدلّ على عدم ظهوره بل يخاف ذلك منهم بامارات تلوح فيه فانبذ إليهم على سواء، أى ألق إليهم العهد الذى بينك و بينهم، يعنى أعلمهم جهارا و أخبرهم إخبارا مكشوفاً بأنك قد نقضت ما شرطت لهم على سواء، أى على سواء فى العلم بمعنى أن يكون الفريقان متساويين فى العلم بنقض العهد، أو معناه على طريق قصد مستوفى العداوه و هذا يرجع إلى الأوّل أيضا.

و بالجملة أمره الله تعالى أن لا يبدأ القوم بالقتال و هم على توهم بقاء العهد

بل يعلمهم إعلاما مكشوفاً بنقض العهد أولاً ثم يوقع بهم، فإن المناجزة قبل الاعلام به خيانه، إن الله لا يحب الخائنين.

فالمراد من قوله عليه السلام: فان اختار الحرب فانبذ إليه، أن معاويه إن اختار الحرب فاطرح إليه عهد الأمان و أعلنه أنت بالحرب أيضاً مجاهراً و أخبره إخباراً مكشوفاً من غير مدهانه حتى يتم الحجّه عليه بإعلام نقض العهد و لا يتوهم متوهم أن مناجزتنا إيّاه كانت خيانه و خدعه.

إن قلت: لم يكن بينه عليه السلام و بين معاويه عقد عهد حتى يستفاد هذا المعنى من قوله عليه السلام، فكيف التوفيق؟.

قلت: قد احتج أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب السادس عليه بأن أهل الشورى من المهاجرين و الأنصار لما اجتمعوا على خلافته و إمامته كان ذلك الإجماع لله تعالى رضى و حجّه على الغائب و الشاهد كما في الخلفاء الذين سبقوه عليه السلام بالزمان حتى لو خرج من إجماعهم خارج بطعن أو بدعه كانوا يردونه على ما خرج منه فإن أبى قاتلوه.

و قد بيّنا في شرح ذلك الكتاب أن هذا الاحتجاج إنما كان على سبيل المماشاه و الإلزام، و في اصطلاح أهل الميزان على طريق القياس الجدلى، فلزم معاويه و أتباعه على قبول خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و إمامته و التسليم و الانقياد لأمره على ما عاهده عليه أهل الحلّ و العقد من أمّه محمّد صلّى الله عليه و آله كما لزمهم قبول خلافة من سبق منه و التسليم لهم، فوقع بين أمير المؤمنين عليه السلام و بين معاويه عهد.

جرير بن عبد الله البجلي من هو؟

قال ابن الأثير في اسد الغابه: جرير بن عبد الله بن جابر البجلي أسلم قبل وفاه النبي صلّى الله عليه و آله بأربعين يوماً، و كان حسن الصورة. و قال النبي صلّى الله عليه و آله لما دخل عليه جرير فأكرمه: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. و كان له في الحروب بالعراق القادسيه و غيرها أثر عظيم. و مات في قرقيسيا، و قيل: مات بالسراه، و روى عنه بنوه: عبيد الله، و المنذر، و ابراهيم، و روى عنه قيس بن أبي حازم، و الشعبي، و همام

ابن الحارث، و أبو وائل، و أبو زرعه بن عمرو بن جرير و غيرهم. و أرسله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلَى ذِي الْخَلْصَةِ وَ هِيَ بَيْت فِيهِ صَنْم لِيَهْدِمَهُ، فَخَرَجَ فِي مَائِهِ وَ خَمْسِينَ رَاكِبًا مِنْ قَوْمِهِ فَأَحْرَقَهَا.

ثُمَّ رَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ.

قَالَ: وَ تُوْفِي جَرِيرٌ سَنَةَ إِحْدَى وَ خَمْسِينَ، وَ قِيلَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَ خَمْسِينَ. انْتَهَى مَا أَرَدْنَا مِنْ نَقْلِ كَلَامِ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي تَرْجُمِهِ جَرِيرٍ مَلْخَصًا.

قَالَ نَصْرٌ فِي صَفِيْنٍ (ص ١٧ مِنَ الطَّبَعِ النَّاصِرِيِّ): عَنْ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ نَمِيرِ بْنِ وَعْلَةَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ نَزَعَ جَرِيرًا عَنْ هَمْدَانَ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ الْكُوفَةَ فَأَرَادَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى مَعَاوِيَةَ رَسُولًا فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ: ابْعَثْنِي إِلَى مَعَاوِيَةَ فَانَّهُ لَمْ يَزَلْ لِي مُسْتَنْصِحًا وَ وَدًّا نَأْتِيهِ فَأَدْعُوهُ عَلِيٌّ أَنْ يَسَلِّمَ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ وَ يَجَامِعَكَ عَلَى الْحَقِّ عَلِيٌّ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا مِنْ أَمْرَائِكَ وَ عَامِلًا- مِنْ عَمَّا لَكَ مَا عَمِلَ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَ اتَّبَعَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَ أَدْعُو أَهْلَ الشَّامِ إِلَى طَاعَتِكَ وَ وِلَايَتِكَ، وَ جَلِّهِمْ قَوْمِي وَ أَهْلَ بِلَادِي وَ قَدْ رَجَوْتُ أَنْ لَا يَعْصُونِي.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْأَشْثَرُ: لَا تَبْعَثْهُ وَ دَعِهِ وَ لَا تَصَدِّقْهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأُظَنَّ هَوَاهُ هَوَاهُمْ وَ نَيْتُهُ نَيْتِهِمْ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْنَا.

نَصْرٌ: صَالِحُ بْنُ صَدَقَةَ بِإِسْنَادِهِ قَالَ (ص ٣٤): لَمَّا رَجَعَ جَرِيرٌ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثُرَ قَوْلُ النَّاسِ فِي التَّهْمَةِ لَجَرِيرٍ فِي أَمْرِ مَعَاوِيَةَ، فَاجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَ الْأَشْثَرُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ الْأَشْثَرُ: أَمَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ كُنْتُ أَرْسَلْتَنِي إِلَى مَعَاوِيَةَ لَكُنْتُ خَيْرًا لَكَ مِنْ هَذَا الَّذِي أَرْخَا مِنْ خَنَاقِهِ وَ أَقَامَ حَتَّى لَمْ يَدْعُ أَبَا يَرْجُو رُوحَهُ إِلَّا فَتَحَهُ، أَوْ يَخَافُ غَمَّهُ إِلَّا سَدَّهُ.

فَقَالَ جَرِيرٌ: وَ اللَّهُ لَوْ أَتَيْتَهُمْ لَقَتَلُوكَ، وَ خَوْفُهُ بِعَمْرٍو وَ ذِي الْكَلَاعِ وَ حَوْشَبِ

ذی ظلم و قد زعموا أنك من قتله عثمان.

فقال الأشر: لو أتيته و الله يا جرير لم يعينى جوابها و لم تثقل علىّ محلها و لحملت معاويه على خطه أعجله فيها عن الفكر.
قال: فأتهم إذا. قال: الان و قد أفسدتهم و وقع بينهم الشرّ.

نصر عمر بن سعد، عن نمير بن و عله، عن عامر الشعبي قال: اجتمع جرير و الأشر عند علىّ عليه السلام فقال الأشر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا و أخبرتك بعداوتة و غشّه، و أقبل الأشر يشتمه و يقول: يا أبا بجيله إنّ عثمان اشترى منك دينك بهمدان، و الله ما أنت بأهل أن تمشى فوق الأرض حيا، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدك بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، و أنت و الله منهم، و لا- أرى سعيك إلاّ لهم، و لئن أطاعنى فيك أمير المؤمنين ليحبسناك و أشباهك فى محبس لا تخرجوا منه حتى تستبين هذه الامور، و يهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت و الله أنك كنت مكانى بعثت إذا و الله لم ترجع. قال:

و لما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا و لحق به اناس من قيس فسرّ من قومه و لم يشهد صفين من قيس غير تسعة عشر، و لكن أحس شهدا منهم سبع مائة رجل، و خرج علىّ إلى دار جرير فشعث منها، و حرّق مجلسه و خرج أبو زرعه بن عمرو ابن جرير فقال: أصلحك الله إنّ فيها أرضا لغير جرير، فخرج علىّ منها إلى دار ثوير بن عامر فحرّقها و هدم منها و كان ثوير رجلا شريفا و كان قد لحق بجرير.

قال: و قال الأشر فيما كان من تخويف جرير إياه بعمرو و حوشب ذى ظلم و ذى الكلاع:

لعمرك يا جرير لقول عمرو و صاحبه معاويه الشامى

و ذى كلع و حوشب ذى ظلم أخفّ علىّ من زفّ النعام

إذا اجتمعوا علىّ فخلّ عنهم و عن باز مخالبه دوام

فلست بخائف ما خوّفونى و كيف أخاف أحلام النيام

و همهم الذى حاموا عليه من الدنيا و همى ما أمامى

فان أسلم أعمهم بحرب يشيب لهُو لها رأس الغلام

و إن اهلك فقد قدّمت أمرا أفوز بفلجه يوم الخصام

و قد زادوا إليّ و أوعدونى و من ذا مات من خوف الكلام

و المنقول عن ابن قتيبه فى المعارف أنّ جريرا قدم على رسول الله صلّى الله عليه و آله سنة عشر من الهجره فى شهر رمضان فبايعه و أسلم، و كان طوالا ينقل فى ذروه البعير من طوله، و كانت نعله ذراعا، و كان يخضب لحيته بالزّعفران من الليل و يغسلها إذا أصبح، فتخرج مثل لون التبر، و اعتزل عليّا عليه السّلام و معاويه و أقام بالجزيره و نواحيها حتى توفّى بالشره سنة أربع و خمسين فى ولايه الضحاك بن قيس على الكوفه.

و فى شرح المعتزلى عند شرح قوله عليه السّلام: أما أنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم مند حق البطن - إلخ: أنّ أشعث بن قيس الكندى و جرير بن عبد الله البجلي يبغضانه و هدم عليّ عليه السّلام دار جرير بن عبد الله، قال إسماعيل بن جرير: هدم عليّ عليه السّلام دارنا مرّتين.

و روى الحارث بن حضيره أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعاله و قال: احتفظ بهما فإنّ ذهابهما ذهاب دينك، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلما أرسله عليّ عليه السّلام إلى معاويه ذهبت الاخرى. ثمّ فارق عليّا عليه السّلام و اعتزل الحرب.

بحث حكمى عقلى فى ابطال رؤيته تعالى

اشاره

بالابصار فى الدنيا و الاخره و يتبعه بحث روائى فى ذلك

ما روى ابن الأثير عن جرير من حديث الرؤيه أوجب علينا البحث عن معنى الرؤيه و تحقيقها فى المقام، فإنّ ظاهر الروايه يزلّ الأقدام عن صوب الصواب.

قال ابن الأثير فى مادّه «ضمم» من النهايه: فى حديث الرؤيه: لا تضامون فى رؤيته، يروى بالتشديد و التخفيف، فالتشديد معناه لا ينضمّ بعضكم إلى بعض تزدهمون وقت النظر إليه، و يجوز ضمّ التاء و فتحها على تفاعلون و تفاعلون

و معنى التخفيف لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، و الضيم: الظلم.

قال الشهرستانى فى الملل و النحل عند ترجمه الطائفة الحائطيه (ص ٢٨ طبع ايران ١٢٨٨ هـ): و من ذلك أصحاب أحمد بن حائط، و كذلك الحديثه أصحاب فضل الحديثى كانا من أصحاب النظام، و طالعا كتب الفلاسفه أيضا، و ضمّا إلى مذهب النظام ثلاث بدع - إلى أن قال: البدعه الثالثه حملهما كلّما ورد فى الخبر من رؤيه البارى تعالى مثل قوله صلّى الله عليه و آله «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا- تضامون فى رؤيته» على رؤيه العقل الأوّل العزى هو أوّل مبدع، و هو العقل الفعّال الذى منه تفيض الصور على الموجودات، و إياه عنى النبىّ صلّى الله عليه و آله:

أوّل ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال و عزّتى و جلالى ما خلقت خلقا أحسن منك، بك اعزّ و بك اذلّ، و بك أعطى، و بك أمتع، فهو الذى يظهر يوم القيامة و ترتفع الحجب بينه و بين الصور التى فاضت منه، فيرونه كمثّل القمر ليله البدر، فأما واهب العقل فلا يرى ألّبتّه و لا يشبّه إلاّ مبدع. انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و اعلم أنّما تشعبت الآراء فى رؤيته تعالى على أقوال و كادت أن تنتهى إلى أكثر من عشره أقوال، فذهبت الحكما و الإماميه و المعتزله إلى استحاله رؤيته تعالى بالأبصار فى الدّنيا و الآخرة، لتجرّده تعالى، و هذا هو المذهب المختار الحقّ ذهب إليه جلّ الحكماء المتألّهين، و العلماء الشامخين، و بذلك شهدا العقل و حكم به جميع الأنبياء و المرسلين، و نطق القرآن الكريم، و تواترت الأخبار عن أئمتنا الهدى صلوات الله عليهم أجمعين، و سنذكر طائفه من تلك الأخبار و شرحها بعون الله تعالى.

و إنّما قيّدنا الرؤيه بالأبصار لأنّ الرؤيه إذا كانت بمعنى الشهود العقلى و الحضور العلمى و الانكشاف التام بالبصيره القلبيّه لا بالبصر الحسىّ و الخيالى فلا كلام فى صحّتها و وقوعها للكاملين من الموحّدين كما سيّتضح لك فى البحث الاتى عن الأخبار إنشاء الله تعالى.

و ذهبت المجسّمه و الكراميه إلى جواز رؤيته بالبصر مع المواجهه فقالت الكراميه و الحنابله: يرى في جهه فوق.

قال الشهرستاني في الملل و النحل عند ترجمه الفرقة المشبهه (ص ٤٨ طبع ايران ١٢٨٨ هـ): و أمّا مشبه الحشويّه فحكى الأشعريّ عن محمّد بن عيسى أنه حكى عن مضر و كهمش و أحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربّهم الملامسه و المصافحه و أنّ المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا و الاخره إذا بلغوا في الرياضه و الاجتهاد إلى حدّ الإخلاص و الاتّحاد المحض.

و حكى الكعبيّ عن بعضهم أنه كان يجوّز الرؤيه في الدّنيا و أن يزوروه و يزورهم.

و حكى عن داور الجوارى أنه قال: اعفوني عن الفرج و اللّحيه و اسألوني عمّا وراء ذلك و قال: إنّ معبوده جسم و لحم و دم و له جوارح و أعضاء من يد و رجل و رأس و لسان و عيين و اذنين، و مع ذلك جسم لا كالأجسام، و لحم لا كاللّحوم، و دم لا كالدماء، و كذلك سائر الصفات، و هو لا يشبه شيئاً من المخلوقات و لا يشبهه شيء.

و يحكى عنه أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك و أنّ له وفره سوداء، و له شعر قطط.

و أمّا ما ورد في التنزيل من الإستواء و اليدين و الوجه و الجنب و المجرى و الاتيان و الفوقيه و غير ذلك فأجروها على ظاهرها أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام. و كذلك ما ورد في الأخبار من الصوره في قوله عليه السّلام: خلق الله آدم على صوره الرّحمن. و قوله: حتى يضع الجبار قدمه في النار. و قوله: وضع يده أو كفّه على كتفى فوجدت (حتى وجدت - خ ل) برد أنا مله بين ثديي (على كتفى - خ ل) إلى غير ذلك أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام.

ثمّ قال: و زادوا في الأخبار أكاذيب و ضعوها و نسبوها إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و أكثرها مقتبسه من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع حتى قالوا: اشتكت عيناه

فَعَادَتِهِ الْمَلَائِكَةُ وَبَكَى عَلَى طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى رَمَدَتْ عَيْنَاهُ. وَ أَنَّ الْعَرْشَ لِيَأْطُ مِنْ تَحْتِهِ كَأَطْيَطِ الرَّحْلِ الْحَدِيدِ، وَ أَنَّهُ لِيَفْضُلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَرْبَعَ أَصَابِعَ.

وَ رَوَى الْمُشَبِّهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: لَقِينِي رَبِّي فَصَافِحْنِي وَ كَافِحْنِي وَ وَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِي حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنْامِلِهِ فِي صَدْرِي. انْتَهَى مَا أَرَدْنَا مِنْ نَقْلِ كَلَامِهِ.

وَ الْأَشَاعِرَةُ مَعَ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا تَجَرُّدَهُ تَعَالَى قَالُوا بِصِحِّهِ رُؤْيِيهِ، وَ خَالَفُوا بِذَلِكَ جَمِيعَ الْعُقَلَاءِ، وَ لَذَا قَالُوا: إِنَّهُ تَعَالَى يَرَى لَا كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ بِجَسَمِيَّتِهِ بَلْ يَرَى وَ لَيْسَ فَوْقًا، وَ لَا تَحْتًا، وَ لَا يَمِينًا، وَ لَا شِمَالًا، وَ لَا أَمَامًا، وَ لَا وَرَاءَ، وَ لَا يَرَى كُلَّهُ وَ لَا بَعْضَهُ، وَ لَا هُوَ فِي مَقَابِلَةِ الرَّائِي، وَ لَا مَنَحْرَفًا عَنْهُ، وَ لَا يَصِحُّ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ إِذَا رَأَى وَ مَعَ ذَلِكَ يَرَى وَ يَبْصُرُ.

قَالَ بَعْضُ الْأَشَاعِرَةِ: فَقَالَ: لَيْسَ مَرَادُنَا بِالرُّؤْيِيِّ الْإِنطِبَاعِ أَوْ خُرُوجِ الشَّعَاعِ بِلِ الْحَالَةِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْ رُؤْيِيهِ الشَّيْءِ بَعْدَ حَصُولِ الْعِلْمِ بِهِ، وَ تَحْدَلُّقِ بَعْضِهِمْ فَقَالَ:

مَعْنَى الرُّؤْيِيِّ هُوَ أَنَّ يَنْكَشِفُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ انْكَشَافَ الْبَدْرِ الْمَرْتِي.

نَقَلَهُمَا الْفَاضِلُ الْمَقْدَادُ فِي شَرْحِهِ الْمَوْسُومِ بِالنَّفَاعِ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي شَرْحِ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ لِلْعَلَامَةِ الْحَلِّيِّ قَدَّسَ رُوحَهُمَا.

وَ ذَهَبَ ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَاسِّهِ سَادِسَهُ لَا بِهَذَا الْبَصْرِ.

وَ قَالَ قَوْمٌ: يَجُوزُ أَنْ يَحْوَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُوَّةَ الْقَلْبِ إِلَى الْعَيْنِ فَيَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْإِدْرَاكَ عِلْمًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ بِقُوَّةِ الْقَلْبِ، وَ رُؤْيِيهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِالْمَعْنَى الْحَالَّ فِي الْغَيْرِ.

ثُمَّ الْقَائِلُونَ بِرُؤْيِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ هَلْ يَحُوزُ أَنْ يَرَاهُ الْكَافِرُ؟ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: إِنَّ الْكُفَّارَ لَا يَرُونَهُ، لِأَنَّ رُؤْيِيَهُ كِرَامَهُ وَ الْكَافِرَ لَا كِرَامَةَ لَهُ.

وَ قَالَتِ السَّالِمِيَّةُ وَ بَعْضُ الْحَشَوِيَّةِ: إِنَّ الْكُفَّارَ أَيْضًا يَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَرُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَافِرُهُمْ

و مؤمنهم يرونه و لكن لا يعرفونه. و تحذلق بعضهم فقال: لا يجوز أن يرى بعين خلقت للفناء، و إنما يرى فى الآخره بعين خلقت للبقاء.

هذه نبذه من الأقوال و الاراء فى رؤيته تعالى و قد تمسك كل فرقه بظاهر بعض الايات و الأخبار، و لم يقدروا على الخروج من حكم الوهم إلى قضاء العقل و التمييز بينهما كما أشار إليه المحقق خواجه نصير الدين الطوسى فى كتابه قواعد العقائد حيث قال: و عند أهل السنه إن الله تعالى يصح أن يرى مع امتناع كونه فى جهه من الجهات، و احتجوا لها بالقياس على الموجودات المرثيه و بنصوص القرآن و الحديث، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

ثم إنا لو تعرضنا لهدم ببيان ما تمسك بها كل فرقه على البسط و التفصيل لطال بنا الخطب و لخرجنا عن موضوع الكتاب، و لكن نذكر طائفه من الاصول الكليه العقلية الهادمه لما أسسوا و بنوا عليها تلك الاراء الرديه ثم نعقبها بذكر ما روى عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام لأن مقالاتهم موازين القسط فى كل باب، و فيصل الخطاب فى كل حكم لاولى الألباب.

و اعلم أن المعتمد فى اصول الايمان هو العقل فقط و النقل إن وافقه و إلا فإن كان له محمل صحيح من وجوه الاستعارات و الكنايات و غيرهما المتداوله فى لسان العرب أو غيرهم المؤييده بالشواهد و القرائن التى لها وجه وجيه و أدركناها فنحمله عليه، و إلا- إقياً تتوقف فى تفسيره و تقريره كما لو كانت آيه من آى القرآن المخالفه بظاها لحكم العقل الصريح و لم نصل إلى فهم مراده، و لكننا نعلم أن ظاها ليس بمراد كما نعلم أن لها معنى صحيحا لو رزقنا ادراكه وجدناه معاضدا لحكم العقل، و إما نعرض عنه كالخبر الواحد المخالف للعقل و القرآن.

و هदानا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و أئمتنا عليهم السلام فقد روى الشيخ أبو الفتوح الرازى فى تفسيره حديثا عن النبى صلى الله عليه و آله: إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله و حججه عقولكم، فان وافقهما فاقبلوه، و إلا فاضربوا به عرض الجدار.

و فى باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب من الكافى رويت عدّه روايات فى

ذلك عن أهل بيت العصمة و الطهاره حذروا الناس عن أخذ ما خالف كتاب الله، منها:

علی بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله عليه السلام: إنَّ على كلِّ حقِّ حقيقه و على كلِّ صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه.

محمّد بن يحيى، عن عبد الله بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان عن عبد الله بن أبي يعفور قال: و حدّثنى حسين بن أبي العلاء أنه حضر ابن أبي يعفور في هذا المجلس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من تثق به، و منهم من لا تثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلّى الله عليه و آله، و إلا فالذى جاءكم به أولى به.

عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحرّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلّ شيء مردود إلى الكتاب و السنه، و كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضال، عن عليّ بن عقبه عن أيوب بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف.

محمّد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب النبيّ صلّى الله عليه و آله بمنى فقال: أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله.

و في باب اختلاف الحديث و الحكم من الكافي باسناده عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: إنّي سمعت من سلمان و المقداد و أبي ذرّ شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ الله غير ما في أيدي الناس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيره من تفسير القرآن و من الأحاديث عن نبيّ الله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلّى الله عليه و آله متعمّدين و يفسّرون

القرآن بارائهم؟ قال: فأقبل عليه السَّلام علىّ فقال: قد سألت فافهم الجواب إنَّ في أيدي الناس حقًا و باطلا، و صدقا و كذبا، و ناسخا و منسوخا، و عاميًّا و خاصًّا، و محكما و متشابها، و حفظا و وهما، و قد كذب على رسول الله صلَّى الله عليه و آله على عهده حتَّى قام خطيبا فقال: أيُّها الناس قد كثرت علىّ الكذَّابُه فمن كذب علىّ متعمِّدا فليتبوَّأ مقعده من النار، ثمَّ كذب عليه من بعده و إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الايمان متصنِّع بالإسلام لا يتأثم و لا يتحرَّج أن يكذب على رسول الله صلَّى الله عليه و آله متعمِّدا فلو علم الناس أنّه منافق كذَّاب لم يقبلوا منه و لم يصدِّقوه، و لكنَّهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله صلَّى الله عليه و آله و رآه و سمع منه فيأخذون عنه و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال تعالى: «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنِّ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ » ثمَّ بقوا بعده فتقرَّبوا إلى أئمَّه الضلال و الدَّعاه إلى النار بالزَّور و الكذب و البهتان فولَّوهم الأعمال، و حملوهم على رقاب الناس، و أكلوا بهم الدُّنيا، و إنّما الناس مع الملوِّك و الدُّنيا إلَّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول الله صلَّى الله عليه و آله شيئا لم يحمله على وجهه و وهم فيه و لم يتعمِّد كذبا فهو في يده يقول به و يعمل به و يرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلَّى الله عليه و آله، فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه، و لو علم هو أنّه و هم لرفضه. الى آخر ما أفاد عليه السَّلام.

و أتى بهذه الروايه الرّضى - ره - في باب الخطب من نهج البلاغه و الصدوق في الباب الخامس و الأربعين من رسالته في الاعتقادات و إنّما أردنا نقل هذا المقدار من كلامه عليه السَّلام ليعلم أنّ الكذَّابُه قد كثرت على رسول الله صلَّى الله عليه و آله و أنّ هؤلاء المتكذِّبين اختلقوا الأخبار، و افتروا على الله و رسوله فلا يكون كلّ خبر مروى على حياله حجَّه إلَّا ما يوافقه شاهد صادق كالعقل و القرآن و الأحاديث الصحيحه.

و أوضح منه فى مقصودنا هذا ما روى عن الحسن بن الجهم، عن الرضا عليه السلام أتى به الفيض قدس سره فى باب اختلاف الحديث و الحكم من الوافى (ص ٦٦ ج ١) قال: قلت له عليه السلام: يجيئنا الأحاديث عنكم مختلفه، قال: ما جاءك عنا فاعرضه على كتاب الله عز و جل و أحاديثنا فان كان يشبههما فهو منا و إن لم يشبههما فليس منا. الحديث.

و قال ثقة الإسلام أبو جعفر الكلينى قدس سره فى أوائل الكافى:

يا أخى أرشدك الله أنه لا يسع أحدا تمييز شىء مما اختلف الروايه فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه إلا على ما أطلقه العالم عليه السلام بقوله: اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز و جل فخذوه، و ما خالف كتاب الله فردوه.

و قال العالم الزبائى أبو جعفر محمد بن بابويه الملقب بالصّدوق قدس سره الشريف فى الباب الأوّل من رسالته فى الاعتقادات:

اعلم أنّ اعتقادنا فى التوحيد أنّ الله تعالى واحد ليس كمثل شىء، قديم لم يزل و لا يزال سميعا، بصيرا، عليما، حكيمًا، حيًا، قيومًا، عزيزًا، قدوسًا عالمًا، قادرًا، غتيا، لا يوصف بجوهر، و لا جسم، و لا صوره، و لا عرض، و لا خط و لا سطح، و لا ثقل، و لا خفه، و لا سكون، و لا حركه، و لا مكان، و لا زمان فإنه تعالى متعال من جميع صفات خلقه خارج عن الحدّين حدّ الإبطال و حدّ التشبيه و أنه تعالى شىء لا كالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، و لم يولد فيشارك، و لم يكن له كفوا أحد، و لا ندله، و لا ضدّ، و لا- شبهه، و لا- صاحبه، و لا مثل، و لا نظير، و لا شريك له، لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار، و لا الأوهام و هو يدركها، لا تأخذه سنه و لا نوم، و هو اللطيف الخبير، خالق كلّ شىء لا إله إلا هو له الخلق و الأمر تبارك الله ربّ العالمين، و من قال بالتشبيه فهو مشرك، و من نسب إلى الاماميه غير ما وصف فى التوحيد فهو كاذب، و كلّ خبر يخالف ما ذكرت فى التوحيد فهو موضوع مخترع، و كلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، و إن وجد فى كتب علمائنا فهو مدّلس و الأخبار التى يتوهمها الجهال تشبيها لله تعالى بخلقه فمعانيها محموله

على ما فى القرآن من نظائرها، إلى آخر ما قال.

أقول: لله دره فانه - ره - أجاد و أفاد بما قضى به العقل الصريح و النقل الصحيح، إلا- أنه رحمه الله ذهب إلى أن من قال بالتشبيه فهو مشرك.

فإن عنى بذلك الشرك المصطلح عند المتشرّعه بأن يكون قائله كافرا بحيث يترتب عليه أحكامه من النجاسه و عدم حلّ ذبيحته و سائر أحكامه التى دونت فى الكتب الفقهيّه كما هو ظاهر كلامه - ره - فلا نسلّم، لأنّ القائل برؤيته تعالى بالأبصار مثلا و إن كان شبّهه تعالى بالجسم و أثبت له صفات المخلوق المركّب المرئى إلاّ أنّه ذهب إليه من غير شعور بتلك التوالى الفاسده و اللوازم الباطله غير اللائقه بذاته تعالى، و لو تنبّه بها أعرض عنها، و ذلك القائل أطاع الوهم من حيث لا يشعر فأضله السبيل حيث رأى أنّ الأرض و الماء و الكواكب و غيرها مرئيه محسوسه أو قابله للرؤيه، قاده الوهم إلى أنّ كلّ ما هو موجود فهو مرئى محسوس فالله تعالى موجود فتصحّ رؤيته و ما درى أنّ ذلك القول ينتهى إلى التركيب و الافتقار و سائر صفات الجسم فى الله تعالى و لم يعلم من الشرع أنّ القائل بما تترتب عليه لوازم غير بينه من حيث لا- يشعر مأخوذ و محكوم بأحكام تلك اللوازم الشرعيّه، بل المعلوم خلافه، نعم لو كانت اللوازم بينه و مع ذلك مال إليها و شبّهه تعالى بما يعلم تواليه الفاسده المترتبه على رأيه يمكن أن يقال إنه مشبه مشرك كافر.

و إن عنى معناه اللغوى العارى عن الأحكام الشرعيّه توسّعا، أو أنّ هذا قول المشرك و هو لا يعلم به أو نظائر هذين الوجهين فلا كلام فيه إلاّ أنّ نحو هذا القائل ليس بمشرك كافر.

و قال - ره - فى باب ما جاء فى الرّؤيه من كتابه القيم المفيد فى التوحيد (ص ١٠٨ طبع ايران ١٣٢١ هـ): و الأخبار التى رويت فى هذه المعنى - يعنى فى الرّؤيه - صحيحه و إنما تركت إيرادها فى هذا الباب خشيه أن يقرؤها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزّ و جلّ و هو لا يعلم.

ص: ٢٥٠

و الأخبار التي ذكرها أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره و التي أوردها محمد بن أحمد بن يحيى في جامعه في معنى الرؤيه صحيحه لا- يردها إلا مكذب بالحق أو جاهل به، و ألفاظها ألفاظ القرآن، و لكل خبر منها معنى ينفي التشبيه و التعطيل و يثبت التوحيد و قد أمرنا الأئمه صلوات الله عليهم أن لا نكلم الناس إلا على قدر عقولهم.

و معنى الرؤيه الوارده في الأخبار العلم، و ذلك أن الدنيا دار شكوك و ارتياب و خطرات فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله و اموره في ثوابه و عقابه ما يزول به الشكوك و يعلم حقيقه قدره الله عزّ و جلّ، و تصديق ذلك في كتاب الله عزّ و جلّ: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْفَ تَبْصُرُونَ الْيَوْمَ حَسِيدًا» (ق - ٢٢).

فمعنى ما روى في الحديث أنه عزّ و جلّ يرى أى يعلم علما يقينيا كقوله عزّ و جلّ «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» (الفرقان - ٤٥) و قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ» (البقره - ٢٥٨) و قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ» (البقره - ٢٤٣) و قوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» (الفيل - ٢) و أشباه ذلك من رؤيه القلب و ليست من رؤيه العين. إلى آخر ما أفاد قدس سرّه و إنما نقلنا موضع الحاجه من كلامه.

أقول: قوله - ره - فيكفر بالله عزّ و جلّ و هو لا- يعلم، كأنما أراد به المعنى الثانى من المعنيين المتقدمين فلا- بأس أن يجعل كلامه في التوحيد قرينه على حمل كلامه في الاعتقادات على ذلك أيضا، أى و من قال بالتشبيه فهو مشرك و هو لا يعلم.

فنقول: إن ما يدرك بالقوه الباصره لا بدّ من أن يكون جسما كثيفا، لأنّ للرؤيه شروطا.

فمنها أن يكون المرئى مقابلا للرئى أو فى حكم المقابل، و الثانى كرؤيه

الانسان وجهه فى المرآه و رؤيه الأعراض، لأنّ المقابل حقيقه هو الجسم و اعراضه مقابله للرئى بالتبع فهى فى حكم المقابل.

و منها عدم البعد المفرط.

و منها عدم القرب المفرط.

و منها عدم الصغر المفرط.

و منها عدم الحاجب بين الرئى و المرئى.

و منها أن يكون المرئى مضيئاً إمّا من ذاته أو من غيره.

و منها أن يكون المرئى كثيفاً أى مانعاً للشعاع من النفوذ فيه فلو لم يكن كثيفاً لا يمكن رؤيته.

سواء قيل: إنّ الابصار بخروج الشعاع من العين على هيئته مخروط رأسه عند مركز البصر و قاعدته عند سطح المبصر.

إمّا يكون ذلك المخروط مصمّتا أو مركبا من خطوط شعاعيه مستقيمه أطرافه التى يلى البصر مجتمعها عند مركزه ثمّ تمتدّ متفرّقه إلى البصر، فما ينطبق عليه من المبصر أطراف تلك الخطوط أدركه البصر و ما وقع بين أطراف تلك الخطوط لم يدركه.

و إمّا لم يكن الشعاع مخروطاً أصلاً بل هو خطّ مستقيم خارج من العين فإذا انتهى إلى المرئى تحرّك على سطحه فى جهتي طوله و عرضه حرّكه فى غايه السرعه و يتخيّل بحرّكته هيئته مخروطه كما يتخيّل القطر النازل خطاً مستقيماً و النقطة الدائره بسرعه خطاً مستديراً، و هذا قول الرياضيين ذهب إلى كلّ واحد من الشعب المذكوره طائفه منهم.

و سواء قيل: إنّ الابصار بالانطباع و هو مذهب الطبيعيين و هو المختار عند أرسطو و أتباعه كالشيخ الرئيس حيث اختاره فى الشفاء.

أو قيل: إنّ المشف الذى بين البصر و المرئى يتكيف بكيفيه الشعاع الذى هو فى البصر و يصير بذلك آله للإبصار كما ذهب اليه طائفه من الحكماء.

أو قيل: لا انطباع و لا شعاع و إنّما الابصار بمقابله المستنير للباصره فيقع حينئذ

للنفس علم اشراقى حضورى على المبصر كما مال إليه الشيخ الاشراقى شهاب الدين السهروردى.

أو أنّ الإبصار بإنشاء صورته مماثله له بقدره الله من عالم الملكوت النفسانى مجرّده عن المادّه الخارجيه حاضره عند النفس المدركه قائمه بها قيام الفعل بفاعله لا قيام المقبول بقابله.

و بالجمله أنّ المحسوس لكلّ حاسّه هو الصوره الإدراكيه المفارقة عن المادّه، لا التّى هي في مادّه جسمانيه و مع ذلك لا بدّ في الإبصار من مقابله البصر لما يقع صورته عند القوّه المدركه و البصر، و من تحقّق سائر شروط الرّؤيه كما ذهب إليه المولى صدر المتألّهين في السفر الرابع من الأسفار. و حجّه كلّ طائفه المذكوره في محالّها و لسنا الان في ذلك المقام.

و قد أشار إلى تلك الاراء في كيفية الابصار الحكيم السبزواريّ قدّس سرّه في غرر الفرائد بقوله منظوما:

قد قيل الابصار بالانطباع و قيل بالخارج من شعاع

مضطرب الاخر أو مخروطى مصمت أو ألف من خطوط

لدى الجليديّه رأسه ثبت قاعده منه على المرئى حوت

تكيف المشفّ باستحاله بكيف ضوء العين بعض قاله

و بانتساب النفس و الاشراق منها لخارج لدى الاشراقى

و صدر الاراء هو رأى الصدر فهو بجعل النّفس رأيا يدرى

للعضو أعداد إفاضه الصور قامت قياما عنه كالذى استتر

و كيف كان و لو جازت رؤيته تعالى بالأبصار لزم أن يكون جسما ذا جهه لأنّ المرئى بالعين يجب أن يكون كثيفا مقابلا للرئى. و ليس ذلك إلاّ الأشياء التّى قبلنا، فاذن يلزم تركيبه تعالى و تحديده و افتقاره و غيرها من التوالى الباطله و المفسد اللازمه على هذا الرأى السخيف، تعالى الله عما يقول الجاهلون علّوا كبيرا.

فلما كانت البراهين العقليّة تمنعنا عن القول برويته تعالى بل برؤيه المفارقات مطلقا سواء كانوا عقولا أو نفوسا بالأبصار فلا يصحّ لنا الأخذ بظواهر الأحاديث المرويّه في الرّؤيه بل بظاهر الايات القرآنيّه الناطقه فيها، وقد نعلم قطعا أنّ الله تعالى و حججه ما أرادوا معانيها الظاهره، و لذلك تصدّى العقلاء إلى درك معانيها الحقيقيه و حمل ظاهرها على ما يوافقه صريح العقل و صحيح النقل.

مثلا أنهم بينوا في قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» (القيامة - ٢٣) الذي تمسك به الأشعريّ و أتباعه في القول بالرؤيه وجوها من المعاني الصحيحه التي تناسب حكم العقل و لا يأبى عنها طباع الايه.

روى الصدوق قدّس سرّه في الباب الحادى عشر من عيون أخبار الرضا عليه السّلام باسناده عن ابراهيم بن أبى محمود قال: قال على بن موسى الرضا عليه السّلام في قول الله تعالى «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» يعنى مشرقه ينتظر ثواب ربّها.

و قال علم الهدى السيد المرتضى - ره - في كتابه غرر الفوائد و درر القلائد (ص ١٦ طبع طهران ١٢٧٢ هـ):

إنّ أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنّ أصحاب الرّؤيه في قوله تعالى «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» على وجوه معروفه، لأنهم بينوا أنّ النظر ليس يفيد الرّؤيه و لا الرّؤيه من أجلّ احتمالاته. و دلّوا على أنّ النظر ينقسم إلى أقسام كثيره منها تقليب الحدقه الصحيحه حيال المرئى طلبا لرؤيته، و منها النظر الّذى هو الانتظار، و منها النظر الّذى هو التعطف و الرّحمه، و منها النظر الّذى هو الفكر و التأمّل، و قالوا: إذا لم يكن في أقسام النظر الرّؤيه لم يكن للقوم بظاهرها تعلّق و احتجنا جميعا إلى طلب تأويل الايه من غير جهه الرّؤيه، و تأويلها بعضهم على الانتظار للثواب و إن كان المنتظر في الحقيقه محذوفا و المنتظر منه مذكورا على عاده للعرب معروفه و سلّم بعضهم أنّ النظر يكون الرّؤيه بالبصر و حمل الايه على رؤيه أهل الجنّه نعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئى في الحقيقه، و هذا الكلام مشروح في مواضعه و قد بيّنا ما يورد عليه و ما يجاب عن الشبهه المعترضه فيه في مواضع كثيره.

قال: و ههنا وجه غريب فى الايه حكى عن بعض المتأخرين - قيل: إن ذلك البعض هو صاحب بن عباد - لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف، و لا يحتاج إلى منازعتهم فى أن النظر يحتمل الرؤيه أولا يحتملها، بل يصح الاعتماد عليه، سواء كان النظر المذكور فى الايه هو الانتظار بالقلب أو الرؤيه بالعين، و هو أن يحمل قوله تعالى «إلى ربها» على أنه أراد به نعمه ربها لأن الإلاء النعم و فى واحدتها أربع لغات يقال: ألى مثل قفا، و إلى مثل معى و ألى مثل ظبى، و إلى مثل حسى: قال الأعشى بكر بن وائل:

أبيض لا يرهب الهزال و لا يقطع رحما و لا يخون إلى

أراد أنه لا يخون نعمه و أراد تعالى بإلى ربها نعم ربها، و اسقط التنوين للإضافه.

قال: فإن قيل: أى فرق بين هذا الوجه و بين تأويل من حمل الايه على أنه اريد بها إلى ثواب ربها ناظره يعنى رائيه لنعمه و ثوابه؟ قلنا: ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفا و لم يعلّقها بالربّ تعالى فلا بدّ من تقدير محذوف و فى الجواب العدى ذكرناه لا- يفتقر إلى تقدير محذوف، لأنّ إلى فيه اسم تتعلّق به الرؤيه فلا يحتاج إلى تقدير محذوف غيره، و الله أعلم بالصواب، انتهى كلامه رفع مقامه، و ذكر البيت الطبرى - ره - أيضا فى التفسير و استشهد به بأنّ إلى فى الايه اسم مفرد الإلاء.

و جميع الايات التى تمسّيك بها الأشاعره كان من هذا القبيل، و كذا الأخبار الظاهره فى الرؤيه، و لو كان خبر ناصيا فى مقصودهم بالفرض لرفضناه و نصره على الجدار لعلمنا بأنّه موضوع و إلا لما خالف العقل و القرآن.

على أنّ للروايات التى تعلّقوا بها أيضا معانى صحيحه كما سنشير إلى نبذه منها عند شرح الأحاديث الآتيه المرويّه عن الأئمه عليهم السلام فى إبطال رؤيته تعالى بالأبصار.

ثمّ إنّ الأشاعره سلّكوا فى قولهم هذا مسلك قولهم فى الكلام النفسى حيث

زعموا في ماهية كلامه تعالى أنه معنى قديم قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت ولا أمر ولا نهى ولا خبر ولا استخبار وغير ذلك من أساليب الكلام، لأنهم مع ذهابهم إلى تجرّده تعالى قالوا برؤيته بالأبصار ولكنه يرى لا كما يرى الأجسام بل يرى وليس فوقاً ولا تحتاً ولا يمينا - إلى آخر ما نقلنا من مذهبهم في الرؤية.

ثم إن بعض الأشاعره لما التفتوا إلى سخافه رأى شيخهم في الرؤية تصدّى لحمل كلامه على وجه لعله يوافق حكم العقل فقال: ليس مرادنا بالرؤية الانطباع أو خروج الشعاع، بل الحاله التي تحصل من رؤيه الشيء بعد حصول العلم به.

و مراده من كلامه هذا أنه ليس المراد بالرؤية هو الانكشاف التامّ المسلمّ جوزاه عند الكلّ، ولا ارتسام صورهِ المرئى في العين المسلمّ امتناعه عند الكلّ بل أمر آخر وراء ذلك يسمّونه بالحاله التي تحصل من رؤيه الشيء بعد حصول العلم كما صرّح به شارح الفصوص المنسوب إلى الفارابي، و الفخر الرازي في المحضّل و الرجلان من كبار الأشاعره.

فقال الأوّل (ص ١٢٦ طبع طهران ١٣١٨ هـ): مذهب أهل الحقّ و هم الأشاعره أنّ الله تعالى يجوز أن يرى منزهًا عن المقابله و الجهه و المكان، و خالفهم في ذلك سائر الفرق، و لا - نزاع للنافين في جواز الانكشاف التامّ العلمى، و لا للمثبتين في امتناع ارتسام صورهِ المرئى في العين، و اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئى إنما محلّ النزاع إذا عرّفنا الشمس مثلا بحدّ أو رسم كان نوعا من الإدراك، ثمّ إذا بصرناها و غمضنا العين كان نوعا آخر فوق الأوّل، ثمّ إذا فتحنا العين يحصل لنا من الإدراك نوع آخر فوق الأوّلين نسميها الرؤية و لا يتعلّق في الدّنيا إلاّ بما هو في جهه أو مكان، فمثل هذه الحاله الادراكيه هل يصحّ أن يقع بدون المقابله و الجهه و أن يتعلّق بذات الله تعالى منزهه عن الجهه و المكان أم لا فالأشاعره يثبتونها و المعتزله و سائر الفرق ينكرونها. انتهى كلامه.

و لا - يخفى عليك أنه لم يأت بما يغنيهم و ينجيهم من مهالك رأيهم الكاسد، و أورد عليه الفخر في المحضّل اعتراضات كثيره مع أنه حرّر البحث أيضا مثل ذلك

الرّجل و قال: محل النزاع ذلك الأمر الاخر لا الأوّلان، و اختار آخر الأمر أنّ المعتمد في مسأله الرّويه الدلائل السمعيه.

و نقل كلامه و إن كان مفضيا إلى إطناب، و لكن لما كان الرّجل من أعظم الأشعريّه، و قوله يعتنى به في تقرير ما ذهبوا إليه يعجبني نقله حتّى يعلم منه أنهم لمّا رأوا ركاه رأى رئيسهم تصدّوا إلى تحصيل مخلص، فتراهم أنّهم في كلّ و اديهمون، فذهب بعضهم الى أنّ المراد من الرّويه تلك الحاله، و الاخر إلى أنّه الكشف التامّ، و ثالث إلى أنّ المعتمد الدلائل السمعيه مع أنّ شيخهم أبا الحسن عليّ ابن إسماعيل الأشعري اعتقد خلاف ما بينوه.

قال الشهرستاني في الملل و النحل (ص ٤٥ طبع ايران ١٢٨٨ هـ): و من مذهب الأشعري أنّ كلّ موجود فيصحّ أن يرى، فإنّ المصحّح للرّويه إنّما هو الوجود، و الباري تعالى موجود فيصحّ أن يرى، و قد ورد السمع بأنّ المؤمنين يرونه في الاخره قال الله تعالى «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» إلى غير ذلك من الايات و الأخبار. قال: و لا يجوز أن تتعلّق به الرّويه على جهه و مكان و صوره و مقابله و اتّصال شعاع أو على سبيل انطباع فإنّ ذلك مستحيل.

انتهى قوله.

و أقول: إنّ قول الأشعري يضاهاى ما ذهب إليه الملحدون قديما و حديثا حيث قالوا: كلّ ما يرى فهو موجود، فلو كان الله موجودا كان مرتيا، فحيث لم نره فليس بموجود.

على أنّه يرد على الأشعري أنّ المعانى و المشمومات و المسموعات و كثيرا من الأجسام كالهواء و الفلك و جميع المشفّ الذى ينفذ فيه نور البصر لا تصحّ أن ترى، اللهمّ إلا أن يقال: إنّ الرّجل لما كان يعتقد بالإراداه الجزافيه و يجوز تخلف المسببات عن الأسباب إلا أنّ عاداه الله جرت باحراق النار و تبريد الماء مثلا لا أنّ النار سبب للإحراق، يقول في عدم رّويه تلك الأشياء أيضا بتخلفها عن أسبابها و بأنّ إراداه الله لم تجر برؤيتها.

ص: ٢٥٧

أمّا كلام الفخر الرازى فى المحضّل فقال (ص ١٣٧ طبع مصر ١٣٢٣ هـ) «مسأله» الله تعالى يصحّ أن يكون مرئياً، خلافاً لجميع الفرق، أمّا الفلاسفه و المعتزله فلا- إشكال فى مخالفتهم، و أمّا المشبّهه و الكراميه فلأنّهم إنما جوّزوا رؤيته لاعتقادهم كونه تعالى فى المكان و الجهه و أمّا بتقدير أن يكون هو تعالى منزهاً عن الجهه فهم يحيلون رؤيته، فثبت أنّ هذه الرؤيه المنزّهه عن الكيفيه مما لا يقول به أحد إلا أصحابنا.

و قبل الشروع فى الدّلاله لا بدّ فى تلخيص محلّ النزاع.

فإنّ لقائل أن يقول: إن أردت بالرؤيه الكشف التامّ فذلك مسلم، لأنّ المعارف تصير يوم القيامه ضروريه، و إن أردت بها الحاله التى نجدها من أنفسنا عند اتّصال الشعاع الخارج من العين إلى المرئى أو عن حاله مستلزمه لارتسام الصوره أو لخروج الشعاع و كلّ ذلك فى حقّ الله تعالى محال، و إن أردت به أمراً ثالثاً فلا بدّ من إفاده تصوّره، فإنّ التصديق مسبوق بالتصوّر.

و الجواب أنّا إذا علمنا الشىء حال ما لا نراه ثمّ رأيناه فأنّا ندرك تفرقه بين الحالين. و قد عرفت أنّ تلك التفرقه لا يجوز عودها إلى ارتسام الشبح فى العين، و لا إلى خروج الشعاع منها، فهى عائده إلى حاله اخرى مسماه بالرؤيه فنّدعى أنّ تعلق هذه الصّفه بذات الله جائز، هذا هو البحث عن محلّ النزاع، و المعتمد أنّ الوجود فى الشاهد علّه لصحّه الرؤيه فيجب أن يكون فى الغائب كذلك.

قال: و هذه الدّلاله ضعيفه من وجوه:

أحدها أنّ وجود الله تعالى عين ذاته، و ذاته مخالف لغيره فيكون وجوده مخالفاً لوجود غيره فلم يلزم من كون وجودنا علّه لصحّه الرؤيه كون وجوده كذلك.

سَلّمنا أنّ وجودنا يساوى وجود الله تعالى و مجرد كونه وجوداً لكن لا نسلم أنّ صحه الرؤيه فى الشاهد مفتقره إلى العلّه، فإنّا بينا أنّ الصّحّه ليست أمراً ثبوتياً فتكون عدميه، و قد عرفت أنّ العدم لا يعلّل.

سَلّمنا أنّ صحّه رؤيتنا معلله فلم قلت إنّ العلّه هى الوجود؟ قالوا: لأنّنا

نرى الجوهر و اللون قد اشتركا في صحته الرؤيه، و الحكم المشترك لا بد له من علّه مشتركه و لا- مشترك إلا- الحدوث و الوجود، و الحدوث لا- يصلح للعليه، لأنه عباره عن وجود مسبق بالعدم، و العدم نفى محض، و العدم السابق لا دخل له في التأثير فيبقى المستقل بالتأثير محض الوجود، فنقول: لا نسلم أنّ الجوهر مرئى على ما تقدّم.

سلمناه لكن لا- نسلم أنّ صحه كون الجوهر مرئيا يمنع حصولها في اللون مرئيا، فلم لا يجوز أن يقال: الصحتان نوعان تحت جنس الصحه، تحقيقه أنّ صحه كون الجوهر مرئيا يمنع حصولها في اللون، لأنّ اللون يستحيل أن يرى جوهرًا و الجوهر يستحيل أن يرى لونا، و هذا يدلّ على اختلاف هاتين الصحتين في ماهيه سلمنا الاشتراك في الحكم فلم قلت: إنه يلزم من الاشتراك في الحكم الاشتراك في العلّه؟ بيانه ما تقدّم من جواز تعليل الحكمين المتماثلين بعلتين.

مختلفتين.

سلمنا وجوب الاشتراك فلم قلت: إنه لا مشترك سوى الحدوث و الوجود و عليكم الدلاله. ثم نحن نذكره و هو الإمكان و لا شك أنّ الإمكان مغاير للحدوث فان قلت: الامكان عدمى قلت: فامكان الرؤيه أيضا عدمى، و لا استبعاد في تعليل عدمى بعدمى.

سلمنا أنه لا مشترك سوى الحدوث و الوجود فلم قلت: إنّ الحدوث لا يصلح قوله لأنه عباره عن مجموع عدم و وجود؟ قلنا: لا نسلم بل هو عباره عن كون الوجود مسبقا بالعدم و مسبقته الوجود بالعدم غير نفس العدم. و الدليل عليه أنّ الحدوث لا يحصل إلا في أول زمان الوجود، و في ذلك الزمان مستحيل حصول العدم فعلمنا أنّ الحدوث كيفيه زائده على العدم.

سلمنا أنّ المصحح هو الوجود فلم قلت: إنه يلزم من حصوله في حقّ الله تعالى حصول الصحه فإنّ الحكم كما يعتبر في تحقّقه حصول المقتضى يعتبر فيه أيضا انتفاء المانع، فلعلّ ماهيته الله تعالى أو ماهيته صفه من صفاته ينافي هذا الحكم و ممّا يحقّقه إنّ الحياه مصححه للجهل و الشهوه، ثمّ إنّ حياه الله تعالى لا تصححها

ص: ٢٥٩

إِمَّا لِأَنَّ الْإِشْتِرَاقَ لَيْسَ إِلَّا فِي اللَّفْظِ، أَوْ إِشْتِرَاكَ فِي الْمَعْنَى لَكِنْ مَاهِيَّةَ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَ مَاهِيَّةَ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ يَنَافِيهِمَا، وَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ذَلِكَ أَيْضًا.

سَلَّمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ الْمَنَافَى لَكِنْ لَمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَصُولُ هَذِهِ الرَّؤْيِيَةِ فِي أَعْيُنِنَا مَوْقُوفًا عَلَى شَرْطِ يَمْتَنِعُ تَحَقُّقَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّا لَا نَرَى الْمَرْتِيَّ إِلَّا إِذَا انْطَبَعَتْ صُورُهُ صَغِيرَةً مُتَسَاوِيَةً لِلْمَرْتِيَّ فِي الشَّكْلِ فِي أَعْيُنِنَا، وَ فِي الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ حَصُولُ الْحَالَةِ الْمَسْمُومَةِ بِالرَّؤْيِيَةِ مَشْرُوطًا بِحَصُولِ هَذِهِ الصُّورَةِ أَوْ كَانَ مَشْرُوطًا بِحَصُولِ الْمَقَابِلَةِ، وَ لَمَّا امْتَنَعَ حَصُولُ هَذِهِ الْأُمُورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ لَا حَرَمَ امْتَنَعَ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى ذَاتَ اللَّهِ تَعَالَى وَ الْمَعْتَمِدَ فِي الْمَسْأَلَةِ الدَّلَائِلَ السَّمْعِيَّةَ:

أَحَدُهَا أَنَّ رُؤْيِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْلُوقَةٌ بِاسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ وَ هُوَ مُمْكِنٌ وَ الْمَعْلُوقُ عَلَى الْمُمْكِنِ مُمْكِنٌ فَالرَّؤْيِيَةُ مُمْكِنَةٌ.

وَ ثَانِيهَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ سَأَلَ الرَّؤْيِيَةَ وَ لَوْ لَمْ تَكُنِ الرَّؤْيِيَةُ جَائِزَةً لَكَانَ سُؤَالُ مُوسَى عِبْثًا أَوْ جَهْلًا.

وَ ثَالِثُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» انْتَهَى مَا أَرَدْنَا مِنْ نَقْلِ كَلَامِهِ فِي الْمَسْأَلَةِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ صَرَّحَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّؤْيِيَةِ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ وَ أَتْبَاعِهِ لَيْسَ الْإِنْكَشَافُ التَّامُّ، وَ لَا ارْتِسَامُ صُورَةِ الْمَرْتِيَّ فِي الْعَيْنِ، لِعَدَمِ الْخِلَافِ فِي صِحَّةِ الْأَوَّلِ وَ بَطْلَانِ الثَّانِي بَلِ الْمُرَادُ تِلْكَ الْحَالَةَ الْإِدْرَاكِيَّةَ الَّتِي فَسَّرْتَ.

وَ لَمَّا كَانَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ بِوَجْهِهِ اشِيرَ إِلَى بَعْضِهَا عَدَلَ عَنْهُ الْفَخْرُ وَ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، مَعَ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى مُرَادِهِمْ.

وَ الْعَجَبُ مِنَ الْفَخْرِ كَيْفَ اعْتَمَدَ عَلَى الْآيَاتِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي يَأْبَى عَنْهُ الْعَقْلُ وَ النُّقْلُ أَيْضًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ». (الأنعام - ١٠٤) وَ كَيْفَ تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. وَ فِي كَلِمَةٍ

اللّطيف في المقام لطائف يفهمها من كان له قلب.

نعم الوجه الأوّل الذى بينه بعض آخر منهم من أنّ معنى الرؤيه عندهم الكشف التامّ أى ينكشف لعباده المؤمنين فى الاخره انكشاف البدر المرئى متين غايه المتانته، لما علمت أنّها من أنّ الدنيا دار شكوك و ارتياب، فاذا كان يوم القيامه كشف للعباد ما يزول به الشكوك.

قال بعض المحققين كما نقل المولى صدرا عنه فى الفصل الرابع من الموقف السابع من السفر الرابع من الأسفار:

إنّ الإنسان ما دام فى مضيق البدن و سجن الدنيا مقيدا بقيود البعد و المكان و سلاسل الحرکه و الزمان، لا يمكنه مشاهدته الايات الافاقية و الأنفسيه على وجه التمام و لا يتلوها دفعه واحده إلاّ كلمه بعد كلمه، و حرفا بعد حرف، و يوما بعد يوم و ساعه بعد ساعه.

فيتلو آيه و يغيب عنه اخرى، فيتوارد عليه الأوضاع، و يتعاقب له الشئون و الأحوال، و هو على مثال من يقرأ طومارا و ينظر إلى سطر عقيب آخر، و ذلك لقصور نظره و قوه إدراكه عن الإحاطه بالتمام دفعه واحده قال تعالى: «وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» (ابراهيم - ٥).

فاذا قويت بصيرته و تكحلت عينه بنور الهدايه و التوفيق كما يكون عند قيام الساعه فيتجاوز نظره عن مضيق عالم الخلق و الظلمات إلى عالم الأمر و النور فيطالع دفعه جميع ما فى هذا الكتاب الجامع للآيات من صور الأكوان و الأعيان كمن يطوى عنده السجلّ الجامع للسطور و الكلمات، و إليه الإشاره بقوله تعالى «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِكُتُبٍ» (الأنبياء - ١٠٤) و قوله: «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ».

و إنّما قال بيمينه لأنّ أصحاب الشمال و أهل دار النكال ليس لهم نصيب فى طي السماء بالقياس إليهم و فى حقهم غير مطويه أبدا، لتقيّد نفوسهم بالأمكنه و الغواشى كما قال تعالى «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» (الأعراف - ٤٢)

فلو كانت الأشاعره عنوانا من قولهم هذا المعنى أعنى ذلك الكشف التام الذى بينه ذلك البعض، فنعلم الوفاق، و إلا فلا يتصور منه إلا الرؤيه بالبصر و هو باطل عقلا و سمعا، و لكن قد عرفت أن هذا المعنى اللطيف الصحيح ليس بمراد الأشعرى و أتباعه كما صرح به الرجالان و الشهرستاني فى الملل و غيرهم.

ثم إن حمل الحائطييه و الحديثيه خبر رؤيه البارى تعالى مثل قوله صلى الله عليه و آله «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا- تضامون فى رؤيته» و أشباهه على رؤيه العقل الأول كما نقل عنهما الشهرستاني فى الملل على ما قدمنا آنفا فليس بصحيح أيضا.

و ذلك لأنهما حملا كلمه الرب فى الحديث على العقل الأول من حيث إنه مربب لما دونه من الموجودات و هذا لا بأس به كما برهن فى محله أن لكل نوع من الامور التى تليها فردا مجردا عقلا تليها على صورته يسمى رب ذلك النوع و هو تعالى رب أرباب النوعيات، و لكنهما أخطئا فى هذا الرأى أيضا من حيث إنهما اختاراه حذرا من الإشكال الوارد على ظاهر الحديث أعنى ما يتبادر إليه الذهن من أن كلمه الرب هو الله تعالى رب العالمين و قد كرا إلى ما فرأ منه، لأن العقل الأول لا- يمكن رؤيته بالأبصار، لأنه من الموجودات النوريه المحضه و المجردات الصرفيه، و المفارقات مطلقا سواء كانوا عقولا أو نفوسا لا يمكن رؤيتهم بالأبصار، لأنهم ليسوا بجسم و لا جسماني، و ليس لهم جهه و كثافه و ثقل و غيرها من أوصاف الجسم.

على أن الأجسام المشفّه و كثيرا من الأعراض مع كونها فى جهه لا ترى و حكم بما أشرنا إليه العقل و عاضده الشرع، فقد قام البرهان على أن المصادر الأول لا- يكون إلا- عقلا و العقل لا يكون إلا مجردا. و قد قال الله تعالى: «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَائِكِيَّتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُرُومِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» (التوبه - ٢٦) و قال تعالى: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَائِكِيَّتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا» (التوبه - ٤٠) و قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ»

«رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» (الأحزاب - ١٠) و الجنود فى الايات الملائكه، و ذلك أن الله تعالى قال: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» (التوبه - ٢٥ و ٢٦).

و من تلك المواطن بدر و قد قال الله تعالى: «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُواكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» (آل عمران ١٢١-١٢٣).

و قال تعالى: «إِذْ تَسْتَعْثِفُونَ رَبَّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّىٰ مِمْدُكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ» (الأنفال - ١٠).

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن العالم العلوى: صور عاريه عن المواد، خاليه عن القوه و الاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، و طالعها فتلاآت، ألقى فى هويّتها مثاله، و أظهر عنها أفعاله. الحديث.

و هذه الصور قد يعبر عنهم بالعقول، و قد يعبر عنهم بالملائكه، و إذا كانوا عارين عن المواد لا يمكن رؤيتهم بالأبصار، لما أشرنا إليه آنفا من أنّ المرئى بالبصر يجب أن يكون مادّيّا كثيفاً، و قد قدّمنا فى المباحث السابقه نبذه من الكلام فى ذلك (راجع ص ٧٩ ج ٢ من التكملة).

و أمّا جواب الأقوال التى نقلها الشهرستانى من أنّ داود الجوارى ذهب إلى أنّ معبوده جسم و لحم و دم - إلخ، و أنّ مضر و كهشم و الهجيمى أجازوا على ربّهم الملامسه و المصافحه، و أنّ المخلصين يعانقونه فى الدارين و غيرهما من أقوال المشبهه فهو أنّهم شبّهوه تعالى بأنفسهم.

على حذوما أفاده مولانا الامام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام: هل سمّى عالما قادرا إلاّ لما وهب العلم للعلماء، و قدره للقادرين؟ و كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم.

و فى روايه اخرى عن الصادق عليه السّلام: كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله سبحانه زبانتين، فإنّ ذلك كمالها، و تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما، و كذا حال العقلاء فيما يصفون الله سبحانه و تعالى به.

و أمّا الروايات الموعوده فقد رويت عن أئمّتنا المعصومين عليهم السّلام فى إبطال رؤيته تعالى بالأبصار مطلقا روايات لطيفه دقيقه لو تأمّل فيها من كان له قلب سليم و سرّ نقيّ علم أنّ تلك الدقائق الحكميّه و المعارف الحقه الالهيه، و الاشارات التوحيديه و الاصول الكليه العقليه التى لم تبلغ إليها أفكار أوحدى الناس فى تلك الأعصار فضلا عن غيرهم، و لا يدركها الراسخون فى العلوم الالهيه و المعارف العقليه إلاّ بعد تلطيف سرّ، و تصفيه فكر، و تجريد ذهن، و مدد سماوىّ إنّما فاضت من سماء صدور الذين هم المستضيئون بأنوار الرّحمن، و العارفون ببطون القرآن، و العالمون بالعلوم اللدنيه المستفاضه من لدن مبدء العالم عليهم و هم الذين فتحوا ابواب الاستدلال العقلى على العلوم الربويّه.

و المتضلع فى أقوال علماء الشرع و مباحثهم الكلاميه المنقوله من الخاصّه و العامّه علم أنّ قصارى استدلالهم على اصول العقائد و غيرها كانت مقصوره بمفاهيم الايات و الأحاديث الظاهره و لم يعهد منهم إقامة نحو تلك البراهين العقليه المأثوره عن آل محمّد صلّى الله عليه و آله.

فعليك بما رواه عنهم ثقه الإسلام أبو جعفر الكلينى فى الكافى، و الشيخ الأجلّ الصدوق فى التوحيد و الأمالى، و الشيخ الجليل الطبرسىّ فى الاحتجاج، و بما استنبط منها المتألّهون من مطالب عرشيه رقيقه، و نكات عقليه أنيقه مما يضىء العقل و يقويه و يحييه.

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهبا و تعرف صدق القول من كذب أخبار

فوال أناسا قولهم و حديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

و دونك شرح الحكيم المتأله المولى صدر الشيرازى، و شرح الحكيم المولى محمد صالح المازندراني، و شرح الحكيم الفيض فى الوافى على اصول الكافى و شرح الحكيم القاضى السعيد القمى على كتاب التوحيد للصّيدوق، و شروح غيرهم من فحول العلماء على الكافى و التوحيد و غيرهما ممّا رويت عن أئمتنا الطاهرين حتى يتبين لك أنّ المعارف الحقّه فى الاصول الاعتقاديّه هى التى أفادوها و بينوها لأهلها، و أنّ من حاد عنها فقد سلك طريقه عمياء قاده الهوى إليها، و أطاع الوهم فأضله الجادّه الوسطى و أنّ من عزى إلى الإماميّة غير ما هداهم إليها أئمتهم فقد افترى.

فقد يخلق بنا الاين أن نذكر عدّه روايات فى ذلك الموضوع المعنون و نفسّرها بقدر الوسع على الإيجاز و الاختصار، دون التطويل و الإكثار عسى أن ينفع طالب الرّشاد و باغى السداد فنقول و بالله التوفيق و عليه التكلان:

إنّ الكليني قدّس سرّه قد نقل فى الباب التاسع من كتاب التوحيد من جامعه اصول الكافى المترجم بباب إبطال الرّويه أحاديث عنهم عليهم السّلام و أتى بطائفه منها الصّدوق قدّس سرّه فى التوحيد و الأمالى، و الشيخ الجليل الطبرسى - ره - فى الاحتجاج، و العلّامه المجلسى فى البحار، و نحن اخترنا منها ما نوردها ههنا و نبحت عن معانيها و نكشف القناع عن دقائقها و لطائفها بعون الله تعالى.

الحديث الاول

و هو الحديث الرابع من ذلك الباب من الكافى رواه باسناده عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى الحسن الثالث عليه السّلام أسأله عن الرّويه و ما اختلف فيه الناس، فكتب عليه السّلام: لا يجوز الرّويه ما لم يكن بين الرائي و المرئى هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي و المرئى لم تصحّ الرّويه، و كان فى ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئى فى السبب الموجب بينهما فى الرّويه وجب الاشتباه

ص: ٢٤٥

و كان ذلك التشبيه لأنَّ الأسباب لا بدَّ من اتِّصالها بالمسبِّبات.

و روى الحديث الصدوق فى باب ما جاء فى الرؤيه من كتابه التوحيد عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن إسحاق أيضا، و بينهما اختلاف فى الجملة و على ما فى التوحيد: قال: كتبت إلى أبى احسن الثالث عليه السَّلام عن الرؤيه و ما فيه الناس - فاذا انقطع الهواء و عدم الضياء بين الرائي - و كان فى فى ذلك التشبيه - إلخ. و قال المجلسي - ره - فى مرآه العقول: و فى بعض النسخ لم ينفذه البصر.

و رواه أيضا الشيخ الجليل الطبرسى فى الاحتجاج عن أحمد بن اسحاق عنه عليه السَّلام: قال: كتبت إلى أبى الحسن على بن محمد عليهما السَّلام أسأله عن الرؤيه و ما فيه الخلق، فكتب عليه السَّلام: لا يجوز الرؤيه، و فى وجوب اتِّصال الضياء بين الرائي و المرئي وجوب الاشتباه، و الله منزّه عن الاشتباه، فثبت أنه لا يجوز على الله تعالى الرؤيه بالأبصار، لأنَّ الأسباب لا بدَّ من اتِّصالها بالمسبِّبات.

أقول: يعلم من عقد ذلك الباب فى الكافى و التوحيد و فى الغرر و الدرر للشريف المرتضى علم الهدى، و فى أوائل المقالات للشيخ الأجلّ المفيد، و فى غيرها من الكتب الكلاميه و الروائيه، و من سؤال الناس الأئمه عليهم السَّلام عن الرؤيه سيما من سؤال محمد بن عبيد أبا الحسن الرضا عليه السَّلام عن الرؤيه و ما ترويه العامه و الخاصه و من سؤال عبد السَّلام بن صالح الهروى عنه عليه السَّلام رواه الطبرسى فى الاحتجاج و الصدوق فى أوّل الباب الحادى عشر من عيون أخبار الرضا عليه السَّلام قال: قلت لعلى بن موسى الرضا عليه السَّلام: يا ابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يرويه أهل الحديث أنّ المؤمنين يزورون ربهم إلخ. و من سؤال أحمد بن إسحاق أبا الحسن الثالث عليه السَّلام عن الرؤيه و ما اختلف فيه الناس و غيرها ممّا سيأتى طائفه منها و بيانها أنّ البحث عن الرؤيه كان دارجا و رائجا فى تلك الأعصار جدّا.

قال القاضى نور الله نور الله مرقده فى المجالس عند ترجمه اسماعيل بن على ابن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت البغدادى نقلا عن النجاشى أنه صنّف كتابا فى استحاله

اغتر كثير من الناس بظاهر الايات و الأخبار، و تفننت الاراء فيها و كان محضر الأئمة مختلف الناس يسألونهم عن الرؤيه و كان الأئمة عليهم السّلام يقودهم إلى الصراط السويّ، و يهديهم إلى مناهج الصدق براهين متقنه متفئنه على حسب اختلاف عقول الناس و وسعهم.

ثمّ لمّا كان ذلك البحث دائرا و مال غير فرقه إلى التشبيه و الرؤيه بالأبصار و كانت فطره الناس السليمه تأبى عن قبول الرؤيه و التشبيه و أشباههما التجئوا إلى الأئمة الهداه المهديين لعلمهم بأنهم عليهم السّلام خزنه علمه تعالى و عيبه وحيه، و بأنّ عندهم مفاتيح الحكمه و علم الكتاب و فصل الخطاب، فتبصّر ثمّ استقم.

أبو الحسن الثالث هو الإمام العاشر علىّ بن محمّد الهادي العسكري عليه السّلام كما في روايه الطبرسي في الاحتجاج.

و أحمد بن إسحاق بن سهل القمي كان ثقه قال الكشيّ في الرجال: إنه عاش بعد وفاه أبي محمّد (الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السّلام).

سأله عليه السّلام عن الرؤيه هل يجوزها أم لا و عمّا اختلف فيه الناس من جوازها عند بعض و استحالتها عند آخر، و المراد أنه سأله عليه السّلام عن المذهب الحقّ في ذلك فكتب عليه السّلام إليه بأنّ رؤيته تعالى بالأبصار مستحيله. لأنّ الرؤيه تلازم تجسّم الباري و تحيّه، و ذلك لأنّ الرؤيه إنما تتحقّق إذا كان بين الرائي و المرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي و المرئي بأن وقع بينهما حائل مثلا لم تصحّ الرؤيه، فاذا لا بد أن يكون المرئي شبيها بالرائي من حيث انهما وقعا في طرفي امتداد فاصل هو الهواء و تحقّق بينهما الوضع بمعنى تمام المقوله على هيئه مخصوصه لازمه للإبصار.

و المراد بالاشتباه هو هذا المعنى في المقام أي كون المرئي شبيها بالرائي في تلك الصفات الخاصّه بالأجسام من الوضع و المحاذاه و التقابل و الطرف و الجبهه و غيرها يقال: اشتبه الشيطان إذا أشبه كلّ منهما الآخر، و كان ذلك الاشتباه تشبيّه

تعالى بالأجسام و هو منزّه عن ذلك فلا تدركه الأبصار.

و إنّما يجب فى الرؤيه واسطه الهواء بين الرائى و المرئى و كونهما طرفى الواسطه بحيث يساوى أى يسامت الرائى المرئى، و ذلك كلّه يكون موجبا لكون المرئى شبيها بالأجسام، لأنّ الهواء المتوسط سبب للرؤيه، و هى سبب لمسامته الرائى و المرئى فى طرفى الواسطه، و المسامته سبب لكون كل منهما فى حيّز وجهه فهى أسباب لوجوب المشابهه بينه تعالى و الأجسام، و الأسباب لا بدّ أن تكون متصله بمسبباتها غير منفكّه عنها.

و بالجمله إنه عليه السّلام احتجّ على بطلان رؤيته تعالى بالأبصار بقياسين: أحدهما قياس اقترانى مؤلّف من متّصلتين، و الآخر قياس استثنائى مؤلّف من شرطيه هى نتيجه الأوّل و حملته، و صورتها:

كلّما كان الشىء مرئيا بالأبصار وجب أن يكون طرف الهواء المتوسط و مقابلا للرئى، و كلّما كان كذلك فهو جسم، ينتج كلّما كان الشىء مرئيا بالأبصار فهو جسم، ثمّ نقول: لو كان الله تعالى مرئيا بالأبصار فهو جسم، لكنّه ليس بجسم فليس بمرئى.

إن قلت: قد يرى الأشياء و هى أو الرائى تحت الماء الصافيه فليس بينهما إلّا ماء ينفذها نور البصر، و ليس من شروط الإبصار أن يكون الواسطه هواء ليس إلّا فكيف قال عليه السّلام: ما لم يكن بين الرائى و المرئى هواء ينفذه البصر؟ أقول: المذهب المصنور فى الإبصار سواء كان بخروج الشعاع أو الانطباع أو غيرهما أنه لا بدّ من توسّط جسم شفاف كما سيأتى برهانه، و أمّا كونه هواء فقط فليس بواجب و لكنّ لما كان أكثر ما يبصر بالقوّه الباصره إنّما كان الهواء بينهما متوسطا و كان انس الناس به أكد لهج به عليه السّلام على سبيل ذكر مصداق لا على سبيل الانحصار.

و ذهب بعض أعظم العصر إلى أنّ الهواء فى الحديث ليس الهواء الّذى هو أحد العناصر حيث قال: الهواء فى لغه العرب هو الخلاء العرفى قال الله تعالى:

«وَأَفِيدَتْهُمْ هَوَاءً» أى خاليه من العقل و التدبر، و قال جرير: و مجاشع قصب هوت أجوافه أى خلت أجوافه، و فى الصحاح كلّ خال هواء، و هذا هو المراد هنا لا الهواء المصطلح للطبيعيين و هو جسم رقيق شفاف كما حمله عليه صدر المتألهين قدّس سرّه و هذا الهواء الذى هو جسم رقيق عند العرف بمنزله العدم.

و الحاصل أنه لا- بد للرؤية من فاصله بين الرائي و المرئي، و يتحقّق الفاصله بعدم وجود جسم كثيف، و الأجسام الفلكية غير مانعه للرؤية لأنّها أشفّ و أرقّ من هذا الهواء المكتنف للأرض، فهى بمنزله الهواء فيكون الهواء فى لغة العرب أقرب من البعد المفطور الذى يقول به بعض الفلاسفه، انتهى موضع الحاجة من نقل كلامه.

أقول: لا كلام فى أنّ الهواء أحد معانيه ما ذكره كما قدّمنا البحث عن ذلك فى شرح الكتاب السابع، و لكن ليس هذا المعنى بمراد فى الحديث، لبطلان الخلاء أولاً، و عدم تحقّق الرؤية بلا واسطه جسم شفاف بين الرائي و المرئي ثانياً و إن ذهب بعض إلى أنّ الواسطه كلّما كانت أرقّ كانت الرؤية أولى و أسرع كالمرئي فى الهواء و الماء ثمّ قال بالقياس فلو كانت الواسطه خلاء محضاً لكانت الرؤية أكمل لكن حجّته داحضه و الحقّ أنّ فى الرؤية لا بدّ من توسّط جسم شفاف كما اختاره الحكيم المولى صدرا قدّس سرّه فى آخر الباب الرابع من السفر الرابع من الأسفار، و أقام فيه برهاناً بما لا مزيد عليه حيث قال:

«فصل» فى أنه لا- بدّ فى الابصار من توسط الجسم الشفاف. و اعلم أنّ الحجة على ذلك أنّ تأثير القوى المتعلقة بالأجسام فى شىء و تأثرها عنه لا- يكون إلّا- بمشاركه الوضع و منشأ ذلك أنّ التأثير و التأثر لا- يكون إلّا- بين شيئين بينهما علاقه عليّيه و معلوليّيه، و هذه العلاقه متحقّقه بالذات بين القوه و ما يتعلّق به من مادّه أو موضوع أو بدن، لأنّها إمّا علّه ذاته أو علّه تشخّصه أو كماله، و متحقّقه بالعرض بينها و بين ماله نسبه وضعيّيه إلى ذلك المتعلّق به، فإنّ العلاقه الوضعيّيه فى الأجسام بمنزله العلاقه العليّيه فى العقليّات إذ الوضع هو بعينه نحو وجود الجسم و تشخّصه

فإذا كان الجسمان بحيث يتجاوران بأن يتصل طرفاهما فكأنهما كانا جسما واحدا فإذا وقع تأثير خارجي على أحدهما فيسرى ذلك التأثير إلى الآخر كما تسخن بعض جسم بالنار فانه يتسخن بعضه الآخر أيضا بذلك التسخين، و كما استضاء سطح أحدها بضوء النير يستضيء سطح آخر وضعه إلى الأول كوضعه إلى ذلك النير.

و إنما قيدنا التأثير بالخارجي لأن التأثير الباطني الذي لا يكون بحسب الوضع لا يسرى فيما يجاور الشيء.

فإذا تقرّر هذا فنقول: إن الإحساس كالإبصار وغيره هو عبارته عن تأثير القوى الحاسه من المؤثر الجسماني، و هو الأمر المحسوس الخارجي فلا بد ههنا من علاقة وضعيه بين مادّه القوّه الحاسه و ذلك الأمر المحسوس، و تلك العلاقة لا يتحقّق بمجرد المحاذاه من غير توسط جسم مادي بينهما إذ لا علاقة بين أمرين لا اتصال بينهما وضعاً و لا نسبه بينهما طبعاً، بل العلاقة إمّا ربط عقلي، أو اتصال حسيّ فلا بدّ من وجود جسم و اصل بينهما.

و ذلك الجسم إن كان جسماً كثيفاً مظلماً تسخن فليس هو في نفسه قابلاً للتأثير النوري فكيف يوجب ارتباط المبصر بالبصر أو ارتباط المنير بالمستنير فإنّ الرابط بين الشئيين لا بدّ و أن يكون من قبلهما، لا أن يكون منافياً لفعلهما، فإذا لا بدّ أن يكون بينهما جسم مشفّ غير حاجز و لا مانع لوقوع أحد الأثرين أعني النور من النير إلى المستنير أو من البصر إلى المبصر أو تأديه الشبح من المبصر إلى البصر.

فعلى هذا يظهر فساد قول من قال: المتوسط كلما كان أرقّ كان أولى، فلو كان خلاء صرفاً لكان الإبصار أكمل حتى كان يمكن ابصارنا النمله على الصّماء.

لا- بما ذكره في جوابه بأنّ هذا باطل فليس إذا أوجب رقه المتوسط زياده قوه في الإبصار لزم أن يكون عدمه يزيد أيضا في ذلك، فإن الرقه ليست طريقه إلى عدم الجسم لأنّ اشتراط الرقه في الجسم المتوسط لو كان لأجل أن لا يمنع

نفوذ الشعاع فصَحَّ أنه إذا كان رَقَه الجسم منشأ سهوله النفوش كان عدم الجسم فيما بين أولى في ذلك و كانت الرَقَه على هذا التقدير طريقا إلى العدم.

بل فساده لأنه لو لم يكن بين الرائي و المرئي أمر وجودي متوسط موصل رابط لم يكن هناك فعل و انفعال.

فان قلت: إنَّ الشيخ اعترف بأنَّ هذا النوع من الفعل و الانفعال لا يحتاج إلى ملاقات الفاعل و المنفعل، فلو قدّرنا الخلاء بين الحاسِّ و المحسوس فأىّ إلى ملاقات الفاعل و المنفعل، فلو قدّرنا الخلاء بين الحاسِّ و المحسوس فأىّ محال يلزم من انطباع صوره المحسوس في الحاسِّ، بل الخلاء محال في نفسه و الملاء واجب.؟ قلنا: إنَّ ملاقاتهما، و إن لم يكن واجبا لكن يجب مع ذلك إمَّا الملاقاه و إمَّا وجود متوسط جسمانيّ بينهما يكون مجموع المتوسط و المنفعل في حكم جسم واحد بعضه يقبل التأثير لوجود الاستعداد فيه، و بعضه لا- يقبل لعدم الاستعداد فلو فرض أن ليس بين النار و الجسم المتسخن جسم متوسط لم يتحقّق هناك تسخين و تسخّن، لعدم الرابطه، و كذا لو لم يكن بين الشمس و الأرض جسم متوسط لم يقبل الأرض ضوء و لا سخونه، انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد أشار إلى هذا البرهان اجمالاً العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي في شرحه على أواخر النمط الثاني من الاشارات للشيخ الرئيس بقوله: الأجسام العنصريّه قد تخلو عن الكيفيّات المبصره و المسموعه و المشمومه و المذوقه و السبب في ذلك أنّ إحساس الحواسّ الأربعة بهذه المحسوسات إنّما يكون بتوسط جسم ما كالهواء و الماء - إلخ.

و لعمرى أنّ هذا كلام صدر من معدن تحقيق و فاض من عين صافيه، و عليه جَلَّ علماء هذه الأعصار من افرنج و غيره أيضا، حيث ذهبوا بأنّ الإترهو حامل النور من الشمس و القمر و الكواكب، و هو منفوش بين السماء و الأرض، فإذا أصاب النور الأجسام الكثيفه كالأرض مثلا ينكسر قهرا، و الانكسار مولّد للحراره كما اختاره الرياضيون من سالف الدّهر

و بالجمله لو لم يكن بين الرائي و المرئي متوسط مشف لا يمكن الرؤيه، و المتوسط إمّا هواء أو إتر أو غيرها، و المخالف مكابر.

ثم إنّ قوله عليه السّلام: الأسباب لا بدّ من اتّصالها بالمسببات. حكم كلّى أصيل عقليّ ردّ على من زعم أنّ القول بتأثير الأسباب و الوسائط ينافي كونه تعالى مستغنيا عن غيره، و يفضى إلى إنكار معجزات الأنبياء عليهم السّلام و الشرك بالله تعالى و غيرها من الأوهام الباطله.

كما ذهب إليه الأشاعره و قالوا: إنّ استناد الاثار الصادره عن الانسان و عن الطباع و غيرها من الممكنات جميعا إلى واجب الوجود ابتداء من غير واسطه حتّى تسخين النار و تبريد الماء، فلا النار سبب للإحراق و لا الماء للتبريد و لا الفكر لتحصيل النتيجة و هكذا الكلام في سائر الأسباب فيقول بجواز تخلف الإحراق عن النار و التبريد عن الماء و النتيجة عن المقدمات الفكرية إلا أنّ عادة الله جرت بترتب تلك الاثار عنها من غير تأثير لشيء منها فيها.

و العقل بفطرته الأصليّه يكذب هذا القول و ينفر عنه و الكلمات الالهيه تنادى بأعلى صوتها بشناعته، و الموحد مع أنه يرى الكلّ من الله تعالى و يقول بحقائق الايمان: ليس المؤثر في الوجود إلاّ الله، يقول: أباي الله أن يجري الامور إلاّ بأسبابها، و يرى ما سواه معدّات مسخرات بأمره تعالى، و المؤثر في الحقيقه هو تعالى و مع ذلك يقول: لا يجوز تخلف المسببات عن الأسباب، و نعم ما قاله الحكيم السبزواري في اللالى المنتظمه عند الأقوال في نتیجه القياس:

و الحقّ ان فاض من القدسي الصور و إنما إعداده من الفكر

قال تعالى في القرآن الكريم: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» (الروم - ٤٨) فهو تعالى أرسل الرّياح ثم أسند اليها أنها تثير سحابا.

و قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ»

«كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الاعراف - ٥٧).

و الايات الالهيه من هذا القبيل كثيره، و المخالف يخالف فطرته و يكذبها و نعم ما قيل:

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

الحديث الثاني

و هو الثاني من ذلك الباب من الكافي أيضا روى الكليني قدس سره عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبو قره المحدث أن ادخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه، فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قره: إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ الرَّؤْيِيَةَ وَ الْكَلَامَ بَيْنَ نَبِيِّنَ، فَقَسَمَ الْكَلَامَ لِمُوسَى وَ لِمُحَمَّدٍ الرَّؤْيِيَةَ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَنْ الْمَبْلُغُ عَنِ اللَّهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجَنِّ وَ الْإِنْسِ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ لَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: كَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ فَيَقُولُ: لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ لَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَأَيْتُهُ بَعِينِي وَ أَحَطْتُ بِهِ عِلْمًا وَ هُوَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ، أَمَا تَسْتَحْيُونَ مَا قَدَرْتَ الزَّنَادِقَةَ أَنْ تَرْمِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

ثم قال أبو قره: فإنه تعالى يقول «وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى» فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الاية ما يدل على ما رأى حيث قال «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» يقول ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه و آله ما رأت عيناه. ثم أخبر بما رأى فقال «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» فآيات الله غير الله، و قد قال الله: و لا يحيطون به علما، فاذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم و وقعت المعرفة.

فقال أبو قره: فنكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفه للقرآن كذبتها و ما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علما و لا تدركه

الأبصار و ليس كمثلته شىء، انتهى الحديث على ما فى الكافى.

أقول: روى الحديث أبو جعفر محمّد بن بابويه الصدوق فى باب ما جاء فى الرؤيه من كتابه فى التوحيد قال: حدّثنا على بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب الكلينى، عن أحمد بن إدريس - إلخ، و فيه: بين اثنين مكان بين نبيين. إلى الثقلين الجنّ و الانس، ليس فيه كلمه من الجارّه. قال:

فكيف يجىء رجل، مع كلمه الفاء، و يقول لا- تدركه، مكان فيقول لا- تدركه. يأتى عن الله بشىء، مكان يأتى من عند الله بشىء، كذبت بها مكان كذبتها و ما اجتمع المسلمون مكان و ما أجمع المسلمون.

و كذا رواه الطبرسى فى الاحتجاج و بين النسخ اختلاف فى الألفاظ فى الجملة و الحديث على ما فى الكافى و التوحيد يكون على مقدار خمس ما فى الأخير.

و قد صرّح الشيخ الطبرسى فى الاحتجاج بأنّ أبا قره المحدّث صاحب شبرمه و قد مضى فى شرح المختار ٢٣٧ فى البحث الروائى عن الأخبار الناهيه عن العمل بالقياس فى الدين أنّ عبد الله بن شبرمه القاضى كان يعمل بالقياس، و قال أبو عبد الله عليه السّلام: ضلّ علم ابن شبرمه عند الجامعه إلخ.

و لكن ابن شبرمه هذا لم يدرك أبا الحسن الرضا عليه السّلام قال المحدّث القمى - ره - فى مادّه شبرم من السفينه: ابن شبرمه هو عبد الله البجلي الكوفى الضبى كان قاضيا لأبى جعفر المنصور على سواد الكوفه و كان شاعرا توفى سنة ١٤٤ هـ.

و قال الاستاذ الشعرانى فى تعليقه على شرح المولى صالح المازندرانى على اصول الكافى: أبو قره و شبرمه كلاهما مجهولان و ليس عبد الله بن شبرمه المتوفى سنة ١٤٤ على عهد الصادق عليه السّلام لأنّه لم يدرك الرضا عليه السّلام، و قد ذكر ابن حجر فى التقريب موسى بن طارق القاضى المكنى بأبى قره من الطبقة التاسعه و هو معاصر للرضا عليه السّلام فلعله هو. انتهى كلامه مدّ ظله.

و نقل فى شرح المذكور عن بعض الأصحاب أنّ أبا قره هذا هو على بن أبى قره أبو الحسن المحدّث رزقه الله تعالى الاستبصار و معرفه هذا الأمر أخيرا، ثمّ

قال الشارح: وإنما وصفه بالمحدّث لئلا يتوهّم أنه أبو قره النصراني اسمه يوحنا صاحب جاثليق.

قوله: فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد، أقول: قد ذكرنا أنّ هذا الحديث يكون في الاحتجاج على مقدار خمسه أمثال ما في الكافي، على أنّ الطبرسيّ لم ينقل الحديث بتمامه و لا بأس بذكره على ما في الاحتجاج لا شتماله على فوائد عظمي في مسائل شتى.

قال الطبرسي - ره -: و عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قره المحدّث صاحب شيرمه أن ادخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال و الحرام و الأحكام و الفرائض حتّى بلغ كلامه «سؤاله - خ ل» إلى التوحيد.

فقال له: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله تعالى لموسى.

فقال: الله أعلم و رسوله بأيّ لسان كلمه بالسريانيّه أم بالعبرانيّه.

فأخذ أبو قره بلسانه فقال: إنّما أسألك عن هذا اللسان.

فقال أبو الحسن عليه السلام: سبحان الله ممّا تقول، و معاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلّم بمثل ما هم به يتكلّمون، و لكنّه عزّ و جلّ ليس كمثل شئ و لا كمثل قائل فاعل.

قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، و لا يلفظ بشقّ فم و لا لسان، و لكن يقول له كن فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر و النهي من غير تردّد في نفس.

فقال له أبو قره: فما تقول في الكتب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: التوراه و الانجيل و الزبور و القرآن و كلّ كتاب انزل كان كلام الله أنزله للعالمين نورا و هدى و هي كلّها محدثه و هي غير الله حيث يقول «أو يحدث لهم ذكرا» و قال «ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلاّ استمعوه

و هم يلعبون» و الله أحدث الكتب كلها الذى أنزلها.

فقال أبو قره: فهل تفنى؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أجمع المسلمون على أنّ ما سوى الله فان و ما سوى الله فعل الله، و التوراه و الانجيل و الزبور و القرآن فعل الله، ألم تسمع الناس يقولون ربّ القرآن و أنّ القرآن يوم القيامة يقول يا ربّ هذا فلان و هو أعرف به منه قد اظمأت نهاره و أسهرت ليله فشفعنى فيه و كذلك (فكذلك - خ ل) التوراه و الانجيل و الزبور و هى كلها محدثه مربوبه أحدثها من ليس كمثلته شىء هدى لقوم يعقلون، فمن زعم أنهم لم يزلن فقد أظهر أنّ الله ليس بأول قديم و لا واحد و أنّ الكلام لم يزل معه، و ليس له بدؤ و ليس بإله.

قال أبو قره: فإننا روينا أنّ الكتب كلها تجىء يوم القيامة و الناس فى صعيد واحد صفوف قيام لربّ العالمين ينظرون حتّى ترجع فيه لأنّها منه و هى جزء منه فإليه تصير.

قال أبو الحسن عليه السلام: فهكذا قالت النصارى فى المسيح إنّ روحه جزء منه و يرجع فيه، و كذلك قالت المجوس فى النار و الشمس إنهما جزء منه و يرجع فيه تعالى ربنا أن يكون متجزيا أو مختلفا، و إنما يختلف و يأتلف المتجزى لأنّ كل متجز متوهم و القله و الكثره مخلوقه دالّه على خالق خلقها.

فقال أبو قره: فأناروينا أنّ الله قسّم الرؤيه و الكلام بين نبين، فقسّم لموسى الكلام و لمحمد الرؤيه - الى آخر ما نقلناه عن الكافى و بعده: و سأله عن قوله تعالى «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

فقال أبو الحسن عليه السلام: قد أخبر الله أنه أسرى به ثمّ أخبر لم أسرى به فقال «لُنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» فايات الله غير الله فقد أعاد «أعذر - خ ل» و بين لم فعل ذلك به و ما رآه، و قال «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ» فأخبر أنه غير الله.

فقال أبو قره: فأين الله؟

فقال عليه السّلام: الأين مكان و هذه مسأله شاهد عن غائب، فالله ليس بغائب و لا يقدمه قادم، و هو بكلّ مكان موجود مدبّر صانع حافظ يمسك السماوات و الأرض.

فقال أبو قره: أليس هو فوق السماء دون ما سواها؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: هو الله في السماوات و في الأرض و هو الذي في السماء إله و في الأرض إله، و هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء، و هو معكم أينما كنتم، و هو الذي استوى إلى السماء و هي دخان، و هو الذي استوى إلى السماء فسويهنّ سبع سموات، و هو الذي استوى إلى العرش قد كان و لا خلق و هو كما كان إذ لا خلق لم ينتقل مع المنتقلين.

فقال أبو قره: فما بالكم إذا دعوتكم رفعتم أيديكم إلى السماء؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: إنّ الله استعبد خلقه بضروب من العباده و لله مفازع يفزعون إليه و مستعبد فاستعبد عباده بالقول و العلم و العمل و التوجّه و نحو ذلك استعبدهم بتوجّه الصلاه إلى الكعبه و وجّه إليها الحجّ و العمره، و استعبد خلقه عند الدّعاء و الطلب و التضرّع بيسط الأيدي و رفعها إلى السماء لحال الاستكانه و علامه العبوديّة و التذلّل.

قال أبو قره: فمن أقرب إلى الله الملائكه أو أهل الأرض؟ قال أبو الحسن عليه السّلام: إن كنت تقول بالشبر و الذّراع فإنّ الأشياء كلّها باب واحد هي فعلة لا يشتغل ببعضها عن بعض يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبّر أسفله و يدبّر أوّله من حيث يدبّر آخره، من غير عناء و كلفه، و لا- مؤنه و لا- مشاوره و لا نصب، و إن كنت تقول: من أقرب إليه في الوسيله فأطوعهم له، و أنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله و هو ساجد، و رويتم أنّ أربعة أملاك التقوا:

أحدهم من أعلى الخلق، و أحدهم من أسفل الخلق، و أحدهم من شرق الخلق و أحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضا فكلمهم قال: من عند الله أرسلني بكذا و كذا، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزله دون التشبيه و التمثيل.

فقال أبو قره: أتقرّ أنّ الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: كلّ محمول مفعول و مضاف إلى غيره محتاج فالمحمول اسم نقص في اللفظ، و الحامل فاعل و هو في اللفظ ممدوح، و كذلك قول القائل: فوق و تحت و أعلى و أسفل، و قد قال الله تعالى «لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» (الأعراف - ١٨٠) و لم يقل في شيء من كتبه أنّه محمول، بل هو الحامل في البرّ و البحر و الممسك للسموات و الأرض، و المحمول ما سوى الله و لم نسمع أحدا آمن بالله و عظّمه قطّ قال في دعائه: يا محمول.

قال أبو قره: أفتكذب بالرواية إنّ الله إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخزّون سجّدا، فإذا ذهب الغضب خفّ فرجعوا إلى مواقفهم؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: أخبرني عن الله تعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا و إلى يوم القيامة غضبان هو على إبليس و أوليائه أو عنهم راض؟ فقال: نعم هو غضبان عليه.

قال: فمتى رضى فحفّ و هو في صفتك لم يزل غضبانا عليه و على أتباعه.

ثمّ قال: و يحك كيف تجتريء أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال و أنه يجرى عليه ما يجرى على المخلوقين سبحانه لم يزل مع الزائلين و لم يتغيّر مع المتغيّرين.

قال صفوان: فتحيّر أبو قره و لم يحر جوابا حتّى قام و خرج.

قوله «إنا روينا» بضم الراء و تشديد الواو المكسوره مبته للمفعول من الترويه قال الشهاب الفيومي في المصباح المنير: روى البعير الماء يرويه من باب رمى حمله فهو راويه، و الهاء فيه للمبالغه ثمّ اطلقت الراويه على كلّ دابّه يستقى الماء عليها، و منه قيل، رويت الحديث إذا حملته و نقلته و يعدى بالتضعيف فيقال:

رويت زيدا الحديث، و بينى للمفعول فيقال: رويت الحديث. انتهى كلامه.

قوله: «إنّ الله قسّم الرؤيه و الكلام بين نبيين فقسّم الكلام لموسى و لمحمد الرؤيه» فهم أبو قره أنّ المراد بالرؤيه رؤيته تعالى بالأبصار و لذا تصدّى الإمام عليه السّلام

على عدم صحتها مستدلا عليه بما سيأتي شرحه. فجوابه عليه السّلام إنما كان على حذو زعم أبي قره و إلا فالرؤية القلبية التي هي الانكشاف التام للمخلصين و الكملين فلا كلام في صحتها كما سيجيء بيانه من الأئمة الهداه المهديين عليهم السّلام ثم لما كان على مشرب العرفان للحق سبحانه و تعالى في كل خلق ظهور خاص به و هو تعالى متجل للعباد على حسب استعداداتهم المتنوعه بالعطايا الأسمائية الفائضه عليهم بالفيض المقدّس، بل له تعالى بحسب كل يوم هو في شأن شئوناته و تجليات في مراتبه الإلهية و قد قال الامام جعفر الصادق عليه السّلام: إنّ الله تعالى قد يتجلّى لعباده في كلامه و لكنهم لا يعلمون كما نقله عنه عليه السّلام القيصرى في شرحه على فصوص الحكم لمحي الدين في أوّل فصّ حكمه سيّوحيّه في كلمه نوحيه.

و لما كان وجود العالم مستندا إلى الأسماء لأنّ كل فرد من أفراد الموجودات تحت تربيته اسم خاص من أسماء الله تعالى و قد تقرّر في محله أنّ للأسماء دولا- بحسب ظهوراتها و ظهور أحكامها أتصف كل موجود بمقتضى الاسم الخاص الغالب عليه، فتلك الاشارات يعلم إجمالاً سرّ اتصاف بعض الأنبياء و الأولياء ببعض الأوصاف دون بعض كما وصف آدم عليه السّلام بصفى الله، و نوح عليه السّلام بنجى الله، و إبراهيم عليه السّلام بخليل الله، و موسى عليه السّلام بكليم الله، و مثل ما وصف الامام على بن الحسين عليهما السّلام بالسّجاد، و ابنه الامام أبو جعفر محمّد عليه السّلام بباقر العلوم.

و لئما كان خاتم النبيين صلى الله عليه و آله منفردا بمقام الجمعيه الإلهيه الّمدى ما فوجه إلا مرتبه الذات الأحديّه لأنّه صلى الله عليه و آله مظهر اسم الله، و هو الاسم الجامع للأسماء و النعوت كلّها، فتخصيص الكلام و سائر النعوت الكماليه بموسى عليه السّلام و غيره من الأنبياء غير ثابتة بل هي ثابتة له صلى الله عليه و آله أيضا.

قوله: «فقال أبو الحسن عليه السّلام فمن المبلّغ عن الله الثقلين من الجنّ و الانس لا تدركه الأبصار - الى قوله - و هو على صوره البشر» لما زعم أبو قره الرؤية بالأبصار احتجّ عليه الامام، أبو الحسن الرضا عليه السّلام: بتلك الايات المنزله من عند الله تعالى بلسان نبيه الخاتم و سأله على صوره الاستفهام للتقرير بأنّ مبلّغها ليس محمّد

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قَالَ: بلى، أى هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَبْلَغُهَا.

ثُمَّ سَأَلَهُ عَلَى صُورِهِ الِاسْتِفْهَامَ لِلْإِنْكَارِ كَيْفَ يَخْبِرُ الْخَلَائِقَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَدْرِكُهُ ثُمَّ يَقُولُ هُوَ: وَرَأَيْتَهُ بَعِينِي كَمَا تَكَلَّمُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي رُؤْيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَاهُ بَعِينِي رَأْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ ضَمِيرَ هُوَ فِي قَوْلِهِ: وَهُوَ عَلَى صُورِهِ الْبَشَرِ، يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَعْنَى أَنَّ الْجُمْلَةَ الْأَخِيرَةَ مَقُولُهُ الرَّجُلُ أَيْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَالْأَوْلِيِّينَ لَا- أَنَّهَا مَقُولُهُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَكُونَ حَالِيهِ، وَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَتَّبَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ عَلَى الْآيَاتِ الثَّلَاثِ عَلَى اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمَرْتَبِينَ فَرَتَّبَ أَنَا رَأَيْتَهُ بَعِينِي عَلَى لَا- تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَأَحْطَتْ بِهِ عُلَمَاءُ لَا يَحِيطُونَ بِهِ عُلَمَاءُ، وَهُوَ عَلَى صُورِهِ الْبَشَرِ عَلَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

أَمَّا وَجْهُ دَلَالَةِ الْآيَةِ الْأُولَى عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ فَلِأَنَّ إِدْرَاكَ كُلِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى ظَاهِرِيَّةٍ كَانَتْ أَوْ بَاطِنِيَّةٍ عَلَى حِسْبِهَا، فَإِذَا سَمِعْتَ الْإِذْنَ كَلَامًا فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَيْنَ شَيْئًا فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ وَإِنْ كَانَ الْمَدْرَكُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ النَّفْسُ وَالْقُوَى آيَاتِهَا، لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ إِذَا تَعَلَّقَ بِمَا يَكُونُ مَادِيًا تَدْرِكُهُ النَّفْسُ بِأَلِهِ تَخْصُّهُ، وَإِلَّا تَدْرِكُهُ النَّفْسُ بِذَاتِهَا، وَ عَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الشَّيْءِ مَتَمِّئَةً عِنْدَ الْمَدْرَكِ أَيْ النَّفْسِ بِوَسْطِهِ الْحَسَّ بِانْتِزَاعِهَا صُورَتَهُ مِنْ نَفْسِ حَقِيقَتِهِ عَلَى تَجْرِيدِ بَيْنِ فِي مَحَلِّهِ.

وَلِذَا قَالَ الشَّيْخُ فِي الْإِشَارَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ النَّمَطِ الثَّلَاثِ مِنَ الْإِشَارَاتِ: إِدْرَاكَ الشَّيْءِ هُوَ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَتُهُ مَتَمِّئَةً عِنْدَ الْمَدْرَكِ يَشَاهِدُهَا مَا بِهِ يَدْرِكُ، وَالْفِعْلُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ كَالنَّكَرِ فِي سِيَاقِهِ يَفِيدُ الْعُمُومَ، فَالْحِجَّةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَدْرِكُهُ عَيْنٌ فَكَيْفَ يَقُولُ هُوَ: رَأَيْتَهُ تَعَالَى بَعِينِي وَهَلْ هَذَا إِلَّا التَّنَاقُضُ فِي قَوْلِهِ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَوَجْهُ الْإِحْتِجَاجِ بِهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهِمْ لَا يَحِيطُونَ بِهِ عُلَمَاءُ، فَكَيْفَ يَقُولُ هُوَ بِالتَّنَاقُضِ: إِنِّي أَحْطَتْ بِهِ عُلَمَاءُ.

سِوَاءَ كَانَتْ تِلْكَ الْإِحْطَاءُ بِالْإِبْصَارِ لِأَنَّ إِبْصَارَ الشَّيْءِ إِحْطَاءَهُ مَا عِلْمِيَّةً بِهِ كَمَا

صَرَّحَ به الامام عليه السَّلام في قوله الاتي: فاذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم و وقعت المعرفه.

أو كانت بادراك آخر من غير إبصار كالوهم و العقل فإن إحاطته تعالى بأيّه قوّه مدركه كانت مستحيله، فالايه الثانيه تدلّ على نفى الرؤيه أيضا.

و أمّا الايه الثالثه فوجه الاحتجاج بها أنّه تعالى أخبرهم بأمره تعالى بأنّه ليس كمثله شيء فكيف يقول: إنّّه تعالى على صورهِ البشر.

و هذا إشاره إلى ردّ ما رووا عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله من أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته كما في الملل و النحل للشهرستاني عند الكلام في المشبهه (ص ٤٨ طبع ايران ١٢٨٨ هـ)، و إلى ردّ ما رووا عنه صَلَّى الله عليه و آله من أنّه قال: رأيت ربّي في أحسن صورهِ. نقله الشهرستاني أيضا في ص ٤٩ من الكتاب. و نقل بعضهم عنه صَلَّى الله عليه و آله أنّه رآه تعالى ليله المعراج على صورهِ شابّ حسن الوجه أو على صورهِ الشابّ المراهق و نحوهما من المنقولات الظاهره في أنّه تعالى على صورهِ البشر.

روى في عيون أخبار الرضا عليه السَّلام للصدوق و في الاحتجاج للطبرسي قدّس سرّه ما عن الحسين بن خالد أنه قال: قلت للرضا عليه السَّلام: إنّ الناس يقولون: إنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله مرّ برجلين يتساويان فسمع أحدهما يقول: قَبِيحَ الله وجهك و وجه من يشبهك فقال صَلَّى الله عليه و آله له: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإنّ الله خلق آدم على صورته.

روى لكينيّ في باب النهي عن الصفه بغير ما وصف به نفسه من جامعه الكافي باسناده عن إبراهيم بن محمّد الخزاز و محمّد بن الحسين قالوا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السَّلام فحكينا له أنّ محمّدا صَلَّى الله عليه و آله رأى ربّه في صورهِ الشابّ الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنه - الى أن قال: ثمّ قال عليه السَّلام: يا محمّد إنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله حين نظر إلى عظمه ربّه كان في هيئه الشاب الموفق و سنّ أبناء ثلاثين سنه؟! يا محمّد عظم ربّي عزّ و جلّ أن يكون في صفه المخلوقين - الى أن قال عليه السَّلام: يا محمّد ما شهد له الكتاب و السنّه

فنحن القائلون به.

فبما حققنا دريت أنّ الـايه الاولى مطابقه للسؤال عن الرؤيه، و الأخيرتين إنّما ذكرتا على نحو التمثيل و التنظير، و هذا الدأب ليس بعزيز في الاحتجاجات و إن كان مورد السؤال نفى الرؤيه، على أنّه يمكن إرجاع الايات الثلاث إلى دلالتها على نفى الرؤيه أيضا ضمنا.

أمّا وجه دلالة الاولين عليه فقد علم، و أمّا دلالة الأخيره عليه فلأنّه لو تعلّق الادراك بالبصر عليه تعالى لزم أن يكون مماثلا لأجسام كثيفه حتّى يتحقّق الرؤيه بالعين، لما علم في شرح الحديث الأول من أنّ الرؤيه إنّما تعلّق على الأجسام الّتي لا ينفذ عنها نور البصر، فلا تكون إلّا- كثيفا ذا وضع و جهه فيلزم من القول بالرؤيه أن يكون له تعالى مماثل من الأجسام، لأنّ كلّما يدرك بالأبصار فهو ذو مثل، و هذه الدقيقه مستفاده ضمنا و يؤيده قوله عليه السّلام بعد ذا: فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم و وقعت المعرفه.

و يحتمل بعيدا أن يرجع ضمير هو في «و هو على صوره البشر» إلى الرّجل أي النّبىّ صلّى الله عليه و آله بأن تكون الجملة حالّيه و الايات الثلاث استشهد بها لدلالتها على نفى الرؤيه و منساقه اليه رأسا، لا أنّه يستفاد ضمنا كما ذهب إليه جمّ غفير من شراح الحديث.

فيكون المعنى أنه صلّى الله عليه و آله أخبرهم عن الله تعالى بأمره، لا تدركه الأبصار و لا يحيطون به علما و ليس كمثل شىء، تدلّ كلّ واحده منها على نفى رؤيته تعالى بالأبصار، ثمّ يقول ذلك المخبر أنا رأيت الله بعينى و أحطت به علما برؤيتى إيّاه بعينى أيضا و الحال أنّ على صوره البشر أى إذا لم يكن للبشر إدراكه و إحاطته بالأبصار فكيف يجوز له صلّى الله عليه و آله و هو من البشر أيضا.

و لكن طبع الحديث يأبى عن هذا الاحتمال جدّا كما لا يخفى على المتدرّب بصناعه الكلام من متن الحديث و اسلوبه، و المختار هو المتعيّن.

و بعض نسخ الكافى بلا ضمير هو، أى و أحطت به علما على صوره البشر فعلى

هذا الوجه إمّا أن تتعلّق على بضمير الفاعل في أحطت فيكون الرائي أى النبى صلّى الله عليه وآله على صورته البشرى، وإمّا أن تتعلّق بالضمير المجرور في به فيكون المرئى أى الله تعالى على صورته البشرى.

و بما حقّقناه يعلم أنّ تلك النسخه ليست بصواب و اسقط الضمير من الكاتب و كم له من نظير.

قوله عليه السّلام: «أما تستحيون ما قدرت الزنادقه أن ترميه عليه السّلام بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر» و فى بعض النسخ أما تستحون و هى صحيحه أيضا لأنها مخفّفه الاولى و لغه منها. و كلمه ما فى قوله: ما قدرت، نافية.

قوله: أن ترميه عليه السّلام بهذا أى تنسبه به و الضمير يرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله و قال العلامة المجلسى - ره - فى مرآه العقول: و إرجاع الضمير إلى الله بعيد جدّا. و أقول: بل هو و هم رأسا لعدم مناسبتة الحجّه و لا لفظ الحديث.

قوله: أن يكون «اه» بدل لقوله هذا و بيان و تفصيل له. و المراد أنّ الزنادقه مع كفرهم و عنادهم لا ينسبونه صلّى الله عليه وآله إلى ما نسبتموه إليه من المناقضه فى أقواله و كذبه على الله تاره يقول من أمر الله لا- تدركه الأبصار و تاره يقول إنى رأيتَه بصرى فكيف أنتم مع اعترافكم بتبوتَه صلّى الله عليه وآله ترمونه به.

قوله: «ثم قال أبو قره فانه تعالى يقول و لقد رآه نزله اخرى» لَمّا بين الإمام عليه السّلام استحاله إدراكه تعالى بالأبصار استدللّ أبو قره فى مقام المعارضه بقوله تعالى على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رآه تعالى بعينه بناء على أنّ ضمير المفعول فى رآه راجع إليه تعالى، فأجابه الإمام عليه السّلام بأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا و أنّ بعد هذه الايه ما يدلّ على ما رأى حيث قال تعالى «ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» و فسّرَها عليه السّلام بقوله ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثمّ استشهد بالايه التاليه المبيته لما رأت عيناه صلّى الله عليه وآله «ما زاعَ البَصْرُ وَ ما طغى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» فضمير المفعول فى رآه راجع إلى المخلوق لا إلى الخالق حيث قال: لقد رأى من آيات

رَبِّهِ الْكِبْرَى وَ آيَاتِ اللَّهِ غَيْرِ اللَّهِ. ثُمَّ احْتَجَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» ثُمَّ فَسَّرَهُ زِيَادَةً تَوْضِيحًا وَ بَيَانًا فِي دَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى نَفْيِ الرَّؤْيَةِ بِالْأَبْصَارِ بِقَوْلِهِ:

فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ وَ وَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ نَسْخِ مَخْطُوطِهِ وَ مَطْبُوعِهِ مِنَ الْكَافِي مَتَّفَقَهُ فِي تَأْنِيثِ فِعْلِ أَحَاطَ أَيْ «فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ» وَ لَكِنِّهَا مِنْ تَصْحِيفِ النَّسَاحِ ظَنَّا مِنْهُمْ أَنَّ ضَمِيرَ الْفِعْلِ رَاجِعٌ إِلَى الْأَبْصَارِ، وَ هُوَ وَ هُمْ لِأَنَّ الْعِلْمَ فَاعِلُهُ وَ إِلَّا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ تَمِيْزًا وَ التَّمْيِيزُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ نَكْرَهُ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ: أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، وَ أَحَاطَتِ الْخَيْلُ بِفُلَانٍ، وَ احْتَاطَتْ بِهِ أَيْ أَحَدَقَتْ. وَ فِي الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» وَ «أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».

قَوْلُهُ: «فَقَالَ أَبُو قُرَيْشٍ فَتَكْذَبُ بِالرَّوَايَاتِ» لَمَّا اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَدْلِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَ النَّقْلِ عَلَى اسْتِحْصَالِهِ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى بِالْأَبْصَارِ وَ لَمْ يَبْقَ لِأَبِي قُرَيْشٍ دَلِيلٌ يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَطْلُوبِهِ اعْتَرَضَ عَلَى الْإِمَامِ فَقَالَ عَلَى صُورِهِ الِاسْتِفْهَامُ لِلنَّكَاسَةِ: أَمْ فَتَكْذَبُ بِالرَّوَايَاتِ؟ يَعْنِي إِذَا لَمْ تَكُنْ تَكُنْ تِلْكَ الرَّوَايَاتِ دَالَّةً عَلَى رُؤْيَتِهِ تَعَالَى لَزِمَ تَكْذِيبُهَا أَيْ الْقَوْلُ بِعَدَمِ اسْتِنَادِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ بِالتَّرَامِهِ فَقَالَ: إِذَا كَانَتْ مَخَالَفُهُ لِلْقُرْآنِ كَذِبَتِهَا، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَهُوَ الْأَصْلُ الصَّدَقُ وَ الْمَعْيَارُ الْحَقُّ وَ لَا يَعَارِضُهُ الْأَخْبَارُ الْمُتَخَالَفَةُ الْمُخْتَلَفَةُ، وَ لَا يَجُوزُ التَّجَاوُزُ فِي التَّوْحِيدِ عَمَّا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَ قَدْ أَذَبَ الْأَثَمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَصْحَابَهُمْ بِذَلِكَ.

فَفِي الْحَدِيثِ الْحَادِي وَ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلصَّدُوقِ - رَه - بِاسْتِنَادِهِ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَّمَنِي التَّوْحِيدَ، فَقَالَ: يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا تَتَجَاوَزُ فِي التَّوْحِيدِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَتَهْلِكُ، الْحَدِيثُ.

فَمَا وافقته من الأخبار و إلاّ- تضرب بالجدار، و لا يخفى أنّ الأخبار التي يمكن الجمع بينها و بين الكتاب ليست بمخالفة له، و نسخه التوحيد للصدوق: كذبت بها، و هي أنسب بقول أبي قره فتكذب بالروايات مطابقه.

قوله: «و ما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علما، و لا تدركه الأبصار و ليس كمثلته شيء» قوله عليه السلام أنّه لا يحاط به علما إشاره إلى قوله تعالى «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» (طه - ١١١).

و لا تدركه الأبصار بعض آيه ١٠٤ من الأنعام قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» بعض آيه ١٠ من الشورى قوله تعالى: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

و كلمه ما موصوله اسمي مبتداء و خبره كل واحد من أنّه لا يحاط به علما و لا تدركه الأبصار، و ليس كمثلته شيء، و ليست معطوفه على القرآن حتّى يكون التقدير: إذا كانت الروايات مخالفه لما أجمع المسلمون عليه كذبتّها، و لو كانت معطوفه عليه لوجب أن تقدم على كذبتّها.

و معنى العبارة أنّ القرآن لمّا كان منزلا- من عند الله تعالى و أجمع المسلمون قاطبه على تسليم ما فيه و منه قوله تعالى: لا يحيطون به علما، و لا تدركه الأبصار و ليس كمثلته شيء، لم يجز الاعراض عنه و خرقة بروايات تنافيه و تخالفه و من تمسك بها خالف القرآن و إجماع المسلمين.

و إلى هنا تمّت الحجّة على أبي قره على أنّ بيان و أكمل برهان في استحاله إدراكه تعالى بالأبصار ما فاه بشيء من مناقضه أو معارضه في المسأله أصلا، بل انتقل إلى أسأله اخرى قدّمناها من روايه الطبرسي في الاحتجاج و في آخرها:

قال صفوان: فتحيّر أبو قره و لم يحر جوابا حتّى قام و خرج.

: أن قوله عليه السلام: «فمن المبالغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس وقوله عليه السلام «كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً» أفادا ثلاثة امور.

الأول: أن الثقلين بفتحيتين هما الجنّ والإنس و عليه إجماع أهل اللغة و التفسير فى قوله تعالى: «سَيَنْفِرُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَيْنِ» (الرحمن - ٣٣) و يفسر الثقلين بالجنّ و الإنس آيات اخرى من سوره الرحمن كقوله تعالى «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» و قوله تعالى «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ» الايه. و قوله تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ».

قال القاضى البيضاوى فى تفسير أنوار التنزيل: الثقلان الإنس و الجنّ سميا بذلك لثقلهما على الأرض، أو لرزانه رأيهم و قدرهم، أو لأنهما مثقلان بالتكليف انتهى قوله.

و الجنّ و الإنس يؤثنان باعتبار أنهما طائفه أو جماعه، قال المرزوقى فى شرح قول إياس بن مالك الطائى (الحماسه ١٩٤).

كلا ثقلينا طامع بغنيمه و قد قدر الرحمن ما هو قادر

قوله: كلا ثقلينا، أى كلّ واحد من جماعتينا، و الثقل «بالتحريك» الجماعه. و الثقلان الجنّ و الإنس.

الأمر الثانى: أن الجنّ مكلفون بما كلف بها الأنس.

الأمر الثالث: أن رسول الله صلى الله عليه و آله مبعوث إليهم أيضا، و القرآن الكريم ناطق بدين فى عدّه مواضع.

قال تعالى: «قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الاسراء - ٩١) وجه الاستدلال بالاياه عليه أنهم لو لم يكونوا مكلفين بما كلف بها الإنس و لم يكن خاتم النبیین مبعوثا إليهم أيضا لما تحدّيهم الله تعالى بالآتيان

و قال تعالى: «و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَ بَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَ عَزَّيْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ » (الانعام - ١٣٠-١٣٢) أى اذكر يوم يحشرهم الله تعالى، بالياء على قراءه حفص عن عاصم، و على قراءه أبى بكر عنه يوم نحشرهم بالنون، و ضميرهم لمن يحشر من الثقلين.

و وجه الاستدلال بهما بين، فإن لهم حشرا و ثوابا و عقابا فهم مكلفون.

و الايه الأخيره صريحه على أن رسلا ارسلوا إليهم، و أما أن هؤلاء الرسل المبعوثون إلى الانس فلا تدل عليه هذه الايه صريحه و إن دلت على أن رسول الله صلى الله عليه و آله مبعوث اليهم، لأنهم مخاطبون بالقرآن، و لو لا القرآن كتابهم و الرسول صلى الله عليه و آله بعث إليهم ايضا لما خوطبوا به و إنما الكلام فى الرسل الذين كانوا قبله صلى الله عليه و آله.

و إنما قلنا لا تدل الايه عليه صريحا، لا مكان ارجاع الضمير فى قوله: رسل منكم إلى الانس خاصه لما سنشير اليه بعيد هذا، و لكن الايه ظاهره فى أن لكل طائفتين نبيا من جنسهما.

و قال تعالى فى سوره الملك: «و لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَاجِدُوا لَهَا شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ».

فالآيات تدلّ على أنّ للجنّ ثواباً و عقاباً حيث قال تعالى: و أعتدنا لهم عذاب السعير، ثمّ إنّ لهم نذيراً أيضاً حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير، و العذّين كفروا يشملهم أيضاً بدليل قولهم لو كنّا - نسمع أو نعقل ما كنّا فى أصحاب السعير و قال تعالى أوّلاً: و أعتدنا لهم عذاب السعير فأصحاب السعير شامل للكافرين من الجنّ أيضاً و تدلّ أيضاً على أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله بعث إليهم بدليل المخاطبه و الانذار، و أمّا أنّ جميع نذرهم هل كانوا منهم أو من الانس فلا تدلّ الآية عليه.

و نظير هذه الآيات الدالّة على أنّه كان لهم نذير فى كلّ زمان قوله تعالى «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (فاطر - ٢٣) لأنّ الجنّه أمّه أيضاً بلا كلام و القرآن ناطق بذلك.

قال تعالى «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّنْ بَيْنَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ قَالَ أَذْخَلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْبِإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَ قَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» (الاعراف ٣٧-٣٩) نعم و لقائل أن يقول: إنّ جميع نذرهم لم يكونوا من الانس بدليل قوله تعالى «وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ» (الحجر - ٢٨).

وجه الاستدلال أنّ الجنّ خلق من قبل خلق الانس من نار السموم، و قال تعالى «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» فكان لهم نذير و لم يكن خلق الانسان بعد، و الله تعالى أعلم، و ما اوتينا من العلم إلا قليلاً.

ثمّ إنّ الشياطين فى سورة الملك هم بعض من طائفه الجنّ و كذا قوله تعالى «فَو رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنََّّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا» (مريم - ٧١).

و ذلك لأنه تعالى قال: «و لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً فَهَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا - دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ » (الانباء - ٨٢ و ٨٣) و كذا قال: «و لقد فتنا سليمان - الى قوله: «فَسَيَحْزَنُ لَهُ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَ الشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَ عَوَاصٍ وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ » (ص، ٣٥-٣٩).

و إذا أضفناها إلى قوله تعالى «و لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرًا وَ رَوَاحُهَا شَهْرًا وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَائِيلٍ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ » (سباء، ١٢-١٤) و إلى قوله تعالى: «و حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » (النمل - ١٩) و إلى قوله تعالى: «قَالَ عِفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ » (النمل - ٤٢) تنتج أن هؤلاء الشياطين كانوا من الجن.

و كذا إذا أضفنا قوله تعالى: «و لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » (الملك - ٦) إلى قوله تعالى: «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ - إلى قوله تعالى مخبراً عنهم: «و أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا » (الجن، ٢-١٠) ينتج أن الشياطين طائفه من الجن.

و قال تعالى: «سَيَنْفِرُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ » (الرحمن - ٣٣) أى سنجرد لحسابكم و جزائكم و ذلك يوم القيامة قال القاضى: و فيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده: سأفرغ لك فإن المتجرد للشىء كان أقوى عليه و أحد فيه. و وجه الاستدلال به ظاهر.

و كذا آيه اخرى من تلك السوره و هى قوله تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ»

«ذَنبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ» بل المخاطب فيها الجنّ و الانس في آيات «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»، بدليل قوله تعالى: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ»، و قوله تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ»، و بعض آى اخرى و عليه إجماع المفسرين، و لو لم يكن الرسول صلى الله عليه و آله مبعوثا إليهم أيضا لما خوطبوا بالقرآن الكريم.

و قال تعالى في سورة الجنّ: «قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمِ مَعَنَ نَفَرٍ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» إلى قوله تعالى مخبرا عنهم: «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طِرَاقِقٍ قَدَدًا وَ أَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْمَآرِضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا».

و قال تعالى آخر الأحقاف: «وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَشِيْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْمَآرِضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ».

وجه الاستدلال بايات هاتين السورتين ظاهر و أنها تدلّ مع كونهم مكلفين على أنّ القرآن كتابهم أيضا فرسول الله صلى الله عليه و آله مبعوث إليهم أيضا، بل ما في الأحقاف تدلّ على أنّ أنبياء السلف من الانس كانوا مبعوثين إليهم أيضا حيث قالوا يا قومنا إنّنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه، كما تدلّ على أنّ هؤلاء النفر من الجنّ كانوا يهودا ما آمنو ببعسى عليه السلام.

و لعلّ هؤلاء النفرهم القوم الذين أخبر الله تعالى عنهم: «وَ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَْعْدِلُونَ» (الأعراف - ١٦١) أو أنّ هذه الاية تشملهم

أيضا كقوله الاخر: «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» (الأعراف - ٢٨٢) و الله تعالى أعلم.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» - الى قوله تعالى: «قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مِيدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ» (الأعراف، ١٢-١٩) وجه الاستدلال به أن العقاب فرع التكليف، وقال تعالى: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ليشمل الحكم و الخطاب كلا الفريقين من الجن و الانس.

نظير قوله تعالى أيضا: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» إلى قوله: «قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» (الاسراء - ٦٤-٦٦) و يفسره قوله تعالى آيات آخر ص: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» الى قوله تعالى: «قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» و قوله تعالى: «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» (هود - ١٢١) و قوله تعالى:

«وَ لَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» (السجده - ١٥) و قوله تعالى: «وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» الايه (الأعراف - ١٨٠).

و كذا بيّن أن المراد كلا الفريقين قول أمير المؤمنين عليه السلام (الخطبه الاولى من النهج): فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا إلا ابليس و قبيله - إلخ، و فى بعض النسخ إلا ابليس و جنوده.

و بالجمله أن الايات القرآنيه تدل على أن الجن مكلفون كالانس و لا ريب أن من شرائط التكليف أن يكون المكلف عاقلا، فلهم عقل و تمييز و لذا هدى هؤلاء النفر من الجن عقولهم إلى الهدايه و الرشده حيث قالوا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» و قال تعالى «وَ لَقَدْ»

«ذَرَأْنَا» الايه، و القلب فى القرآن بمعنى العقل.

كما تدلّ أنّهم رجال و اناث كالانس حيث قال تعالى مخبرا عنهم: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ» (الجن - ٧) و أخبر تعالى أنّ بعضهم فرسانا و الاخر مشاه حيث قال: «وَ اسِيَّتَفَرَزُ مِّنَ اسِيَّتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلِكَ» (الاسراء - ٦٧).

فالآيات تنتج بأنهم ليسوا بمجزيدين، لأنّ التكثير إنّما يصحّ فيما كان له مادّه.

على أنّ الله تعالى صرح بذلك أيضا فى قوله: «وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِّنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ» (الرحمن - ١٦) و قوله تعالى: «وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ» (الحجر - ٢٨) و قوله تعالى: «وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ» - إلى قوله تعالى: «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَ غَوَاصٍ وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ» (الزمر ٣٥-٣٩).

وجه الاستدلال به أنّ كونهم مقرنين فى الأصفاد إنّما يصحّ مع عدم تجرّدهم، و قال تعالى «وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ» (ابراهيم - ٥١) و الله أعلم.

و كذا القرآن يدلّ على أنّهم يتوالدون، لدلاله التّاريخه على ذلك، و قد قال الله تعالى: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» (الكهف - ٤٩). و حيث قال عزّ من قائل: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» (الرحمن - ٥٨).

ثمّ إذا كانت الجنّ مادّيّه جسمانيّه و مع ذلك أنّا لا نراهم و هم يرونا كما قال عزّ من قائل: «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» (الاعراف - ٢٨) علمنا أنّهم من الأجسام

اللطيفه و ليس بلازم أن يدرك بالأبصار كل ما هو جسم فإن بعض الأجسام الذى قبلنا لا نراه بالعين كالهواء مثلا.

و الشيطان فى الايه هو ابليس و ابليس من الجنّ بدليل قوله تعالى:

«وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » الايه المتقدمه. و قوله تعالى «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » (الانعام - ١١٣). و قوله تعالى «ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ » - إلى قوله تعالى مخبرا عنه: «قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ » - إلى قوله تعالى: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا » (الاعراف ١٢-٢١).

و كذا إذا أضفنا قوله تعالى: «وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ » الايه (ابراهيم - ٢٨) إلى قوله تعالى «وَ لَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ » الايه (سبأ - ٢١) ينتج أن الشيطان هو ابليس.

و قوله تعالى: «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » - إلى قوله تعالى «وَ عِدَّهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَ كَيْلًا » (الاسراء ٦٤-٦٨) كالصريح بأن الشيطان هو ابليس.

فقد تحصل من الايات المتقدمه أن الجنّ مكلفون و لهم عقل و تمييز و أن رسول الله صلى الله عليه و آله مبعوث إليهم أيضا، و أن بعضهم مسلم و بعضهم قاسط و كافر كما اعترفوا فى سوره الجنّ بذلك حيث قالوا: «وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ » و قال تعالى فى الايه المتقدمه من الكهف «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ » إلخ، و قال تعالى «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » (البقره - ٢٤)

فبعض الجنّ كافر.

و أنّ من كان من الجنّ و الإنس شريرا متمردا عن الله تعالى فهو شيطان قال تعالى: «وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ» (البقره - ١٤) و قال تعالى: «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» (الانعام - ١٣) و أنّ بعض أنبياء الانس مبعوثون إليهم أيضا، و أنّ نذيرا أو نذرا من جنسهم بعثوا إليهم.

ثمّ

ههنا يخلق بنا أن نبحت عن مسائل

:

منها أنّ أنبياء الانس كيف بعثوا إلى الجنّ و هما ليسا من جنس واحد

، و قد مرّ في شرح الخطبه ٢٣٧ (ص ٧٩-٨٢ ج ١٦) البحث عن لزوم التناسب و التجانس في ذلك و قد قال تعالى: «وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا» (الاسراء - ٩٨).

و حيث أنكر الناس أن يكون الرّسل بشرا قال تعالى لرسوله صلّى الله عليه و آله «قل» جوابا لشبهتهم «لو كان في الأرض» الايه و ذلك لتمكينهم من الاجتماع بالرسول و التلقّى منه. و قريب من هذه الايه قوله تعالى: «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا» (الأنعام - ١٠).

و منها أنّ شياطين الإنس و الجنّ كيف يضلّون غيرهم من الجنّ و الانس عن

سواء الصراط

، و على أيّ نحو كان سلطانهم عليهم، و ما معنى قوله تعالى «مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ».

و منها لم بعث بعض الأنبياء من الانس إليهم أيضا

و بعضهم الاخر من جنسهم و ما سرّ التبويض، أو أنّ قوله تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ» الايه (الانعام - ١٣١).

ليس المراد أن بعث إلى كل من الثقيلين رسل من جنسهم بل إنما المراد الرسل من الانس خاصه، و لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك، نظير

ص: ٢٩٤

قوله تعالى «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» و المرجان يخرج من الملح دون العذب.

أو أنّ الرسل من الجنّ رسل الرسل إليهم لقوله تعالى: «وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ».

و منها أنّ الجنّ إذا كانوا مكلفين فلا بدّ لهم في كلّ زمان من نبيّ

، قال الله تعالى «وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى» (طه - ١٣٦) و لما كان بدؤخلقهم قبل الانس بلا اربتياب فلا بدّ من أن يكون لهم نبيّ من جنسهم من قبل بلا كلام، و يحمل قوله تعالى في سورة الأنعام «أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» على ظاهره.

و غيرها من المسائل التي يحتاج عنوانها و حلّها و البحث عنها و عن الروايات المرويّه في المقام إلى تدوين كتاب على حده، و لعلنا نبحت عن بعضها في أثناء مباحثنا الاقيه.

المطلب الثاني

: أنّ احتجاجه عليه السّلام على أبي قره بقوله: إنّ بعد هذه الايه ما يدلّ على ما رأى - إلخ، تحريض الناس على التدبّر في آيات القرآن الكريم، و تعليمهم باسلوب التنعم من تلك المأدبه الإلهيه و قد فهمنا بعمله هذا أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا.

و قد مضى الكلام من سميّه و جدّه باب مدينه العلم أمير المؤمنين عليه السّلام في ذلك عند شرحنا على المختار الأوّل من باب الكتب و الرسائل قال عليه السّلام: كتاب الله تبصرون به و تنطقون به و تسمعون به يفسّر بعضه بعضا و يشهد بعضه على بعض (ص ٢٥٤ ج ٢ من تكمله المنهاج).

و كذلك قد تبين في (ص ٨٩ منها) أنّ الله تعالى نزل القرآن تبيانا لكلّ شيء، و قال عزّ من قائل: «و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» (النحل - ٩٢) و قال تعالى «مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (الانعام - ٣٩).

فكيف لا يكون تبيانا لنفسه. و الله تعالى حتّ عباده على التدبّر في كلامه، قال عزّ من قائل: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء - ٨٥). و قال تعالى: «أَفَلَا»

«يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محمد - ٢٧). وقال سبحانه: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» (ص - ٣٠).

فمما بيّنا دريت أنّ من ذهب إلى عدم جواز التدبّر في آيات الله والأخذ بها إلا بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام خالف كتاب الله، وقد ذهب إلى هذا القول الأخباريون على ما نقل الخوانساري في روضات الجنّات عند ترجمه محمّد أمين الأخباريّ الاسترباديّ عن الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجيّ البحرانيّ في الفروق بين المجتهدين والأخباريين (١).

حيث قال: الفرق الخامس عشر إنهم يجوّزون الأخذ بظاهر الكتاب بل يرجّحونه على ظاهر الخبر والأخباريون لا يجوّزون الأخذ إلا بما ورد تفسيره عنهم عليهم السلام. حتّى أنّ بعض الأخباريين لا يعدّ الكتاب من الأدلّة أيضا ويقتصر على السنه فقط، وهذا الفرق بينهما في التمسك بالكتاب وعدمه إنّما هو في الفروع وأمّا في الاصول فإنهم لا يجوّزون أخذ العقائد من القرآن وأخبار الاحاد، والأخباريون يقولون بعكس ذلك.

ولا يخفى عليك أنّ الأخباريين سلّكوا في الفروع والاصول مسلكي الافراط والتفريط. ولو قيل بجواز أخذ الاصول من الكتاب ليلزم الدّور لأنّ اعتقاد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مبعوث من عند الله تعالى مثلا لو كان بأخذ آيه «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا» الايه، مثلا إنّما يصحّ إذا اعتقد أنّه رسول الله وكلامه وحى من عنده تعالى، ولو كان الاعتقاد به من نفس هذه الايه ولم يثبت نبوّته بعد مثلا لكان هو الدّور.

المطلب الثالث

: أنّه عليه السلام في جواب أبي قره لمّا سأله فتكذّب بالروايات؟ قال: إذا كانت الروايات مخالفه للقرآن كذّبتها. وذلك أنّ القرآن هو معيار

ص: ٢٩٦

١- (١) - نقل ٢٩ فرقا فيما اختلف فيها المجتهدون والأخباريون من كتاب السماهيجي الموسوم بمنيه الممارسين لا يخلو من فائده فراجع،.

الحقّ و ميزان الصّيدق، و هو الأصل في المعارف و ميزان كلّ شيء بحسبه، فاذا كانت روايه لم يمضها القرآن و لو كانت من الكتب الأربعة لا يجوز الأخذ بها.

و ذهب الأخباريون إلى أنّ جملة ما فيها صحيحه، فلو كانت دعواهم أنّ جميع الروايات المنقوله فيها موافقه لكتاب الله ففيه القطع بأنّ بعضها لا- يوافقه الكتاب و لا- العقل، فمجرد أنّ الروايه منقوله فيها لا يوجب صحتها و المعيار كتاب الله كما قدّمنا البحث عن ذلك في صدر هذه المسأله في الرؤيه.

المطلب الرابع

قوله عليه السلام: و ما أجمع المسلمون عليه الى آخره دليل على حجّيه الاجماع ففي كلّ مسأله تحقّق فيها إجماع المسلمين عليها فلا يجوز التخلف عنها، و أجمعوا على حجّيه القرآن و هو ناطق بعدم إدراك الأبصار إياه تعالى، و المتبع الإجماع المحقّق.

و العجب من الأخباريين كيف يقتصرون في الأدلّه على الكتاب و السنّه بل بعضهم على الثّاني فقط كما دريت و يدعون الإجماع و العقل مع شدّه اهتمامهم بالتمسك بالأخبار، و هذا هو خبر مروى في الكافي ذهب الأخباريون إلى أنّ جملة ما فيه صحيحه، و ينادى الامام عليه السلام بأعلى صوته بأنّ ما أجمع المسلمون عليه لا يجوز الاعراض عنه، فهل هذا إلاّ الاعراض عن الكتاب و السنّه.

المطلب الخامس

أنّ أبا قره لما زعم من الرؤيه، الرؤيه بالأبصار احتجّ الامام عليه السلام عليه على مقدار فهمه و حذاء زعمه بعدم رؤيته تعالى بها، و إلاّ فسيأتي أخبار اخر في صحّه رؤيته تعالى بمعنى آخر أدقّ و أطف لا يعقله إلاّ الأوحدي من الناس.

الحديث الثالث

رواه الكلينيّ قدّس سرّه في باب إبطال الرؤيه من جامعه الكافي عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي هاشم الجعفرى، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» قلت: بلى، قال: فتعرفون

الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إن أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه أوهام و هو يدرك أوهام.

و قريب منه روايه اخرى فى ذلك الباب من الكافى أيضا رواها عن محمّد بن أبى عبد الله، عمّن ذكره، عن محمّد بن عيسى، عن داود بن القاسم أبى هاشم الجعفرى قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار؟ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند و الهند و البلدان التى لم تدخلها و لا تدركها ببصرك، و أوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون.

و قد رواهما الصّيدوق قدّس سرّه فى باب ما جاء فى الرؤيه من كتابه فى التوحيد فروى الأوّل باسناده عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمّد بن محمّد، عن أبى هاشم الجعفرى، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام.

و الثانى عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق، عن محمّد بن أبى عبد الله على حدو ما فى الكافى.

و روى فى المجلس الرابع و السّتين من أماليه عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد ابن هشام المؤدّب قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدى، قال: حدّثنى محمّد ابن إسماعيل بن بزيع، قال: قال أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام فى قول الله عزّ و جلّ «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» قال: لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون.

بيان: أبو جعفر عليه السّلام هو الامام التاسع محمّد بن عليّ الرضا، بقريته روايه أبى هاشم الجعفرى عنه، و صرّح به الصّدوق فى التوحيد حيث قال فى ذلك الاسناد:

عن داود بن القاسم عن أبى هاشم الجعفرى قال: قلت لأبى جعفر ابن الرضا عليه السّلام.

الأوهام جمع و هم و هو يطلق فى الكتب الحكميّه على القوّه الوهميه التى من شأنها إدراك المعانى الجزئيه المتعلّقه بالمحسوسات كعداوه زيد و محبّه عمرو قال الشيخ فى الشفاء: القوّه المسّمّاه بالوهم هى الرئيسه الحاكمه فى الحيوان حكما

ليس فصلا كالحكم العقلي، و لكن حكما تخيلا مقرونا بالجزئية و بالصورة الحسيه و عنه يصدر أكثر الأفعال الحيوانيه، انتهى كلامه.

و كما أنّ العقل رئيس الوهم و مخدومه كذلك الوهم رئيس الحواسّ الظاهره و الباطنه و مستعملها و مستخدمها و لذا بينوا أنّ آلتها الدماغ كلّه و لكنّ الأخصّ بها التجويف الأوسط على التفصيل الذي بين في محله.

و لكنّ المراد بالوهم في تلك الروايات معناه اللّغوي أي ما يقع في القلب من الخاطر. قال الطريحيّ في مجمع البحرين: الوهم ما يقع في الخاطر يقال:

و همت الشيء أهمة و هما من باب ضرب أي وقع في خلدى. و قال الفيومىّ في المصباح: و همت و هما وقع في خلدى، و الجمع أوهام.

فالمراد بأوهام القلوب إدراكاتها و منه قول الصادق و الباقر عليهما السّلام: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم - الحديث الذي ذكرناه في صدر هذا البحث.

و قد مرّ غير مرّه أنّ القلب في الايات و الأخبار بمعنى النفس و العقل. و الوهم بذلك المعنى أعنى الإدراك المتعلّق بالقوه العقليه المتعلّقه بالمعقولات في الأخبار غير عزيز بل شائع ذائع.

و لا يبعد أن يقال: وجه التعبير بالأوهام إنّما كان من جهه عدم إحاطه العقول به تعالى أعنى أنّ هذا التعبير يشير ضمنا إلى أنّ تلك الادراكات في صفه البارى تعالى أوهام من الوهم بمعنى الغلط و خيالات لا أنّها حقائق و معقولات صحيحه.

و إنّما كان إدراكات القلوب أكبر من أبصار العيون لأنّ القلب أعنى العقل مجرّد و العقل قد لا يحتاج في إدراكه إلى المادّه و الجهه و غيرهما ممّا يحتاج إليها غيره من القوى المدركه في إدراكاتها.

و لا- يخفى أنّ إدراك البصر مثلا- مقصور على ما هو محصور في المادّه و لا بدّ أن يكون ذا جهه و وضع و ضوء و لون و أن لا يكون بعيدا مفرطا عن محسّنه الرؤيه و لا قريبا منها كذلك، و أن لا يكون صغيرا جدّا ممّا يحتاج في رؤيتها إلى الآلات

المكثيرة و أن لا- يكون بينهما حاجب مِمَّا قَدَّمنا في صدر هذا البحث من شرائط الابصار و أمَّا العقل فيدرك ما هو مجرد عن المادَّة و الجبهه و لا- يشترط في رؤيته وجود الواسطه و عدم الظلمه و عدم القرب و البعد المفرطين و لا- عدم الحاجب، فانه يدرك مطلقا و لذا قال عليه السَّلام: أنت قد تدرك بوهمك أى بعقلك السند و الهند - إلخ، و المجرَّد عن المادَّة يكون أدقَّ و ألطف و أكبر و أعظم وجودا من إدراكات البصر، لأنَّ مدركاتهما محبوسه محصوره.

و في نسخه مخطوطه مصحَّحه من توحيد الصَّدوق موجوده عندنا: أنَّ أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون، بالثناء المثلثه و هذا صحيح أيضا، و الكلَّ يشير إلى معنى واحد أى أوسع وجودا.

و بالجمله أنَّ كلَّ ما تدركه أوهام القلوب لا تدركه العيون، بخلاف العكس و أنَّ العقل مجرد عن المادَّة و مدركاتهما كذلك، و ساير القوى ليست في مرتبته، و كذلك مدركاتهما.

فالمدركات العقليه أدقَّ و أكبر و أكثر وجودا من الحسيه، قل كلَّ يعمل على شاكلته، فاذا لم يكن الوهم قادرا على إدراكه تعالى و الإحاطه به فما ظنَّك بالعيون التي دون الوهم بمراحل، فنفي إدراكه تعالى بالوهم اللذى هو أوسع وجودا و أتمَّ إدراكا يستلزم نفي إدراكه بالأبصار بطريق أولى، فإنَّ نفي الأعمَّ يستلزم نفي الأخصَّ، كما أنَّ نفي الحيوان يستلزم نفي الانسان على ما بيِّن في صنعه الميزان.

ثمَّ لا يخفى على من ساعده التوفيق أنَّ هذه الأخبار الصادره من أهل بيت العصمه تشير إلى تجرَّد الرُّوح الانسانى الذى به امتاز الانسان عن سائر الحيوانات و به كرم الله بنى آدم عليهم، فالحيوانات و إن كانت قويه في إدراكاتها الحسيه لكنَّها عاجزه عن نيل ما رزق به الانسان من تعقل المعقولات و إدراك الحقائق المجرَّده و المعانى اللطيفه الخفيه من فعل العقل، و الفرق بين المعانى الحسيه و بين المعانى العقليه شرفا كالفرق بين الحاسه و العقل.

و المراد من سؤال أبي هاشم الجعفرى أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الله هل يوصف يعنى هل يدرك سبحانه بالحواس و العقول ثم يوصف بأن يقال: إن الله ذاته كذا و صفاته كذا و لا- محاله ينجز إلى محدوديته تعالى و إلى وصفه بالصورة و التخطيط و غيرها من صفات خلقه كما يستفاد من الأخبار الواردة فى باب النهى عن الصِّفه بغير ما وصف به نفسه جلّ و علا كما فى الكافى و التوحيد و غيرهما.

ثم إن هذه الأخبار لا تفسّر الأبصار بالأوهام، بل لما انجزّ الكلام إلى إدراك الأبصار الحقّ تعالى قالوا عليهم السلام: إن أوهام القلوب لا- تدركه تعالى فكيف الأبصار تقدر على إدراكه، و كذا أنه تعالى يدرك أوهام القلوب مع دقّتها و سعتها فكيف لا يدرك الأبصار و يظهر ما قلنا بأدنى تأمل فى سياق تلك الأخبار، فقدوهم من قال إنّها فسّر الأبصار بأوهام القلوب.

نعم روايه اخرى منقوله فى باب فى قوله تعالى، «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» من الكافى و فى باب ما جاء فى الرؤيه من توحيد الصدوق بسند واحد و متن واحد من غير اختلاف ظاهره فى أنّها تفسّر الأبصار بأبصار القلوب.

ففيهما باسنادهما عن محمّد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبى نجران، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» قال: إحاطه الوهم، ألا ترى إلى قوله: «قد جاءكم بصائر من ربكم» ليس يعنى بصر العيون «فمن أبصر فلنفسه» ليس يعنى من البصر بعينه «و من عمى فعليها» ليس يعنى عمى العيون إنّما عنى إحاطه الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر، و فلان بصير بالفقه، و فلان بصير بالدراهم، و فلان بصير بالثياب، الله أعظم من أن يرى بالعين، انتهى.

و كأنه عليه السلام أراد من قوله هذا مفسّرا كما أنّ للعين بصرا كذلك للقلب بصر و بصر القلب يسمّى بصيره، فالمراد من إحاطه الوهم إحاطه بصيره القلب و مع ذلك لا يبعد أن يقال: إنّ عليه السلام أراد من كلامه هذا التنبيه على إرادته أبصار القلوب بالايه أيضا لا أبصار العيون فقط، أى أنّ الأبصار فى الايه تشمل أبصار العيون

و القلوب كليهما.

و أشار عليه السّلام فى صحّحه إرادته إدراك القلبى من الأبصار إلى إطلاق البصر على بصيره القلب فى القرآن الكريم بقوله: ألا ترى إلى قوله تعالى «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ» إلخ، و إلى إطلاقه عليها فى العرف أيضا بقوله: كما يقال:

فلان بصير - إلخ. و قوله: إنّما عنى إحاطه الوهم، أى إنّما أراد الله من قوله:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» إحاطه الوهم.

إن قلت: هذه الأخبار تكذب إدراكه تعالى بأوهام القلب، و قد رويت أخبار اخر أنّ القلوب تدركه بحقائق الايمان فكيف التوفيق؟.

قلت: المراد من الأخبار النافية، إدراكه تعالى بالاكتناه و الإحاطه، و من الأخبار المثبتة إدراكه بوجه بمعنى الانكشاف التّام الحضورى و الشهود العلمى من غير اكتناه كما نتلوها عليك مبيّنه.

«الحديث الرابع»

فى الكافى عن محمّد بن أبى عبد الله، عن عليّ بن أبى القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى محمّد عليه السّلام أسأله كيف يعبد العبد ربّه و هو لا يراه؟ فوقع عليه السّلام يا با يوسف جلّ سيّدى و مولاى و المنعم عليّ و على آبائى أن يرى، قال: و سألته هل رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله ربّه؟ فوقع عليه السّلام: إنّ الله تبارك و تعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظّمته ما أحبّ.

أقول: هذا هو الحديث الأوّل من باب فى إبطال الرّؤية من اصول الكافى و قريب منه الحديث الثامن منه.

قال: محمّد بن يحيى و غيره عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبى نصر، عن أبى الحسن الرّضا عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لئما اسرى بى إلى السّماء بلغ بى جبرئيل مكانا لم يطأه قطّ جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظّمته ما أحبّ و رواه الصّدوق فى التوحيد عن أبيه، عن محمّد العطار، عن ابن عيسى، عن البنظى عن الرّضا عليه السّلام.

ص: ٣٠٢

بيان: محمد بن أبي عبد الله هو العدي أكثر المشايخ الثلاثة رضوان الله عليهم الرواية عنه. وعلّي بن أبي القاسم عبد الله بن عمران البرقي المعروف أبوه بما جيلويه يكتنّى أبا الحسن، وذهب المولى صالح المازندراني و المولى صدرا الشيرازي في شرحهما على أصول الكافي إلى إنّ يعقوب بن إسحاق هو الشيخ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السكيت الدورقي، و ابن السكيت هذا من أكابر علماء العربيّة و عظماء الشيعة و هو من أصحاب الجواد و الهادي عليهما السلام، و مؤلف كتاب إصلاح المنطق.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: قال بعض العلماء: ما عبر على جسر بغداد كتاب من اللّغه مثل إصلاح المنطق و قال: قال أبو العباس المبرّد: ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت.

و قال الشيخ الجليل النجاشي في الفهرست: يعقوب بن إسحاق السكيت أبو يوسف كان مقدما عند أبي جعفر الثاني و أبي الحسن عليهما السلام و كان يختصّ به (و كان يخصّاه - ظ) و له عن أبي جعفر عليه السلام روايه و مسائل، و قتله المتوكل لأجل التشيع و أمره مشهور، و كان وجيها في علم العربيّة و اللّغه ثقة مصدق لا يطعن عليه و له كتب ثمّ عدّ كتبه.

قال ابن النديم في الفهرست: و كان يعقوب بن السكيت يكتنّى بأبي يوسف و كان مؤدّبا لولد المتوكل و يقال: إنّ المتوكل ناله بشيء حتّى مات في سنه ست و أربعين و مائتين، و ليعقوب ابن يقال له: يوسف نادم المعتضد و خصّ به، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و في وفيات الأعيان و كان يميل في رأيه و اعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال أحمد بن عبيد: شاورني ابن السكيت في منادته المتوكل فنهيته، فحمل قولي على الحسد و أجاب إلى ما دعى إليه من المناديه فبينما هو مع المتوكل يوم جاء المعتزّ و المؤيّد فقال المتوكل: يا يعقوب أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن و الحسين؟ فغضّ ابن السكيت من ابنيه و ذكر الحسن و الحسين رضي الله عنهما بما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى

داره فمات بعد غد ذلك اليوم، و كان ذلك فى سنه أربع و أربعين و مائتين - إلى أن قال:

و قد روى فى قتله غير ما ذكرته أولاً، فقليل: إنَّ المتوكل كان كثير التحامل على على بن أبى طالب رضى الله عنه و ابنه الحسن و الحسين رضى الله عنهم أجمعين، و كان ابن السكيت من المغالين فى محبتهم و التوالى لهم، فلما قال له المتوكل تلك المقاله قال ابن السكيت: و الله إنَّ قنبر خادم على رضى الله عنه خير منك و من ابنيك، فقال المتوكل: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات و ذلك فى ليله الاثنين لخمس خلون من رجب سنه أربع و أربعين و مائتين، و قيل: سنه ثلاث و أربعين. و بلغ عمره ثمانيا و خمسين سنه.

و قال المجلسى - ره - فى مرآه العقول: و ظن أصحاب الرجال أن يعقوب ابن إسحاق هو ابن السكيت، و الظاهر أنه غيره، لأن ابن السكيت قتله المتوكل فى زمان الهادى عليه السلام و لم يلحق أباً محمداً عليه السلام. انتهى كلامه - ره -.

أقول: أبو محمداً فى الروايات هو الحسن بن على العسكرى الامام الحادى عشر والد الامام المنتظر عليهما السلام.

قال فى الكافى: ولد أبو محمداً الحسن بن على عليهما السلام فى شهر رمضان و فى نسخه اخرى فى شهر ربيع الاخر سنه اثنتين و ثلاثين و مائتين، و قبض عليه السّلام يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل سنه ستين و مائتين و هو ابن ثمان و عشرين سنه.

و فى الكافى أن والده أبا الحسن الثالث على بن محمداً الهادى الامام العاشر عليه السلام قبض سنه أربع و خمسين و مائتين فكان أبو محمداً عليه السّلام عند وفات أبيه الهادى عليه السّلام ابن اثنتين و عشرين سنه، و عند وفاه ابن السكيت ابن اثنتين و عشر سنه، فابن السكيت لحق أباً محمداً عليه السّلام إلا أن نقل ابن السكيت عنه عليه السلام مستغرب فى ظاهر الأمر فلا يبعد احتمال المجلسى - ره - عن الصواب.

فالظاهر أن يعقوب بن إسحاق هذا هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى فيلسوف الغرب المتوفى - ٢٤٤ هـ - و لما كان هو و ابن السكيت فى الاسم و الكنيه و اسم الوالد مشتركين، و كانا أيضاً معاصرين اشتبه على الشراح أحدهما بالآخر.

و ممّا يؤيّد هذا الاحتمال الاحتجاج الذى وقع بين أبى محمّد عليه السّلام و بين الكندى لمّا أخذ فى تأليف تناقض القرآن على زعمه نقله المجلسي - ره - فى احتجاجات البحار عن مناقب ابن شهر آشوب قال:

أبو القاسم الكوفى فى كتاب التبديل إنّ اسحاق الكندى كان فيلسوف العراق فى زمانه، أخذ فى تأليف تناقض القرآن و شغل نفسه بذلك و تفرّد به فى منزله و أنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكري عليه السّلام فقال له أبو محمد عليه السّلام: أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندى عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز ممّا الاعتراض عليه فى هذا أو فى غيره؟ فقال أبو محمّد عليه السّلام: أتؤدّى إليه ما ألقىه إليك؟ قال: نعم، قال فصر إليه (فسر إليه - خ ل) و تلتّف فى مؤانسته و معونته على ما هو بسبيله، فاذا وقعت المؤانسه فى ذلك فقل: قد حضرتنى مسأله أسألك عنها فإنّه يستدعى ذلك منك فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعانى التى ظننتها أنّك ذهبت إليها؟ فإنّه سيقول: إنّ من الجائز لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فاذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذى ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه، فصار الرّجل الى الكندى و تلتّف إلى أن ألقى إليه (عليه - خ ل) هذه المسأله فقال له: أعد علىّ فأعاد عليه فتفكّر فى نفسه و رأى ذلك محتملاً فى اللّغه و سائغاً فى النظر.

و ممّا يؤيّد هذا الاحتمال أيضاً أنّ السؤال عن نحو هذه المسأله أنسب بحال الكندى من ابن السكيت لأنّه كان فيلسوفاً حكيماً، و قد عدّ ابن النديم فى الفهرست من كتبه الفلسفيّه أكثر من عشرين كتاباً، و كأنّه أراد اختبار الإمام فيه تعالى فأجابه عليه السّلام بما يناسبه.

و لكن مع ذلك كلّ ههنا كلاماً يختلج بالبال و هو أنّ علىّ بن أبى القاسم لم يكن ممّن يروى عن الكندى أو يكون أحد تلامذته و لم نجد فى الكتب الرّجاليّه و الفهارس من عدّه من تلامذته أو رواه بل عدّوه من رواه ابن السكيت و منهم المولى

ثم إنَّ أبا محمَّد عليه السَّلام كان عند وفاه الكندى ابن أربع عشره سنه لما مضى من تاريخ وفاتهما، و عند وفاه ابن السكيت ابن اثنتين و عشره سنه كما دريت، فكان الفاصله بين وفاه ابن السكيت و الكندى سنتين، فلو كان نقل ابن السكيت عنه عليه السَّلام مستغربا لكان كذلك الكلام فى نقل الكندى عنه كما لا يخفى و قول المجلسى - ره - إنَّ ابن السكيت لم يلحق أبا محمَّد ليس بصواب كما علم.

و قال بعضهم فى تعليقه على جامع الرواه المذكور آنفا فى المقام ما هذا لفظه فيه اشتباه لأنَّ يعقوب بن إسحاق السكيت لم يرو عن أبى محمد جزما إذ كما صرح المؤلف أيضا قتله المتوكِّل فكيف يمكن روايته عن أبى محمَّد عليه السَّلام، فالظاهر أنَّه يعقوب بن إسحاق البرقى لأنَّه من رواه العسكرى كما صرح «مع» انتهى قوله.

و فيه أوَّلا أنَّ ابن السكيت أدرك أبا محمَّد عليه السَّلام كما علم.

و ثانيا أنَّ يعقوب بن إسحاق البرقى لم يكن بأبى يوسف، على أنَّه مجهول الحال عدّه الشيخ - ره - فى الفهرست بعنوان يعقوب بن إسحاق من أصحاب الهادى عليه السَّلام و زياده وصفه بالبرقى من أصحاب العسكرى عليه السَّلام، و لم يعلم من هو و من روى عنه و لم يذكر أحد أنَّ على بن أبى القاسم روى عنه. و الله تعالى أعلم.

و أمَّا سؤال أبى يوسف أبا محمَّد عليه السَّلام عن رؤيته تعالى ففيه كلام أيضا، لأنَّ السائل إن كان ابن السكيت فكيف لم يكن استحاله رؤيته تعالى بالأبصار معلومه له و هو أدرك الجواد و العسكريين عليه السَّلام و قال النجاشى: و له عن أبى جعفر الثانى عليه السَّلام روايه و مسائل.

نعم إن كان السائل الكندى فلا ضير فيه لأنَّه سأله اختبارا و كيف كان فأجابه عليه السَّلام بأنَّ الله تعالى جلَّ أن يرى بالأبصار، لما دريت آنفا أنَّ ما يدرك بالأبصار يجب أن يكون جسما كثيفا له ضوء و لون و وجهه و مكان و سائر ما يشترط فى الأبصار حتَّى يرى، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ثمَّ سأله من باب المكاتبه أيضا بدليل مقابله بالتوقيع هل رأى رسول الله صلى الله عليه و آله

رَبِّهِ وَإِنَّمَا سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّ طَائِفَهُ مِنَ الرَّوَايَاتِ وَبَعْضُ آيَاتِ النُّجْمِ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَاهُ تَعَالَى، وَيَتَبَادَرُ وَهُمْ الْعَامَّةُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهَا فِي الْأَجْسَامِ فَيُزَعَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ موجودٌ فَهُوَ مَرْتَبِيٌّ فَمَا لَمْ يَكُنْ بِمَرْتَبِيٍّ فَلَيْسَ بِموجودٍ، أَوْ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ مَرْتَبِيٌّ فَهُوَ مَرْتَبِيٌّ بِالْأَبْصَارِ فَقَطْ، وَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّؤْيِيَةَ بِعَيْنِ الْقَلْبِ أَعْنَى الْعَقْلِ أَتَمَّ وَأَكْمَلَ وَأَشْرَفَ وَأَقْوَى وَ أَبْقَى مِنَ الرَّؤْيِيَةِ بِعَيْنِ الرَّأْسِ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّؤْيِيَتَيْنِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْمَدْرِكَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعَيْنِ.

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَتَمِّ بَيَانٍ بِأَنَّهُ تَعَالَى أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورِ عِظْمَتِهِ مَا أَحَبَّ نَفْيَ رُؤْيِيَتِهِ تَعَالَى بِالْبَصْرِ وَقَالَ: أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مَا أَحَبَّ مِنْ نُورِ عِظْمَتِهِ.

و رُؤْيِيَةَ الْقَلْبِ أَشْرَفَ مِنْ رُؤْيِيَةِ الْعَيْنِ، لِعَدَمِ احْتِيَاجِهَا إِلَى مَا يَشْتَرُطُ فِي الْإِبْصَارِ بِالْعَيْنِ، بَلْ هُوَ انْكِشَافٌ تَامٌ وَ وَصُولٌ لَا يَتَأْتِي بِيَانَهُ بِالْقَلَمِ يَفْهَمُهُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ: فَكَشَفَ لَهُ فَأَرَاهُ - إِيحْ، كَأَنَّهُ بَيَانٌ لِقَوْلِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَى بِقَلْبِهِ أَى الْإِرَائَةِ هَهُنَا هِيَ الْكَشْفُ التَّامُ.

و قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ نُورِ عِظْمَتِهِ، بَيَانٌ لِكَلِمَتِهِ مَا قَدَّمَ عَلَيْهَا تَوْسِعُهُ لِلظَّرْفِ.

وَ اسْلُوبُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي إِرجَاعَ ضَمِيرِ أَحَبَّ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا إِلَى رَسُولِهِ.

و قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ نُورِ عِظْمَتِهِ، بَيَانٌ لِكَلِمَتِهِ مَا قَدَّمَ عَلَيْهَا تَوْسِعُهُ لِلظَّرْفِ.

وَ اسْلُوبُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي إِرجَاعَ ضَمِيرِ أَحَبَّ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا إِلَى رَسُولِهِ.

فَبِمَا حَقَّقْنَا فِي الْمَقَامِ عَلِمْتَ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَجَّ عَلَى أَبِي قَرَةَ فِي الْحَدِيثِ الْمَقْدَمِ عَلَى زَنَةِ مَعْرِفَتِهِ وَ قَدْرِ عَقْلِهِ، وَ لَوْ وَجَدَهُ الْإِمَامُ أَهْلًا لِلْإِشَارَاتِ الرَّقِيقَةِ لَفَسَّرَ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى «مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» بِمَا رَأَى الْفُؤَادُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْآتِي.

وَ عَلِمْتَ أَيْضًا أَنَّ مَا جَاءَ فِي الرَّوَايَاتِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَعَالَى، فَالْمِرَادُ رُؤْيِيَتُهُ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ لَا بِالْبَصْرِ جَمْعًا بَيْنَ مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ النَّاصِعَ وَ بَيْنَ ظَاهِرِ النُّقْلِ.

فَنَعَمْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْعَالِمُ الْجَلِيلُ الصَّدُوقُ - رَه - فِي بَابِ مَا جَاءَ فِي الرَّؤْيِيَةِ مِنْ كِتَابِهِ فِي التَّوْحِيدِ حَيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ مِرَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - يَعْنِي بِقَلْبِهِ - وَ تَصْدِيقَ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلْ رَأَى

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فقال: نعم بقلبه رآه. أما سمعت الله عزَّ وجل يقول «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» أَي لم يره بالبصر و لكن رآه بالفؤاد. انتهى ما أفاده - ره -

الحديث الخامس

فى الكافى: عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن أبى الحسن الموصلى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره، قال: و كيف رأيتّه؟ قال: ويلك لا تدركه العيون فى مشاهدته الأبصار و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان.

أقول: هذه الزوايه جاءت فى الجوامع بطرق متعدده بينها اختلاف لفظا و كمّا فى الجملة و ما أتى به الكلينى فى هذا الباب من جامعه الكافى جزء ممّا نقل فى الجوامع الاخر.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ ذلك الحبر هو ذعبل اليمانى و الحديث بعض حديث ذعبل المشهور رواه الخاصّه و العامّه بألفاظ مختلفه متقاربه و أسناده متعدده.

نعم لا يبعد أن يذهب إلى أنّ ذلك السؤال و الجواب وقع بينه عليه السّلام و بين ذلك الحبر مرّه، و بينه و بين ذعبل مرّه اخرى، و لكن مشاركتها فى هيئه السؤال و الجواب و نضد الألفاظ تأبيان بظاهرهما عن ذلك الاحتمال.

ففى باب التوحيد من الكافى و فى الوافى ص ٩٥ ج ١ فى باب جوامع التوحيد و فى مرآه العقول ص ٩١ ج ١: محمد بن أبى عبد الله رفعه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

بيننا أمير المؤمنين يخطب على منبر الكوفه إذ قام إليه رجل يقال له: ذعبل ذو لسان بليغ فى الخطب شجاع القلب فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟ فقال: ويلك يا ذعبل ما كنت أعبد ربّا لم أره.

فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيتّه؟ قال: ويلك يا ذعبل لم تره العيون بمشاهدته هذه الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعبل إنّ ربّى لطيف اللطافه لا يوصف باللطف، عظيم

العظمه لا- يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلاله لا يوصف بالغلظ، قبل كل شىء لا يقال شىء قبله، و بعد كل شىء لا يقال له بعد، شاء (شياً خ ل) الأشياء لا بهمه، ذرّاك لا بخديعه، فى الأشياء كلها غير متمازج بها و لا بائن منها، ظاهر لا بتأويل المباشره، متجلّ لا باستهلال رؤيه، نائى لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركه مزيد لا بهامه، سميع لا باله، بصير لا بأداه، لا تحويه الأماكن، و لا تضمنه الأوقات و لا تحدّه الصفات، و لا- تأخذ السنات، سبق الأوقات كونه، و العدم وجوده، و الابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا- مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمه، و اليبس بالبلل، و الخشن باللين، و الصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها على مفرّقها و بتأليفها على مؤلّفها، و ذلك قول الله تعالى «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

ففرّق بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له و لا بعد، شاهده بغرائزها أن لا غريزه لمغرّزها، مخبره بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بين خلقه، كان ربّاً إذ لا مربوب، و إلهاً إذ لا مألوه، و عالماً إذ لا معلوم و سمياً إذ لا مسموع. انتهى ما فى الكافى.

و رواه الصدوق فى باب إثبات حدوث العالم من كتابه فى التوحيد بطريقتين و كلّ واحد منهما يشتمل على أكثر ممّا فى الكافى إلا أنّ ما فى الكافى واقع فى أثناء الطريق الأوّل و أمّا الطريق الثانى فمبتدأ بما فى الكافى.

فعلى الثانى قال: حدّثنا علىّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق - ره - قال: حدّثنا محمّد بن أبى عبد الله الكوفى قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكى قال:

حدّثنا الحسين بن الحسن قال: حدّثنا عبد الله بن زاهر قال: حدّثنى الحسين بن يحيى الكوفى قال: حدّثنى قثم بن قتاده، عن عبد الله بن يونس، عن أبى عبد الله عليه السّلام

قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على منبر الكوفه إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذرب اللسان بليغ في الخطاب شجاع القلب - إلى آخر ما في الكافي، إلا أنّ في التوحيد شائئ الأشياء على صورته الفاعل و يمكن أن يكون ما في الكافي أيضا على اسم فاعل متون كرام. و في التوحيد: لا تصحبه الأوقات. ضاد النور بالظلمه و الجسوّ بالبلل، ليعلم أن لا حجاب بينه و بين خلقه غير خلقه.

و جاء ذيل الحديث بعد قوله و سميعة إذ لا مسموع أبيات على هذا الوجه: ثم أنشأ يقول:

و لم يزل سيدي بالحمد معروفا و لم يزل سيدي بالجود موصوفا

و كنت إذ ليس نور يستضاء به و لا ظلام على الافاق معكوبا

و ربنا بخلاف الخلق كلهم و كلما كان في الأوهام موصوفا

و من يرده على التشبيه ممثلا يرجع أخا حصر بالعجز مكتوبا

و في المعارج يلقي موج قدرته موجا يعارض طرف الروح مكفوبا

فاترك أخا جدل في الدين منعمقا قد باشر الشك فيه الرأي مؤوفا

و اصحب أخا ثقه حبا لسيده و بالكرامات من مولاه محفوبا

أمسى دليل الهدى في الأرض منتشرا و في السماء جميل الحال معروفا

قال: فخرّ ذعلب مغشيا عليه ثم أفاق و قال: ما سمعت بمثل هذا الكلام و لا أعود إلى شيء من ذلك، انتهى.

أقول: و الأبيات المذكوره في الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام، و بين النسختين اختلاف في الجملة.

و أما الطريق الأوّل فالظاهر من التوحيد - إن لم يكن صريحا - أنّ حديث ذعلب إنّما كان من جمله ما قالها عليه السلام في أوّل خطبه خطب بها الناس على المنبر بعد ما بايعوه.

قال الصدوق - ره -: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان و عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق - ره - قالوا: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطان، قال:

حدّثنا محمّد بن العباس، قال: حدّثني محمّد بن أبي السرى قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكنانى، عن الأصمغ بن نباته قال: لما جلس علىّ عليه السّلام الخلفه و بايعه النّاس خرج إلى المسجد متعمّما بعمامة رسول الله صلّى الله عليه وآله، لا بسا برده رسول الله صلّى الله عليه وآله، متنعلًا نعل رسول الله صلّى الله عليه وآله، متقلّدا سيف رسول الله صلّى الله عليه وآله فصعد المنبر فجلس عليه متمكّنًا ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثمّ قال:

يا معاشر النّاس سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفظ العلم هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا ما زقّنى رسول الله زقازقا، سلونى فإنّ عندى علم الأوّلين و الاخرين، أما و الله لو ثبت لى الوساده فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراه بتوراتهم حتّى تنطق التوراه فتقول: صدق علىّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فىّ. و أفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتّى ينطق الانجيل فيقول: صدق علىّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فىّ. و أفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق علىّ ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فىّ. و أنتم تتلون القرآن ليلا و نهارا فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، و لولا آيه فى كتاب الله لأخبرتكم بما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة و هى هذه الايه «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ».

ثمّ قال: سلونى قبل أن تفقدونى فو الله الذى فلق الحبّه و برأ النسمه لو سألتمونى عن آيه آيه فى ليل انزلت، أو فى نهارا نزلت، مكيها، و مدنيها، سفريها لأخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له: ذعلب و كان ذرب اللسان بليغا فى الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرماه صعبه لأخجلته اليوم لكم فى مسألتي إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالمدى أعبد ربّا لم أره قال: فكيف رأيت صفه لنا؟

قال: ويلك يا ذعلب إنَّ ربِّي لا يوصف بالبعد، و لا بالحركه، و لا بالسكون و لا بالقيام قيام انتصاب، و لا بمجىء و لا ذهاب، لطيف اللطافه لا- يوصف باللطف، عظيم العظمه لا- يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا- يوصف بالكبر، جليل الجلاله لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمه لا- يوصف بالرفقه، مؤمن لا- بعباده، مدرك لا بمحسسه، قائل لا باللفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجه، خارج منها على غير مباينه، فوق كلِّ شىء فلا يقال شىء فوقه، و أمام كلِّ شىء و لا يقال له أمام، داخل فى الأشياء لا كشىء فى شىء داخل، و خارج منها لا كشىء من شىء خارج.

فخرٌ ذعلب مغشياً ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب و الله لا عدت إلى مثلها.

ثم قال عليه السلام: سلونى قبل أن تفقدونى.

فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزيه و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث إليهم نبى؟ قال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتابا، و بعث إليهم رسولا- حتى كان لهم ملك سكرذات ليله فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبتها، فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيها الملك دنست علينا ديننا فأهلكته فاخرج نطهرك و نقيم عليك الحدّ. فقال لهم: اجتمعوا و اسمعوا كلامى فإن يكن لى مخرج ممّا ارتكبت و إلّا فشانكم، فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أنّ الله لم يخلق خلقا أكرم عليه من أبينا آدم و امنا حواء؟ قالوا: صدقت أيها الملك. قال: أفليس قد زوج بنيه بناته و بناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدين فتعاقدوا على ذلك فمحي الله ما فى صدورهم من العلم و رفع عنهم الكتاب، فهم الكفره يدخلون النار بلا حساب و المنافقون أشدّ حالا منهم.

قال الأشعث: و الله ما سمعت لمثل هذا الجواب، و الله لا عدت إلى مثلها أبدا.

ثم قال عليه السلام: سلونى قبل أن تفقدونى.

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكيا على عصاه فلم يزل يتخطى الناس

حتى دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار.

فقال له: اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثه: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، و بغنى لا يبخل بماله على أهل دين الله، و بفقير صابر. فاذا كنتم العالم علمه، و بخل الغنى، و لم يصبر الفقير فعندها الويل و الثبور، و عندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها أي الكفر بعد الايمان.

أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد و جماعه أقوام أجسادهم مجتمعهم و قلوبهم شتى.

أيها الناس إنما الناس ثلاثه: زاهد، و راغب، و صابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه و لا يحزن على شيء منها فاتته، و أميا الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لم «لماظ» يعلم من سوء عاقبتها، و أما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

قال له: يا أمير المؤمنين فما علامه المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، و ينظر إلى ما خلفه فيتبرأ منه و إن كان حميماً قريباً.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين ثم غاب الرجل فلم نره فطلبه الناس فلم يجدوه فتبسم علي عليه السلام على المنبر ثم قال: ما لكم هذا أخي الخضر عليه السلام.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فلم يقم إليه أحد فحمد الله و أتنى عليه و صلى على نبيه صلى الله عليه و آله.

ثم قال للحسن عليه السلام: يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدى فيقولون: إن الحسن بن علي لا يحسن شيئاً، قال الحسن عليه السلام: يا أبة كيف أصعد و أ تكلم و أنت في الناس تسمع و ترى؟ قال له: بأبي و أمي و أرى «اوارى ظ» نفسي عنك و أسمع و أرى و أنت لا تراني.

فصعد الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغه شريفه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله صلاة موجزه ثم قال:

أيها الناس سمعت جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلّيّ بابها و هل تدخل المدينة إلّا من بابها، ثمّ نزل، فوثب إليه عليّ عليه السّلام فحمله و ضمّه إلى صدره.

ثمّ قال للحسين عليه السّلام: يا بنّي قم فاصعد المنبر و تكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدى فيقولون: إنّ الحسين بن عليّ لا يبصر شيئاً، و ليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين عليه السّلام المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيّه صلاه موجزه ثمّ قال:

يا معاشر النّاس سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و هو يقول: إنّ عليّاً هو مدينة هدى فمن دخله نجى و من تخلف عنها هلك. فوثب إليه عليّ عليه السّلام فضمّه إلى صدره و قبله ثمّ قال: معاشر النّاس اشهدوا أنّهما فرخا رسول الله وديعته الّتي استودعنيها، و أنا أستودعكموها، معاشر النّاس و رسول الله سائلكم عنهما. انتهى ما فى التوحيد.

و روى هذا الطريق فى أوّل المجلس الخامس و الخمسين من أماليه بهذا الاسناد فى التوحيد.

و اعلم أنّ كلامه عليه السّلام فى جواب ذعبل مذكور فى النهج أيضاً، و هو الكلام ١٧٧ من باب الخطب أوّله: و من كلامه عليه السّلام و قد سأله ذعبل اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أ فأعبد ما لا أرى، قال: و كيف تراه - إلخ.

لكن ما فى النهج يكون قريباً من ثلث ما فى الكافى و التوحيد، على أنّ نسخه النهج لا يوافقهما فى الألفاظ و العبارات و بينهما تفاوت إلّا فى صدر الروايه حيث قال عليه السّلام:

لا تدركه العيون بمشاهده العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الايمان. و أمّا سائر كلامه هذا ليس بمذكور فى النهج إلّا أنّ قوله عليه السّلام: قامت الدّنيا بثلاثه: بعالم ناطق مستعمل علمه - إلخ، شبيه بقوله عليه السّلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر قوام الدّنيا بأربعه: عالم مستعمل علمه - إلخ، و هو الحكمه ٣٧٢ من باب المختار من حكمه عليه السّلام من النهج.

: قد قدّمنا في شرح المختار الأوّل من كتبه عليه السّلام (ص ٣٥٧ ج ٢ من تكمله المنهاج) اختلاف الأقوال في أوّل خطبه خطبها عليه السّلام بعد ما بويح له بالخلافه وقد حَقَّقنا هنا لك أنّ الخطب: ٢١ و ٢٨ و ١٦٦ و ١٧٦ من النهج كانت جميعا خطبه واحده، فيما نقلنا من روايه التوحيد ههنا علمت أنّ كلامه في جواب ذعلب أي ذلك الكلام ١٧٧ من باب الخطب أيضا كان منها، و أنّ الجميع ممّا قالها في جلسه واحده حين صعد المنبر بعد ما بويح له عليه السّلام بالخلافه.

و روى الكلينيّ في ذلك الباب من الكافي حديثا عن أبي جعفر عليه السّلام وقع بينه وبين رجل من الخوارج مثل ما وقع بين أمير المؤمنين عليه السّلام و ذعلب فأجاب الرّجل بما يقرب من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال: عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السّلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا با جعفر أيّ شيء تعبد؟ قال: الله، قال: رأيت؟ قال: بلى لم تره العيون بمشاهده الأبصار و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان، لا- يعرف بالقياس، و لا يدرك بالحواس، و لا يشبه بالناس، موصوف بالايات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو، قال: فخرج الرّجل و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته. انتهى.

و رواه الصدوق في المجلس السابع و الأربعين من أماليه و في باب ما جاء في الرؤيه من التوحيد أيضا. و أبو جعفر هذا هو محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام لا الامام التاسع بقريته روايه سنان عنه عليه السّلام صرّح به في اسناد الأمالي حيث قال: عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام.

قال الصدوق في التوحيد بعد نقل حديث ذعلب: في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الرضا عليه السّلام في خطبته، و هذا تصديق قولنا في الأئمّه عليهم السّلام أنّ علم كلّ واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتّى يتصل ذلك بالنبيّ صلّى الله عليه و آله. انتهى قوله رحمه الله.

أقول: إنّ ما يجب أن يعتقد و يذعن فيهم عليهم السّلام أنّ علمهم من معدن واحد لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه، و لقد أجاد الصدوق رحمه الله بما أفاد، و لكن

ذلك الحديث المروى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام على نسق واحد.

روى الطبرسي في كتاب الاحتجاج في باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله و تنزيهه عما لا يليق به ما هذا لفظه:

و روى أهل السير أنّ رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أ رأيت حين عبدته؟ فقال له أمير المؤمنين: لم أك بالمدى أعبد من لم أره، فقال له: كيف رأيت يا أمير المؤمنين؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهده العيان، و لكن رأته العقول بحقائق الايمان، معروف بالدلالات، منعت بالعلامات لا- يقاس بالناس، و لا- يدرك بالحواس، فانصرف الرجل و هو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، انتهى.

و الناقد في الأحاديث يرى أنّ ذينك الحديثين واحد قاله أحدهما عليهما السلام و وقعت تلك الواقعة لأحدهما و تعددت من سهو الراوى فتأمل و الله تعالى أعلم.

أمّا بيان الحديث فيجوز قراءة الأبصار بالفتح و الكسر، فعلى الأول جمع و على الثاني مصدر، و في نسختي النهج و الاحتجاج بمشاهده العيان، و المراد بالقلوب العقول. كما في الاحتجاج، و قد بيّنا في شرح المختار ٢٣٧ من باب الخطب أنّ المراد من القلب في الايات و الأخبار و اصطلاح الإلهيين هو اللطيفه القدسيه الربانيه التي يعبر عنها بالقوه العقلية، لا- الجسم اللحمي الصنوبري.

قوله عليه السلام: لا تدركه العيون في مشاهده الأبصار. قد عرفت في شرح الأحاديث المتقدمه أنّ ما تدركه الأبصار لا بدّ من أن يكون جسما ذا ضوء و لون، و ما يقبل الضوء و اللون لا- بدّ من أن يكون كثيفا، فلزم من رؤيته تعالى بالأبصار كونه جسما، و الجسم مركّب حادث ذو وجه و وضع، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و أمّا قوله: و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان فاعلم أنّ السائل الحبر لما سأله عليه السلام هل رأيت ربك حين عبدته و أجابه عليه السلام ما كنت أعبد ربّا لم أره، حمل الرؤيه على الرؤيه بالعين، لأنّ المرتكز عند عامه الناس إنّما تكون الرؤيه

بهذا المعنى لأنهم يتبادرون إلى الأحكام التي تحسّ بمحسّهم لحشرهم معها و انسههم بها.

و أما التوجّه إلى ما وراء الطبيعه و السير إلى باطن عالم الشهود بقدم المعرفه فلا تيسّر لهم إلا بعد تنبيه و ايقاظ و إرشاد، و لما رأى عليه السّلام أنّه حمل الرؤيه على ذلك بين له أنّ المراد من الرؤيه هو الرؤيه القلبيّه لا العينيّه، و قال عليه السّلام رأته القلوب بحقائق الإيمان.

و أما الرؤيه القلبيّه بحقائق الايمان فلا بدّ من أن نمهّد مقدّمه في بيانه كي يتّضح المراد و هي:

أنّ حقيقته تعالى غير معلومه لأحد بالعلم الحسولي الصوري كما أنّها غير معلومه لأحد أيضا بالعلم الاكتناهي أعني إحاطته تعالى بالعقل أو الحسّ أو بغيرهما من القوى المدركه، و اتّفق على امتناع ذينك العلمين به تعالى الحكماء الالهيين و العرفاء الشامخون.

أما الأوّل فلأنّ العلم الحسولي به تعالى إنّما يتمشّي فيما له ماهيّه حتّى يصحّ تعدّد أنحاء الوجود لتلك الماهيّه فيحصل نحو من وجوده في الأذهان، و العلم الحسولي هو حصول صورته الشئ و ارتسامه في الدّهن، و العلم بالشئ ليس إلّا نحو وجوده لدى الذات العاقله المجرّده، فهذا الوجود الذهني نحو من وجود ذلك الشئ الخارجيّ، غايه الأمر أنّ للذهني بالنسبه إلى الخارجيّ تجرّدا ما، و لكن الواجب تعالى لئلا كان حقيقته وجوده العيني الخاص و تعينه عين ذاته و إتيته ماهيّه لا يتطرّق إليه التعدّد و الكثره، فلا يرتسم في الذهن، فلا يكون معلوما لأحد بالعلم الحسولي.

و أما الثّاني فلأنّ ما سواه معلول له، و أنّي للمعلول أن يحيط بعلّته و هو دونها و شأن من شئونها، و هو تعالى لشده نوريّه وجوده الغير المتناهي العيني الخاصّ به و نهايه كماله وسعه عظمته و قاهريّه ذاته و تسلّطه على من سواه حجب العقول المجرّده و النفوس الكامله، فضلا عن الأوهام و الأبصار عن الإحاطه به و اكتناه ذاته

لقصورها وفتورها.

و في الحديث: إِنَّ اللَّهَ قَدْ احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَ أَنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ وَ فِي الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ «لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» (طه - ١١٠) و العلم به تعالى على ما هو عليه مختص به.

سبحان من تحير في ذاته سواه فهم خرد بكنه كمالش نبرده راه

از ما قياس ساحت قدسش بود چنانك موری كند مساحت گردون ز قعر چاه

و كما أَنَّ أَبْصَارَنَا عاجزه عن أن تملأ من نور الشمس المشرقة و عن إحاطه الرؤيه بها و اكتناهاها، كذلك بصيرتنا عن اكتناه ذاته تعالى.

على أن هذا التمثيل للتقريب، كيف؟ و هو تعالى أجل و أعلى عن التشبيه و التمثيل و القياس بمخلوقاته «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (النحل - ٦١).

ای برون از وهم و قال و قيل من خاک بر فرق من و تمثيل من

نکته

: فاذا كان الأبصار عاجزه عن أن تملأها من نور الشمس المشرقة فما ظنك برؤيه من هو في شدة نوريته فوق ما لا يتناهي بما لا يتناهي.

و قد روى في ذلك الكليني في باب إبطال الرؤيه من جامعه الكافي و الصدوق في باب ما جاء في الرؤيه من كتابه في التوحيد عن أحمد بن ادريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤيه، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي، و الكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش، و العرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب، و الحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر، فان كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.

فاذا سافنا البرهان إلى أن العلم به تعالى حصوليا و اكتناهييا محال، فلا جرم يكون المراد من الرؤيه القلبيه بحقائق الايمان غير هذين النحويين من العلم بل هي طور آخر أدق و ألطف و هو:

أنّ الرّؤية القلبية به تعالى هي الكشف التامّ الحضورى و شهوده تعالى للعبد على مقدار تقربه منه تعالى بقدم المعرفة و درج معارف العقل و عقائد حقائمه برهائيه، فإنّه عزّ و جلّ يتجلّى للعبد بقدر و عائه الوجودى، لأنّه ربّ العباد و الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، و هم فى وجودهم و بقائهم فى جميع الأحوال و العوالم ربط محض و فقر صرف، و الأوّل تعالى لا ينفكّ فيضه عليهم طرفه عين، و يفيض عليهم على مقدار قابليتهم و سعه وجودهم و تقربهم، و العارف السالك يشهده على مقدار حقائق ايمانه لا- بالكنه، و هذا الشهود الوجودى و الانكشاف التامّ الحضورى ذو درجات «يَزِفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (المجادله - ١٢).

و تنتهى هذه الدّرجات إلى مرتبه يقول العبد السالك النائل بها على لسان صدق و قول حق: لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا.

قال يعقوب بن إسحاق الكندى فيلسوف العرب: إذا كانت العلّه الاولى متّصله بنا لفيضه علينا و كنّا غير متّصلين به إلا من جهته، فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض، فيجب أن لا- ينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له، لأنّها أغزر و أوفر و أشدّ استغراقا.

و قال المحقّق الشهرزورى فى الشجره الإلهيه: الواجب لذاته أجمل الأشياء و أكملها، لأنّ كلّ جمال و كمال رشح و فيض و ظلّ من جماله و كماله، فله الجلال الأرفع، و النور الأقهر، فهو محتجب بكمال نوريته و شدّه ظهوره، و الحكماء المتألّهون العارفون به يشهدونه لا- بالكنه، لأنّ شدّه ظهوره و قوّه لمعانه و ضعف ذواتنا المجرّده النوريّه يمنعنا عن مشاهدته بالكنه كما منع شدّه ظهور الشمس و قوّه نورها أبصارنا اكتناهاها، لأنّ شدّه نوريتها حجابها، و نحن نعرف الحقّ الأوّل و نشاهده، لكن لا نحيط به علما كما ورد فى الوحي الإلهى «و لا- يحيطون به علما و عنت الوجوه للحىّ القيوم». نقلهما صدر المتألّهين عنهما فى الفصل الثالث من المنهج الثانى من أوّل الأسفار.

و المراد من حقائق الايمان مراتبه لأن الايمان به في كل مرتبه كان حقيقه و عقيدته حقّه.

فإن قول الأعرابي حيث سئل عن الدليل على وجود الصّانع: البعره تدلّ على البعير و آثار الأقدام تدلّ على المسير، أفسماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج لا تدلّ على وجود اللطيف الخبير، مرتبه من مراتب الايمان، و هو استدلال بالاثار المحوجه إلى السبب الدالّ على وجوده تعالى، و هو اعتقاد صدق و ايمان حق.

و قد سلك هذا المسلك أمير المؤمنين عليه السّلام في مقام إرشاد من كان وعاء عقله يقتضى هذا القدر من الخطاب بقوله: البعره تدلّ على البعير، و الروثه تدلّ على الحمير و آثار الأقدام تدلّ على المسير فهيكّل علويّ بهذه اللطافه، و مركز ثقلّي بهذه الكثافه كيف لا يدلّان على اللطيف الخبير؟.

و كأنّ قول الأعرابي مأخوذ من كلامه عليه السّلام كما أشار إليه السيد نعمه الله الجزائري في تعليقه على أوّل كتابه الموسوم بالأنوار النعمانيّه.

و استدلال المتكلّمين بحدوث الأجسام و الأعراض على وجود الخالق و بالنظر في أحوال الخلقه على صفاته تعالى واحده فواحده أيضا مرتبه من الإيمان، و هذه المرتبه حقيقه من حقائق الإيمان.

و هذا طريق إبراهيم الخليل عليه السّلام في مقام هدايه العباد، فأنّه استدلّ بالأقول الذي هو الغيبه المستلزمه للحركه المستلزمه للحدوث المستلزم لوجود الصّانع تعالى.

و ما استدلّ به الحكماء الطبيعيّون من وجود الحركه على محرّك، و بامتناع اتّصال المحرّكات لا إلى نهايه على وجود محرّك أوّل غير متحرّك، ثمّ استدلّوا من ذلك على وجود مبدء أوّل أيضا حقيقه من حقائق الايمان و مرتبه من مراتبه و ما استدلّ به طائفه اخرى من الإلهيين كالعرفاء الشامخين من ذاته على ذاته من غير الاستعانه بباطال الدّور و التسلسل، أعنى برهان الصديقين حقّ و حقيقه من مراتب حقائق الايمان. و اشير إليه في الكتاب الإلهي «سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصّلت - ٥٥) فعرفوا بذاته ذاته و وحدانيته شهد الله أنّه لا إله إلا هو، و بذاته عرفوا غيره، أو لم يكف برّبك أنّه على كلّ شيء شهيد.

و اعلم أنّ أظهر الموجودات و أجلاها عند أهل البصيره هو الله تعالى، و يستدلّون بذاته على وجود غيره لا بالعكس كما هو دأب من لم يصل إلى تلك المرتبه العلياء و قد نطق ببرهان الصديقين على أوضح بيان إمام الموحّدين سيّد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السّلام في دعاء عرفه: كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أو يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، و متى بعدت حتّى تكون الاثار هي التي توصل إليك - إلخ.

و نعم قال العارف الشبستري:

رهى نادان كه او خورشيد تابان ز نور شمع جويد در بيابان

ولا يخفى أنّ أتمّ مراتب الإيمان وحقائقه هذه المرتبه الأخيره، وهى أيضا بحسب مراتب العرفان متفاوتة، وقد كان الفائزون بهذه الرتبه العلياء و النائلون بهذه النعمه العظمى يكتمونها عن غير أهلها مخافه أن تزلّ أقدام لم تسلك منازل السائرين، و تضطرب أحلام لم ترق إلى مقامات العارفين.

قد روى الشيخ الجليل السعيد الصدوق قدس سرّه فى باب ما جاء فى الرؤيه من كتابه فى التوحيد حديثا فى ذلك.

قال: حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقاق، قال: حدّثنا محمّد بن أبى عبد الله الكوفى، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعى، عن الحسين بن يزيد النوفلى، عن عليّ بن أبى حمزه، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت له:

أخبرنى عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة. فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» (الأعراف ١٧٣) ثمّ سكت ساعه ثمّ قال: إنّ المؤمنين ليرونه فى الدّنيا قبل يوم القيامة

ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدث بهذا عنك؟ فقال: لا فأنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما نقوله ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون.

بيان: قوله: فاحدث جملة استفهامية أو أن أداء الاستفهام محذوفه أي فاحدث بهذا عنك؟.

وقوله عليه السلام: كفر، فعل ماضٍ جزاء للشرط أعني إذا حدثت به. والمراد بالكفر، الكفر بأهل البيت عليهم السلام، لأن الجاهل بذلك المعنى الرقيق الذي أشار إليه الامام عليه السلام يعتقد أنهم عليهم السلام قائلون بالتشبيه المحال.

وفي الفتح الرابع من الفاتحة الاولى من شرح الميبدى على الديوان المنسوب إلى الأمير عليه السلام أبيات منسوبة إلى الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتنا

وقد تقدّم في هذا أبو حسن إلى الحسين ووصى قبله الحسن

و ربّ جوهر علم لو أبوح به لقيلى لى أنت ممّن يعبد الوثنا

ولا ستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أفبح ما يأتونه حسنا

أو المراد بالكفر، الكفر بالله باعتقاد تشبيهه تعالى بسائر المراتب بالأبصار كما مرّ في الحديث الأول عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه، وكان الكفر بهذا المعنى أنسب بسياق العبارة.

وبما حقّقنا دريت أن معنى الرؤية القلبية هو الانكشاف التام الحضورى العدى شهد على صحته العقل والنقل، وأن الرؤية البصريّة على أيّ نحو كانت محاله في حقه تعالى بشهادة العقل والنقل أيضا.

فقد أخطأ من فسّر قوله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى» (النجم - ١٢) بقوله: إن الله تعالى جعل بصر رسول الله في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رآه

تعالى رؤيه العين. و نسب هذا الرأى إلى النواوى من العامه.

و يرد عليه جميع ما يرد على إدراكه تعالى بالعين، لأنّ الإدراك البصرى محال فيه تعالى سواء كانت قوّه الإبصار فى هذه البنيه المخصوصه أعنى العين أو فى غيرها، و جعل العين فى القلب لا- يخرج الرؤيه عن الإدراك البصرى و لا- يدخلها فى الرؤيه القلبيه، بل هى رؤيه بصريّه بلا كلام.

مثلا- رؤيتنا زيدا فى المنام و إن لم تكن بعين الرأس لكن ما يعتبر فيها حاله اليقظه معتبر فى المنام أيضا، فزيد المرئى فى المنام محدود ذو جهه مسامت للرأى فرؤيته فى المنام بغير هذه المحسّه أعنى عين الرأس لا تخرج عن أحكام الرؤيه العيئيه و لا تدخل فى الرؤيه القلبيه المجرّده عن أوصاف الجسم.

و لو أراد هذا القائل من كلامه ذلك المعنى اللطيف الصّحيح الذى بيّناه آنفا فنعم الوفاق و لكن صرح غير واحد بأنّه لم يرد، و لفظه يأبى عن حمله عليه.

و دريت أيضا أنّ العذنين ذهبوا إلى عكس ما ذهب إليه النواوى أى إلى جواز أن يحوّل الله تعالى قوّه القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها فيكون ذلك الإدراك علما باعتبار أنّه بقوّه القلب، و رؤيه باعتبار أنّه قد وقع بالمعنى الحالّ فى العين سلكوا طريقه عمياء أيضا، و يرد عليهم الإيراد من وجوه رأينا الاعراض عنها أجدر.

و لئما كان هذا البحث الحكمى العقلى حاويا لتلك النكات الأنيقه و المطالب الرقيقه، أكثرها كان مستفادا من كلمات الأئمّه الهداه عليهم السّلام، رأينا أن نشير إليها على حسب ما يقتضى المقام، و لعمرى من ساعده التوفيق و أخذت الفطانه بيده اغتمم ذلك البحث العقلى الجامع لكثير من ضوابط عقليّه تزيد بصيره و رقيّا فى معرفه الله تعالى و فقها فى الأخبار المرويّه فى الرؤيه و غيرها ممّا يغترّ المنتسبون إلى العلم بظاهرها. الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا الله.

این نامه ایست که امیر المؤمنین علی علیه السّلام بجریر بن عبد الله بجلی گاهی که او را بسوی معاویه گسیل داشت تا از وی بیعت بگیرد، نوشت.

معاویه در بیعت با آن بزرگوار به تسویف و ممالله می گذرانید و بهانه های بیجا امروز و فردا می کرد، و بدین سبب جریر مدتی دراز در شام سرگردان بود و امیر المؤمنین علیه السّلام چون دید که معاویه در امر بیعت دو دل است و به لعلّ و عسی روزگار می گذراند این نامه را بجریر نوشت:

أما بعد ای جریر برسیدن نامه ام، معاویه را وادار که قبول بیعت یا امتناع آنرا یکسره کند، و فرا گیرش که در إطاعت یا عصیان بجزم سخن گوید، پس او را میان کارزاری که آواره اش کند، و یا گردن نهادنی که ارجش دهد و بهره اش رساند(۱)، مخیر گردان. اگر کارزار را بر گزید عهد امان بسویش افکن و اعلام جنگ در ده، و اگر بصلح گراید بیعت از وی بستان. و السلام.

و من کتاب له علیه السلام الی معاویه و هو الكتاب التاسع

اشاره

من باب المختار من کتبه علیه السّلام و رسائله

فأراد قومنا قتل نبینا، و اجتياح أصلنا و هموا بنا الهموم، و فعلوا بنا الأفاعيل، و منعونا العذب، و أحلسونا الخوف، و اضطرونا إلى جبل وعر، و أوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذّبّ عن حوزته، و الرّمی من وراء حرمة، مؤمننا یبغی بذلك الأجر، و کافرنا یحامي عن الأصل، و من أسلم من قریش خلوا ممّا

ص: ۳۲۴

۱- (۱) بنا بر نسخه مخزیه: و یا گردن نهادنی که خوارش گرداند و رسوایش سازد.

نحن فيه بحلف يمينه، أو عشيره تقوم دونه، فهو من القتل بمكان أمن. و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إذا احمرَّ الباس، و أحجم النَّاس، قدَّم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حرَّ السِّيوف و الأسنه، فقتل عبيده ابن الحارث يوم بدر، و قتل حمزه يوم أحد، و قتل جعفر يوم موته، و أراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الّذى أرادوا من الشَّهاده، و لكنَّ آجالهم عَجَلت، و مَيتته أَجَلت (أخرت - خ ل). فيا عجا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، و لم تكن له كسابقتي الّتى لا يدلى أحد بمثلها إلا أن يدعى مدع ما لا أعرفه و لا أظنَّ الله يعرفه، و الحمد لله على كلِّ حال. و أمَّا ما سألت من دفع قتله عثمان إليك، فإننى نظرت فى هذا الأمر فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك، و لعمرى لئن لم تنزع عن غيِّك و شقاقك، لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، لا يكلفونك طلبهم فى برِّ و لا بحر، و لا جبل و لا سهل، إلاَّ أنه طلب يسوءك وجدانه، و زور لا يسرك لقيانه، و السلام لأهله.

اشاره

و ذكر ما «وقع من الخلط و الشتات فيه» ما أتى به السيد رضوان الله عليه من كتابه عليه السلام هذا فملتقط من كتاب طويل هو من محاسن كتابه عليه السلام بلا كلام كما سيتلى عليك و الرضى - ره - أسقط كثيرا من هذا الكتاب و أتى بشر ذمه قليله منه، و هذه عادته رضوان الله عليه، لأنَّ غرضه التقاط الفصيح و البليغ من كلامه عليه السلام.

كتبه عليه السلام إلى معاويه جواب كتابه إليه، و دفع معاويه كتابه إلى أبي مسلم الخولاني فقدم به على عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الكوفه و الكتابان مذكوران في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقرى التميمي الكوفي المتوفى في سنّيه الثانيه من الهجره (ص ٤٧، الطبع الناصري ١٣٠١ هـ) و نقل عنه المجلسي رحمه الله في المجلد الثامن من البحار (ص ٥٤٧ الطبع الكمباني) و الرضى توفى سنه ٤٠٦ من الهجره.

و نحن نورد ما أتى به نصر في كتاب صفين: نصر: عن عمر بن سعد، عن أبي روق أنّ أبا مسلم الخولاني قام إلى معاويه في اناس من قراء أهل الشام فقالوا يا معاويه على ما تقاتل عليا و ليس لك مثل صحبته و لا قرابته و لا سابقته؟.

قال لهم: ما اقاتل عليا و أنا أدعى أنّ لي في الاسلام مثل صحبته و لا هجرته و لا قرابته و لا سابقته، و لكن خبروني عنكم أستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوما؟ قالوا: بلى. قال: فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به و لا قتال بيننا و بينه. قالوا:

فاكتب كتابا يأتيه بعضنا.

فكتب إلى عليّ هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني، فقدم به على عليّ.

ثمّ قام أبو مسلم خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعدك فانك قد قمت بأمر و تولّيته و الله ما احبّ أنّه لغيرك إن أعطيت الحقّ من نفسك، إنّ عثمان قتل مسلما محرما مظلوما، فادفع إلينا قتلته و أنت أميرنا، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصره، و ألسنتنا لك شاهده، و كنت ذا عذر و حجّه.

فقال له عليّ: اغد عليّ غدا فخذ جواب كتابك.

فانصرف ثمّ رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الهدى جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها، ثمّ غدوا فملثوا المسجد و أخذوا ينادون:

كلّنا قتل ابن عفّان، و أذن لأبي مسلم فدخل على عليّ أمير المؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية.

فقال له أبو مسلم: قد رأيت قوما مالك معهم أمر، قال: و ما ذاك؟ قال:

بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان فضجّوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنّهم كلّهم قتله عثمان.

فقال عليّ عليه السّلام و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينيه ما رأيتته ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك، فخرج بالكتاب و هو يقول: الان طاب الضراب.

«كتاب معاوية الى أمير المؤمنين علي عليه السلام»

قال نصر بالسند المقدم: و كان كتاب معاوية إلى عليّ عليه السّلام:

بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد فإنّ الله اصطفى محمّدا بعلمه و جعله الأمين على وحيه، و الرسول إلى خلقه، و اجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده الله بهم، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام.

فكان أفضلهم فى إسلامه و أنصحهم لله و لرسوله الخليفة من بعده و خليفه خليفته و الثالث الخليفه المظلوم عثمان فكّلهم حسدت، و على كلّهم بغيت، عرفنا ذلك فى نظرك الشزر و فى قولك الهجر و فى تنفسك الصعداء، و فى إبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتّى تباع و أنت كاره.

ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان و كان أحقّهم أن لا تفعل ذلك به فى قرابته و صهره، فقطعت رحمة، و قبحت محاسنه، و ألّبت الناس عليه، و بطنت و ظهرت حتّى ضربت إليه آباط الإبل، و قيدت إليه الخيل العراب

و حمل عليه السلاح في حرم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، فقتل معك في المحلّه و أنت تسمع في داره الهائعه لا تردع الظنّ و التهمه عن نفسك فيه بقول و لا فعل.

فاقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا، و لمحى ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبه لعثمان و البغى عليه.

و اخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواءك قتله عثمان، فهم عضدك و أنصارك و يدك و بطانتك، و قد ذكر لي أنك تنصل من دمه، فان كنت صادقاً فأمكننا من قتلته نقتلهم به و نحن أسرع إليك، و إلا فإنه ليس لك و لأصحابك إلا السيف.

و الذى لا إله إلا هو لنطلبن قتله عثمان في الجبال و الرمال و البرّ و البحر حتى يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله، و السلام.

«جواب أمير المؤمنين عليه السلام الى معاويه»

قال نصر: فكتب إليه على عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبي سفيان، أميا بعد، فإنّ أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمدا صَلَّى الله عليه و آله و ما أنعم الله عليه به من الهدى و الوحي، فالحمد لله الذى صدقه الوعد، و تتم له النصر و مكن له في البلاد، و أظهره على أهل العدى و الشنان من قومه الذين و ثبوا به (و ثبوا عليه - خ ل) و شنفوا له، و أظهروا له التكذيب، و بارزوه بالعداوه، و ظاهرنا على إخراجنا و على إخراج أصحابه، و ألبوا عليه العرب و جامعوهم على حربته، و جهدوا في أمره كلّ الجهد، و قلبوا له الامور حتى ظهر أمر الله و هم كارهون، و كان أشدّ الناس عليه إلبه اسرته و الأذنى فالأذنى من قومه إلا من عصمه الله منهم.

يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا، و لقد قدمت فأفحشت، إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيه محمد صَلَّى الله عليه و آله و فينا، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى

هجر، أو كداعى مسدده إلى النضال، و ذكرت أنّ الله اجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم زعمت (كما زعمت - خ ل) في الإسلام و أنصحهم لله و رسوله الخليفة و خليفه الخليفة، و لعمري إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم، و إنّ المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد، رحمهما الله و جزاهما بأحسن الجزاء(١).

و ذكرت أنّ عثمان كان في الفضل ثالثا، فان يكن عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه، و إن يكن مسيئا فسيلقى ربّا غفورا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره.

و لعمري الله(٢) إنّى لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام و نصيحتهم لله و لرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

إنّ محمدا صلى الله عليه و آله لَمّا دعا إلى الايمان بالله و التوحيد كُنّا أهل البيت أوّل من آمن به و صدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالا- مجرّمه و ما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبينا و اجتياح أصلنا، و همّوا بنا الهموم، و فعلوا بنا الأفاعيل.

فمنعونا الميره، و أمسكوا عنّا العذب، و أحلسونا الخوف، و جعلوا علينا الأرصا و العيون، و اضطرونا إلى جبل و عر، و أوقدوا لنا نار الحرب، و كتبوا علينا بينهم كتابا لا يواكلونا، و لا يشاربونا، و لا يناكحونا، و لا يباعدونا، و لا نأمن فيهم حتّى ندفع النبيّ صلى الله عليه و آله فيقتلونه و يمثّلوا به، فلم نكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى موسم.

فغزم الله لنا على منعه و الذّبّ عن حوزته، و الرّمي من وراء حرمة،

ص: ٣٢٩

١- (١) - في البحار: و أنصحهم لله و لرسوله الخليفة الصديق، و خليفه الخليفه الفاروق و لعمري ذكرت أمرا ان تم اعتزلك كله و ان نقص لم يلحقك ثلمه، و ما انت و الصديق فالصديق من صدق بحقنا و أبطل باطل عدونا، و ما انت و الفاروق فالفاروق من فرق بيننا و بين أعدائنا و ذكرت أن عثمان كان في الفضل - إلخ، منه.

٢- (٢) في البحار: و لعمري انى لارجو. منه

و القيام بأسيافنا دونه فى ساعات الخوف و الليل و النهار، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب و كافرنا يحامى به عن الأصل.

فأما من أسلم من قريش بعد فأتهم ممّا نحن فيه أخلياء فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيره تدافع عنه، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوه و أمن، فكان ذلك ما شاء الله أن يكون.

ثم أمر الله رسوله بالهجره، و أذن له بعد ذلك فى قتال المشركين، فكان إذا احمرّ البأس و دعيت نزال، أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى أصحابه بهم حرّ الأسنّه و السيوف.

فقتل عبيده يوم بدر، و حمزه يوم احد، و جعفر و زيد يوم موته، و أراد لله من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهاده مع النبى صلى الله عليه و آله غير مرّه إلاّ- أن آجالهم عجّلت، و متيته أخرت، و الله ولىّ الإحسان إليهم، و المنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات.

فما سمعت بأحد و لا- رأيت فيهم من هو أنصح لله فى طاعه رسوله، و لا أطوع لرسوله فى طاعه ربّه، و لا أصبر على اللأواء و الضراء و حين البأس و مواطن المكروه مع النبى صلى الله عليه و آله من هؤلاء نفر الذين سميت لك، و فى المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله بأحسن أعمالهم.

و ذكرت (فذكرت - خ ل) حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم بغيى عليهم، فأما البغى فمعاذ الله أن يكون. و أمّا الإبطاء عنهم و الكراهه لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس، لأنّ الله جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه و آله قالت قريش: منّا أمير و قالت الأنصار: منّا أمير، فقالت قريش: منّا محمّد رسول الله فنحن أحقّ بذلك الأمر، فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية و السلطان فاذا استحقّوها بمحمّد صلى الله عليه و آله دون الأنصار فإنّ أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه و آله أحقّ بها منهم و إلاّ فإنّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدرى أصحابى سلموا من أن يكونوا حقّى أخذوا، أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّى هو المأخوذ و قد تركته لهم تجاوز الله عنهم.

و أمّيا ما ذكرت من أمر عثمان و قطيعتي رحمه و تأليبي عليه، فإنّ عثمان عمل ما بلغك، فصنع النَّاس ما قد رأيت، و قد علمت أنّي كنت في عزله عنه إلا أن تتجنّ فتجنّ ما بدا لك.

و أمّيا ما ذكرت من أمر قتله عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر و ضربت أنفه و عينيه، فلم أرد فعمهم إليك و لا- إلى غيرك، و لعمرى لئن لم تنزع عن غيّك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك و لا- يكلفونك أن تطلبهم في برّ و لا بحر و لا جبل و لا سهل و قد كان أبوك أتاني حين ولّى النَّاس أبا بكر فقال: أنت أحقّ بعد محمّد صلّى الله عليه و آله بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك، ابسط يدك ابايعك فلم أفل.

و أنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك و أرادته حتّى كنت أنا اللّذي أبيت لقرب عهد الناس بالكفر، مخافه الفرقة بين أهل الإسلام، فأبوك كان أعرف بحقّي منك فإن تعرف من حقّي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك، و إن لم تفعل، فسيغني (فسيغني ظ) الله عنك و السّلام.

انتهى كتابه الشريف برّمته على ما أتى به نصر في صفين و إذا قايت بينه و بين ما نقله الرّضيّ رضوان الله عليه في النهج يظهر لك أنّه - ره - أسقط كثيرا من فصول الكتاب و نقل في النهج طائفه منه.

ثمّ يوجد بعض فقرات هذا الكتاب في الكتاب الثامن و العشرين من هذا الباب أوّله قوله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاوية جوابا و هو من محاسن الكتاب، أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء - إلخ.

اللغة

(الاجتياح) اجوف واووى يقال: جاحه من باب قال و اجتاحه بمعنى أى أهلكه و استأصله. و الجوح: الاستيصال و الاهلاك.

(الهمّ) بالفتح: واحد الهموم أى القصد، أو ما تجيل لفعله و إيقاعه فكرك و الهم أيضا مصدر هممت بالشىء من باب نصر إذا نويته و عزمت عليه و قصدته.

(الفعل) بالكسر اسم الحدث جمعه فعال مثل قدح و قداح و يجمع على الأفعال أيضا، و يجمع الأفعال على الأفاعيل. و قيل: الأفاعيل جمع أفعوله و هى

الفعل الذمى و يقال لمن أثر آثارا منكرا: فعل الأفاعيل.

(العذب) بفتح أوله و سكون ثانيه: قال الراغب: ماء عذب: طيب بارد قال تعالى: «هذا عذب فرات سائغ شراؤه» - الفاطر ١٢. عذب الماء عذوبه من باب شرف: ساغ مشربه فهو عذوب و استعذبتة رأيتة عذبا و جمعه عذاب مثل سهم و سهام. و العذب أيضا: المستساغ من الطعام. و الطيب من العيش.

(أحلسونا الخوف) قال المرزوقى فى شرح الحماسه: الحلس واحد من أحلاس البيت. قال الخليل: و هو ما يبسط تحت حرّ المتاع من مسح و جوالق و نحوهما.

و فى الصحاح عن الأصمعى: الحلس للبعير و هو كساء رقيق يكون تحت البرذعه، و أحلاس البيوت ما يبسط تحت حرّ الثياب. و فى الحديث: كن حلس بيتك، أى لا تبرح، و قولهم: نحن أحلاس الخيل أى نقتنيها و نلزم ظهورها، و أحلست البعير أى ألبسته الحلس، و أحلست فلانا يمينا إذا أمرتها عليه. و أحلست السماء أى مطرت مطرا دقيقا دائما.

و فى النهايه الأثيريه: و فى حديث الفتن عدّ منها فتنة الأحلاس، الأحلاس جمع حلس و هو الكساء العدى يلى ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها و دوامها و منه حديث أبى موسى قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم أى ألزموها. و منه حديث أبى بكر: كن حلس بيتك حتى يأتىك يد خاطئه أو مته قاضيه.

فتحصّل ممّا قدّمنا فى الحلس أنّ المراد من قوله عليه السّلام «أحلسونا الخوف» أنّهم جعلوا الخوف لهم كالحلس أى جعلوه ملازما لهم من حيث إنّ الحلس ملازم ظهر البعير، و أحلاس البيوت ملازمه لها. أو أنّهم ألبسوهم الخوف و هذا كالأول يفيد أنّهم ألزموهم الخوف.

(وعر) بفتح أوله و سكون ثانيه: المكان الصلب الغليظ ضدّ السهل، يقال وعر و طريق وعر و مطلب وعر و يقال بالفارسيه: دشوار و سخت. قالت كنزه

لهفى على القوم الذين تجمّعوا بذي السّيد لم يلقوا علينا و لا عمرا

فان يك ظنى صادقا و هو صادقى بشمله يحبسهم بها محبسا وعرا

و الوعر أيضا: المكان المخيف الوحش. و الجبل الوعر: الصعب المرتقى.

(الذبّ): الدّفع و المنع. (حوزته) فى الصحاح: الحوزه: الناحيه و حوزه الملك بيضته. (الحرمه) كلقمه: ما لا يحلّ انتهاكه. (يبغى) أى يطلب.

و منه قوله صلى الله عليه و آله: ألا- إنّ الله يحبّ بغاه العلم (ج ١ من الوافى ص ٣٦) أى طلابه جمع باغ كهدهاه و هاد. (أحجم الناس) أى نكصوا و تأخروا هييه و كفّوا عن الحرب قال الجوهريّ: حجّمته عن الشىء أحجمه - بالضمّ - أى كففته عنه، يقال:

حجّمته عن الشىء فأحجم أى كففته فكفّ، و هو من النوادر مثل كببته فأكبّ.

(لم يسع) من السعى. (لا يدلى) واوى من دل و، يقال: أدلى برحمه أى توّسل بقرابته، و أدلى بحجّته أى أحضرها و احتجّ بها. و أدلى إلى الحاكم بمال أى دفعه إليه ليجعله وسيله إلى قضاء حاجته منه و فى القرآن الكريم: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» (البقره-١٨٩) و الأصل فى ذلك من دلوت الدلو و أدليتها ثم استعير للتوصّل إلى الشىء. و فى الشفاعة يقال: دلوت بفلان أى استشفعت به و لا يقال حينئذ أدليت به.

قال عصام بن عبيد الله كما فى الحماسه (الحماسه ٤٠٢) و على ما فى البيان و التبيين (ص ٣١٦ ج ٢) قال همّام الرّفاشى:

فقد جعلت إذا ما حاجتى نزلت بباب قصرك أدلوها بأقوام

قال المرزوقى فى معناه: إذا اتّفق ما لا بدّ لى منك و من معونتك من حاجه أو عارض سبب فأتى معتمد على غيرى فى التنجّز و الاستعساف، و معنى «أدلوها» من قولك دلوت الدلو إذا أخرجتها من البئر، أى أتسبّب بغيرى و أصون من التبدّل عرضى.

(لعمري) العمر بالفتح: الحياه و الدّين، قال فى أقرب الموارد: و منه

لعمري في القسم أي لديني.

(لم تنزع عن غيِّك) النزاع عن الشيء: الكف عنه. (الغَيِّ): الضلال (الشقاق) الخلاف. التكليف: الأمر بما يشق عليك من الكلفه بمعنى المشقّه.

(زور) بالفتح جاء مصدرا و غير مصدر و على الثاني يستوى فيه المفرد و المثنى و الجمع و المذكر و المؤنث. يقال: رجل زور و قوم زور و نساء زور. قال الجوهريّ الزور، الزائرون يقال: رجل زائر و قوم زور و زوار مثل سافر و سفر و سفار، و نسوه زور أيضا. زاره زورا من باب قال: أتاه بقصد الالتقاء به.

قال زياد بن حمل كما في كتاب الحماسه لأبي تمام الطائي (الحماسه ٥٧٧) أو زياد بن منقذ كما قاله الجوهريّ في مادّه قزم من الصحاح:

زارت رويقه شعنا بعد ما هجعوا لدى نواحل في أرساغها الخدم

و قمت للزور مرتاعا و أرقني فقلت أهي سرت أم عادني حلم

و الأصل في ذلك زرت فلانا أي تلقّيته بزوري أو قصدت زوره نحو و جهته و الزور أعلى الصدر.

(لقيان) بضم اللّام و كسرهما مصدر من لقيت فلانا من باب علم أي صادقته و رأيته.

الاعراب

الضميران في حوزته و حرمة يرجعان إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله كما يدلّ عليه سياق الكلام، و قوله عليه السّلام بعد ذلك «و القيام بأسيفنا دونه في ساعات الخوف و اللّيل و النهار» على ما مرّ في ذكر سند الكتاب.

«و من أسلم» الواو للحال فالجمله حالیه، أصحابه مفعول لفعل وقى و حرّ السيف مفعول ثان له.

قوله عليه السّلام «أراد من» من فاعل أراد، و مثل الّذى مفعوله و الضمير في مبيته راجع إلى من، و في أرادوا و آجالهم إلى عبيده و من بعده، و كلمه من في

من الشهاده بيايته تبين المثل.

و العمر بالفتح و الضمّ و إن كانا مصدرين بمعنى إلا أنّ المفتوح منهما يستعمل فى القسم، فاذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء و اللّام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمري قسمى أو ما أقسم به، فان لم تأت باللام نصبته نصب المصادر و فتحه الفاء فى «لتعرفنهم» ليست علامه نصب، بل هى لمكان النون المشدّده المؤكّده، لأنّ آخر الفعل المخاطب المذكّر إذا كان مؤكّدا بنونى التأكيد يفتح لثلا يلتبس بالجمع المذكّر و المفرد المؤنث إذا كانا مؤكّدين بهما.

و اختلف فى هذه الفتحه فقال ابن السّراج و المبرّد و الفارسى: بناء للتركيب و قال سيبويه و السيرافى و الرّجاج: عارضه للسّاكنين و هما آخر الفعل و النون الأولى، و محلّ يطلّبونك نصب مفعولا ثانيا لتعرفنهم بمعنى لتعلمنهم.

«طلبهم» منصوب، أى لا يكلفونك فى طلبك إيّاهم فى برّ و لا بحر - إلخ.

«لقبانه» الضمير فيه راجع إلى الزور فان كان الزور مصدرا كما هو الظاهر من سياق الكلام حيث جعل قبال الطلب فالأمر ظاهر، و إن كان اسم جمع بمعنى الزائرين فإفراد الضمير باعتبار إفراد لفظ الزور، و هذا لا يخلو من تكلف.

المعنى

إشارة

قد أشار عليه السّلام فى هذا الكتاب المستطاب إلى طائفه من فضائله و حمايه أهل بيت النبىّ من المسلم و الكافر النبىّ صلّى الله عليه و آله عن الأعداء، و إلى نبذه ممّا دار بين المسلمين و المشركين و غيرها ممّا سنتلّوها عليكم. و قد أجاب عليه السّلام عن كلّ فصل من كتاب معاويه بفصل و ذلك لما يلى:

قوله عليه السّلام: (بسم الله الرحمن الرحيم من علىّ أمير المؤمنين - إلى قوله إلا من عصمه الله منهم) قد أشار فى هذا الفصل بعد حمد الله و ثنائه إلى ما فعل أهل العدى و الشنان من قومه صلّى الله عليه و آله به حيث كذبوه و بارزوه بالعداوه و شنفوا له أى أبغضوه حتّى ظاهروا علىّ إخراجهم من مكّه و حرّضوا العرب علىّ حربته صلّى الله عليه و آله، و لم يقصّروا فى شىء كان يؤذيه من قول أو فعل إلا فعلوه، و كانت عداوتهم به صلّى الله عليه و آله و اغره فى

صدورهم حتى أجمعوا في قتله، و لكنَّ الله تعالى صدَّقه الوعد، و تمَّ له النصر و مكنَّ له في البلاد، و أظهره عليهم، قال: عزَّ من قائل «كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (المجادله - ٢٢).

ثمَّ ذكر أنَّ أسرته أى أهله كانوا أشدَّ النَّاس به صَلَّى اللهُ عليه و آله إلبه و عداوه، و فيه تعريض بما فعل أبو سفيان و شيعته به صَلَّى اللهُ عليه و آله من أنحاء الايذاء و أنواع المعاداة، و كان أبو سفيان يحثُّ النَّاس و يحرضهم على قتاله و قتله.

ثمَّ استثنى عليه السَّلام من الاسره من عصمهم الله، أى حفظهم و وقاهم من إيذائه صَلَّى اللهُ عليه و آله، بل و قَّهم الله بنصره و عزم لهم على منعه و الذَّبَّ عن حوزته و المراد من قوله عليه السَّلام: «إِلَّا مَنْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ» هو من عصمهم الله بالاسلام منهم و كانوا يومئذ قليلين، كما فى السيره الهشاميه (ص ٢٦٤ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) قال ابن اسحاق: فلما بادی رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله قومه بالاسلام و صدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه، و لم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم و عابها فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه و أجمعوا على خلافه و عداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام و هم قليل مستخفون.

أو أراد بمن عصمهم الله نفسه و أباه أبا طالب و العباس و حمزه ممن حذب على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و قام دونه و وقاه عن أذى النَّاس و حماه و إن لم يكن بعضهم أسلم بعد كما سيَّضح لك بعيد هذا.

قوله عليه السَّلام: (يا ابن هند فلقد - إلى قوله: أن يغفره) أجب عليه السَّلام بهذا الفصل عمَّا كتب إليه معاويه من: «أنَّ الله تعالى اجتبى له صَلَّى اللهُ عليه و آله من المسلمين أعوانا أيده الله بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام».

غرضه أنَّ هذا الأمر كان له عليه السَّلام أوضح و أبين، و أنه عليه السَّلام كان أعلم به من غيره، لأنَّه عليه السَّلام كان صاحب لواء رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله فى كلِّ زحف و كان أوَّل من آمن به، و أوَّل من صَلَّى معه، و ما رأى أحد من المسلمين مثل عنائه فى الحروب و لم يشركه أحد فى حمايه الدين و الذَّبَّ عن حوزته و فى خذلان أهل الكفر و العدوان

و إرغام شيعه الشيطان.

و العجب من معاويه يخبره عليه السّلام بذلك و لم يكن له سعى فى الدّين و لذا قال له الأمير عليه السّلام تهكّما به: يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجبا.

قوله عليه السّلام: «كجالب التمر إلى هجر» مثل يضرب به لمن يجىء بالعلم إلى من هو أعلم منه، و يأتى بشىء إلى من كان أصل ذلك الشىء عنده، كما يقال بالفارسيه: لقمان را حكمت آموخت، قطره بدریا فرستاد، زيره بكرمان برد خرما بعربستان فرستاد، و لا ريب أنّ هذا العمل خطأ و عامله مخطئ.

قال الميدانئى فى فصل الكاف المفتوحه من الباب الثانى و العشرين من مجمع الأمثال فى بيان مثل «كاستبضع التمر إلى هجر»: قال أبو عبيده: هذا من الأمثال المبتذله و من قديمها و ذلك أنّ هجر معدن التمر و المستبضع إليه مخطئ، و يقال أيضا: كاستبضع التمر إلى خبير. قال النابغه الجعدى:

و إنّ امرأ أهدى إليك قصيده كاستبضع تمرا إلى أهل خبيرا

و هجر محرّكه اسم بلد معروف باليمن. و قال آخر:

أهدى كاستبضع تمرا إلى هجر أو حامل و شىء أبراد إلى يمن

و قوله عليه السّلام: «أو كداعى مسدده إلى النضال» مثل كأول، أى كمن يدعو من يعلمه الرّمى إلى المناضله أى المراماه.

و الغرض أنّ إخبار معاويه أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام بأنّ الله اجتبى للرسول أعوانا من المسلمين أيّده الله بهم، كمن جلب التمر إلى هجر أو كمن دعى مسدده إلى النضال، لأنّه عليه السّلام كان لرسول الله صلّى الله عليه و آله ظهيرا فى كلّ شدّه و عناء من ابتداء دعوته صلّى الله عليه و آله إلى الاسلام إلى لقائه الملك العالم.

و لذا قال عليه السّلام: يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدّهر منك عجبا، و لقد قدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى فى نبيّه محمّد صلّى الله عليه و آله و فينا، فكنت فى ذلك كجالب التمر إلى هجر - إلخ، و لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: «و لعمر الله إننى لأرجو - إلى قوله: نصيبنا فى ذلك الأوفر»

معنى لعمر الله، أحلف ببقاء الله و دوامه، و الغرض من هذا الفصل جواب عما قال معاوية «من أن الله اجتبي للرسول صلى الله عليه و آله أعوانا - إلى قوله: على قدر فضائلهم في الاسلام».

ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام عوننا لرسول الله صلى الله عليه و آله في الشدائد، و لم يبلغ إلى رتبة حمايته عن الدين و لا إلى قدر فضيلته في الاسلام وزنه نصيحته لله و لرسوله أحد، و لا اخال إنسانا ينكرها، قال عليه السلام: إننى لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الاسلام و نصيحتهم لله و رسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٤٩ ج ٢ طبع مصر ١٢٤٦ هـ):

و الأشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله الفضل هي السبق إلى الإيمان، و الهجرة، و النصره لرسول الله صلى الله عليه و آله، و القربى منه، و القناعه، و بذل النفس له و العلم بالكتاب و التنزيل، و الجهاد في سبيل الله، و الورع، و الزهد، و القضاء و الحكم، و العفة، و العلم، و كل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الأوفر و الحظ الأكبر مضافا إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه و آله حين آخى بين أصحابه:

أنت أخي، و هو صلى الله عليه و آله لا ضد له و لا ندد، و قوله صلى الله عليه و آله: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، و قوله صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، ثم دعاه صلى الله عليه و آله و قد قدم إليه أنس الطائر: اللهم ادخل إلى أحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فدخل عليه على عليه السلام إلى آخر الحديث، فهذا و غيره من فضائله.

قوله عليه السلام: «إن محمدا صلى الله عليه و آله لما دعى إلى الإيمان بالله و التوحيد كنا أهل البيت أول من آمن به و صدق بما جاء به» توافرت الأخبار من الفريقين أن عليا أمير المؤمنين عليه السلام كان أول ذكر أسلم مع رسول الله صلى الله عليه و آله و أول من كان صلى الله عليه و آله معه صلى الله عليه و آله. هذا لو سلمنا أنه عليه السلام لم يكن أول من أسلم معه فقد قال أبو جعفر الطبري في التاريخ (ص ٥٦ ج ٢): حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع عن شعبه، عن عمرو بن مژه، عن أبي حمزه مولى الأنصار، عن زيد بن أرقم قال:

أول من أسلم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ يَقُولُ: أَوَّلُ رَجُلٍ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِي السِّيَرَةِ الْهَشَامِيَّةِ (ص ٢٤٥ ج ١): قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ رِضْوَانَ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ.

وَفِي السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ (ص ٣٠٣ ج ١): فِي الْمَرْفُوعِ عَنْ سَلْمَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُودًا عَلَيَّ الْحَوْضِ أَوَّلُهَا إِسْلَامًا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُخْتَارِ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي بَلِجٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ.

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى الضَّرِيرُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَحْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا شَرِيكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الْثَلَاثَاءِ.

وَقَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي التَّارِيخِ: (ص ١٧ ج ٢): كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مِنَ النِّسَاءِ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الرِّجَالِ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ (ص ٥٦ ج ٢): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التَّرْمِذِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ عَنْ الْمَنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخُو رَسُولِهِ، وَأَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ مُفْتَرٌ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ.

وَقَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ خَثِيمٍ عَنْ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْبَجَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَفِيفٍ، عَنْ عَفِيفٍ قَالَ: جِئْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى مَكَّةَ فَتَزَلْتُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَحَلَقْتُ فِي السَّمَاءِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْكَعْبَةِ أَقْبَلَ شَابًّا فَرَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ فَقَامَ مُسْتَقْبِلَهَا فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى جَاءَ غُلَامٌ فَقَامَ عَنْ يَمِينِهِ، قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ حَتَّى جَاءَتْ أَمْرَأَةٌ فَقَامَتْ

خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام و المرأه، فرقع الشاب فرقع الغلام و المرأه فخرّ الشاب ساجدا فسجدا معه. فقلت: يا عباس أمر عظيم فقال: أمر عظيم، أ تدرى من هذا؟ فقلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخى، أ تدرى من هذا معه؟ قلت: لا. قال: هذا على بن أبى طالب بن عبد المطلب، ابن أخى. أ تدرى من هذه المرأه التى خلفهما؟ قلت: لا. قال: هذه خديجه بنت خويلد زوجه ابن أخى و هذا حدّثنى إنّ ربّك ربّ السّماء أمرهم بهذا الذى تراهم عليه و أيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

أقول: و قد رواه ابن الأثير فى اسد الغابه فى ترجمه عفيف هذا و هو عفيف الكندى.

بيان: قوله: استقبل الكعبه، و اعلم أنّ الكعبه زادها الله شرفا لم تكن عندئذ قبله، و أنّ النبىّ صلّى الله عليه و آله صلّى إلى بيت المقدس بعد النبوه ثلاث عشره سنه بمكّه و تسعه عشر شهرا بالمدينه، ثم صرفه الله تعالى عن البيت المقدس إلى الكعبه.

و فى السيره الهشاميه (ص ٦٠٦ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ). قال ابن اسحاق:

و يقال: صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانيه عشر شهرا من مقدم رسول الله صلّى الله عليه و آله المدينه.

و فى إزاحه العله فى معرفه القبلة لأبى الفضل شاذان بن جبرئيل القمى: قال معاويه بن عمّار: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: متى صرف رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى الكعبه؟ قال:

بعد رجوعه من بدر و كان يصلّى بالمدينه إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم أعيد إلى الكعبه.

و فى القانون المسعودى للعلامه أبى الريحان البيرونى (ص ٢٥٦ ج ١ طبع حيدر آباد الدكن): صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبه لصلاه العصر كان فى اليوم السادس عشر من شعبان.

و قول عفيف بأنّه صلّى الله عليه و آله قام للصلاه مستقبل الكعبه يوافق ما روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله طول مقامه بمكّه كان يجعل الكعبه بينه و بين بيت المقدس إذا أمكن كما

رواه الشيخ الجليل فى الاحتجاج باسناده إلى أبى محمد العسكرى عليه السّلام.

و فى السيره النبويه لابن هشام: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكّه و قبلته إلى الشام فكان إذا صلّى بين الركن اليماني و الحجر الأسود، و جعل الكعبه بينه و بين الشام (ص ٢٩٨ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ).

و لنا رساله مفرده فى الوقت و القبلة أتينا فيها بجميع ما يجب أن يعلم فيهما من طرق معرفه خط الزوال تنتهى إلى ثلاثين طريقا، و طرق تحصيل سمت القبلة و بيان أخبارهما و غيرها ببراهين هندسيه و أدله فقهيه ما إخال بغاه العلم يستغنون عنها أو يبغون لها بدلا.

و قال أبو جعفر الطبرى: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمه عن ابن اسحاق قال: كان أول ذكر آمن برسول الله صلّى الله عليه و آله علىّ بن أبى طالب و هو يومئذ ابن عشر سنين و كان ممّا أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أنّه كان فى حجر رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل الإسلام.

و قد تظافرت الأخبار بأنّه عليه السّلام قد ربّى فى حجر رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل الاسلام فى السيرتين و تاريخ الطبرى و غير واحد من الكتب المدوّنه فى ذلك من الفريقين و قد أتى أبو جعفر الطبرى بما أتى به ابن هشام فى السيره من غير تغيير.

قال الطبرى: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمه قال: حدّثنى محمد بن إسحاق قال. فحدّثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر أبى الحجاج قال: كان من نعمه الله على علىّ بن أبى طالب و ما صنع الله له و أراد به من الخير أنّ قريشا أصابتهم أزمه شديده و كان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله للعباس عمّه و كان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال و قد اصاب الناس ما ترى من هذه الأزمه فانطلق بنا فلنحفّف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا و تأخذ من بنيه رجلا فنكفهما عنه.

قال العباس: نعم فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا: إنّنا نريد أن نخفّف

عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي فامن به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

وقال: حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمة قال: فحدّثني محمد بن إسحاق قال: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا حضرت الصلاه خرج إلى شعاب مكه وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه و سائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها، فاذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله:

يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين آيينا إبراهيم، أو كما قال صلى الله عليه وآله بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال، فقال أبو طالب: يا ابن أخي إنّي لا أستطيع أن افارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما حييت انتهى ما رواه أبو جعفر عن ابن إسحاق وفي السير الهشاميه أتى بمثل ما أتى به الطبري إلا أنّ فيه «ما بقيت» مكان «ما حييت» يعني أنّ أبا طالب قال له صلى الله عليه وآله ولكن لا يوصل إليك مكروه ما دام لى الحياه والبقاء، أي أذفع عنك شرّ الناس وأذاهم، وسنشير إلى إسلام أبي طالب إنشاء الله تعالى.

وفي السير و تاريخ الطبري: ذكروا أنّ أبا طالب قال لعلي عليه السلام: أي بنى ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله و برسول الله صلى الله عليه وآله و صدقته بما جاء به، و صلّيت معه لله و اتّبعته، قالوا: فزعموا أنّه قال له: أما إنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

فى الإرشاد للمفید قدس سرّه: فأما مناقب أمير المؤمنين على عليه السّلام الغيّه لشهرتها و تواتر النقل بها و إجماع العلماء عليها عن إيراد أسانيد الأخبار فهى كثيره يطول بشرحها الكتاب، و فى رسمنا منها طرفا كفايه عن إيراد جميعها فى الغرض الذى وضعنا له هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك أنّ النبىّ صلّى الله عليه و آله جمع خاصّه أهله و عشيرته فى ابتداء الدّعوة إلى الإسلام، فعرض عليهم الايمان، و استنصرهم على أهل الكفر و العدوان، و ضمن لهم على ذلك الحظوه فى الدّنيا و الشرف و ثواب الجنان، فلم يجبّه أحد منهم إلا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فنحله بذلك تحقيق الاخوه و الوزاره، و الوصيّه و الوراثه و الخلافه، و أوجب له به الجنّه.

و ذلك فى حديث الدّار الّذى أجمع على صحّته نقّاد (نقله - خ ل) الاثار حين جمع رسول الله صلّى الله عليه و آله بنى عبد المطّلب فى دار أبى طالب و هم أربعون رجلا يومئذ يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيما ذكره الرواه، و أمر أن يصنع لهم طعاما فخذ شاه مع مدّ من برّ و يعدّ لهم صاع من اللّبن، و قد كان الرجل منهم معروفا بأكل الجذعه فى مقام واحد و بشرب الفرق من الشراب فى ذلك المقعد.

فأراد عليه و آله السّلام باعداد قليل الطّعام و الشراب لجماعتهم إظهار الايه لهم فى شعبهم و ريّهم ممّا كان لا يشبع واحدا منهم و لا يرويه، ثمّ أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعه كلّها من ذلك اليسير حتّى تملّوا منه و لم يبين ما أكلوه منه و شربوه فيه فبهرهم بذلك و بيّن لهم آيه نبوّته و علامه صدقه ببرهان الله تعالى فيه.

ثمّ قال لهم بعد أن شبعوا من الطّعام و رروا من الشراب: يا بنى عبد المطّلب إنّ الله بعثنى إلى الخلق كافّه و بعثنى إليكم خاصّه فقال «و أنذر عشيرتك الأقربين» و أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين فى الميزان، تملكون بهما العرب و العجم، و تنقاد لكم بهما الأمم، و تدخلون بهما الجنّه، و تنجون بهما من النّار: شهاده أن لا إله إلا الله و أنّى رسول الله.

فمن يجيبنى إلى هذا الأمر و يوازرنى عليه و على القيام به يكن أخى و وصّى

و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى. فلم يجبه أحد منهم.

فقال أمير المؤمنين: فقامت بين يديه من بينهم و أنا إذ ذاك أصغرهم سنًا، و أحمرهم ساقًا، و أرمصهم عينًا، فقلت: أنا يا رسول الله اوازرك على هذا الأمر.

فقال صَلَّى الله عليه و آله: اجلس. ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا، فقامت أنا و قلت مثل مقالتي الأولى، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقامت و قلت: أنا اوازرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: اجلس فأنت أختى و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى.

فنهض القوم و هم يقولون لأبى طالب: يا أبا طالب ليهنئك اليوم ان دخلت فى دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميرًا عليك.

ثم قال - ره -: و هذه منقبه جليله اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام و لم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين و لا الأنصار و لا أحد من أهل الاسلام، و ليس لغيره عدل لها من الفضل، و لا مقارب على حال، و فى الخبر بها ما يفيد أن به عليه السلام تمكن النبي صَلَّى الله عليه و آله من تبليغ الرساله، و إظهار الدعوه، و الصدع بالإسلام، و لولاه لم تثبت المله، و لا استقرت الشريعه، و لا ظهرت الدعوه.

فهو عليه السلام ناصر الإسلام، و وزير الداعى إليه من قبل الله عزّ و جلّ، و بضمانه لنبيّ الهدى عليه و آله السلام نصره تم له فى النبوه ما أراد و فى ذلك من الفضل ما لا يوازنه الجبال فضلًا، و لا تعادله الفضائل كلّها محلا و قدرا. انتهى كلامه - ره - فى الإرشاد.

تنبيه

: ما نقله المفيد رحمه الله فى الإرشاد أتى به أبو جعفر الطبرى فى التاريخ فراجع إلى - ص ٦٢ ج ٢ - منه، فتبصّر أنّ خليفه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله كان من بدء الأمر متعينًا و صرح رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بأنّ عليًا عليه السلام هو أخوه و وصيّه و وزيره و وارثه و خليفته من بعده فمن قال بغيره فقد سلك غير سبيل الله و رسوله.

و قال ابن الأثير فى اسد الغابه: و هو يعنى أمير المؤمنين عليًا عليه السلام أول الناس

إسلاماً في قول كثير من العلماء على ما نذكره - إلى أن قال: حدّثنا محمّد بن عيسى حدّثنا محمّد بن بشار و ابن مثنى قالوا: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبه عن عمرو بن مره عن أبي حمزه رجل من الأنصار، عن زيد بن أرقم قال: أوّل من أسلم علىّ. و روى باسناده عن ابى بلخ عن ابن عباس قال: أوّل من أسلم علىّ.

و باسناده عن انس بن مالك قال: بعث النبيّ صلّى الله عليه و آله يوم الإثنين و أسلم علىّ يوم الثلاثاء.

و باسناده عن حبه العرنى قال: سمعت عليّاً يقول: أنا أوّل من صلّى مع النبيّ صلّى الله عليه و آله.

و باسناده عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لقد صلّت الملائكة علىّ و علىّ علىّ سبع سنين و ذاك أنّه لم يصلّ معى رجل غيره.

و الروايات من الفريقين فى أنّه عليه السّلام كان أوّل من أسلم و أوّل من صلّى معه صلّى الله عليه و آله أكثر من أن يحصى.

فان قلت: قد توجد روايات فى أنّ أبابكر كان أوّل من أسلم فكيف التوفيق؟ قلت: من تتبّع الجوامع علم أنّ المسلم عند الفحول من المحقّقين هو ما قدّمنا و من ذهب إلى خلافه فحجّته داحضه بلا مريبه و ريب، و لم يرض أحد ممّن جانب المراء و التعصّب بتقدّم إسلام أبى بكر، و كفاك فى ذلك قول جليل من كبار أهل السنّه برّد من وهم ذلك.

قال الحلبيّ الشافعيّ فى كتابه انسان العيون فى سيره الأمين و المأمون المعروف بالسيره الحلبيّه (ص ٣١١ - ج ١) بعد ما ذهب إلى أنّه عليه السّلام كان أوّل من أسلم: و قول بعض الحفّاظ أنّ أبابكر أوّل الناس إسلاماً هو المشهور عند الجمهور من أهل السنّه لا ينافى ما تقدّم من أنّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً بعد خديجه، ثمّ مولاه زيد بن حارثه، لأنّ المراد أوّل رجل بالغ ليس من الموالى أبو بكر، و من الصبيان علىّ و من النساء خديجه، و من الموالى زيد بن حارثه، إلى آخر ما قال.

ثم إن إسلامه عليه السّلام و هو ابن عشر سنين أو ابن خمس عشر سنه، أو ابن ثمان سنين و إن كان الأخير فما دونه يخالف المشهور و يضادّ المعروف و روايته شاذّه مطروده إنّما كان لسعه قلبه و كمال عقله و شرح صدره، و ليس ذلك ممّن اجتبه الله تعالى بمستنكر، كيف و قد نطق القرآن الحكيم بنظائره:

قال في يحيى عليه السّلام: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناها الحكم صبيّاً» (مريم - ١٣) و في عيسى عليه السّلام: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهيد صبيّاً قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبياً و جعلني مباركاً أين ما كنت و أوصاني بالصلاه و الزّكاه ما دمت حياً» الايات (مريم ٣٠-٣٤).

فكم ضلّ و نصب العداوه كالتناصبه الذاهبه إلى أنّ ايمانه عليه السّلام في تلك الحاله إنّما كان على وجه التقليد و التلقين و ما كان بهذه المنزله لم يستحقّ صاحبه المدحه و لم يجب له به الثواب و كان هو حينئذ ابن سبع سنين فلم يكن كامل العقل و لا مكلفاً فراجع إلى البحار (ص ٣٢٧ ج ٩ من الطبع الكمباني).

على أنّ ظاهر قوله تعالى: «و أنذر عشيرتك الأقربين» يدلّ على أنّه عليه السّلام كان في موضع التكليف و كان ممّن دعاه رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى الاسلام، و قد تقرّر في الفقه إمكان من بلغ عشرة اعقلا من الذكور أن يبدو منه بعض آثار التكليف من إنبات الشعر و حصول الاحتلام و علامه البلوغ ليست بمنحصره في العدد.

ثم لو لم يكن دالا على أنّه عليه السّلام كان في موضع التكليف ليدلّ على كمال فضله و حصول معرفته بالله و برسوله و على أنّه عليه السّلام كان من آيات الله الخارقه للعادة و على اختصاصه و تأهيله لما رسخه الله له من الامامه و الحجّه على الخلق فجرى في خرق العاده مجرى عيسى و يحيى عليهما السّلام كما قدّمنا، فلو لا أنّه عليه السّلام كان كاملا و هو من أبناء عشر فما دونها لما كلفه رسول الله صلّى الله عليه و آله من الإقرار بنبوته، و لا دعاه إلى الاعتراف بحقه، و لا افتتح به الدّعوه قبل جميع الرّجال.

قال المسعودي في مروج الذهب (ص ٤٠٠ ج ١ طبع مصر ١٣٤٦ هـ): و قد تنوزع في عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فذهب كثير من الناس إلى أنّه لم يشرك بالله شيئا

فيستأنف الاسلام، بل كان تابعا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي جَمِيعِ فِعَالِهِ، مُقْتَدِيًا بِهِ، وَبَلِغٌ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ. وَ أَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ وَ سَدَّدَهُ وَ وَقَّعَهُ لِتَبَعِيَّتِهِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُمَا كَانَا غَيْرَ مُضْطَرِّينَ، وَ لَا مُجْبُورِينَ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، بَلِ مُخْتَارِينَ قَادِرِينَ فَاخْتَارَا طَاعَةَ الرَّبِّ وَ مُوَافَقَةَ أَمْرِهِ وَ اجْتِنَابَ مِنْهَيَّاتِهِ.

وَ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ، وَ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَاهُ وَ هُوَ مَوْضِعُ التَّكْلِيفِ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» وَ كَانَ بَدْؤُهُ بَعْلِى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَ تَبِعَهُمْ لَهُ.

وَ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى غَيْرَ مَا وَصَفْنَا، وَ هَذَا مَوْضِعٌ قَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الشَّيْعَةِ وَ قَدْ احْتَجَّ كُلُّ فَرِيقٍ لِقَوْلِهِ. وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالنَّصِّ فِي الْإِمَامَةِ وَ الْإِخْتِيَارِ. وَ أَرْضُ (كَذَا) كُلِّ فَرِيقٍ وَ كَيْفِيَّةُ إِسْلَامِهِ وَ مَقْدَارُ سَنِيهِ قَدْ أَتَيْنَا عَلَى الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ عَلَى الشَّرْحِ وَ الْإِيضَاحِ فِي كِتَابِنَا الْمُرْجَمِ بِكِتَابِ الصَّفْوَةِ فِي الْإِمَامَةِ، وَ فِي كِتَابِ الْإِسْتِنصَارِ، وَ فِي كِتَابِ الزَّاهِي، وَ غَيْرِهِ مِنْ كِتَابِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى. انْتَهَى كَلَامُهُ - رَه - .

أَقُولُ: أَمَّا قَوْلُهُ - رَه - : فَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا - إِخ، فَكَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَ الْجُودَةِ وَ الْمَتَانَةِ لَمَّا بَرَهْنَا فِي شَرْحِ الْمَخْتَارِ ٢٣٧ مِنْ بَابِ الْخُطْبِ أَنَّ النَّبِيَّ وَ وَصِيَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَا مَعْصُومِينَ مُطْلَقًا فِعْلًا وَ قَوْلًا وَ ذَاتًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَأْبَى وَ يَنْفِرُ عَنْهُ الطَّبَعُ السَّلِيمُ وَ الْعَقْلُ النَّاصِعُ، وَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَ أَنْحَاءِ الظُّلْمِ وَ الشَّرْكِ فَإِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَعْتَبَرُ فِي التَّبْلِيغِ كَالْعَصْمَةِ عَنِ الْخُطْأِ فِي تَلْقَى الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ إِنْ كَانَ نَبِيًّا، وَ الْعَصْمَةُ عَنِ الْخُطْأِ فِي التَّبْلِيغِ سِوَاءِ كَانَ نَبِيًّا أَوْ وَصِيًّا.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ: وَ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ - إِخ، فَقَدْ دَرَيْتُ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ.

قَوْلُهُ: وَ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَاهُ وَ هُوَ مَوْضِعُ التَّكْلِيفِ، فَقَدْ دَرَيْتُ تَفْصِيلَ الْكَلَامِ فِيهِ وَ أَمَّا قَوْلُهُ: وَ كَانَ بَدْؤُهُ بَعْلِى - إِخ، فَنَعْمَ مَا تَمَسَّكَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: إِذْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ.

و أما قوله: و منهم من قال بالنصّ - إلخ، فقد علمت من مباحثنا السالفه يجب أن يكون الإمام منصوباً و منصوباً من الله تعالى و رسوله.

و أمّا قوله: و غيره من كتبنا فى هذا المعنى فمن ذلك الغير رساله اثبات الوصيه لعلّى بن أبى طالب عليه السّلام و قد عدّها النجاشى و غيره من مصنّفى الكتب الرّجاليه من كتبه و قد طبعت هذه الرّساله فى عاصمه طهران سنه ١٣١٨ هـ و قد شكّ فيها بأنّها هل هى تلك الرّساله من المسعودى أو هى غيرها لغيره.

و قد عدّه العامّه من علمائهم و على ظهر كتابه مروج الذهب المطبوع فى مصر عدّوه من الشافعيّه، و لكنّه و هم، و هو - ره - من كبار علماء الإماميه و من فقهاءهم، و قد نقل أقواله الفقيه صاحب الجواهر قدّس سرّه فى غير موضع. كان رحمه الله معاصراً للصدوق و هو منسوب إلى مسعود الصحابى والد عبد الله بن مسعود كما فى مقاله الثالثه من الفنّ الثالث من الفهرست لابن النديم فراجع إلى الكتب الرّجاليه للإماميه كفهرست النجاشى و خلاصه العلامه و جامع الرواه للأردبيلى و رجال المامقانى و فى الفائده الثانيه من خاتمه المستدرک للمحدّث النورى ص ٣١٠ و غيرها.

قوله عليه السّلام: «فلبثنا أحوالاً مجرّمه و ما يعبد الله فى ربيع ساكن من العرب غيرنا» الحول: السنه يجمع على الأحوال، و المجرّم التامّ الكامل أى سنين تامّه و الربيع: الدار و المحلّه و قيل: الربيع المنزل فى الرّبيع خاصّه. و قد مضى الخبر عن أبى جعفر الطبرى أنّفا فى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل الناس بسبع سنين.

قوله عليه السّلام: «فأراد قومنا قتل نبيّنا - إلى قوله و أوقدوا لنا نار الحرب» ما لقى رسول الله صلّى الله عليه و آله من قومه من الأذى أكثر من أن يحصى و أشهر من أن يذكر حتّى قال صلّى الله عليه و آله: ما اودى نبيّ مثل ما اوديت، كيف لا و قد رموه بالسحر و الجنون و هو خاتم النبيّين و أفضل الرّسل و العقل الكلّ.

ففى السيره النبويه لابن هشام: قال ابن اسحاق: ثمّ إنّ قريشا اشتدّ أمرهم

للشقاء العذى أصابهم فى عداوه رسول الله صلى الله عليه وآله و من أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وآله سفهاءهم، فكذبوه و آذوه و رموه بالشعر و السحر و الكهانه و الجنون، و رسول الله صلى الله عليه وآله مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم و اعتزال أوثانهم و فراقه إياهم على كفرهم (ص ٢٨٩ ج ١).

ثم قال فى عدوان المشركين و قسوه قريش على من أسلم: قال ابن إسحاق:

ثم إنهم عدوا على من أسلم و أتبع رسول الله صلى الله عليه وآله من أصحابه، فوثبت كل قبيله على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم و يعدّبونهم بالضرب و الجوع و العطش، و برمضاء مكّه إذا اشتدّ الحرّ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدّه البلاء الذى يصيبه، و منهم من يصلب لهم و يعصمه الله منهم، ثم ذكر تعذيب قريش بلالا و عمّار بن ياسر و أباه ياسرا و أمه سميه و غيرهم (ص ٣١٧ ج ١).

و قال ابن إسحاق كما فى السيره لابن هشام: حدّثنى حكيم بن جبير عن سعيد ابن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أ كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم؟ قال: نعم و الله، إن كانوا ليضربون أحدهم و يجيعونه و يعطّشونه حتّى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدّه الضرّ الذى نزل به حتّى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتّى يقولوا له: اللآت و العزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم حتّى أنّ الجعل ليمرّ بهم فيقولون له: أ هذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم اقتداء منهم ممّا يبلغون من جهده. (ص ٣٢٠ ج ١).

و بالجملة أنّ إيذاء القوم بالمسلمين بلغ إلى غايه، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين أن يهاجروا إلى أرض الحبشه، فخرجوا مخافه الفتنة و فرارا إلى الله بدينهم و أقام المسلمون بأرض الحبشه حتّى ولد لهم الأولاد و جميع أولاد جعفر بن أبى طالب و لدوا بأرض الحبشه و لم يزالوا بها فى أمن و سلامه.

و المروى عن أحمد فى مسنده عن ابن عباس قال: إنّ الملاء من قريش اجتمعوا فى الحجر فتعاهدوا باللآت و العزى و مناه الثالثه الاخرى، و قد رأينا محمّدا

قمنا إليه قيام رجل واحد فلا يفارقه حتى يقتله.

قال: فأقبلت فاطمه عليهما السَّلام حتى دخلت عليه صَلَّى اللهُ عليه وآله فأخبرته بقولهم وقالت له لو قد رأوك لقتلوك و ليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنى اربنى وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه غَضُّوا أبصارهم ثم قالوا:

هو ذا، ثم لم يقم إليه منهم أحد فأقبل صَلَّى اللهُ عليه وآله حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضه من تراب فحصىهم بها وقال: شامت الوجوه، فما أصاب رجل منهم شيء إلا قتل يوم بدر كافراً.

قال أبو جعفر الطبرى: حدَّثنا ابن حميد قال: حدَّثنا سلمه عن محمد بن إسحاق (١) قال: لما رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله وعمه أبى طالب وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشه فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله إلى أرض الحبشه مخافه الفتنة و فرارا إلى الله عزَّ و جلَّ بدينهم، فكانت أول هجره كانت فى الاسلام إلى أن قال:

ولما استقرَّ بالَّذين هاجروا إلى أرض الحبشه القرار بأرض النجاشى و اطمانوا تامرت قريش فيما بينها فى الكيد بمن ضوى إليها من المسلمين، فوجهوا عمرو بن العاص و عبد الله بن أبى ربيعه بن المغيره المخزومى إلى النجاشى لتسليم من قبله و بأرضه من المسلمين إليهم، فشخص عمرو و عبد الله إليه فى ذلك فنفاذا لما أرسلهما إليه قومهما فلم يصلوا إلى ما أميل قومهما من النجاشى، فرجعا مقبوحين و أسلم عمر بن الخطاب.

فلما أسلم و كان رجلاً جليداً منيعاً، و كان قد أسلم قبل ذلك حمزه بن عبد المطلب و وجد أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فى أنفسهم قوه و جعل الإسلام يفسو فى القبائل، و حمى النجاشى من ضوى إلى بلده منهم.

ص: ٣٥٠

١- (١) و نقله ابن هشام عن ابن اسحاق فى السيره ص ٣٢١ ج ١.

اجتمعت قريش فائتمرت بينها أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا إلى بنى هاشم و بنى المطلّب و لا ينكحوهم، و لا يبيعوهم شيئا و لا يتاعوا منهم.

فكتبوا بذلك صحيفه و تعاهدوا و توثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفه فى جوف الكعبه توكيدا بذلك الأمر على أنفسهم.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلّب إلى أبى طالب، فدخلوا معه فى شعبه و اجتمعوا إليه فى شعبه، و خرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلّب إلى قريش و ظاهرهم عليه فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إلى أحد منهم شىء إلا سراً مستخفيا به ممّن أراد صلتهم من قريش.

و فى السيره النبويه لابن هشام عن ابن إسحاق: و كان كاتب الصحيفه منصور بن عكرمه، و يقال: النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله فسلّ بعض أصابعه.

قال اليعقوبى فى التاريخ (ص ٢٢ ج ٢): و همّت قريش بقتل رسول الله صلّى الله عليه و آله و أجمع ملاحا على ذلك و بلغ أبا طالب فقال:

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

و دعوتنى و زعمت أنك ناصح و لقد صدقت و كنت ثمّ أمينا

و عرضت دينا قد علمت بآئه من خير أديان البريه دينا

فلما علمت قريش أنّهم لا يقدرّون على قتل رسول الله صلّى الله عليه و آله، و أنّ أبا طالب لا يسلمه و سمعت بهذا من قول أبى طالب، كتبت الصحيفه القاطعه الظالمه أن لا يبيعوا أحدا من بنى هاشم و لا يناكحوهم و لا يعاملونهم حتى يدفعوا إليهم محمّدا صلّى الله عليه و آله فيقتلوه و تعاقدوا على ذلك و تعاقدوا و ختموا على الصحيفه بثمانين خاتما، و كان الذى كتبها منصور بن عكرمه فسلّت يده.

ثمّ حصرت قريش رسول الله صلّى الله عليه و آله و أهل بيته من بنى هاشم و بنى المطلّب بن عبد مناف فى الشعب الذى يقال له: شعب بنى هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه. فأقام و معه جميع بنى هاشم و بنى المطلّب فى الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله صلّى الله عليه و آله ماله، و أنفق أبو طالب ماله، و أنفقت خديجه بنت خويلد مالها، و صاروا إلى حدّ

ثم نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال، إن الله بعث الأرضه على صحيفه قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعه و لا- ظلم «كذا» إلا- المواضع التي فيها ذكر الله فخير رسول الله صلى الله عليه و آله أبا طالب بذلك، ثم خرج أبو طالب و معه رسول الله و أهل بيته حتى صار إلى الكعبه فجلس بفنائها.

و أقبلت قريش من كل أوب فقالوا: قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد و أن تشتاق إلى قومك و تدع اللجاج في ابن أخيك.

فقال لهم: يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلنا أن نجد فرجا و سببا لصله الأرحام و ترك القطيعه، و أحضروها و هي بخواتيمهم، فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها؟ قالوا: نعم. قال: فهل أحدثتم فيها حدثا؟ قالوا: اللهم لا. قال: فإن محمدا أعلمني عن ربّه أنه بعث الأرضه فأكلت كلما فيها إلا ذكر الله أفرأيتم إن كان صادقا ما ذا تصنعون؟ قالوا: نكفّ و نمسك. قال: فإن كان كاذبا دفعته إليكم تقتلونه، قالوا: قد أنصفت و أجملت. و فضت الصحيفه فاذا الأرضه قد أكلت كل ما فيها إلا مواضع بسم الله عزّ و جلّ. فقالوا: ما هذا إلا سحر و ما كنا قطّ أجدّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه، و أسلم يومئذ خلق من الناس عظيم، و خرج بنو هاشم من الشعب و بنو المطلب فلم يرجعوا إليه. انتهى كلام اليعقوبى.

و قريب ممّا أتى به اليعقوبى ذكره ابن هشام في السيره ص ٣٧٧ ج ١ فعلم بما نقلنا أنّ قريشا حصرت رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته و فعلت تلك الأفاعيل بحماته و أنصاره ليدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله فيقتلونه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب: حتى ندفع النبي صلى الله عليه و آله و يمثّلوا به.

و الظاهر من سياق الكلام و ما نقله المورّخون في ما جرى على المسلمين أنّ الجبل الوعر في كلامه عليه السّلام هو شعب أبي طالب.

و المراد من الموسم في قوله عليه السّلام: فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى

موسم، هو موسم الحجّ و هو من أشهر الحرم و كان أهل الجاهليّة أيضا يحرمون فيه الظلم و القتال لحرمة.

قوله عليه السّلام: «فمؤمننا يبغى بذلك الأجر» أى من آمن برسول الله صلّى الله عليه و آله من بنى هاشم و بنى المطلب كأبى طالب و حمزه بن عبد المطلب رضوان الله عليهما يطلب بما لقي من قريش من الأذى و بالذّبّ و الدّفع سيّما زمن الحصر فى الشعب الأجر من الله تعالى قال عزّ من قائل: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل - ١٠٠) و كان أبو طالب رضوان الله عليه سيد المحصورين فى الشعب و رئيسهم و هو الكافل و المحامى و قد عينه رسول الله صلّى الله عليه و آله بقوله: أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنّة.

و قد روى الصدوق قدّس سرّه فى المجلس الثالث و الستين من الأمالى (ص ٢٤٤ الطبع الناصرى) عن محمّد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن يحيى العطار، عن سهل بن زياد الادمى، عن سنان، عن عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبى ثابت رفعه قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه و آله على عمّه أبى طالب و هو مسجّى فقال: يا عمّ كفلت يتيما، و ربّيت صغيرا، و نصرت كبيرا، فجزاك الله عنى خيرا ثم أمر عليّا عليه السّلام بغسله.

«اسلام أبى طالب رضوان الله عليه»

قد أجمعت أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم أنّ أبى طالب مات مسلما و قد تضافرت الروايات عن أئمتنا عليهم السّلام بذلك. و إنّ عدم اظهاره الإسلام لم يكن من عناد، بل إنّما كان من حسن تدبيره فى دفع كياذ القوم عنه صلّى الله عليه و آله و لمصلحه الذّبّ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و التمكن من حمايته، و لا يخفى أنّه كان بذلك أقدر على إعانه النبىّ صلّى الله عليه و آله لأنّه كان زعيما نبيا حازما سياسيا، فقد قال الشيخ الجليل أبو الفتح الكراچكى فى كنز الفوائد (ص ٨٤ طبع ايران ١٣٢٢ هـ): و روى أنّه قيل لأكثم بن صيفى و كان حكيم العرب: إنّك لأعلم أهل زمانك و أحكمهم و أعقلهم و أحلمهم. فقال: و كيف لا أكون كذلك و قد جالست أبى طالب بن

عبد المطلب دهره، و هاشما دهره، و عبد مناف دهره، و قصيّا دهره، و كلّ هؤلاء سادات أبناء سادات فتخلّقت بأخلاقهم، و تعلّمت من حلمهم، و اقتنيت سوددهم و اتّبعت آثارهم.

فقد روى الكلينيّ قدّس سرّه في الكافي باسناده عن عليّ بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان و أظهروا الشرك، فاتاهم الله أجرهم مرّتين (الحديث ٢٨ من أبواب تاريخ مولد النبيّ صلّى الله عليه و آله و وفاته من اصول الكافي و ص ٣٦٨ ج ١ من مرآة العقول للمجلسي - ره -، و ص ١٥٩ ج ٢ من الوافي).

و روى هذا الخبر الشيخ الصدوق - ره - في الأمالي باسناده عن الطالقاني عن أحمد الهمداني، عن المنذر بن محمّد، عن جعفر بن سليمان، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام كما في البحار ص ١٥ ج ٩ الطبع الكمباني.

قال العلامة المجلسي في مرآة العقول في بيان الحديث: المثل بالتحريك الحال العجيبه، و قيل الايمان: التطوع القلبي بجميع ما جاء به الرّسول فإنّ الأوّل لا يجتمع مع الجحد بخلاف الثاني كما قال تعالى: «جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ» (النمل - ١٤). و أظهروا الشرك أى عند من تجب التقيّه عنده لا عند جميع الناس. مرّتين مرّه للإيمان و مرّه للتقيّه عند وجوبها، فإنها من أفضل الطاعات لا سيّما تقيّه أبي طالب عليه السّلام لأنّها صارت سببا لشده اقتداره على إعانه الرّسول صلّى الله عليه و آله. و الخبر يدلّ على أنّ أصحاب الكهف كانوا مؤمنين و لم يحدث إيمانهم عند خروجهم، و هو المشهور أيضا بين المفسّرين و غيرهم. انتهى كلامه.

أقول: الظاهر أنّ قوله عليه السّلام: فاتاهم الله أجرهم مرّتين، يشير إلى قوله تعالى: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» (القصص آيه ٥٦) و إنّ كلمه مرّتين لا يراد بها حقيقه التثنيه، بل المراد بها كثره الأجر، نظير قولهم: لتيك سعديك، أى كلّما دعوتني فأنا ذو إجابته بعد إجابته و ذو ثبات بمكاني بعد ثبات

وقوله تعالى: «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ» (الملك آية ٥).

و يؤيد ما ذهب إليه من أنّ إخفاء أبي طالب إيمانه كان من تقيته كلام اليعقوبى فى تاريخه المعروف من أنّ معاويه لما وجه بسر بن أرتاه إلى المدينة و أمره أن يقتل من لم يكن ليدخل فى طاعته، انطلق جابر بن عبد الله الأنصارى إلى امّ سلمه زوج النبىّ صلى الله عليه و آله فقال: إني قد خشيت أن اقتل و هذه بيعه ضلال قالت: إذا فبايع فإنّ التقيته حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب و يحضرون الأعياد مع قومهم (ص ١٧٣ ج ٢ طبع النجف).

و لكنّ إخفاء أبي طالب الإيمان و إن كان لمصلحه الذبّ عن رسول الله صلى الله عليه و آله و كان به أقدر على إعانته لكن عدّه تقيته ليس بمرضىّ فإنّ التقيته كما عرّفها الشهيد - ره - فى القواعد: مجامله الناس بما يعرفون و ترك ما ينكرون حذرا من غوائلهم، و موردها الطاعة و المعصية غالبا فمجامله الظالم فيما يعتقدده ظلما و الفاسق المتظاهر بفسقه اتقاء شرّهما من باب المداهنه الجائزه لا تكاد تسمى تقيته و كيف كان عمله تقيته و قد ذبّ عن رسول الله صلى الله عليه و آله و أبى إلا أن يحاميه جهارا و أخبر قريشا بأنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه و آله إليهم و لا تاركه لشيء أبدا حتّى يهلك دونه، كما صرح به المورّخون و أجمعوا عليه و منهم ابن هشام فى السيره «ص ٢٧٢ ج ١» فتأمل.

و فى الكافى باسناده عن الحسين بن محمّد و محمّد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق عن بكر بن محمّد الأزدي، عن إسحاق بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قيل له:

إنّهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافرا، فقال عليه السلام: كذبوا كيف كان كافرا و هو يقول:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمّدا نبيا كموسى خطّ فى أوّل الكتب

ثمّ قال: الكلينيّ: و فى حديث آخر كيف يكون أبو طالب كافرا و هو يقول:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعبأ بقول (١) الأباطل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

أقول: و الخبر مروىّ فى الوافى (ص ١٥٩ ج ٢) و فى مرآه العقول (ص ٣٦٧ ج ١) و فى البحار عن الأمالى للصدوق و عن السيد فخار بن معد الموسوى عن شاذان بن جبرئيل باسناده إلى ابن الوليد «ص ١٥ ج ٩ الطبع الكمبانى».

و المراد أنّ أشعار أبى طالب دالّه على إسلامه و اقراره بنبوّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و لا- فرق فى ذلك بين الكلام المنظوم و المنثور.

و البيت الأوّل من أبيات قالها أبو طالب رضوان الله عليه فى قريش حين تظاهروا على رسول الله صلّى الله عليه و آله و اجتمعوا و ائتمروا بينهم أن يكتبوا صحيفه يتعاقدون فيها على بنى هاشم و بنى المطلب على أن لا- ينكحوا إليهم و لا- ينكحوهم، و لا يبيعوهم شيئا و لا يتاعوا منهم، كما مرّ خبر الصحيفه آنفا.

و قد نقل الأبيات ابن هشام فى السيره النبويه (ص ٣٥٢ ج ١ طبع مصر ١٣٧٥ هـ) و هى:

ألا أبلغا عتّى على ذات بيننا لؤيا و خصّا من لؤىّ بنى كعب

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا نبيا كموسى خطّ فى أوّل الكتب

و أنّ عليه فى العباد محبّه و لا خير ممّن خصّه الله بالحبّ

و أنّ الذى ألصقتكم من كتابكم لكم كائن نحسا كراغيه السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى و يصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب

و لا تتبعوا أمر الوشاه و تقطعوا أو اصرنا بعد المودّه و القرب

و تستجلبوا حربا عوانا و ربّما أمرّ على من ذاقه جلب الحرب

فلسنا و ربّ البيت نسلم أحمدا لعزّاء من عضّ الزّمان و لا كرب

و لما تبّن منّا و منكم سوائف و أيد أتّرت بالقساسيه الشهب

بمعترك ضيق ترى كسر القنا به و النسور الطخم يعكفن كالشرب

كأنّ مجال الخيل فى حجراته و معمه الأبطال معركة الحرب

أليس أبو ناهشم شدّ أزره و أوصى بنيه بالطّعان و بالضرب

و لسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا و لا تشتكى ما قد ينوب من النكب

و لكنّنا أهل الحفائظ و النّهى إذا طار أرواح الكماه من الرّعب

ثمّ قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتّى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلاّ سرّا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش.

و البيتان الاخران من أبيات قصيدته اللّاميه الّتى بلغت شهره كالشمس فى رابعه النهار، و القصيده طويله تنتهى إلى أكثر من تسعين بيتا أتى بها ابن هشام فى السيره «ص ٢٨٢ - الى - ٢٧٠ ج ١» بعض أبيات تلك القصيده ما يلى:

قال ابن هشام: فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته الّتى تعوّذ فيها بحرم مكّه و بمكانه منها و توذد فيها أشراف قومه و هو على ذلك يخبرهم و غيرهم فى ذلك من شعره أنّه غير مسلمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و لا تاركه لشيء أبدا حتّى يهلك دونه فقال:

و لّما رأيت القوم لاودّ فيهم و قد قطعوا كلّ العرا و الوسائل

و قد صار حونا بالعداوه و الأذى و قد طاوعوا أمر العدو المزائل

و قد حالفوا قوما علينا أظنّه يعصّون غيضا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحه و أبيض غضب من تراث المقاول

و أحضرت عند البيت رهطى و إخوتى و أمسكت من أثوابه بالوسائل

إلى أن قال:

كذبتهم و بيت الله نترك مكّه و نطعن أمركم فى بلابل

كذبتهم و بيت الله نبزى محمّدا و لّما نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتّى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

إلى أن قال:

و ما ترك قوم، لا أبالك، سيّدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

ص: ٣٥٧

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمه و فواضل

إلى أن قال:

لعمرى لقد كلّفت وجدا بأحمد و إخوته دأب المحبّ المواصل

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها و زينا لمن والاه ربّ المشاكل

فمن مثله فى الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إلها ليس عنه بغافل

فو الله لو لا أن أجيء بسنّه تجرّ على أشياخنا فى المحافل

لكنّا أتبعناه على كلّ حاله من الدّهر جدّا غير قول التهازل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد فى أرومه تقصّر عنه سوره المتطاول

حدبت بنفسى دونه و حميته و دافعت عنه بالذرا و الكلاكل

فأئده ربّ العباد بنصره و أظهر دينا حقّه غير باطل

و من أبيات تدلّ على أنّ أبا طالب مات مسلما ما نقله ابن هشام فى السيره أيضا (ص ٢٦٩ ج ١) قال: فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه فى جهدهم معه و حذبهم عليه جعل يمدحهم و يذكر قديمهم و يذكر فضل رسول الله صلّى الله عليه و آله فيهم و مكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم و ليحدثوا معه على أمره فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرّها و صميمها

و إن حصّلت أشراف عبد منافها فى هاشم أشرافها و قديمها

و إن فخرت يوما فإنّ محمّدا هو المصطفى من سرّها و كريمها

تداعت قريش غثها و سمينها علينا فلم تظفر و طاقت حلومها

و كنّا قديما لا نفرّ ظلامه إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

و نحمى حماها كلّ يوم كريبه و نضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الدّواء و إنّما بأكنافنا تندى و تنمى أرومها

قال الطبرسى قدّس سرّه فى مجمع البيان فى تفسير القرآن: قوله تعالى:

ص: ٣٥٨

«وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ» (الأنعام آية ٢٦) قيل: عنى به أبا طالب بن عبد المطلب، و معناه يمنعون الناس عن أذى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لَا يَتَّبِعُونَهُ عَنْ عَطَا وَ مَقَاتِل. وَ هَذَا لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ هَذِهِ الْإِيهَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَهَا «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَوكَ يَجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ - إِنْخ» وَ مَا تَأَخَّرَ عَنْهَا مَعْطُوفٌ عَلَيْهَا «وَ لَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ - إِنْخ». وَ كَلَّهَا فِي ذَمِّ الْكُفَّارِ الْمَعَانِدِينَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذَا.

وَ قَدْ ثَبَتَ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ عَلَى إِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ وَ إِجْمَاعُهُمْ حَجَّةً لِأَنَّهُمْ أَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْتَّمَسُّكِ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا.

وَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ ابْنُ عَمْرٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِأَبِيهِ أَبِي قَحَافَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَسْلَمَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فَأَتَيْتَهُ وَ كَانَ أَعْمَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَرَدْتُ أَنْ يَأْجِرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَ أَلْهَى بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لِأَنَّكَ كُنْتَ بِاسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ أَشَدَّ فَرِحًا مِنِّي بِاسْلَامِ أَبِي التَّمَسِّ بِذَلِكَ قَرَّةَ عَيْنِكَ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: صَدَقْتَ.

وَ رَوَى الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ رُؤَسَاءَ قَرِيشٍ لَمَّا رَأَوْا ذَبَّ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَ قَالُوا: جُنَّاكَ بِفَتَى قَرِيشٍ جَمَالًا وَجُودًا وَ شَهَامَةَ عِمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ نَدَفَعَهُ إِلَيْكَ وَ تَدَفَعْنَا إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ الَّذِي فَزَّقَ جَمَاعَتَنَا وَ سَفَّهَ أَحْلَامَنَا فَنَقَلْتَهُ. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَنْصَفْتُمُونِي تَعْطُونِي ابْنَكُمْ فَأَغْدُوهُ وَ أَعْطِيكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ بِلِ فُلْيَاتٍ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ بَوْلْدَهُ فَأَقْتَلْتَهُ وَ قَالَ:

مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ بِيضِ تَلَالِ الْكَلْمِ الْبُرُوقِ

أَذُودٍ وَ أَحْمَى رَسُولَ الْمَلِيكِ حَمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ

وَ أَقْوَالِهِ وَ أَشْعَارِهِ الْمُنْبِئَةِ عَنِ إِسْلَامِهِ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ لَا تَحْصِي فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمدا

- البيت

أليس أبو هاشم

، البيت و قوله من قصيده:

و قالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم بحق و لم يأتهم بالكذب

و قوله فى حديث الصحيفه و هو من معجزات النبى صلى الله عليه و آله:

و قد كان فى أمر الصحيفه عبره متى ما يختبر غائب القوم يعجب

محي الله منها كفرهم و عقوقهم و ما نقموا من ناطق الحق معرب

و أمسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

و قوله فى قصيده يحض أخاه حمزه على اتباع النبى صلى الله عليه و آله و الصبر فى طاعته.

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد و كن مظهرا للدين و فقت صابرا

فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله فى الله ناصرا

و قوله من قصيده:

اقيم على نصر النبى محمدا اقاتل عنه بالقنا و القنابل

و قوله يحض النجاشى على نصر النبى صلى الله عليه و آله:

تعلم ميلك الحبش أن محمدا وزير لموسى و المسيح بن مريم

أتى بهدى مثل الذى أتياه و كل بأمر الله يهدى و يعصم

و إنكم تتلونه فى كتابكم بصدق حديث لا حديث المرجم

فلا تجعلوا الله ندا و أسلموا و إن طريق الحق ليس بمظلم

و قوله فى قصيده فى وصيته و قد حضرته الوفاه:

اوصى بنصر النبى الخير مشهده عليا ابنى و شيخ القوم عباسا

و حمزه الأسد الحامى حقيقته و جعفرأ أن يذودوا دونه الناسا

كونوا فدى لكم أمى و ما ولدت فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

فى أمثال هذه الأبيات ممّا هو موجود فى قصائده المشهوره و وصاياها و خطبه يطول بها الكتاب.

ص: ٣٦٠

على أن أبا طالب لم ينأ عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله قطّ بل كان يقرب منه و يخالطه و يقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله: و يناون عنه.

و قال - ره - فى تفسير قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (القصص آيه ٥٦) قيل: نزلت قوله «إنك لا تهدي من أحببت» فى أبى طالب فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله كان يحبّ إسلامه فنزلت هذه الآيه، و كان يكره إسلام وحشى قاتل حمزه فنزل فيه «يا عبادي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» الآيه (الزمر - ٥٤) فلم يسلم أبو طالب و أسلم وحشى و رووا ذلك عن ابن عباس و غيره.

و فى هذا نظر كما ترى، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله لا يجوز أن يخالف الله سبحانه فى إرادته كما لا يجوز أن يخالفه فى أوامره و نواهيه، و إذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبى طالب و أراد كفره، و أراد النبي إيمانه فقد حصل غايه الخلاف بين إرادتى الرسول و المرسل، فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم إنك يا محمّد تريد إيمانه و لا اريد إيمانه، و لا- أخلق فيه الايمان مع تكلفه بنصرتك و بذل مجهوده فى إعانتك و الذبّ عنك و محبته لك و نعمته عليك، و تكره أنت إيمان وحشى لقتله عمك حمزه و أنا اريد إيمانه و أخلق فى قلبه الايمان و فى هذا ما فيه.

و قد ذكرنا فى سورة الأنعام أنّ أهل البيت عليهم السّلام قد أجمعوا على أنّ أبا طالب مات مسلماً، و تظاهرت الروايات بذلك عنهم، و أوردنا هناك طرفاً من أشعاره الداله على تصديقه للنبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و توحيده، فإنّ استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير، و ما روى من ذلك فى كتب المغازى و غيرها أكثر من أن يحصى. يكاشف فيها من كاشف النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و يناضل عنه و يصحّ نبوته.

و قال بعض الثقات: إنّ قصائده فى هذا المعنى التى تنفث فى عقد السحر و تعير وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلّد و أكثر من هذا. و لا شكّ فى أنه لم يختر تمام مجاهره الأعداء استصلاحاً لهم و حسن تدبيره فى دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول

إلى ما أَلجئوه إليه بعد موته. انتهى كلامه - ره - و من تلك الأشعار قوله فى أبيات كثيرة:

أنت النبىِّ محمّد قرم أعزّ مسود

لمسودين أكارم طابوا و طاب المولد

ما زلت تنطق بالصواب و أنت طفل أمرد

و من تلك الأبيات قوله يخاطب رسول الله صلّى الله عليه و آله و يسكن جاشه و يحضه على إظهار الدّعوه و يغيره بها:

لا يمنعنك من حقّ تقوم به أيدّ تصول و لا سلق بأصوات

فإنّ كفّك كفى إن ملّيت بهم و دون نفسك نفسى فى الملمات

و اعلم أنّ هذه الأشعار إن لم تكن آحادها متواتره فمجموعها يدلّ على تواتر معنوى أعنى أنّها تدلّ على أنّ أبا طالب مات مسلماً. و نظيره غير عزيز، مثلاً- أنّ الأخبار الدالّة على شجاعه أمير المؤمنين عليه السّلام و إن لم تكن آحادها متواتره لفظاً، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك يفيد العلم الضرورى بشجاعته عليه السّلام، و كذلك الكلام فى سخاء حاتم و نظائرهما.

ثمّ نقول: من جانب المراء و الاعتساف، و نظر نظره فى تلك القصائد بعين العدل و الإنصاف. رأى أنّها ما صدرت إلّا من قلب مؤمن بما قال، فإنّ الكلام الصادر عمّن ليس مؤمناً به لا يتجلّى بتلك التجليات الساطعه، و لا يسبك بتلك الأساليب الباهره، بل يلوح منه التكلّف و التعسف.

و فى الكافى: على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى نصر، عن إبراهيم بن محمّد الأشعري، عن عبيد بن زراره، عن أبى عبد الله عليه السّلام. قال: لما توفى أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: يا محمّدا خرج من مكّه فليس لك فيها ناصر، و ثارت قريش بالنبىّ صلّى الله عليه و آله فخرج هاربا حتّى جاء إلى جبل بمكّه يقال له الحجون فصار إليه.

(الحديث ٣١ من أبواب تاريخ مولد النبىّ صلّى الله عليه و آله من اصول الكافى، ص ٣٦٩، ج ١ من مرآه العقول، و فى الوافى فى باب ما جاء فى عبد المطلب و أبى طالب ص ١٦٠ ج ٢).

و روى قريبا من هذه الروايه المجلسي - ره - فى البحار نقلا عن إكمال الدين باسناده عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أيوب بن نوح، عن العباس بن عامر، عن عليّ بن أبى ساره، عن محمد بن مروان، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ أبأ طالب أظهر الشرك و أسرّ الايمان. فلما حضرته الوفاه أوحى الله عزّ و جلّ إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله اخرج منها فليس لك بها ناصر فهاجر إلى المدينه. (ص ١٧ ج ٩ الطبع الكمبانى) و فى الشرح المعتزلى: روى أنّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام سئل عن هذا، فقال:

و اعجبا إنّ الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمه على نكاح كافر، و قد كانت فاطمه بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، و لم تزل تحت أبى طالب حتّى مات.

أقول: و ذلك أنّ أبأ طالب رضوان الله عليه توفى فى آخر السنه العاشره من المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين.

و روى أنّ رجلا- من رجال الشيعه و هو أبان بن محمود كتب إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام: جعلت فداك إني قد شككت فى اسلام أبى طالب، فكتب إليه «و مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ » الايه (النساء - ١١٦) و بعدها، إن لم تقرّ بايمان أبى طالب كان مصيرك إلى النار.

و جمله الأمر أنّ الأخبار من أنمتنا عليهم السّلام متظافره بأنّه مامات إلا مسلما كأشعاره الدالّه على ذلك، و إنما بقى فى المقام أخبار مرويه من القوم، بأنّه مات كافرا و أتى بطائفه منها المفسّرون منهم فى تفسير قوله تعالى: «ما كان للنبيّ و الذين آمنوا أن يسيّغفروا للمشرّكين و لو كانوا أولى قُربى من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحّاب الجحيم و ما كان اسّيغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مواعده و عدّها إياه فلما تبين له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه » الايه (التوبه - ١١٦).

و فى تفسير قوله تعالى: «و هم ينهون عنه و ينأون عنه » الايه (الأنعام - ٢٦).

و فى تفسير قوله تعالى: «إنّك لا تهدي من أحببت » الايه (القصص - ٥٦).

و تلك الأخبار المرويّه عنهم تناقض بعضها بعضا و بعضها لا يناسب ذكره فى

نزول الايات أصلاً ولا حاجه إلى نقلها و ردّها ولا طائل تحت إطاله الكلام بعد وضوح الحقّ، فلو أنّ بيتا من أبي طالب رضوان الله عليه أو روايه تدلّ بظاهرهما على كفره فالجواب عنهما ما ذكرنا من أنّ اظهاره الشرك أنّما كان لمصلحه الذّب عن رسول الله و من حسن تدبيره في دفع كيد القوم عنه صلّى الله عليه و آله.

على أنّ مقابلتهما إجماع أهل البيت عليهم السّلام على إسلامه و قد علمت أنّ إجماعهم حجّه، و أشعاره الدالّه صريحه على إسلامه و ما إذا أوجب علينا أن نعرض عن أشعاره المصرّحه المنصوصه على إسلامه و تتميّدك بما هي تنبىء بظاهرها على كفره، و ليست بدالّه عليه و صريحه فيه، بل نعلم أنّه أبطن الإسلام فيها ليتمكّن من نصره النبيّ صلّى الله عليه و آله و القيام دونه جمعا بين الطائفتين من أشعاره على ما هدانا لهذا أهل بيت العصمه. أو أن نعرض عن كلام أهل البيت و هم أدري بما في البيت و نأخذ بالمروى عن زيد و عمرو المناقض بعضه بعضا.

«سبب اسلام حمزه رضوان الله عليه»

و كان سبب إسلامه ما نقل ابن هشام في السيره النبويه ج ١ ص ٢٩١ و ابن الأثير في اسد الغابه عن ابن إسحاق من أنّ أبا جهل اعترض رسول الله صلّى الله عليه و آله عند الصفا فاذاه و شتمه و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه و التضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله صلّى الله عليه و آله و مولاه لعبد الله بن جدعان التميمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبه فجلس معهم.

فلم يلبث حمزه بن عبد المطلب رضوان الله عليه أن أقبل متوشّحاً قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتّى يطوف بالكعبه، و كان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلّا وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعزّ فتى في قريش و أشدّ شكيمه، و كان يومئذ مشركا على دين قومه، فلمّا مرّ بالمولاه و قد قام رسول الله صلّى الله عليه و آله فرجع إلى بيته، قالت له: يا أبا عماره - و قد كان حمزه يكتنّى بابنيه: يعلى و عماره فكنتي بأبي يعلى تاره و بأبي عماره اخرى - لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي

الحكم بن هشام - و أبو الحكم هو أبو الجهل - وجده ههنا جالسا فاذاه و سبه و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمد.

فاحتمل حمزه الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى و لم يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، معدًا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم، فأقبل نحوه حتّى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّه منكره، ثم قال: أتشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول، فردّ ذلك علىّ إن استطعت؟ و قامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزه لينصروا أبا جهل فقالوا:

ما نراك يا حمزه، إلاّ قد صبأت، فقال حمزه: و ما يمنعنى و قد استبان لى منه ذلك أنا أشهد أنه رسول الله و أنّ الذى يقول الحق، فو الله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره فإننى و الله لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحا.

و تمّ حمزه رضوان الله عليه على إسلامه. فلمّا أسلم حمزه عرفت قريش أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قد عزّ و امتنع، و أنّ حمزه سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

أقول: و كان قبوله الاسلام قبل حصار الشعب.

قوله عليه السلام: «و كافر ناىحامى عن الأصل» يعنى أنّ رجالا من بنى هاشم و بنى المطلب و إن كانوا كافرين و على دين قومهم لكنهم كانوا يذبّون عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و يحامون عنه و يدفعون كىاد القوم عنه و يحولون بينه و بين ما أرادوا من البطش به لا من حيث الحماية عن الاسلام، بل من حيث المراعاة لأصلهم و المحافظه على نسبهم و قبيلتهم.

و كان بعض هؤلاء المحامين فى حصار الشعب و لم يسلم بعد: العباس، و عقيل ابن أبى طالب، و طالب بن أبى طالب، و نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، و ابنه الحارث بن نوفل، و أخوه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و كان أبو لهب ابن عبد المطلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و كذلك ابنه يبغضانه، و كانا شديدين عليه

و نزل في أبي لهب و امرأته امّ جميل عمّه معاويه حمّاله الحطب قوله تعالى «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» السوره.

و إنّما أجريننا بنى هاشم و بنى المطلب مجرى واحدا لأنّهم كانوا يدا واحده لم يفترقوا في جاهليّته و لا- إسلام، و كان من المسلمين المحصورين في الشعب هاشم ابن عبيده بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

قوله عليه السّلام: «فأما من أسلم - إلى قوله: ما شاء الله أن يكون» يعنى أنّ من أسلم من قريش كانوا آمنين ممّا نحن أهل البيت فيه من القتل و البلاء و الأذى و ذلك لأنّ بعضهم كانوا على حلف و عهد من الكفّار، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، و بعضهم الآخر لم يكن لهم العهد و لكنّهم كانوا ذوى عشيره تقوم دونهم و تمنعهم من الأعداء.

فالمراد أنّ البليّه إنّما كانت متوجّهه إليه عليه السّلام و إلى ساير بنى هاشم و بنى المطلب لم يكونوا على عهد و لم يكن لهم من يقوم دونهم، و بذلك يعلم فضيلتهم في حمايه رسول الله و ذبّه عن كيد الأعداء.

قوله عليه السّلام: «ثمّ أمر الله رسوله بالهجره» و قد تقدّمت أنّها طائفه من الأخبار في أنّ أبا طالب رضوان الله عليه مات في آخر السنه العاشره من المبعث بعد الخروج من الشعب بشهرين أنّه لما توفّي نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال:

يا محمّد اخرج من مكّه فليس لك فيها ناصر. و قد مضى كلامنا في هجرته صلّى الله عليه و آله في شرح المختار ٢٣٤ من باب الخطب و هو قوله عليه السّلام: فجعلت اتبع مأخذ رسول الله - إلخ (ص ١٢٦ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السّلام: «و أذن له بعد ذلك في قتال المشركين» قال الطبرسى في المجمع: إنّ قوله تعالى «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا و إنّ الله على نصرهم لقدير الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ» الايه (الحج - ٤٢ و ٤٣) هي أول آيه نزلت في القتال، و كان المشركون يؤذون المسلمين و لا يزال يجيء مشجوج و مضروب إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و يشكون ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقول لهم

صلوات الله عليه وآله: اصبروا فياني لم اوامر بالقتال حتى هاجر، فأنزل الله عليه هذه الآية، انتهى كلامه.

أقول: وقد مضى كلامنا في نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وآله في القتال في شرح المختار ٢٣٤ من باب الخطب أيضا (ص ١٣١ ج ١٥) فراجع.

قوله عليه السلام: «فكان إذا احمر البأس - إلى قوله: حرّ الأسنّه و السيوف» بين البأس و الناس جناس لاحق نحو قوله تعالى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» و البأس:

الحرب، قال حسان بن ثابت في قصيده يعدد فيها أصحاب اللواء يوم أحد:

ولى البأس منكم إذ أبيتم اسره من بنى قصى صميم

واحمرار البأس كناية عن شدّه الحرب و ذلك كأنما شبّهت الحرب بمحارب تلتطخ بالدم السائل من مقاديم بدنه بكثرة ما ورد عليه من طعن السيوف و الأسنّه كما أن احمرار القنا كناية عن شدّه الحرب كأنّه احمرّ من الدم السائل عليه لكثرة الطعن، قال سوار بن المضرب في حماسه ٢٣٣:

يدعون سوارا إذا احمرّ القنا و لكلّ يوم كريبه سوار

أو أنّ الحرب شبّهت بانسان غضبان احمرّ وجهه و يقال: موت أحمر و ميتة حمراء و سنه حمراء و سنون حمراوات يراد بها الشدّه، قالت عاتكة بنت زيد في حماسه ٣٩٣:

إذا أشرعت فيه الأسنّه خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمرّا

أى حتى يخوض الموت بها فيتركه أحمر أى شديدا. و يقال: الحسن أحمر، أى طلب الجمال تتجشّم فيه المشاق و الشدائد، قال بشار بن برد (ص ٢٢٥ ج ١ من البيان و التبيين للجاحظ طبع مصر ١٣٨٠ هـ):

و خذى ملابس زينه و مصبغات فهي أفخر

و إذا دخلت تقنعي بالحمّر إن الحسن أحمر

قال الجوهري في الصحاح: و موت أحمر يوصف بالشدّه و منه الحديث كنا إذا أحمرّ البأس.

أو أنّ الحرب شبّهت بالنّار و اتّصفت بصفاتهما أعنى حمرة النار كقوله عليه السّلام آنفا: و أوقدوا لنا نار الحرب.

ففى النهايه الأثيرية: و فى الحديث لو تعلمون ما فى هذه الأمّة من الموت الأحمر يعنى القتل لما فيه من حمرة الدّم أو لشدّته، يقال: موت أحمر أى شديد، و منه حديث علىّ كُنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلّى الله عليه و آله أى إذا اشتدّت الحرب استقبلنا العدوّ به و جعلناه لنا وقايه، و قيل أراد إذا اضطربت نار الحرب و تسعّرت كما يقال فى الشرّ بين القوم: اضطربت نارهم تشبيها بحمرة النار، و كثيرا ما يطلقون الحمرة على الشدّه، و منه حديث طهفه أصابتنا سنه حمراء أى شديده الجذب، لأنّ آفاق السماء تحمّر فى سنّى الجذب و القحط و منه حديث حليمه أنّها خرجت فى سنه حمراء قد برت المال انتهى كلامه.

فالمعنى أنّ الحرب إذا اشتدّت و نكص الناس عنها قدّم رسول الله صلّى الله عليه و آله أهل بيته إلى القتال فوقى صلّى الله عليه و آله بأهل بيته أصحابه من حرّ الأسنّه و السيوف.

و حرّ السيوف و الأسنّه كأنّه كناية عن حدّه جزّهما و شدّه وقوعهما، أو كناية عن شدّه القتال من حيث إنّهما إذا حرّكتا غير مرّه و قطعت الأبدان و الرءوس بهما و وقعتا على المبارز كثيرا حرّتا و حميتا، لأنّ من شأن الحديد بل مطلق الجسم ذلك، أو كناية عن تعبهما، ففى النهايه الأثيرية: و فى حديث علىّ عليه السّلام أنّه قال لفاطمه: لو أتيت النبىّ فسألته خادما تقيك حرّما أنت فيه من العمل، و فى روايه حارّ ما أنت فيه يعنى التعب و المشقّه من خدمه البيت لأنّ الحراره مقرونه بهما كما أنّ البرد مقرون بالراحه و السكون، و الحارّ: الشّاقّ المتعب. انتهى.

و اعلم أنّ المتفق عند الكلّ أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان فى جميع الشدائد المتوجّهه إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و المسلمين أسبق و أقدم فى الوقايه و الحمايه، و كان يجاهد مع رسول الله صلّى الله عليه و آله فيقيه بنفسه و قد قرأ عداؤه بشجاعته و سبقه على أقرانه، و ما ولى قطّ عن أحد مع طول ملاقاته الحروب و كثره من لاقاه

و كان كما قال ابنه الحسن المجتبي كما فى تاريخ اليعقوبى (ص ١٩٠ ج ٢ طبع النجف) و مروج الذهب للمسعودى (ص ٤٢ ج ٢) و الخرائج و الجرائح للراوندى (ص ١٤٦ طبع ايران ١٣٠١ هـ) و الإرشاد للمفيد (ص ١٧٠ طهران ١٣٧٧ هـ) فى صبيحه الليله التى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السّلام بعد أن حمد الله و أثنى عليه و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله فى خطبه خطب بها الناس:

لقد قبض فى هذه الليله رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوه، و لا يدركه الاخرون، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه - إلخ.

قوله عليه السّلام: «فقتل عبيده بن الحارث يوم بدر» قال ياقوت الحموى فى كتابه المترجم بمرصد الإطلاع فى معرفه الأمكنه و البقاع: بدر بالفتح ثم السكون ماء مشهور بين مكّه و المدينه أسفل وادى الصفراء بينه و بين الجار و هو ساحل البحر ليله به كانت الوقعه المشهوره بين النّبى صلّى الله عليه و آله و أهل مكّه.

و قال الجوهريّ فى الصحاح: بدر موضع يذكّر و يؤنث و هو اسم ماء، و قال الشعبى: بدر بئر كانت لرجل يدعى بدرا و منه يوم بدر.

أقول: بدر أقرب إلى المدينه من مكّه. و الظاهر أنّ القول بأنّها ماء مشهور و الاخر بأنّها اسم بئر يشيران إلى معنى فارد و إنّما الاختلاف فى التعبير.

و كانت وقعه بدر يوم الجمعه لسبع عشره ليله خلت من شهر رمضان من سنه اثنتين من الهجره و هى المذكوره فى القرآن الكريم حيث يقول جلّ اسمه فى الأنفال:

«كما أخرجك ربك من بيتك بالحقّ» - إلخ، و المراد بالبيت فى الايه المدينه يعنى خروجه صلّى الله عليه و آله منها إلى بدر.

و كان سببها - كما فى تاريخ اليعقوبى - أنّ أبا سفيان بن حرب قدم من الشام بعير لقريش تحمل تجارات و أموالا، فخرج رسول الله صلّى الله عليه و آله يعارضه، و جاء الصريخ إلى قريش بمكّه يخبرهم الخبر، و كان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو

الغفارى، فخرجوا نافرين مستعدّين و خالف أبو سفيان الطريق فنجى بالبعير، و أقبلت قريش مستعدّه لقتال رسول الله صلّى الله عليه و آله و عدّتهم ألف رجل و قيل تسعمائة و خمسون.

«مقتل عبيده بن الحارث رضوان الله عليه»

عبيده بضمّ العين و فتح الباء هو عبيده بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، يكنّى أبا الحارث و أبا معاوية. و كان أسنّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله بعشر سنين، و كان إسلامه قبل دخول رسول الله صلّى الله عليه و آله دار الأرقم بن أبي الأرقم فى مكّه، و كان لعبيده قدر و منزله كبيره عند رسول الله صلّى الله عليه و آله، و كان عمره حين قتل ثلاثا و ستين سنه، قتله شيبه بن ربيعه.

ففى الإرشاد: روى على بن هاشم عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن جدّه أبي رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه و آله قال:

لما أصبح الناس يوم بدر اصطفّت قريش أمامها عتبه بن ربيعه و أخوه شيبه و ابنه الوليد، فنادى عتبه رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال: يا محمّد اخرج إلينا أكفأنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبان الأنصار، فقال لهم عتبه: من أنتم؟ فانتسبوا له فقال لهم: لا حاجه بنا إلى مبارزتكم إنّما طلبنا بنى عمنا.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله للأنصار: ارجعوا إلى مواقفكم ثمّ قال: قم يا علىّ قم يا حمزه قم يا عبيده، قاتلوا علىّ حقكم الذى بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفؤا نور الله.

فقاموا فصفّوا للقوم و كان عليهم البيض فلم يعرفوا فقال لهم عتبه: تكلموا فان كنتم أكفأنا قاتلناكم، فقال حمزه: أنا حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله صلّى الله عليه و آله، فقال عتبه: كفو كريم. و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أنا علىّ بن أبي طالب ابن عبد المطلب، و قال عبيده: أنا عبيده بن الحارث بن عبد المطلب.

فقال عتبه لابنه الوليد: قم يا وليد فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السّلام و كان إذ ذاك أصغرى الجماعه سنّا فاختلفا ضربتین أخطأت ضربه الوليد أمير المؤمنين عليه السّلام

و اتقى بيده اليسرى ضربه أمير المؤمنين عليه السلام فأبانتها - فروى أنه عليه السلام يذكر بدرا و قتله الوليد فقال في حديثه: كأني أنظر إلى و مبيض خاتمه في شماله ثم ضربته ضربه اخرى فصرخته و سلبته فرأيت به ردعا من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس.

ثم بارز عتبه حمزه رضی الله عنه فقتله حمزه، و مشى عبيده و كان أسنّ القوم إلى شبيهه فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شبيهه عضله ساق عبيده فقطعها، و استنقذه أمير المؤمنين و حمزه، و قتلا شبيهه، و حمل عبيده من مكانه فمات بالصفراء.

و في اسد الغابه: قيل: إن عبيده كان أسنّ المسلمين يوم بدر فقطعت رجله فوضع رسول الله صلى الله عليه و آله رأسه على ركبته فقال: يا رسول الله لو رأني أبو طالب لعلم أني أحقّ بقوله منه حيث يقول:

و نسلمه حتى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و عاد مع رسول الله صلى الله عليه و آله من بدر فتوفى بالصفراء..

بيان: البيض جمع بيضه يقال بالفارسيه: كلاه خود. أصغرى كلمه جمع اسقط نونه بالإضافه. ردعا من خلوق أى أثر منه و الخلوق ضرب من الطيب.

و الصفراء اسم موضع قريب من بدر.

قوله عليه السلام: «و حمزه يوم احد» أى قتل حمزه في غزوه احد و احد اسم جبل في قرب المدينه.

و كان يوم احد يوم بلاء و مصيبه و تمحيص اختبار الله المؤمنين و محن به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه و هو مستخف بالكفر في قلبه، و يوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهاده من أهل ولايته حتى خالص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فحدث بالحجاره حتى وقع لشقه فاصيبت رباعيته، و كلمت شففته و شج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، و جعل يمسح الدم و هو يقول:

كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم و هو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله عزّ و جلّ في ذلك «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ؕ» (آل عمران - ١٢٣) كما نقله ابن هشام في السيره

عن ابن اسحاق و قتل في ذلك اليوم من المسلمين أحد و ثمانين رجلا، و من المشركين ثمانيه و عشرون.

و في السيره لابن هشام أنّ حمزه بن عبد المطلب قاتل يوم احد حتى قتل أوطاه بن عبد شرحبيل و كان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى فقال له حمزه: هلمّ إليّ يا ابن مقطعه البظور.

قال ابن هشام: قال وحشى: كنت غلاما لجبير بن مطعم و كان عمّه طعيمة ابن عدى قد اصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى احد قال لى جبير: إن قتلت حمزه عمّ محمّد بعمتى فأنت عتيق.

قال: وحشى: فخرجت مع الناس و كنت رجلا حبشيا أقذف بالحربه قذف الحبشه قلما أخطىء بها شيئا، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزه و أتبصره حتى رأيت في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدا، ما يقوم له شيء فو الله إنى لأتهيأ له اريده و استتر منه بشجره أو حجر ليدنو منى إذ تقدّمنى إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزه قال له: هلمّ إليّ يا ابن مقطعه البظور قال: فضربه ضربه كأنّ ما أخطأ رأسه.

قال: و هزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في ثنته حتى خرجت من بين رجله، و ذهب لينوء نحوى فغلب و تركته و إياها حتى مات ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه و لم يكن لى بغيره حاجه و إنّما قتلته لاعتق. فلما قدمت مكّه اعتقت.

ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلّى الله عليه و آله مكّه هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله ليسلموا تعيّن عليّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو اليمن، أو ببعض البلاد.

فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: و يحكك إته و الله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه و تشهد شهادته، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلّى الله عليه و آله المدينة، فلم يرعه إلاّ أبى قائما على رأسه أتشهد بشهاده الحقّ

فلمّا رآنى قال: أوحشنى؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدّثنى كيف قتلت حمزه، فحدّثته فلمّا فرغت من حديثى قال: ويحك غيب وجهك فلا أرينك قال:

فكنت أتنبك رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث كان لئلا يرانى حتّى قبضه الله صلّى الله عليه وآله.

«هند و تمثيلها ب حمزه»

قال ابن اسحاق: و وقعت هند بنت عتبه كما حدّثنى صالح بن كيسان و النسوه اللّاتى معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يجدّ عن الاذان و الانف حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال و آنفهم خدما و قلائد، و أعطت خدمها و قلائدها و قرطها و حشيتا غلام جبير بن مطعم، و بقرت عن كبد حمزه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها ثمّ علت على صخره مشرفه فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر و الحرب بعد الحرب ذات سحر

ما كان عن عتبه لى من صبر و لا أخى و عمّه و بكرى

شفيت نفسى و قضيت نذرى شفيت و حشيتى غليل صدرى

فشكر و حشيتى علىّ عمرى حتى ترمّ أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أئاثه بن عبّاد بن المطلب فقالت:

خزيت فى بدر و بعد بدر يا بنت وقّاع عظيم الكفر

صّبحك الله غداه الفجر ملها شميمين الطوال الزهر

بكلّ قطّاع حسام يفرى حمزه ليشى و علىّ صقرى

إذ رام شيب و أبوك غدرى فخضبتا منه ضواحي النحر

و نذرك السوء فشرّ نذر

و قال محمّد بن إسحاق كما فى السيره لابن هشام: و من الشعر الذى ارتجزت به هند بنت عتبه أيضا يوم احد:

شفيت من حمزه نفسى باحد حتّى بقرت بطنه عن الكبد

أذهب عنى ذاك ما كنت أجد من لذعه الحزن الشديد المعتمد

و الحرب تعلقكم بشؤبوب برد تقدم إقداما عليكم كالأسد

بيان: قولها: ملها شميمين، مخفف من الهاشميين و حذف من لكثرة استعمالها و لا يجوز ذلك إلا فيها وحدها.

«حزن الرسول (صلى الله عليه و آله) على حمزه و توعده بالمشركين بالمثل»

قال ابن إسحاق - كما فى السيره لابن هشام -: خرج رسول الله صلى الله عليه و آله فيما بلغنى يلتمس حمزه بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثل به فجدع أنفه و اذناه.

قال: فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال حين رأى ما رأى: لو لا أن تحزن صفته و يكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع و حواصل الطير، و لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لامتلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه و آله و غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا: و الله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: و لما وقف رسول الله صلى الله عليه و آله على حمزه قال: لن اصاب بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا، ثم قال صلى الله عليه و آله. جاءنى جبرئيل فأخبرنى أن حمزه ابن عبد المطلب مكتوب فى أهل السماوات السبع حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله.

«ما نزل فى النهى عن المثلة و البحث عنها و رد بعض»

«الروايات المختلفه المنتسبه اليه (صلى الله عليه و آله)»

قال ابن اسحاق - على ما فى السيره لابن هشام -: و حدثنى بريده بن سفيان ابن فروه الأسلمى عن محمد بن كعب القرظى، و حدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله عز و جل أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه و آله و قول أصحابه: «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» (النحل الايه - ١٢٨) فعفا رسول الله صلى الله عليه و آله و صبر و نهى عن المثلة.

قال ابن اسحاق: و حدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سمره بن جندب قال:

ما قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَقَامِ قَطِّ ففَارَقَهُ حَتَّى يَأْمُرْنَا بِالصَّدَقَةِ وَ يَنْهَانَا عَنِ الْمِثْلَةِ أَقُولُ: كُلُّ مَا نَقَلْنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَنقُولٌ عَنِ الْوَأَقْدِي وَ غَيْرِهِ أَيْضًا وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْأَقْوَالِ فِي شَرْحِ الْمَخْتَارِ ٢٣٦ مِنْ الْخُطْبِ (ص ٢٤٦ ج ١٥).

وَ سِيَأْتِي فِي وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ، قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ لَا يَمْتَلُ بِالرَّجُلِ فَآتَى سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَ الْمِثْلَةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ.

وَ قَالَ الشَّارِحُ الْمَعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِهِ: فَأَمَّا الْمِثْلَةُ فَمِنْهُيَّ عَنْهَا أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَمْتَلَّ بِهَيْبَارِ بْنِ الْأَسْوَدِ لِأَنَّهُ رَوَعَ زَيْنَبَ حَتَّى اجْهَضَتْ، ثُمَّ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَ قَالَ: لَا مِثْلَةَ الْمِثْلَةَ حَرَامٌ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ الْمَرْوِيَّ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَنْ أَظْهَرَنِي عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوْطِنِ لِأَمْتَلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَمَا فِي السِّيَرَةِ، أَوْ أَمْتَلَنَّ سَبْعِينَ رَجُلًا كَمَا فِي تَفْسِيرِ الصَّافِي لِلْفَيْضِ - رِه - يَنَافِي مَقَامَ النَّبُوَّةِ وَ عَصَمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَ الصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا فِي كِتَابِ مَجْمَعِ الْبَيَانَ لِأَمِينِ الْإِسْلَامِ الطَّبْرَسِيِّ - رِه - حَيْثُ قَالَ: قَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَنْ أَمْكُنَّا اللَّهَ مِنْهُمْ لِنَمْتَلَنَّ بِالْأَحْيَاءِ فَضْلًا عَنِ الْأَمْوَاتِ، فَتَزَلَّتْ «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا» الْآيَةَ.

وَ ظَاهِرُ الْآيَةِ حَيْثُ خَاطَبَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ دُونَ الْمَفْرُودِ يُؤَيِّدُهُ بَلْ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ أَمَّا قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ الْمَذْكُورِ آتِيًا: وَ حَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتَّهَمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَوْلِ أَصْحَابِهِ: «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ» الْآيَةَ، فَفِيهِ مَا دَرَيْتَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ أَجَلٌّ وَ أَعْلَا مِنْ أَنْ يَخْتَارَ مَا لَمْ يَكُنْ مَأْذُونًا فِيهِ وَ لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ حُكْمُ سَمَاوِيٍّ بَعْدَ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَائِيَّةِ: فِيهِ - يَعْنِي فِي الْحَدِيثِ - أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْمِثْلَةِ يَقَالُ: مِثَلْتُ بِالْحَيَوَانَ أَمْثَلْتُ بِهِ مِثْلًا - إِذَا قَطَعْتَ أَطْرَافَهُ وَ شَوَّهْتَ بِهِ، وَ مِثَلْتُ بِالْقَتِيلِ

إذا جذعت أنفه و اذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه، و الاسم المثلثه فأما مثل بالتشديد فهو للمبالغه و منه الحديث نهى أن يمثّل بالدوابّ أى تنصب فترمى أو تقطع أطرافه و هى حيّه، زاد فى روايه: و أن يؤكل الممثول بها.

و قيل: جعل بعض الأعضاء تمثيلاً باعتبار كونه مشتقاً من المثل فإنّ الممثّل يصير بسبب ما فعل الجانى به من الأمر الفظيع مشهوراً كالمثل.

ثمّ إنّ النهى عن المثلثه إنّما يصحّ فيما لم يكن عن قصاص، و أما المثلثه قصاصاً فلا بأس فقد روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله مثل بالعربيين فقطع أيديهم و أرجلهم و سمل أعينهم لأنّهم قطعوا أيدي الرعاء و أرجلهم و سملوا أعينهم، و إن قيل إنّ ذلك كان قبل تحريم المثلثه.

و قد قال الله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى» - الى قوله تعالى: «و لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (البقره ١٧٧).

و قوله تعالى: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (البقره ١٩٢) و قوله تعالى: «و كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ» الايه (المائده ٥٠) و قد أفتى الفقهاء فى قصاص الطرف بذلك و فرّعوا عليه أنّ الاذن الصحيحه تقطع بالصّماء، و الأنف الشام بالأخشم، و ذكر الشابّ بذكر الشيخ، و ذكر المختون بالأغلف، و الفحل بمسلول الخصيتين و كذا يقلع عين الأعور بعين ذى العينين المماثله لها، و إن عمى بذلك الأعور، و الأعور هو ذو العين الواحده خلقه، أو بافه أو قصاص أو جنايه، أى لو كان الجانى بعين واحد و المجنّى عليه باثنتين قلعت عين الجانى و ان استلزم عماء، فإنّ الحقّ أعماء.

كما نطق بذلك خبر عن أبان سأله عليه السلام عن أعور فقأ عين صحيح فقال عليه السلام:

تفقاً عينه، قال: قلت: يبقى أعمى فقال: الحقّ أعماه. و غيرها ممّا حرّر في كتاب القصاص.

و ذهب غير واحد منهم إلى أنّ الجاني إذا جمع بين التمثيل و القتل بضربات يقتصّ الوليّ منه في الطرف ثم يقتصّ في النفس.

ففي الكافي و التهذيب و الفقيه عن محمّد بن قيس عن أحدهما عليهما السّلام في رجل فحّ عينه رجل و قطع أنفه و اذنيه ثمّ قتله، فقال عليه السّلام: إن كان فرّق بين ذلك اقتصّ منه ثمّ يقتل، و إن كان ضربه واحده ضربت عنقه و لم يقتصّ منه.

و في التهذيب عن حفص بن البختری قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن رجل ضرب على رأسه فذهب سمعه و بصره و اعتقل لسانه ثمّ مات فقال عليه السّلام: إن كان ضربه بعد ضربه اقتصّ منه ثمّ قتل، و إن كان أصابه هذا من ضربه واحده قتل و لم يقتصّ منه.

و المراد بالطرف في القصاص مادون النفس و إن لم يتعلّق بالأطراف المشهوره من اليد و الرّجل و الاذن و الأنف و غيرها كالجرح على البطن و الظهر و غيرهما.

و كما أنّ النهي عن المثل لا يشمل المثلّه قصاصاً، كذلك لا يشملها إذا كانت عن حدّ مثل قطع الأصابع الأربع ما عدا الابهام من اليد اليمنى للسارق إذا كانت سرقة أوّل مره و قطع رجله اليسرى من مفصل القدم و ترك العقب يعتمد عليه حاله المشى و الصلاه لو سرق ثانياً، قال عزّ من قائل: «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ» (المائدة ٤٣).

و نظير ما قلنا أيضاً ما ورد من النهي عن تعذيب البهائم و قتلها عبثاً و مع ذلك إنّ جعفر بن أبي طالب في غزوه موته إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عقر في الإسلام و لم يعب ذلك عليه أحد لأنّه خاف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين.

«صلاة الرسول (صلى الله عليه وآله) على حمزه رضوان الله عليه»

فى الكافى و الفقيه كما فى الوافى (ص ٥٢ ج ١٣) باسناد عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذى يقتل فى سبيل الله أيعسّل و يكفّن و يحنّط؟ قال: يدفن كما هو فى ثيابه بدمه إلا أن يكون به رمق ثم مات فانه يغسّل و يكفّن قال: يدفن كما هو فى ثيابه بدمه إلا أن يكون به رمق ثم مات فانه يغسّل و يكفّن و يحنّط و يصلّى عليه، إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على حمزه و كفّنه و حنّطه لأنّه كان جرّداً.

و فى الكافى باسناده عن ابن سنان عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الذى يقتل فى سبيل الله يدفن فى ثيابه و لا يغسّل إلا أن يدركه المسلمون و به رمق ثم يموت بعد، فانه يغسّل و يكفّن و يحنّط، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كفّن حمزه فى ثيابه و لم يغسّله و لكنّه صلى عليه.

و فى الكافى باسناده عن إسماعيل بن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: قلت له: كيف رأيت الشهيد يدفن بدمائه؟ قال: نعم فى ثيابه بدمائه و لا يحنّط و لا يغسّل و يدفن كما هو، ثم قال: دفن رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه حمزه فى ثيابه بدمائه التى اصيب فيها، و رداه النبى برداء فقصر عن رجله فدعا له بإذخر فطرحه عليه و صلى عليه سبعين صلاة، و كبر عليه سبعين تكبيره.

و فى الكافى باسناده عن مثنى بن الوليد، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السلام قال:

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزه سبعين صلاة.

و فيه باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال: كبر رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزه سبعين تكبيره.

و فى السيره النبويه لابن هشام قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى من لا أتّهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحمزه فسجى ببرده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى، فيوضعون إلى حمزه فصلّى عليهم و عليه معهم حتى صلى عليه ثنتين و سبعين صلاة.

أقول: الروايه الاولى ناطقه بأن حمزه كان جرّداً و كفّنه رسول الله صلى الله عليه وآله

و الثالثه ناطقه بأنه صَلَّى اللهُ عليه و آله دفنه فى ثيابه بدمائه التى اصيب فيها و ظاهرها أن كفته كان ثيابه و الثانيه تومئ إلى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله كفته بثوب آخر حالكونه فى ثيابه التى اصيب فيها فينافى بعضها بعضا و التوفيق بينها أن حمزه رضوان الله عليه جرّ دعن بعض ثيابه أى جرّده المشركون عنه بعد قتله عن بعضها لا عن كلّها حتّى ترك عريانا، و ما بقى عليه من الثياب لم يكن كافيا لكفته، فكفته رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله بثوب آخر و لم يجرّده عن ما بقى عليه من الثياب لم يكن كافيا لكفته، فكفته رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله بثوب آخر و لم يجرّده عن ما بقى عليه من الثياب كما تومئ إليه الثانيه فصّح أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله كفته بثوب آخر كما صحّ أن حمزه دفن فى ثيابه التى اصيب فيها أى دفن فى بعض ثيابه و جرّد عن بعضها.

ثم إنّ بين روايات الكافى الناطقه بأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله صَلَّى عليه سبعين صلاه و كبر عليه سبعين تكبيره و بين ما فى السيره من أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه تتين و سبعين صلاه تنافيا ظاهرا.

فقول، إنّ روايات الكافى موافقه لما بلغنا من أئمتنا عليهم السلام من أنّ التكبير على الميت المؤمن خمس تكبيرات و إنّما انتهى عددها إلى سبعين تكبيره لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله كبر عليه خمس تكبيرات ثمّ كلما صَلَّى لسائر إلى سبعين تكبيره لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله كبر عليه خمس تكبيرات ثمّ كلما صلّ لسائر القتلى أشرك حمزه فى صلاتهم كما فى صحيفه الرضا عليه السلام على ما نقله الفيض فى الوافى (ص ٦٧ ج ١٣) باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله كبر على عمّه حمزه خمس تكبيرات و كبر على الشهداء بعده خمس تكبيرات فليحق حمزه بسبعين تكبيره و وضع يده اليمنى على اليسرى، انتهى.

فصلّى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله على حمزه أربع عشره مره لأنه يحصل من ضرب خمسه فى أربعة عشر سبعون.

نظير ذلك صلاه أمير المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف فأنه عليه السلام كبر عليه خمسا و عشرين تكبيره، ففى التهذيب باسناده إلى عمرو بن شمر قال: قلت لجعفر ابن محمّد عليهما السلام: جعلت فداك إنا نتحدّث بالعراق أنّ عليا عليه السلام صَلَّى على سهل بن حنيف فكبر عليه ستّا ثمّ التفت إلى من كان خلفه فقال: إنّه كان بدرّيّا قال:

فقال جعفر عليه السّلام: إنّه لم يكن كذا و لكنّه صلّى عليه خمسا ثمّ رفعه و مشى به ساعه ثمّ وضعه فكبر عليه خمسا، ففعل ذلك خمس مرّات حتّى كبر عليه خمسا و عشرين تكبيره.

و فى الفقيه قال أبو جعفر عليه السّلام: كبر خمسا خمسا كلّما أدركه الناس قالوا: يا أمير المؤمنين لم ندرك الصلاه على سهل فيضعه فيكبر عليه خمسا حتّى انتهى إلى قبره خمس مرّات.

و أمّا قول ابن إسحاق من أنّه صلّى الله عليه و آله صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاه فلا يوافق المذهب الحقّ لأنّه يلزم أن يكبر عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله أربع تكبيرات و كذا كبر على الشهداء بعده أربع تكبيرات فلحق حمزه بشتين و سبعين تكبيره أى صلّى عليه ثمانى عشره مرّه و هو كما ترى مخالف لاجماعنا و الصحاح المستفيضه و غيرها المتواتره و لو معنى من أئمتنا عليهم السّلام، على أنّ صلاه جنازه المؤمن خمس تكبيرات فما وردت بالأربع إمّا متأوله بالحمل على الصلاه على المنافقين ففى الكافى و التهذيب باسنادهما عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يكبر على قوم خمسا و على قوم آخرين أربعاً فإذا كبر على رجل أربعاً اتّهم بالنفاق.

و فى الكافى باسناده عن محمّد بن مهاجر عن امّه امّ سلمه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا صلّى على ميّت كبر فتشهد، ثمّ كبر فصلّى على الأنبياء و دعا، ثمّ كبر و دعا للمؤمنين، ثمّ كبر و انصرف، فلما نهاه الله عزّ و جلّ عن الصلاه على المنافقين كبر فتشهد، ثمّ كبر فصلّى على النبيّين صلّى الله عليهم. ثمّ كبر و دعا للمؤمنين، ثمّ كبر الرابعه و انصرف و لم يدع للميّت.

و فى التهذيب عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: سألته عن الصلاه على الميّت فقال: أمّا المؤمن فخمس تكبيرات، و أمّا المنافق فأربع و لا سلام فيها، انتهى.

و لا يخفى عليك أنّ أهل البيت أدرى بما فيه.

و إِمَّا مَحْمُولُهُ عَلَى التَّقْيِيهِ لِأَنَّهَا مَذْهَبُ جَمِيعِ الْعَامَّةِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ شَيْخُ الطَّائِفَةِ قَدَّسَ سِرَّهُ.

عَلَى أَنَّ صَدْرَ قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ لَا يُوَافِقُ ذِيْلَهُ لِأَنَّهُ قَالَ أَوْلَا إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى عَلَيْهِ فَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَ لَا يَنْتَهَى تَكَرُّرَ السَّبْعِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِلَى ثَنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَ صَلَّى ثَلَاثَ عَشْرَةَ صَلَاةً أُخْرَى خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ، فَلِحَقِّ حَمْزِهِ بَثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً.

نَحْوَمَا رَوَى الْكَشَى بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ: كَبَّرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَ كَانَ بَدْرِيًّا، وَ قَالَ: لَوْ كَبَّرْتَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ لَكَانَ أَهْلًا.

وَ إِنْمَا كَبَّرَا عَلَيْهِمَا سَبْعًا تَشْرِيفًا لَهُمَا وَ إِنْمَا وَقَعَ فِي وَاقِعِهِ خَاصَّةً لَا يَجُوزُ التَّجَاوُزُ عَنْهَا فَتَأَمَّلْ جَيِّدًا.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ جَاءَتْ رَوَايَاتٌ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ مَرَّتَيْنِ فَصَاعِدًا فَفِي التَّهْذِيبِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ وَهْبِ بْنِ وَهْبٍ، عَنِ جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِيهِمَا السَّيِّدِ الْأَمِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى عَلَيْهِ جَنَازَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ جَاءَهُ نَاسٌ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ نَدْرُكُ الصَّلَاةَ عَلَيْهَا فَقَالَ: لَا يَصَلِّي عَلَى جَنَازِهِ مَرَّتَيْنِ وَ لَكِنْ ادْعُوا لَهَا.

وَ فِيهِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ كَلُوبٍ، عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ عِمَارٍ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى عَلَيْهِ جَنَازَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ جَاءَ قَوْمٌ فَقَالُوا فَاتِنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهَا فَقَالَ: إِنَّ الْجَنَازَةَ لَا يَصَلِّي عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ ادْعُوا لَهَا وَ قُولُوا لَهَا خَيْرًا.

ثُمَّ إِنَّ إِطْلَاقَ الْخَبْرَيْنِ أَوْ عُمُومَهُمَا يَقْتَضِي عَدَمَ الْفَرْقِ فِي الْمَنْعِ بَيْنَ مَا لَوْ صَلَّيْتَ ثَانِيًا جَمَاعَةً أَوْ فَرَادَى فَكَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَخْبَارِ؟ قُلْتَ: يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: التَّعَدُّدُ يَخْتَصُّ بِمَنْ لَهُ مَزِيدٌ كِرَامَةً، أَوْ يُقَالَ إِنَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِ حَمْزُهُ وَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَهْلِ إِنْمَا كَانَتْ مَخْتَصَّةً بِهِمَا فَالاحتِطَابُ أَنْ يَتْرَكَ التَّعَدُّدَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ.

و لم يذهب أحد منّا إلى القول بحرمة الصلاة على الجنّاه الواحده مرتين فصاعدا، بل ذهب بعضهم إلى القول باستحباب التكرار على الإطلاق لها، و أفى غير واحد بالجواز لمن لم يدرك الصلاة عليها، و لكنّ المشهور على كراهه الصلاة عليها مرتين فصاعدا، بل من محكّي الغنيه الاجماع عليها، للخبرين المنقولين فى التهذيب، و لضعف سندهما حملا على الكراهه.

و فى التهذيب باسناده عن الفطحيه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: الميّت يصلّى عليه ما لم يوار بالتراب و إن كان قد صلّى عليه.

و فيه عن يونس بن يعقوب عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن الجنّاه لم أدركها حتّى بلغت القبر اصلّى عليها؟ قال: إن أدركتها قبل أن يدفن فان شئت فصلّ عليها.

و فيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام - فى روايه - إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله خرج إلى جنّاه امرأه من بنى النجار فصلّى عليها فوجد الحفره لم يمكنوا فوضعوا الجنّاه فلم يجيء قوم إلا قال لهم: صلّوا عليها. فتأمل جيّدا.

و إن قلت: فما معنى الصلاة فى قول أبى جعفر المروى أنّفا من الكافى عن زراره أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله صلّى على حمزه سبعين صلاه و مثله ما فى السيره حتّى صلّى عليه ثنتين و سبعين صلاه؟.

قلت: الصلاة هذه بمعنى الدّعاء أى دعا له سبعين مرّه بعد كلّ تكبيره، و بيّنه قوله الاخر المروى أنّفا أيضا من الكافى عن إسماعيل بن جابر أنّه صلّى الله عليه و آله صلّى عليه سبعين صلاه و كبر عليه سبعين تكبيره.

و يعبر عن الدّعاء للميّت فيما بين التكبيرات بالصلاه فى التهذيب باسناده عن محمّد بن يزيد، عن أبى بصير قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام جالسا فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنّاه فقال له: خمس تكبيرات، ثمّ دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنّاه فقال له: أربع صلوات، فقال الأوّل: جعلت فداك سألتك فقلت خمسا و سألك هذا فقلت أربعاء؟ فقال: إنّك سألتنى عن التكبير و سألتنى هذا عن الصلاة

ثم قال: إنها خمس تكبيرات بينهما أربع صلوات، ثم بسط كفه فقال: إنهن خمس تكبيرات بينهما أربع صلوات.

«حث الرسول (صلى الله عليه وآله) على طلب العلم حتى في دفن القتلى»

قال ابن هشام في السيره (ص ٨٩ ج ٢) قال ابن اسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبه بن صعير العذري حليف بني زهره أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أشرف على القتلى يوم احد قال: أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر، و كانوا يدفنون الاثنين و الثلاثة في القبر الواحد.

قوله عليه السلام: «و جعفر و زيد يوم موته» أى قتلا في غزوه موته و جعفر هو ابن أبى طالب بن عبد المطلب و كان ثالث الإخوه من ولد أبى طالب أكبرهم طالب، و بعده عقيل، و بعده جعفر، و بعده على أمير المؤمنين عليه السلام و كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين و أمهم جميعا فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و كان لجعفر رضوان الله عليه فضل كثير، فقال ابن هشام في السيره النبويه (ص ٣٥٩ ج ٢): و ذكر سفيان بن عيينه عن الأجلح، عن الشعبي: أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقبل رسول الله بين عينيه و التزمه و قال: ما أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خيبر، أم بقدم جعفر.

و كفى في فضله ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في حقه في زمره من مدحهم في هذا الكتاب الذى نقلناه عن نصر من أن الله ولى الاحسان إليهم و المئان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات، فما سمعت بأحد و لا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعه رسوله و لا أطوع لرسوله في طاعه ربه و لا أصبر على اللأواء و الضراء و حين البأس و مواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر - إلخ.

و قال يعقوبى فى التاريخ (ص ٩٧ ج ٢ طبع النجف): كان المشبهون برسول الله صلى الله عليه وآله جعفر بن أبى طالب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشبهت خلقى

و خلقى. إلخ.

و قال ابن عبد البرّ فى كتاب الاستيعاب: كان سنّ جعفر يوم قتل إحدى و أربعين سنة و قال ابن هشام فى السيره (ص ٣٧٨ ج ٢):
و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة.

و مؤته بالهمز و حكى أيضا غير الهمز قريه من أرض البلقاء من الشام، و قيل: غزوه مؤته تسمى أيضا غزوه جيش الامراء لكثره
جيش المسلمين فيها و ما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار.

و زيد هذا هو زيد بن حارثه و كان جعفر و زيد و عبد الله بن رواحه امراء الجيش لرسول الله صلّى الله عليه و آله و كان لعبد
الله قصائد و أراجيز فى غزوه مؤته و تشجيع الناس على قتال الخصم و سنتلو بعضها عليك.

قال ابن واضح الأخبارى فى كتابه المعروف بتاريخ اليعقوبى (ص ٤٩ ج ٢):

و وجه - يعنى رسول الله صلّى الله عليه و آله جعفر بن أبى طالب، و زيد بن حارثه، و عبد الله بن رواحه فى جيش إلى الشام
لقتال الروم سنة ثمان و روى بعضهم أنه صلّى الله عليه و آله قال:

أمير الجيش زيد بن حارثه، فان قتل زيد بن حارثه فجعفر بن أبى طالب، فان قتل جعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحه، فان
قتل عبد الله بن رواحه فليرتض (١) المسلمون من أحبوا، و قيل: بل كان جعفر المقدم، ثم زيد بن حارثه، ثم عبد الله بن رواحه.

و صار إلى موضع يقال له مؤته من الشام من البلقاء من أرض دمشق فأخذ زيد الرايه فقاتل حتى قتل. ثم أخذها جعفر فقطعت
يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثم ضرب وسطه. ثم أخذها عبد الله بن رواحه فقتل.

فرفع لرسول الله صلّى الله عليه و آله كلّ خفض، و خفض له كلّ رفع حتى رأى مصارعهم و قال:

رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل إني كنت قدّمت زيدا فقال: إنّ الله قدّم جعفرا لقرابتك، و نعام رسول الله صلّى الله
عليه و آله فقال: أنبت الله لجعفر جناحين من

ص: ٣٨٤

١- (١) و فى بعض الكتب: فان قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم.

زبرجد يطير بهما في الجنة حيث يشاء، و اشتد جزعه، و قال: علي جعفر فلتبك البواكي. و تأمر خالد بن الوليد على الجيش.

قالت أسماء بنت عميس الخثعميه و كانت امرأه جعفر و أمّ ولده جميعا: دخل عليّ رسول الله و يدى فى عجين فقال: يا أسماء أين ولدك؟ فأتيته بعبد الله و محمّد و عون فأجلسهم جميعا فى حجره و ضمّهم إليه و مسح على رؤوسهم و دمعت عيناه، فقلت: بأبى و أمى أنت يا رسول الله لم تفعل بولدى كما تفعل بالأيتام لعلّه بلغك عن جعفر شيء؟ فغلبته العبره و قال: رحم الله جعفرا، فصحت و اويلاه و اسيداه، فقال: لا تدعى بويل و لا حرب و كل ما قلت فأنت صادقته، فصحت و اجعفراه و سمعت صوتى فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و آله فجاءت و هى تصيح و ابن عمّاه، فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله يجرّ رداءه ما يملك عبرته و هو يقول: علي جعفر فلتبك البواكي، ثم قال يا فاطمه اصنعى لعيال جعفر طعاما فانهم فى شغل فصنعت لهم طعاما ثلاثه ايام فصارت سنّه فى بنى هاشم.

قال ابن اسحاق كما فى السيره لابن هشام: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله بعثه إلى مؤته فى جمادى الاولى سنه ثمان - إلى أن قال: فتجهّز الناس ثم تهيّؤا للخروج و هم ثلاثه آلاف، فلما حضر خروجهم ودّع الناس امراء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّموا عليهم - يعنى بالأمراء جعفرا و زيدا و عبد الله -.

فلما ودّع عبد الله بن رواحه من ودّع من امراء رسول الله صلى الله عليه و آله بكى، فقالوا:

ما يبكيك يا ابن رواحه؟ فقال: أما و الله ما بى حبّ الدنيا و لا صبابه بكم، و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقرأ آيه من كتاب الله عزّ و جلّ يذكر فيها النار «و إن منكم إلا و اردّها كان على ربك حتماً مقضياً» (مريم - آيه ٧٤) فلست أدرى كيف لى بالصّدر بعد الورود.

فقال المسلمون: صحبكم الله و دفع عنكم و ردّكم إلينا صالحين فقال: عبد الله ابن رواحه:

لكنني أسأل الرحمن مغفره و ضربه ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنه بيدي حران مجهزه بحربه تنفذ الأحشاء و الكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشده الله من غاز و قد رشدا

قال ابن اسحاق: ثم إن القوم تهيؤوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحه رسول الله صلى الله عليه و آله فودّعه ثم قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى و نصرا كالذي نصرنا(١)

إني تفرّست فيك الخير نافله الله يعلم أنني ثابت البصر(٢)

أنت الرسول فمن يحرم نوافله و الوجه منه فقد أزرى به القدر

و هذه الأبيات في قصيده له ثم خرج القوم و خرج رسول الله صلى الله عليه و آله حتى إذا ودّعهم و انصرف عنهم قال عبد الله بن رواحه:

خلف السلام على امرئ و دّعته في النخل خير مشيخ و خليل

«تخوف الناس من لقاء هرقل و تشجيع ابن رواحه الناس على القتال»

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أنّ هرقل قد نزل ماب من أرض البلقاء في مائه ألف من الزوم و انضم اليهم من لحم و جذام و القين و بهراء و بلي مائه ألف منهم عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشه يقال له مالك بن زافله فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، و قالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا بالرجال و إما أن يأمرنا بأمره فمضى له.

فشجع الناس عبد الله بن رواحه و قال: يا قوم و الله إن التي تكروهون لتي خرجتم تطلبون الشهاده و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوه و لا كثره ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين إما ظهور، و إما شهادة.

ص: ٣٨٦

١- (١) فالمصراع الثاني في روايه: في المرسلين و نصرا كالذي نصرنا.

٢- (٢) و المصراع الثاني في روايه: فراسه خالفت فيك الذي نظروا. يعنى المشركين.

فقال الناس: قدو الله صدق ابن رواحه، فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم و العرب بقريه من قري البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو و انحاز المسلمون إلى قريه يقال لها مؤته، فالتقى الناس عندها فتعباً لهم المسلمون فجعلوا على يمينتهم رجلاً من بني عذره يقال له قطبه بن قتاده، و على يسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عبايه (عباده - خ ل) بن مالك.

ثم التقى الناس و اقتتلوا فقاتل زيد بن حارثه برايه رسول الله صلى الله عليه و آله حتى شاط في رماح القوم.

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

أقول: و قد مضى كلامنا في البحث عن المثلثه آنفاً من أن جعفراً رضوان الله عليه لما ذا عقرها.

قال ابن اسحاق: و حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أَرْضَعْنِي و كان أحد بني مَرّه بن عوف و كان في تلك الغزوه غزوه مؤته قال: و الله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل و هو يقول:

يا حبذا الجَنَّة و اقترابها طيبه و باردا شرابها

و الروم روم قد دنى عذابها كافرهِ بعيده أنسابها

علِي إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام: و حدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللّواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنه، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنه يطير بهما حيث شاء.

فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحه الرايه ثم تقدّم بها و هو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزله لتنزله أو لتكرهه

إن أجلب الناس وشدّ و الرّنه ما لى أراك تكريهين الجنه

قد طال ما قد كنت مطمئنّه هل أنت إلا نطفه فى سنّه

و قال أيضا:

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت

و ما تمنيت فقد اعطيت إن تفعلى فعلهما هديت

يريد بقوله فعلهما صاحبيه جعفرًا و زيدا.

ثمّ نزل فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعرق من لحم فقال: شدّ بهذا صلبك فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثمّ انتهس منه نهسه ثمّ سمع الحطمه فى ناحيه الناس فقال: و أنت فى الدنيا، ثمّ ألقاه من يده ثمّ أخذ سيفه فتقدّم فقاتل حتّى قتل.

و العرق بالفتح ثمّ السكون: العظم الذى عليه بعض اللحم.

ثمّ أخذ الرايه ثابت بن أقران أخو بنى العجلان فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الرايه دافع القوم و حاشى بهم، ثمّ انحاز و انحيز عنه حتّى انصرف بالناس.

«نبؤ الرسول (صلى الله عليه و آله) بما حدث للمسلمين مع الروم»

قال ابن هشام فى السيره: قال ابن إسحاق: و لما اصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه و آله فيما بلغنى: أخذ الرايه زيد بن حارثه فقاتل بها حتّى قتل شهيدا. ثمّ أخذها جعفر فقاتل بها حتّى قتل شهيدا، قال: ثمّ صمت رسول الله صلى الله عليه و آله حتّى تغيّرت وجوه الأنصار و ظنّوا أنّه قد كان فى عبد الله بن رواحه بعض ما يكرهون، ثمّ قال: ثمّ أخذها عبد الله بن رواحه فقاتل بها حتّى قتل شهيدا، ثمّ قال: لقد رفعوا إلىّ فى الجنه فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحه ازورارا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لى: مضيا و تردّد عبد الله بعض التردّد

ثم مضى.

ثم نقل ابن إسحاق روايه أسماء بنت عميس التي نقلناها عن تاريخ يعقوبى و الروايتان تختلفان فى بعض الألفاظ - إلى أن قال: فقال صلى الله عليه وآله: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

ثم نقل رجوع الجيش إلى المدينة و تلقى الرسول لهم و غضب المسلمين عليهم فقال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروه بن الزبير قال: لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمون، قال: و لقيهم الصبيان يشتدون و رسول الله صلى الله عليه وآله مقبل مع القوم على دابته، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم و اعطوني ابن جعفر فاتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه قال: و جعل الناس يحثون على الجيش التراب و يقولون يا فزار فررتم فى سبيل الله قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله ليسوا بالفزار و لكنهم الكزار إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: و حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هاشم و هم أخواله، عن أم سلمه زوج النبى صلى الله عليه وآله قال:

قالت أم سلمه لامراه سلمه بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالى لا أرى سلمه يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله و مع المسلمين؟ قالت: و الله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فزار فررتم فى سبيل الله حتى قعد فى بيته فما يخرج.

و سمى ابن هشام فى السير من استشهد يوم مؤته من المسلمين اثنى عشر رجلا منهم جعفر بن أبى طالب، و زيد بن حارثه من بنى هاشم، و عبد الله بن رواحه، و عباد بن قيس من الأنصار، ثم من بنى الحارث بن الخزرج.

قوله عليه السلام: «و أراد لله من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهادة مع النبى غير مره و لكن آجالهم عجلت، و متيته أجلت» أراد عليه السلام: بقوله: «من لو شئت ذكرت اسمه» نفسه، و قوله: غير مره متعلق بقوله أراد، و بين عجلت و أجلت جناس مضارع نحو بينى و بين كنى ليل دامس و طريق طامس.

و المراد أنه عليه السلام أخبر عن نفسه بأنى أردت لله تعالى الشهادة فى سبيله مع

النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله غير مَرَّةٍ أى فى غزوات عديده مثل هؤلاء النفر الذين رزقوها لكن آجالهم عجلت، أى جاء أجلهم و قضاوا نحبهم، و متيتى اجلت، أى اخرت فان الاجال بيد الله تعالى قال عز من قائل «ما تسبىق من أمه أجلها و ما يسبى تأخرون» (الحجر - ٧).

و روى الشيخ الجليل أبو الفتح الكراچكى فى كتر الفوائد (ص ١٣٧ طبع ايران ١٣٢٢ هـ) باسناده عن خالد بن يزيد، عن أبى جعفر محمد بن عليّ، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ، عن أبيه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله يوم الأحزاب: اللهم إنك أخذت منى عبيده بن الحارث يوم بدر، و حمزه بن عبد المطلب يوم احد و هذا أخى عليّ بن أبى طالب، ربّ لا تذرني فردا و أنت خير الوارثين.

قوله عليه السّلام: «فيا عجباً للدّهر إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى و لم تكن له كسابقتى التى لا يدلى أحد بمثلها» لما ذكر طائفه مما يدلّ على سابقته فى الإسلام و تقدّمه و أفضليّته على من سواه أردفه بالتعجب من الدّهر حيث أنزله ثم أنزله حتّى قرنه بمن لم يكن له سعى فى الدفاع عن الدّين، و حمايه بيضه الاسلام بقدم مثل قدمه عليه السّلام، و لم يكن له سابقه كسابقته التى ليس لأحد أن يتوسّل بمثلها، و يحتجّ به.

و قد قدّمنا فى صدر شرح هذا الكتاب أنّ الأشياء التى استحقّ بها أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله الفضل هى السبق إلى الإيمان، و الهجره، و النصرة لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و القربى منه، و القناعه، و بذل النفس له، و العلم بالكتاب و التنزيل، و الجهاد فى سبيل الله، و الورع، و الزهد، و القضاء، و الحكم، و العفّه، و العلم، و كلّ ذلك كان لعلّى عليه السّلام منه النصيب الأوفر، و الحظّ الأكبر، فأين لابن آكله الأكباد أن يوازنه و يوازيه و يقرن به؟!.

ثمّ إذا كان له عليه السّلام فى جميع ما يستحقّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله فضلا النصيب الأوفر و السبق على من سواه بحيث لا يدلى أحد بمثلها فأنتى لغيره عليه السّلام أن يتقدّمه فى الخلافه؟ فهل هذا إلا ازورارا عن الحقّ؟!.

فبما ذكرنا دريت أنه عليه السّلام أشار بقوله: من لم يسع بقدمى - إلخ، إلى معاويه

ظاهراً، و إلى من تقدّم عليه من الخلفاء تلويحاً و قد قال عليه السّلام في الشّشقيّة: فيا لله و للشورى متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن إلى هذه النظائر؟ و في الكافي باسناده عن السّراد عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: ثلاثه هم شرار الخلق ابتلى بهم خيار الخلق: أبو سفيان بن حرب أحدهم قاتل رسول الله صلّى الله عليه و آله و عاداه، و معاوية قاتل عليّاً و عاداه، و يزيد بن معاوية لعنه الله قاتل الحسين بن عليّ عليهما السّلام و عاداه حتّى قتله. (الوافي ص ٥٨ ج ٢).

«كلام معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في جده و أبيه»

و يعجبني أن نذكر في المقام ما وصف معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في خلافته جدّه و أباه، فانه كان أدرى بما فيهما. نقل كلامه اليعقوبيّ في التاريخ (ص ٢٢٦ ج ٢ طبع النجف) و العلامة الشيخ بهاء الدين العاملي في الكشكول و نحن ننقل عن اليعقوبيّ.

قال: ثمّ ملك معاوية بن يزيد بن معاوية و أمّه أمّ هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة أربعين يوماً و قيل بل أربعة أشهر، و كان له مذهب جميل فخطب الناس فقال:

أمّا بعد حمد الله و الثناء عليه أيّها الناس إنّنا بلينا بكم و بليتّم بنا، فما نجعل كراهتكم لنا و طعنكم علينا، ألا و إنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمرين كان أولى به منه في القرابه برسول الله صلّى الله عليه و آله و أحقّ في الإسلام، سابق المسلمين، و أوّل المؤمنين، و ابن عمّ رسول ربّ العالمين، و أبا بقيته خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، و ركبتّم منه ما لا تنكرون حتّى أتته ميتته، و صار رهنا بعمله.

ثمّ قلّد أبي و كان غير خليق للخير، فركب هواه، و استحسن خطأه، و عظم رجاؤه فأخلفه الأمل و قصر عنه الأجل، فقلّت منعه، و انقطعت مدّته، و صار في حفرته رهنا بذنبه، و أسيرا بجرمه، ثمّ بكى و قال: إنّ أعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه، و قبح منقلبه، و قد قتل عتره الرسول صلّى الله عليه و آله، و أباح الحرمه، و حرّق الكعبه

و ما أنا المتقلد اموركم، و لا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنما لقد نلنا منها حظًا. و إن تكن شرًا فحسب آل سفيان ما أصابوا منها.

قوله عليه السّلام: «إلا أن يدعى مدّع ما لا أعرفه و لا أظنّ الله يعرفه» يعنى أنّ من يدعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب مختلق، و دعواه باطله زاهقه.

و لما كان عليه السّلام أفضل الصحابه فى جميع الصفات الكماليه فما لا يعرفها فهى داحضه، فأشار بقوله: إلا أن يدعى مدّع ما لا أعرفه، إلى أنّ ما ادّعه ممّا لا يعزفه باطل.

و ضمير يعرفه يرجع إلى ما كضمير أعرفه، و المراد أنّ ما ادّعه مدّع خلاف ما ذكرته غير موجوده و ما ليس بموجود لا تتعلق المعرفه بوجوده و الظن بمعنى العلم و الغرض العلم بالسلب أى الله يعلم أنّ ما ادّعه مدّع ممّا لا أعرفه ليس بموجود.

قوله عليه السّلام: «و الحمد لله على كلّ حال» تأسيى عليه السّلام فى كلامه هذا برسول الله صلّى الله عليه و آله، و هذا القول يؤمى إلى اغتمامه عليه السّلام، و ذلك أنّ ثقته الاسلام الكلينى رضوان الله عليه روى فى الكافى باسناده عن محمّد، عن ابن عيسى، عن القاسم، عن جدّه، عن مثنى الحنّاط عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمه، و إذا ورد عليه أمر يغمّم به قال: الحمد لله على كلّ حال.

و روى هذه الروايه الفيض قدّس سرّه فى باب الشكر من أبواب جنود الايمان من الوافى (ص ٦٨ ج ٣) عن الكافى أيضا.

قوله عليه السّلام: «و ذكرت حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم، و بغى عليهم، فأما البغى فمعاذ الله أن يكون» كلامه هذا إلى قوله: إنّ حقّى هو المأخوذ و قد تركته لهم تجاوز الله عنهم، جواب عن قول معاويه فى كتابه: فكلّهم حسدت و على كلّهم بغيت - إلى قوله: و فى إبطائك عن الخلفاء.

و قد مضى كلامنا فى البحث عن الإمامه فى المختار ٢٣٧ أنّ الامام أجّل شأننا من أن يكون باغيا، فإنّ البغى من الذنوب العظيمه و جميع الذنوب أربعه

أوجه لا خامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوه، فهذه منفيّة عنه، فراجع إلى (ص ٤٤ من ج ١٥).

و أما اجتماع الناس في سقيفه بنى ساعده و اختلاف المهاجرين و الأنصار في البيعه و لم يغسل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله بعد حتّى غضبوا أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام حقّه فقد ذكره الشارح الخوئي قدّس سرّه في المباحث السالفه، و نحن أشرنا إلى شرذمه منه في المجلد السادس عشر (ص ٣٨٢).

و يعقوبي في التاريخ في خبر السقيفه (ص ١٠٢ ج ٢) بعد ما نقل كلام عبد الرحمن بن عوف في فضل الأنصار قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت و إنّ فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد - يعني عليّ بن أبي طالب عليه السّلام. إلى أن قال:

و جاء البراء بن عازب فضرب الباب على بنى هاشم و قال: يا معشر بنى هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه و نحن أولى بمحمّد صَلَّى الله عليه و آله، فقال العباس: فعلوها و ربّ الكعبه. و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكّون في عليّ عليه السّلام فلما خرجوا من الدّار قام الفضل بن العباس، و كان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنه ما حقّت لكم الخلافه بالتمويه و نحن أهلها دونكم، و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبه بن أبي لهب فقال: - ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف - إلى آخر الأبياب التي نقلنا في (ج ١٦ ص ٣٨٣) عن خزيمه بن ثابت الأنصاري.

ثمّ قال يعقوبي: و تخلف عن بيعه أبي بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و ما لو مع عليّ بن أبي طالب منهم: العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسي، و أبو ذر الغفاري، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب، و ابني ابن كعب.

قال: و كان خالد بن سعيد غائبا فأتى عليّا فقال: هلّمّ أبايك فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك.

قال: فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب و أبي عبيده بن الجراح و المغيرة ابن شعبه فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه من بعده، فتقطعون به ناحيه علي بن أبي طالب حجّه لكم على علي إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر و عمر و أبو عبيده بن الجراح و المغيرة حتّى دخلوا على العباس ليلا.

فحمد أبو بكر الله و أثنى عليه ثم قال:

إنّ الله بعث محمّدا نبيا، و للمؤمنين وليا، فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى اختار له ما عنده، فخلي على الناس امورا ليختاروا أنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم واليا، و لامورهم راعيا، فوليت ذلك و ما أخاف بعون الله و تسديده و هنا و لا حيره و لا جنبا، و ما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت و إليه انيب. و ما أنفك يبلغنى عن طاعن يقول الخلاف على عامّة المسلمين يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع و خطبه البديع، فأما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، و إمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه، و لقد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك و يكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله، و إن كان الناس قد رأوا مكانك و مكان صاحبك فعدلوا بالأمر عنكم على رسلكم بنى هاشم فإنّ رسول الله منّا و منكم.

فقال عمر بن الخطاب: إي و الله، و اخرى إنّا لم نأتكم لحاجه إليكم و لكن كرها أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاهم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم.

«احتجاج العباس عم رسول الله (صلّى الله عليه و آله) على أبي بكر و عمر في أمر البيعه»

قال اليعقوبى: فحمد العباس الله و أثنى عليه و قال:

إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله كما وصفت نبيا، و للمؤمنين وليا، فمنّ على أمته به حتّى قبض الله إليه و اختار له ما عنده، فخلي على المسلمين امورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ، لا مائلين بزيع الهوى، فان كنت برسول الله فحقّا أخذت

و إن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرطاً، و لا حللنا وسطاً، و لا برحنا سخطاً، و إن كان هذا الأمر إنّما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين، ما أبعده قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك و ما لو إليك و ما أبعده تسميتك خليفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله من قولك خلى على الناس امورهم ليختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، و إن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، و على رسلك فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله من شجره نحن أغصانها و أنتم جيرانها، فخرجوا من عنده.

و في الجمل للمفيد قدس سرّه (ص ٤٥ طبع النجف) و قد عرفت الخاصه و العامه ما أظهره أمير المؤمنين عليه السلام من كراهته من تقدّم عليه و تظلمه منهم، فقال في مقام بعد مقام: اللهم إني أستعيذك «أستعديك. ظ» على قريش فانهم ظلموني حقّي و منعوني إرثي و تمالوا عليّ. و قال عليه السّلام: لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و قال: و قد عهد إليّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أنّ الامّه ستغدر بي من بعده، و قال:

يا عمر لقد ظلمت الحجر و المدر. و قال: اللهم اجز قريشا عني الجوازي فقد قطعت رحمي و دفعتني عن حقّي و أغرت بي سفهاء الناس و خاطرت بدمي.

قوله عليه السّلام: «و أمّا ما ذكرت من أمر عثمان و قطيعتي رحمه و تأليبي عليه - إلى قوله: إلا أن تتجنّي فتجنّ ما بدا لك» هذا الفصل جواب عن قول معاويه في كتابه إليه عليه السّلام مخاطباً له بقوله: ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان - إلى قوله: و قد ذكر لي أنك تنصّل من دمه.

و قد ذكرنا في شرح المختار الأوّل من كتبه و رسائله عليه السلام الأحداث التي أحدثها عثمان ممّا نقمها الناس منه و طعنوا عليه و صارت أسباب قتله (ص ٢٠٣ ج ١٦)، و نصح أمير المؤمنين عليه السّلام عثمان في ص (٣١١ ج ١٦ من) الواقدي و غيره، و كذا قوله عليه السّلام «ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّي لأستحي» المنقول من الطبري و غيره في شرح المختار ٢٣٨ من كلامه في باب الخطب (ص ١٨٣ ج ١٦) و قوله عليه السلام: و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما.

وقد أشرنا في (ص ٣٥١ ج ١٦) إلى أنّ عثمان قتل نفسه بأحداثه التي أحدثها وأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: اللّهُ قتله، وأنّه عليه السّلام كان في عزله عن قتله، وأنّه عليه السّلام نصحه و نصره غير مرّه و ما أراد عثمان منه نصحا و إلّا لتاب من قوادحه حقيقه و لما خدع الناس مرّه بعد مرّه، وأنّ أهل البصره اتّهموا عليّا عليه السّلام بدم عثمان اتباعا لتسويلات شيطانيه، وأنّ اسناد دم عثمان إليه تهمة و بهتان ليس إلّا و غيرها ممّا أشرنا إليها فراجع.

و قال ابن الأثير في مادّه عفو من النهايه: قالت امّ سلمه لعثمان: لا تعف سبيلا كان رسول اللّهُ صلّى اللّهُ عليه و آله لحبها، أى لا تطمسها.

ثمّ قد بيّنا تفسير قوله عليه السّلام: «إلّا أن تتجنّى فتجنّ ما بدا لك» في شرح الكتاب السادس، فراجع.

هنا انتهى المجلد السابع عشر من هذه الطبعة النفيسه في اليوم الرابع و العشرين من شهر جمادى الثانيه سنه - ١٣٨٥ - بتصحيح و ترتيب من العبد:

- السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه، و ذلك في المطبعه المباركه الاسلاميه بطهران.

و يليه ان شاء الله المجلد الثامن عشر في شرح بقيه الكتاب و الحمد لله.

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

